الجزء الثاني

من كتاب الكامل
في اللغة والادب تأليف العلامة
الهمام علم الائمة الاعلام أبي العباس محمد
ابن يزيد المعروف بالمبرد النحوي المتوفي سنة ٢٨٥
هجريه تغمده الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

(في مقدمة تاريخ الامام ابن خلدون ما نصه)
وسمعنا من شيوخنا في مجالس التعليم أن أصول فن الادب وأركانه
أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة
وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي
البغدادي وماسوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه

وقد طرز هامشه بكتاب الفصول المختارة من كتب الامام أبي عثمان
عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكناني البصري المتوفي بالبصرة في
المحرم سنة ٢٥٥ هجريه اختيار الامام عبيد الله بن حسان رحمه
الله ونفعنا به آمين

(محل مبيعه)
(بمكتبة السيد محمد عبد الواحد بك الطوبي وأخيه)
(بجوار المسجد الحسيني بمصر)

(الطبعة الأولى)
(بمطبعة التقدم العلميه بدرب الدليل بمصر المحميه)
(سنة ١٣٢٤ هجريه)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿باب ما يجوز فيه يَفْعَلُ فيما ماضيه فَعَلَ مفتوح العين﴾

اعلم ان كل فعل على فَعُلَ فهو غير متعد الى مفعول لانه فعل الفاعل فى نفسه وتأويله الانتقال وذلك قولك كَرُمَ عبدُ الله وظَرُفَ عبد الله وتأويل قولى الانتقال انما هو انتقال من حال الى حال تقول ما كان كريما ولقد كَرُمَ وما كان شريفا ولقد شَرُفَ فهذا تأويله فاما قولهم كِدْتُ أَكَادُ فانما كِدْتُ معترضةٌ على أكاد وما كان من فَعِلَ الصحيح فانه يَفْعَلُ نحو شَرِبَ يَشْرَبُ وعَلِمَ وفَرِقَ ويكون متعديا وغير متعد تقول حَذِرْتُ زيدا وعَلِمْتُ عبد الله ويكون فيه مثلُ سَمِنْتُ وبَخِلْتُ غير متعد وكله على يَفْعَلُ نحو يَسْمَنُ ويَبْخَلُ ويَعْلَمُ ويَطْرَبُ فاما قولهم فى الاربعة من الافعال يَحْسِبُ ويَيْئِسُ ويَنْعِمُ ويَيْبِسُ فهى معترضة على يَفْعَلُ تقول فى جميعها يَحْسَبُ ويَنْعَمُ ويَيْأَسُ ويَيْبَسُ وما كان على فَعَلَ فبابه يَفْعُلُ ويَفْعِلُ نحو قتل يَقْتُلُ وضرب يضرِب وقعد يقعُد وجلس يجلِس فقد أنبأتك انه يكون متعديا وغير متعد فاما يأبَى ويَقْلَى فلهما علة تُبَيَّنُ عند ما أذكرها لك ان شاء الله ولا يكون فَعَلَ يفعَلُ الا أن يكون يعرِضُ له حرف من حروف الحلق الستة فى موضع العين أو موضع اللام فان كان ذلك الحرف عينا فَتَحَ نفسه وان كان لاما فتح العينَ وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء وذلك قولهم قرأ يقرأ أقرأ أقرأ يا فتى وقراءة وسأل يسأل

﴿فصل منه فى الاحتجاج للجمع على قراءة زيد﴾ ولو كان زيد من آل أبى العاص أو من عرض بنى أمية لوجد ابن مسعود متعلقا ولو كان بدل زيد عبد الرحمن بن عوف لوجد الى القول سبيلا ولو كان ابن مسعود رجلا من بنى هاشم لوجد للطعن موضعا ولو كان عثمان رضى الله تعالى عنه استبد بذلك الرأى على على بن أبى طالب كرم الله وجهه وسعد وطلحة والزبير رحمهم الله وجميع

وجبه يجبه وذهب يذهب وتقول صنع يصنع وظعن يظعن وضج يضج وكذلك فرغ يفرغ وسلخ يسلخ وقد يجوز ان يجيء الحرف على أصله وفيه أحد الستة يجوز زأر يزأر وفرغ يفرغ وصبغ يصبغ الا ان الفتح لا يكون فيما ماضيه فعل الا وأحد هذه الحروف فيه وأما يأبى فله علة وأما يقلى فليس يثبت وسيبويه يذهب فى يأبى الى انه انما انفتح من أجل ان الهمزة فى موضع فائه والقول عندى على ما شرحت لك من انه اذا فتح حدث فيه حرف من حروف الحلق فانما انفتح لانه يصير الى الالف وهى من حروف الحلق ولكن لم نذكرها الا انها لا تكون أصلا انما تكون زائدة أو بدلا ولا تكون متحركة فانما هى حرف ساكن ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذى ذكرت لك من أن يسع ويطأ أحدهما فعل يفعل فى المعتل كحسب يحسب من الصحيح ولكن فتحتهما العين والهمزة كما تقول ولغ الكلب يلغ والاصل يلغ فحرف الحلق فتحه

(باب)

يروى عن على بن أبى طالب رحمة الله عليه انه افتقد عبد الله بن العباس رحمه الله فقال ما بال أبى العباس لم يحضر فقالوا ولد له مولود فلما صلى على رحمه الله قال امضوا بنا اليه فأتاه فهنأه فقال شكرت الواهب وبورك لك فى الموهوب ما سميته قال أو يجوز لى ان أسميه حتى تسميه فأمر به فأخرج اليه فأخذه وحنكه ودعا له ثم رده اليه وقال خذه اليك أبا الأملاك قد سميته عليا وكنيته أبا الحسن فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا محمد فجرت عليه وكان على سيدا شريفا بليغا وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلى فى كل يوم الى كل أصل ركعتين فكان يدعى ذا الثفنات وضرب بالسوط مرتين كلتاهما ضربه الوليد احداهما فى تزوجه لبابة بنت عبد الله بن جعفر وكانت عند عبد الملك فعض تفاحة ثم رمى بها اليها وكان أبخر فدعت بسكين فقال ما تصنعين به قالت أميط عنها الأذى فطلقها فتزوجها على بن عبد الله فضربه الوليد وقال انما تتزوج بأمهات الخلفاء لتضع منها لان مروان بن الحكم تزوج أم خالد بن يزيد بن معاوية ليضع منه فقال على بن عبد الله انما أرادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابن عمها فتزوجتها لا كون لها محرجا وأما ضربه اياه فى المرة الثانية فانا نرويه من غير وجه ومن أتم ذلك ما حدثنيه أبو عبد الله محمد بن شجاع البلخى (هو محمد بن شجاع الثلجى كذا صوابه) فى اسناد له متصل لست أحفظه

المهاجرين والانصار لوجد للتهمة مساغا فاما والامر كما وصفنا وبينا فالطاعن على عثمان الا رجل أخطأ خطة الحق وعجل على صاحبه ولكل بنى آدم من الخطأ نصيب والله عز ذكره يغفر له ويرحمه والذى يخطئ عثمان فى ذلك فقد خطأ عليا وعبد الرحمن وسعدا والزبير وطلحة وما عليه الصحابة ولو لم يكن ذلك رأى على لغيره ولو لم يمكنه التغيير لقال فيه ولو لم يمكنه فى زمن عثمان لامكنه فى

يقول فى آخر ذلك الاسناد رأيت عليا مضروبا بالسوط يدار به على بعير ووجهه مما يلى ذنب
البعير وصائح يصيح عليه هذا على بن عبد الله الكذاب قال فأتيته فقلت ما هذا الذى نسبوك فيه
الى الكذب قال بلغهم قولى ان هذا الأمر سيكون فى ولدى والله ليكونن فيهم حتى يملكهم عبيدهم
الصغار العيون العراض الوجوه الذين كأن وجوههم المجان المطرقة ومع هذا الحديث آخر فى
شبيه باسناده أن على بن عبد الله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان
أبو العباس وأبو جعفر قال أبو العباس وهذا غلط لما اذكره لك انما ينبغى أن يكون دخل على
هشام فأوسع له على سريره وسأله عن حاجته فقال ثلاثون ألف درهم على دين فأمر بقضائها
قال له وتستوصى بابنى هذين خيرا ففعل فشكره وقال وصلتك رحم فلما ولى على قال الخليفة
لأصحابه ان هذا الشيخ قد اختل وأسن وخلط فصار يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولده فسمع
ذلك على فالتفت اليه فقال والله ليكونن ذلك وليملكن هذان قال أبو العباس أما قولى ان الخليفة
فى ذلك الوقت لم يكن سليمان فلان محمد بن على بن عبد الله كان يمتنع من تزوج الحارثية للحديث
المروى فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد فقال له انى أردت أن أتزوج بنت خالى من بنى الحرث
ابن كعب أفتأذن لى فقال عمر تزوج رحمك الله من أحببت فتزوجها فأولدها أبا العباس أمير
المؤمنين وعمر بعد سليمان فلا ينبغى أن يكون تهيأ له أن يدخل على خليفة حتى يترعرع (ش
كذا وقع فى الأم والرواية والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا) فلا يتم مثل هذا الا فى
أيام هشام وكان عبد الملك يكرم عليا ويقدمه فحدثنى التوزى قال قال على بن عبد الله سايرت يوما
عبد الملك فما جاوزنا الا يسيرا حتى لقيه الحجاج قادما عليه فلما رآه ترجل ومشى بين يديه فغضب عبد
الملك فأسرع الحجاج فزاد عبد الملك فهرول الحجاج فقلت لعبد الملك أبك موجدة على هذا فقال
لا ولكنه رفع من نفسه فأحببت أن أغض منه وحدثنى جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمى قال
حضر على عبد الملك وقد أهدى له من خراسان جارية وفص وسيف فقال يا أبا محمد ان حاضر
الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحدا فاختار الجارية وكانت تسمى سعدى وهى من سبى
الصغد من رهط عجيف بن عنبسة فأولدها سليمان وصالحا ابنى على وذكر جعفر بن عيسى أنه لما
أولدها سليمان اجتنبت فراشه فمرض سليمان من جدرى خرج عليه فانصرف على من مصلاه

زمن نفسه وكان لا أقل
من اظهار الحجة ان لم يمكن
تحويل الأمة وكان
لا أقل من التجربة ان لم
يكن من النصح على ثقة
بل لم يكن لعثمان فى ذلك
مالم يكن لجميع الصحابة
وأهل القدم والقدوة
ومع ان الوجه فيما صنعوا
واضح بل لا نجد لما صنعوا
وجها غير الاصابة
والاحتياط والاشفاق
والنظر للعواقب وحسم
طعن الطاعن ولو لم يكن
ما صنعوا الله تعالى فيه رضا
لما اجتمع عليه أول هذه

فاذا بها على فراشه فقال مرحبا بك يا أم سليمان فوقع بها فأولدها صالحا فاجتنبت بعدُ فسألها عن ذلك فقالت خفتُ أن يموت سليمانُ فينقطع النسب بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فالآن اذ ولدتُ صالحا فبالحَرَى ان ذهب أحدهما أن يبقى الآخرُ وليس مثلي اليوم مَن وطئه الرجال وزعم جعفر أنه كانت فيها رُتَّةٌ فالرُّتَّة تعذُّر الكلام اذا أراده الرجل فهي الآن معروفة في ولد سليمان وولد صالح وكان عليٌّ يقول أكره أن أُوصيَ الى محمد وكان سيّدَ ولده خوفا من أن أشينَه بالوصية فأوصى الى سليمان فلما دُفِنَ عليٌّ جاء محمد الى سُعْدَى فقال أخرجي اليَّ وصية أبي فقالت ان أباك أَجَلُّ من أن تُخْرَجَ وصيته ليلا ولكنها تأتيك غدا فلما أصبح غدا بها عليه سليمانُ فقال يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك فقال محمد جزاك الله من ابن وأخ خيرا ما كنتُ لأُثَرِّبَ على أبي بعد موته كما لم أُثَرِّبْ عليه في حياته قال أبو العباس التَّمْتَمةُ التردد في التاء والفَأْفَأَةُ التردد في الفاء والعُقْلةُ التواء اللسان عند ارادة الكلام والحُبْسةُ تعذر الكلام عند ارادته واللَّفَفُ ادخال حرف في حرف والرُّتَّةُ كالرَّتَج تمنع أوّل الكلام فاذا جاء منه شيء اتصل والغَمْغَمَةُ أن تَسْمَعَ الصوت ولا يتبين لك تقطيعُ الحروف والطَّمْطَمَةُ أن يكون الكلام مُشْبِهًا الكلام العجم واللُّكْنَةُ أن تَعْتَرِضَ على الكلام اللغةُ الاعجميةُ وسنفسر هذا بحججه حرفا حرفا وما قيل فيه ان شاء الله واللُّثْغَةُ أن يُعْدَلَ بحرف الى حرف والغُنَّةُ أن يُشْرَبَ الحرفُ صوتَ الخَيْشومِ والخُنَّةُ أشدُّ منها والتَّرْخيمُ حذف الكلام. يقال رجل فأفاءٌ يا فتى تقديره فاعالٌ ونظيره من الكلام ساباطٌ وخاتامٌ قال الراجز

يا ميَّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُنْشَقِّ • أخذتِ خاتامي بغير حق

(كذا ذكره أبو العباس بغير همز الالف الاولى والصحيح أنه بالهمز على فَعْلال مثل خَضْخاض وقَمْقام فالذي حكى أبو العباس غَلَطٌ لان سيبويه رحمه الله قال ليس في الصفات فاعال قال أبو الحسن يقال خاتَمٌ على وزن دانَقٍ وخاتِمٌ على وزن ضارِبٍ وخَيْتامٌ على وزن ديَّانٍ وخاتامٌ على وزن ساباط) وقال ربيعة الرَّقّيُّ في مدحه يزيدَ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّبِ وربيعةُ احتج به الاصمعي وذَمِّه يزيدَ بن أُسَيْدٍ السُّلَمِيَّ

لَشَتَّانَ ما بين اليزيدين في النَّدى • يزيد سُلَيْمٍ والأَغَرِّ ابن حاتم

فَهَمُّ الفتى الأَزْدِيِّ اتلافُ ماله • وهَمُّ الفتى القَيْسيِّ جمعُ الدراهم

الأمة وآخرها وان أمرا اجتمعت عليه المعتزلة والشيعة والخوارج والمرجئة لظاهر الصواب واضح البرهان على اختلاف أهوائهم وبغضهم لكل ما ورد عليهم فان قال قائل هذه الروافض بأسرها تأبى ذلك وتنكره وتطعن فيه وترى تغييره قلنا ان الروافض ليست منا بسبيل لان من كان أذانه غير اذاننا وصلاته غير صلاتنا وطلاقه غير طلاقنا وعتقه غير عتقنا وحجه غير حجنا وفقهاؤه غير

فلا يحسب التمتام أنى هجوته ❊ ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال آخر أيضا ليس بفأفاء ولا تمتام ❊ ولا كثير سقط الكلام

وقال الشاعر وقد تعتريه عقلة فى لسانه ❊ اذا هز نصل السيف غير قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجهم قال أقبلت على الفكر فى أيام محاربة الزط فاعترتنى حبسة فى لسانى وهذا يكون لان اللسان يحتاج الى التمرين على القول حتى يخف له كما تحتاج اليد الى التمرين على العمل والرجل الى التمرين على المشى وكما يعانيه موتر القوس ورافع الحجر ليصلب

وينشد قال الراجز كأن فيه لففا اذا نطق ❊ من طول تحبيس وهم وأرق

وقال ابن المقفع اذا كثر تقليب اللسان رقت جوانبه ولانت عذبته وقال العتابى اذا حبس اللسان عن الاستعمال اشتدت عليه مخارج الحروف واما الرتة فانما تكون غريزة قال الراجز

❊ يا أيها المخلط الأرت ❊ ويقال انها تكثر فى الاشراف ولم توجد تختص واحدا دون واحد واما الغمغمة فقد تكون من الكلام وغيره لانه صوت لا يفهم تقطيع حروفه وحدثنى من لا أحصى من أصحابنا عن الاصمعى عن شعبة عن قتادة قال قال معاوية يوما من أفصح الناس فقام رجل من السماط فقال قوم تباعدوا عن فراتية العراق وتيامنوا عن كشكشة تميم وتياسروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمانية حمير فقال له معاوية من أولئك فقال قومى يا أمير المؤمنين فقال له معاوية من أنت قال أنا رجل من جرم قال الاصمعى وجرم من فصحاء الناس قوله تيامنوا عن كشكشة تميم فان بنى عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا لقرب الشين من الكاف فى المخرج وأنها مهموسة مثلها فأرادوا البيان فى الوقف لأن فى الشين تفشيا فيقولون للمرأة جعل الله البركة فى دارش ويحك مالش والتى يدرجونها يدعونها كافا والتى يقفون عليها يبدلونها شينا وأما بكر فتختلف فى الكسكسة فقوم منهم يبدلون من الكاف سينا كما يفعل التميميون فى الشين وهم أقلهم وقوم يبينون حركة كاف المؤنث فى الوقف بالسين فيزيدونها بعدها فيقولون أعطيتكس واما الغمغمة فقد ذكرت لك وقال الهارب لامرأته يوم الخندمة وذلك أنها نظرت اليه يحدد حربة فى يوم فتح مكة فقالت ما تصنع بهذه قال أعددتها لمحمد وأصحابه فقالت والله ان أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء فقال لها انى لأرجو أن أخدمك بعضهم

فقهائنا وامامه غير امامنا وقراءته غير قراءتنا وحلاله غير حلالنا وحرامه غير حرامنا فلا نحن منه ولا هو منا ولأى شئ جانب عن قراءة ابن مسعود فوالله ماكان أحد أفرط فى العمرية منه ولا أشد على الشيعة منه ولقد بلغ من حبه لعمر رضى الله عنه ان قال لقد خشيت الله تعالى فى حبى لعمر فلم يحامون عنه وهو كان شجاهم لو أدركهم (فصل منه) فأمن الله رجلا فارقهم ولزم الجماعة

وأنشأ يقول (الحارث هو أبو عثمان الهذلي ويقال له الرقاش ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لحماس بن قيس أخي بني بكر بن عبد مناة أنشده له أبو اسحق والخندمة جبل دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وقيل الخندمة مشى فيه اسراع فأضيف الى اليوم لما كثر فيه)

ان تقبلوا اليوم فما بي علة * هذا سلاح كامل وألة * وذو غرارين سريع السلة

الألة الحربة والغرار ههنا الحد يعني بذي غرارين السيف فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل فلامته امرأته فقال

انك لو شهدت يوم الخندمة * اذ فر صفوان وفر عكرمة * ولحقتنا بالسيوف المسلمة

يفلقن كل ساعد وجمجمة * ضربا فلا تسمع الا غمغمة * لهم نهيت حولنا وحمحمة

* لم تنطقي في اللوم أدنى كلمة *

وأما الطمطمانية ففيها يقول عنترة

تبري له حول النعام كأنها * حزق يمانية لأعجم طمطم

وكان صهيب أبو يحيى صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرتضخ لكنة رومية ويذكرون أن نسبه في النمر بن قاسط صحيح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة وقال عمر لصهيب في قوله انه من النمر بن قاسط قد سمعت ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انتمى الى غير نسبه فقال صهيب أنا من القوم ولكن وقع على سباء وكان عبد بني الحسحاس يرتضخ لكنة حبشية فلما أنشد عمر بن الخطاب

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

فقال عمر لو كنت قدمت الاسلام على الشيب لأجزتك فقال ما سعرت يريد ما شعرت وكان عبيد الله ابن زياد يرتضخ لكنة فارسية وانما أتته من قبل زوج أمه شيرويه الاسواري ويقال ان عليا عليه السلام عاد زيادا في منزل شيرويه فقال عبيد الله يوما لرجل كلمه فظن به رأي الخوارج (الرجل الذي كلمه عبيد الله بن زياد وظن أنه من الخوارج هاني بن قبيصة) أهروري منذ اليوم يريد أحروري وهذه الهاء تشترك في قلبها من الحاء أصناف من العجم وكان زياد الأعجم وهو رجل من عبد القيس يرتضخ لكنة أعجمية يذهب فيها الى مذهب قوم بأعيانهم من العجم وأنشد المهلب بن

فان فيها الأنس والجنة وترك الفرقة فان فيها الوحشة والشبهة والحمد لله الذي جعلنا لا نفرق بين أئمتنا كما جعلنا لا نفرق بين أنبيائنا

(فصل منه) والذي دعانا الى تأليف جميع الرسول ونظمها وجمع وجوهها وتدوينها انها متى كانت مجموعة منظومة نشط لحفظها وتفهمها من كان عسى ان لا ينشط لجمعها ولا يقدر على نظمها وجمع متفرقها وعلى اللفظ المؤثر عنها

أبي صُفْرةَ في مدحه اياه   فتًى زاده السُلْتانُ في المدح رغبة • اذا غيّر السُلْتانُ كلّ خليل

يريد السلطان وذلك أن بين التاء والطاء نسبا فلذلك قلبها تاء لان التاء من مخرج الطاء فقال السلتان واما الغنّة فتستحسن من الجارية الحديثة السن لانها مالم تُفرط تميل الى ضرب من النغمة قال ابن الرقاع العاملي يصف الظبية وولدها

تُزجي أغنّ كأنّ ابرة روقه • قلم أصاب من الدواة مدادها

(باب)

قال محمد بن عبد الله بن نمير الثقفي

لم ترَ عيني مثل سرب رأيته • خرجن من التنعيم معتجرات

مررن بفخ ثم رحن عشية • يلبين للرحمن مؤتجرات

تضوّع مسكا بطن نعمان أن مشت • به زينب في نسوة عطرات

وقامت تراآى يوم جمع فأفتنت • برؤيتها من راح من عرفات

ولما رأت ركب النميري أعرضت • وكن من ان يلقينه حذرات

دعت نسوة شمّ العرانين بدّنا • نواعم لا شعثا ولا غبرات

(ويروى ولا غفرات بالفاء أخت القاف من الغفر وهو الشعر الذي ينبت في اللحيين يقال غفرت المرأة اذا نبت لها ذلك الشعر)

فأدنين لما قمن يحجبن دونها • حجابا من القسّي والحبرات

أحلّ الذي فوق السموات عرشه • أوانس بالبطحاء معتمرات

يخبّئن أطراف البنان من التقى • ويخرجن جنح الليل معتجرات

قوله مثل سرب رأيته هو القطعة من النساء أو من الظباء أو من البقر أو من الطير كما قال

لم ترَ عيني مثل سرب رأيته • خرجن علينا من زقاق ابن واقف

فهذا يعني نساء (القطيع من السباع يقال له سِرْبٌ قاله ابن جني وكذلك من الماشية كلها) ويقال مرّت بنا سُربة من الطير في هذا المعنى قال ذو الرمة

سوى ما أصاب الذئب منه وسُربة • أطافت به من أمهات الجوازل

ومن كان عسى ان لا يعرف وجه مطالبها والوقوع عليها ولعل بعض الناس يعرف بعضها ويجهل بعضها ولعل بعضهم وان كان قد عرفها بحقها وصدقها فلم يعرفها من أسهل طرقها وأقرب وجوهها ولعل بعضهم ان يكون قد كان عرف فنسي أو تهاون بها فعمي بل لا نشك انها اذا كانت مجموعة محبرة مستقصاة مفصلة انها تزيد في بصيرة العالم ويجمع الكل لمن كان لا يعرف الا البعض

ويقال فلان واسع السرب يعني بذلك الصدر ويقال خل لفلان سربه أي طريقه الذي يسرب فيه ويقال للإبل كذلك بالفتح لأذعرن سربك ويقال حذرات وحذرات ويقظ ويقظ قال ابن أحمر

هل ينسئن يومي الى غيره • أني حوالي وأني حذر

وقوله وكن من ان يلقينه حذرات الاصل من أن يلقينه ولكن الهمزة اذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها متصلة كانت أو منفصلة أن تلقي حركتها على ما قبلها وتحذفها تقول من ابوك فتفتح النون وتحذف الهمزة ومن اخوانك ومن ام زيد فتضم النون وتكسرها وتقصها على ما ذكرت لك وتقول الذي يخرج الخب في السموات وفلان له هية وهذه مرة اذا خففت الهمزة في الخبء والهيئة والمرأة وعلى هذا قوله تعالى سل بني اسرائيل لانها كانت اسئل فلما حركت السين بحركة الهمزة سقطت ألف الوصل لتحرك ما بعدها وانما كان التخفيف في هذا الموضع بحذف الهمزة لان الهمزة اذا خففت قربت من الساكن والدليل على ذلك أنها لا تبتدأ الا محققة كما لا يبتدأ الا بمتحرك فلما التقى الساكن وحروف تجرى مجرى الساكن حذفت المعتل منها كما تحذف لالتقاء الساكنين وقوله دعت نسوة شم العرانين فالشماء السابغة الانف والمصدر الشمم وقال أحد الشعراء يمدح قثم بن العباس

نجوت من حل ومن رحلة • يا ناق ان قربتني من قثم

انك ان قربتنيه غدا • عاش لنا اليسر ومات العدم

في باعه طول وفي وجهه • نور وفي العرنين منه شمم

لم يدر ما لا وبلى قد درى • فعافها واعتاض منها نعم

(قال أبو الحسن أنشدنيه أبي لسلمان بن قتة وزادني

أصم عن ذكر الخنا سمعه • وما عن الخير به من صمم)

والعرنين والمرسن والانف واحد لما يحيط بالجميع والبدن واحدها بادن كقولك شاهد وشهد وضامر وضمر وهو العظيم البدن يقال بدن فلان اذا كثر لحمه وبدن اذا أسن وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد بدنت فلا تسبقوني بالركوع والسجود (من رواه بدنت بضم الدال فقد أخطأ لان بدن بمعنى ضخم ولم يكن صفته عليه السلام أنه ضخم الجسم ولكنه الرجل بين

ويذكر الناس ويكون عدة على الطاعن ولعل بعض من ألحد في دينه وعمي عن رشده وأخطأ موضع حظه ان يدعوه العجب بنفسه والثقة بما عنده الى ان يلتمس قراءتها ليتقدم في نقضها وافسادها فاذا قرأها فهمها واذا فهمها انتبه من رقدته وأفاق من سكرته لعز الحق وذل الباطل ولاشراف الحجة على الشبهة ولان من تفرد بكتاب فقرأه ليس كمن نازع صاحبه وجافاه لان

الرجلين ومعنى بدّن بالتشديد أسنّ) والاشعث والشعثاء الحاليان من الدهن وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل

من كان حين تمسّ الشمس جبهته • أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كى تبقى بشاشته • فسوف يسكن يوما راغما جدثا

(قال أبو الحسن وزادنى أبى

فى بطن مظلمة غبراء مقفرة • كيما يطيل بها فى بطنها اللبثا
تجهزى بجهاز تبلغين به • يا نفس واقتصدى لم تخلقى عبثا)

وقال عمر بن أبى ربيعة ونظر الى أم عمرو بنت مروان بن الحكم وكانت صارت اليه متنكرة فرآته وقضت من محادثته وطرا ثم انصرفت فلما رجعت من منى عرفها فعلمت ذلك فبعثت اليه لا ترفع بى صوتا وأهدت له ألف دينار فاشترى بها عطرا وبزًّا وأهداه لها فأبت أن تقبله فقال اذًا والله أنهبه فيكون أذيع له فقبلته وفى ذلك يقول

وكم من قتيل لا يباء به دمٌ • ومن غلق رهنا اذا ضمّه منى
وكم مالئ عينيه من شئ غيره • اذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى
يجررن أذيال المروط بأسوق • خدال اذا ولّين أعجازها روى
أوانس يسلبن الحليم فؤاده • فيا طول ما حزن ويا حسن مجتلى
فلم أر كالتجمير منظر ناظر • ولا كليالى الحج أفتنّ ذا هوى

وفيها أيضا يقول

أيها الرائح المجدّ ابتكارا • قد قضى من تهامة الاوطارا
ليت ذا الحج كان حتما علينا • كل شهرين حجة واعتمارا

قوله وكم من قتيل لا يباء به دم يقول لا يقاد به قاتله وأصل هذا انه يقال اباءت فلانا بفلان فباء به اذا قتلته به ولا يكاد يستعمل هذا الا والثانى كفء للاول فمن ذلك قول مهلهل بن ربيعة حيث قتل بجير بن الحرث بن عباد فقيل للحرث ولم يكن دخل فى حربهم ان ابنك قد قتل فقال ان ابنى لأعظم قتيل بركة اذ أصلح الله به بين ابنى وائل فقيل له انه لما قتل قال مهلهل بؤ بشسع نعل كليب فعند ذلك أدخل الحرث يده فى الحرب وقال

قربا مربط النعامة منى • لقحت حرب وائل عن حيال

الانسان لا يباهى بنفسه والحق بعد قاهر له ومع التلاقى يحدث التباهى وفى المحافل يقل الخضوع ويشتد النزوع ثم رجع الكلام الى حاجة الناس الى استماع الاخبار والتفقه فى تصحيح الآثار فأقول ان الناس قد استغنوا عن التكرير وكفوا مؤنة البحث والتنقير لقلة اعتبارهم ومن قل اعتباره قل علمه ومن قل علمه قل فضله ومن قل فضله كثر نقصه ومن قل علمه وفضله

لا تُجبَرُ أغنى قتيلاً ولا رَهْطُ كُلَيْبٍ تزاجروا عن ضلال

لم أكن من جُناتها عَلِمَ الله وإنّي بحرّها اليوم صالي

وقالت لَيْلَى الأخْيَلِيَّة فإن تكن القتلى بَوَاءً فإنكم • فتىً ما قتلتم آلَ عَوْفِ بن عامر

وقال عمرو بن حُيَيّ التَّغْلِبيّ ألا تنتهي عنّا ملوكٌ وتتّقي • محارمَنا لا يَبُوء الدمُ بالدم

ويقال باءَ فلانٌ بذنبه أي يجمع به وأقرّ قال الفرزدق لمعاوية

فلو كان هذا الحكمُ في غيرِ مُلْكِكُمْ • لَبُؤْتُ به أو غَصَّ بالماء شاربُهْ

ويقال باءَ فلانٌ بالشيء من قول أو فعل أي احتمله فصار عليه وقال المفسرون في قول الله جلّ وعزّ إنّي أريد أن تبوءَ بإثمي وإثمك أي يجتمعا عليك فتحملهما وأماقوله ومن غلق رهن فين جوفهو من قولهم رَهْنٌ غَلِقٌ فلما قدّم النعت اضطرارا أبدل منه المنعوت ولو قال ومن غَلِقٍ رهنًا فنصب على الحال من المعرفة بقي الاسم المضمر في غَلِق وقوله اذا ضمه منىً فانما سميت منى لما يُمنى فيها من الدم يقال في المَنِيّ وهي النُّطفة مَنَى الرجلُ وأمْنَى والقراءة أفرأيتم ما تُمْنُونَ ويقال مَذَى الرجل وأمْذَى ووَدَى وأوْدَى فقولهم وَدَى يعني البِلّة (بكسر الباء رواية عاصم وبفتحها رواية ابن سراج) التي تكون في عقب البول كالمَذْي وأما المذي فيعتري من الشهوة والحركة وقال علي بن أبي طالب رحمه الله كلّ فحل مذّاءٌ ومن كلام العرب كل فحل يَمْذِي وكل أنثى تَقْذِي وهو أن يكون منها مثل المذي ولمنى موضع آخر يقال مَنَى الله لك خيرا أي قدّر لك خيرا ويقال مَنَى الله أن ألقى فلانا أي قدّر والمَنِيّةُ من ذا يقال أتى فلان منيته أي ما قُدّر له من الموت فأما المَنِيئَةُ بالهمز فهي المدبغة وهي المكان الذي يُدْبَغ فيه وقوله اذا راح نحو الجمرة البيض كالدُّمى الجمرة انما سميت لاجتماع الحصى فيها ومن ثم قيل لا تُجمّروا المسلمين فتفتنوهم وتفتنوا نساءهم أي لا تجمعوهم في المغازي والتجمير التجميع وكذلك قيل في جمرات العرب وهم بنو نُمَير بن عامر بن صعصعة وبنو الحرث بن كعب بن عُلَة بن جلد وبنو ضَبَّة بن أدّ بن طابخة وبنو عَبس بن بغيض بن ريث لأنهم تجمعوا في أنفسهم ولم يُدخلوا معهم غيرهم وأبو عبيدة لم يَعُدّ فيهم عبسا في كتاب الديباج ولكنه قال فطفئت جمرتان وهما بنو ضَبَّة لأنها صارت الى الرباب فحالفت وبنو الحرث لأنها صارت الى مَذْحِج وبقيت بنو نُمَير الى الساعة لأنها لم تُحالف وقال النميريّ يجيب جريرا

وكثر نقصه لم يجد على خيرٍ أتاه ولم يذم على شرٍّ جناه ولم يجد طعم العز ولا سرور الظفر ولا روح الرجاء ولا برد اليقين ولا راحة الأمن وكيف يشكر من لا يقصد وكيف يلام من لا يتعمد وكيف يقصد من لا يعلم وما عسى أن يبلغ قدر سرور من لا يحس من السرور الا بما سرت به حواسه ومسه جلده وكيف بأن أرجح الأفعال وأبعد الشر بين من ركب شراسة السباع وغباوة البهائم

نُمَيْرٌ جمرةُ العرب التي لم ● تزل في الحروب تلتهب التهابا

واني اذ أُسَبُّ بها كُلَيْبًا ● فتحتُ عليهم للخسف بابا

وقال في هذا الشعر ولولا أن يقال هَجَا نُمَيرًا ● ولم نسمع لشاعرها جوابا

رَغِبْنا عن هجاء بني كُلَيبٍ ● وكيف يُشاتمُ الناسُ الكلابا

وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

ليتَ شعري هل أقولن لِرَكْبٍ ● بفلاة هُمُ لديها هُجوعُ

طالما عَرَّسْتُم فاستقلوا ● حان من نجم الثُّرَيّا طُلوعُ

ان همّي قد نفى النوم عني ● وحديثُ النفس شيءٌ وَلوعُ

قال لي فيها عَتيقٌ مقالًا ● فجرت مما يقول الدموعُ

قال لي ودّع سُلَيمى ودَعها ● فأجاب القلبُ لا أستطيعُ

لا تَلُمْني في اشتياق اليها ● وابكِ لي مما تُجِنُّ الضلوعُ

قوله حان من نجم الثريا طلوع كناية وانما يريد الثريا بنت علي بن عبد الله بن الحرث بن أُمَيَّةَ الاصغر وهم العَبَلاتُ وكانت الثريا وأختها عائشة أعتقتا الغَرِيضَ المُغَنّي واسمه عبد الملك ويُكنى أبا يزيد ويقول اسحق بن ابراهيم الموصلي انما سمي الغَرِيضَ بالطَّلْعِ لان الطلع يقال له الاغريض وليس هو عندي كما قال انما سمي الغريضَ لطراءته يقال لحم غَرِيضٌ وكانت الثريا موصوفة بالجمال وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها الى مصر فقال عمر يضرب لهما المثل بالكوكبين

أيها المُنكِحُ الثُّرَيّا سُهَيلًا ● عَمْرَكَ الله كيف يلتقيان

هي شاميّةٌ اذا ما استقلَّتْ ● وسُهيلٌ اذا استقلَّ يماني

وقوله قال لي فيها عتيق مقالا يزعم الرواة أن كل شيء ذُكِرَ فيه عتيقا أو بَكرا فانما يعني ابن أبي عتيق (ابن أبي عتيق هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابي وأبوه عبد الرحمن صحابي وجده أبو بكر صحابي وجد أبيه أبو قحافة صحابي ولم يكن أحد من الصحابة كذلك غيرهم وعبد الله بن أبي عتيق غلبت عليه الدُّعابةُ وشُهِرَ بها) وكان ابن أبي عتيق من نُسّاكِ قريش وظرفائهم بل كان قد بَذَّهُم ظَرفًا وله أخبار كثيرة سنمر ببعضها في

ثم لم يعط الآلة التي بها يستطيع التفرقة بين ما عليه وله والعلم بمصالحه ومفاسده فيقوى بها على عصيان طبائعه ومخالفة شهواته وبها يعرف عواقب الأمور وما تأتي به الدهور وفضل لذة القلب على لذة البدن وان سرور الجاهل لا يحسن في جنب سرور العالم وان لذة البهائم لا تعادل لذة الحكيم العالم وأي سرور كسرور العز والرياسة واتساع المعرفة وكثرة صواب الرأي

الكتاب ان شاء الله فمن طريف أخباره انه سمع وهو بالمدينة قول ابن أبي ربيعة

فما نلت منها محرما غير أننا ۔ كلانا من الثوب المطرف لابس

فقال أبنا يلعب ابن أبي ربيعة فأي محرم بقي فركب بغلته متوجها الى مكة فلما دخل أنصاب الحرم قيل له أحرم قال ان ذا الحاجة لا يحرم فلقي ابن أبي ربيعة فقال أما زعمت أنك لم تركب حراما قط قال بلى قال فما قولك ۔ كلانا من الثوب المطرف لابس ۔ فقال له اذاً أخبرك خرجت بغلة المسجد فصرنا الى بعض الشعاب فأخذتنا السماء فأمرت بمطرفي فسترنا الغلمان به لئلا يرو وأصابلة فيقولوا اهلا استترت بسقائف المسجد فقال له ابن أبي عتيق يا عاهر هذا البيت يحتاج الى حاضنة وهو الذي سمع قول عمر بن أبي ربيعة

من رسولي الى الثريا بأني ۔ ضقت ذرعا بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها فقالت والله ما كنت لنا زوارا فقال أجل ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر بن أبي ربيعة ضقت ذرعا بهجرك والكتاب فلامه عمر فقال له ابن أبي عتيق انما رأيتك متلددا تلتمس رسولا فخففت في حاجتك فانما كان ثوابي أن أشكر ومن طريف أخباره أن عائشة بنت طلحة عتبت على مصعب بن الزبير فهجرته فقال مصعب هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني فقال له ابن أبي عتيق عدل المال ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها للمصعب فقالت والله ما عزمي ان أكلمه أبدا فلما رأى جدها قال لها يا بنت عم انه قد ضمن لي ان كلمته عشرة آلاف درهم فكلميه حتى آخذها ثم عودي الى ما عودك الله ومن أخباره أن مروان بن الحكم قال يوما اني لمشعوف ببغلة الحسن بن علي رحمهما الله فقال له ابن أبي عتيق ان دفعتها اليك أتقضي لي ثلاثين حاجة قال نعم قال اذا اجتمع الناس عندك العشية فاني آخذ في مآثر قريش ثم أمسك عن الحسن فلمني على ذلك فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثر قريش فقال له مروان ألا تذكر أولية أبي محمد وله في هذا ما ليس لاحد فقال انما كنا في ذكر الاشراف ولو كنا في ذكر الانبياء لقدمنا ما لابي محمد فلما خرج الحسن ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن وتبسم ألك حاجة فقال ذكرت البغلة فنزل الحسن ودفعها اليه ومن طريف أخباره أن عثمان بن حيان المري لما دخل المدينة واليا عليها اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصار فقالوا له انك لا تعمل

والفجح الذي لا سبب له الا حسن النظر والتقديم في التدبير ثم العلم بالله وحده وانك بعرض ولايته والجاه عنده وانه الذي يرعاك ويكفيك وانك اذا أملت اليسير أعطاك الكثير ومتى تركت له الفاني أعطاك الباقي ومتى أدبرت عنه دعاك ومتى رجعت اليه اجتباك ويحمدك على حقك ويعطيك على نظرك لنفسك ولا يغنيك الا ليغيك ولا يميتك الا ليحييك ولا يمنعك الا ليعطيك

عملا أجدى ولا أولى من تحريم الغناء والزنا. ففعل وأجلهم ثلاثا فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحط رحله بباب سلامة الزرقاء وقال لها بدأت بك قبل أن أصير الى منزلي فقالت أوما تدرى ما حدث وأخبرته الخبر فقال أقيمى الى السحر حتى ألقاه فقالت انا نخاف أن لا تغنى شيأ وننكظ (تعنى تنال الناشدة) فقال انه لا بأس عليك ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه فأخبره أن أحد ما أقدمه عليه حب التسليم عليه وقال له ان من أفضل ما عملت به تحريم الغناء والزنا. قال ان أهلك أشاروا على بذلك قال فانك قد وفقت ولكنى رسول امرأة اليك تقول قد كانت هذه صناعتى فتبت الى الله منها وأنا أسألك أيها الامير أن لا تحول بينها وبين مجاورة قبر النبى صلى الله عليه وسلم فقال عثمان اذن أدعها لك قال اذن لا يدعها الناس ولكن تدعو بها فتنظر اليها فان كانت ممن يترك تركتها قال فادع بها قال فأمرها ابن أبي عتيق فتقشفت وأخذت سبحة في يدها وصارت اليه وحدثته عن مآثر آبائه ففكه لها فقال لها ابن أبي عتيق اقرئى للامير ففعلت فأعجب بذلك فقال لها فاحدى للامير فحركه حداؤها ثم قال لها غنى للامير فجعل يعجب بذلك عثمان فقال له ابن أبي عتيق فكيف لو سمعتها في صناعتها فقال قل لها فلتقل فأمرها فتغنت

سددن خصاص الخيم لما دخلنه • بكل لبان واضح وجبين

فنزل عثمان بن حيان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال لا والله ما مثلك يخرج عن المدينة فقال له ابن أبي عتيق اذا يقول الناس أذن لسلامة في المقام ومنع غيرها فقال له عثمان قد أذنت لهم جميعا وقال ابن نمير الثقفي

أشاقتك الظعائن يوم بانوا • بذى الزى الجميل من الاثاث

ظعائن أسلكت نقب المنقى • تحث اذا ونت أى احتثاث

كأن على الظعائن يوم بانوا • نعاجا ترتعى بقل البراث

يهيجنى الحمام اذا تغنى • كما هيج النوائح بالمراثى

قوله الظعائن واحدتها ظعينة وانما قيل لها ظعينة وهم يريدون مظعونا بها كقولك قتيل في معنى مقتول ثم استعمل هذا وكثر حتى قيل للمرأة المقيمة ظعينة وقوله بذى الزى الجميل من الاثاث هى الرواية الصحيحة وقد قيل بذى الرئى أى الجميل واشتهوا هم اليه قول الله جل ثناؤه هم أحسن

وانه المبتدئ بالنعمة قبل السؤال والناظر لك في كل حال وهذا كله لا ينال الا بغريزة العقل على ان الغريزة لا تنال ذلك بنفسها انما باشرته حواسها دون النظر والتفكر والبحث والتصفح ولن ينظر ناظر ولا يفكر مفكر دون الحاجة التى تبعث على الفكرة وعلى طلب الحيلة ولذلك وضع الله تعالى في الانسان طبيعة الغضب وطبيعة الرضا والبخل والسخاء والجزع والصبر والرياء والاخلاص

أثاثاً ورِئْيًا فالأثاثُ متاع البيت والرِّئْيُ ما ظهر من الزينة وانما أخذ من قولك رأيت فالرِّئْيُ غير الأثاث والزِّيُّ من الأثاث فمن ههنا غلطوا وقوله أُسلكت نقب المنقى فالمنقى موضع بعينه والنَّقْبُ الطريق في الجبل والخَلُّ الطريق في الرمل فان اتسع الطريق في الجبل وعلا فهو ثَنِيَّةٌ قال ابن الأَيْهَمِ التغلبيُّ

وتراهنَّ شُزَّبًا كالسَّعالى • يَتَطَلَّعْنَ من ثَنايا النقابِ

وقوله نعاجا ترتعي بقلَ البِراتِ فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة وحكم الظبية عندهم حكم الماعزة والعرب تكني بالنعجة عن المرأة وبالشاة قال الله تبارك وتعالى ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وقال الأعشى

فرميتُ غُفْلَةَ عينه عن شاتِه • فأصبتُ حَبَّةَ قلبها وطِحالَها

يريد المرأة وأما البِراتُ فهي الأماكن السهلة من الرمل واحدها بَرْتٌ مفتوح موضع الفاء من الفعل وتقديرها كَلْبٌ وكِلابٌ والسجع من الكلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف القوافي وهو في البهائم مُوالاةُ الصوت قال ابن الدُّمَيْنَة

أأنْ سَجَعَتْ وَرْقاءُ في رَوْنَقِ الضحى • على فَنَنٍ غَضِّ النبات من الرَّنْدِ

(الرند صغار الآس) وقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

قال لي صاحبي ليَعْلَمَ ما بي • أتُحِبُّ القَتولَ أختَ الرَّباب

قلت وَجْدي بها كوَجْدِكَ بالما • ءِ اذا ما مُنِعْتَ بَرْدَ الشراب

مَنْ رسولي الى الثُّرَيّا بأني • ضِقْتُ ذَرْعًا بهجرها والكتاب

سَلَبَتْني مُجاجةُ المِسْكِ عقلي • فَسَلوها بما تُحِلُّ اغتصابي

أزْهَقَتْ أُمُّ نَوْفَلٍ اذ دَعَتْها • مُهْجَتي ما لقاتلي من مَتاب

حين قالتْ لها أجيبي فقالت • مَنْ دعاني قالت أبو الخَطّاب

فاستجابت عند الدعاء كما آبي • رجالٌ يرجون حُسْنَ الثواب

أبْرَزوها مثلَ المَهاةِ تَهادَى • بين خمس كَواعِبٍ أتْرابِ

وهي مكنونةٌ تَحَيَّرَ منها • في أديم الخَدَّيْنِ ماءُ الشباب

ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْرًا • عَدَدَ النجم والحصى والتراب

والكبر والتواضع والسخط والقناعة فجعلها عروقا ولن تفي قوة غريزة العقل لجميع قوى طبائعه وشهواته حتى يقيم ما اعوج منها ويسكن ما تحرك دون النظر الطويل الذي يشدها والبحث الشديد الذي يشحذها والتجارب التي تحنكها والفوائد التي تزيد فيها ولن يكثر النظر حتى تكثر الخواطر ولن تكثر الخواطر حتى تكثر الحوائج ولن تبعد الرؤية الا لبعد الغاية وشدة الحاجة ولو أن

دُمْيَةٌ عند راهب ذى اجتهاد • صَوَّروها فى جانب المحراب

قوله قلت وجدى بها كوجدك بالماء معنى صحيح وقد اعتوره الشعراء وكلهم أجاد فيه وقوله اذا ما منعت برد الشراب يريد عند الحاجة وبذلك صح المعنى ويروى عن على بن أبى طالب رحمه الله أن سائلا سأله فقال كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كان والله أحبَّ الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما وقال آخر وأحسبه قيس بن ذريح

حلفتُ لها بالمشعرين وزمزم • وذو العرش فوق المقسمين رقيبُ

(قال أبو الحسن ويروى والله فوق المقسمين وهو أحب الىّ)

لئن كان بَرْدُ الماء حرّانَ صاديا • الىّ حبيبا انها لحبيبُ

وقال القطامى يقتلننا بحديث ليس يعلمه • من يتّقين ولا مكنونه بادى

فهنّ ينبذن من قول يصبن به • مواقع الماء من ذى الغُلّة الصادى

والقول فيه كثير وقوله ضقت ذرعا بهجرها والكتاب قوله والكتاب قَسَمٌ وقوله أزهقت أمّ نوفل اذ دعتها مهجتى تأويله أبطلت وأذهبت قال الله جل وعز فيدمغه فاذا هو زاهق وللزاهق موضع آخر وهو السمين المفرط قال زهير

القائد الخيل منكوبا دوابرها • منها الشنون ومنها الزاهق الزَهِمُ

وقوله ما القاتلى من متاب يقول من توبة والمصدر اذا كان بزيادة الميم من فَعَلَ يَفْعَلُ فهو على مَفْعَل قال الله جل وعز فانه يتوب الى الله متابا وأما قوله جل ذكره غافر الذنب وقابل التوب فيكون على ضربين يكون مصدرا ويكون جماعا فالمصدر قولك تاب يتوب توبا كقولك قال يقول قولا والجمع توبة وتوب مثل تمرة وتمر وجمرة وجمر وقوله أبرزوها مثل المهاة تهادى المهاةُ البقرة فى هذا الموضع وتُشَبَّهُ المرأة بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها والبقرة يقال لها العيناء والجماع العِينُ وكذلك يقال للمرأة وتكون المهاةُ البلّورة فى غير هذا الموضع وقوله تهادى يريد تهدى بعضها بعضا فى مشيتها ومشية البقرة تستحسن قال ابن أبى ربيعة

أبصرتها ليلة ونسوتها • يمشين بين المقام والحجر

يمشين فى الرَيْط والمروط كما • يمشى الهُوَيْنا سواكنُ البقر

الناس تركوا وقد قوى غرائزهم ولم يهاجوا بالحاجة على طلب مصلحتهم والتفكر فى معاشهم وعواقب أمورهم والجئوا الى قدر خواطرهم التى تولدها مباشرة حواسهم دون ان يسمعهم الله تعالى خواطر الاولين وأدب السلف المتقدمين وكتب رب العالمين لما أدركوا من العلم الا اليسير ولما ميزوا من الامور الا القليل ولولا ان الله تعالى أراد تشريف العالم وتربيته وتسويد العاقل

وقوله كواعب الواحدة كاعبٌ وهى التى قد كعَّب ثدياها النُّهودِ وأتراب أقران يقال تِربُ فلان والمكورة المُكتنِزة وقوله ثم قالوا تُحِبُّها قلت بَهرًا قال قوم أراد بقوله تحبها الاستفهام كما قال امرؤ القيس • أحارِ تَرى بَرقًا أُريكَ وميضَهُ • فحذف ألف الاستفهام وهو يريد أترى وقالوا أراد أتحبها وهذا خطأ فاحش انما يجوز حذف الالف اذا كان فى الكلام دليل عليها وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه ان شاء الله قوله تحبها ايجاب عليه غير استفهام انما قالوا أنت تحبها أى قد علمنا ذاك فهذا معنى صحيح لا ضرورة فيه وأما قول امرئ القيس فانما جاز لانه جعَل الالف التى تكون للاستفهام تنبيها للنداء واستغنى بها ودلت على أن بعدها ألفا منوية فحذفت ضرورة لدلالة هذه عليها ونظير قول امرئ القيس أحار ترى برقا فاكتفى بالالف عن أن يعيدها فى تَرى قول ابن هَرمَة

ولا أراها تزال ظالمةً • تُظهِرُ لى قَرحةً وتَنكَؤُها

استغنى بلا الاولى عن اعادتها كما قال التميمى وهو اللَّعينُ المِنقَرِىُّ

لعَمرُكَ ما أدرى وان كنتُ داريا • شُعَيثُ بن سهم أم شُعَيثُ بن مِنقَرِ

يريد أشعيث فدلت أم على ألف الاستفهام وقال ابن أبى ربيعة

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا • بسَبعٍ رمَينَ الجمر أم بثَمان

مثل ذلك وبيت الأخطَلِ فيه قولان وهو

كذَبتكَ عينُكَ أم رأيتَ بواسطٍ • غَلَسَ الظلام من الرَّباب خَيالا

قال أراد أكذبتك عينك كما قلنا فيما قبله وليس هذا بالاجود ولكنه ابتدأ متيقنا ثم شك فأدخل أم كقولك انها لَإِبِلٌ ثم تشك فتقول أم شاءٌ يا قوم وقوله قلت بهرا يكون على وجهين أحدهما حُبًّا بَهَرنى بَهرًا أى علانى ويقال للقمر ليلة البدر باهر أى بهر النجوم أى علاها كما قال ذو الرُّمَّة • كما بَهَرَ البدرُ النجومَ السواريا • وقال الأعشى

حكَّمتموه فقضَى بينكم • أَبلَجُ مثلُ القمرِ الباهِرِ

والوجه الآخر أن يكون أراد بهرا لكم أى تبًّا لكم حيث تلوموننى على هذا كما قال ابن مُفرِّغ

تفاقدَ قومى اذ يبيعون مُهجتى • بجارية بَهرًا لهم بعدها بَهرا

وقوله عدد النجم والحصى والتراب فيه قولان أحدهما انه أراد بالنجم النجوم ووضع الواحد فى

ورفع قدره وان يجعله حكيما وبالعواقب عليما لما حضر له كل شئ ولم يحضره لشئ ولما طبعه الطبع الذى يجئ منه أريب حكيم وعالم حليم كما انه عز ذكره لو أراد أن يكون الطفل عاقلا والمجنون عالما لطبعهم طبع العالم ولسواهم تسوية العالم كما أراد أن يكون السبع وثابا والحديد قاطعا والسم قاتلا والغذاء مقيما فكذلك أراد ان يكون المطبوع على المعرفة عالما والمهيأ للحكمة حكيما

موضع الجمع لانه للجنس كما تقول أهلك الناس الدرهم والدينار وقد كثرت الشاة والبعير وكما قال الله جل وعز ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقال الشاعر

فبات يعد النجم في مستحيرة ● سريع بايدي الآكلين جمودها

يريد النجوم ويعني بالمستحيرة اهالة والوجه الآخر أن يكون النجم ما نجم من النبت وهو ما لم يقم على ساق والشجر ما يقوم على ساق واليقطين ما انتشر على وجه الارض قال الله عز وجل والنجم والشجر يسجدان وقال الحرث بن ظالم للاسود بن المنذر بن ماء السماء

أخصي حمار بات يكدم نجمة ● أتؤكل جيراني وجارك سالم

ومن طريف شعره قوله

فلما فقدت الصوت منهم وأطفئت ● مصابيح شبت بالعشاء وأنور
وغاب قمير كنت أرجو غيوبه ● وروح رعيان ونوم سمر
ونفضت عني العين أقبلت مشية السحباب وركني خيفة القوم أزور
فحييت اذ فاجأتها فتولهت ● وكادت بمكنون التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني ● وأنت امرؤ ميسور أمرك أعسر
أريتك اذ هنا عليك ألم تخف ● رقيبا وحولي من عدوك حضر
فوالله ما أدري أتعجيل حاجة ● سرت بك أم قد نام من كنت تحذر
فقلت لها بل قادني الشوق والهوى ● اليك وما عين من الناس تنظر
فيالك من ليل تقاصر طوله ● وما كان ليلي قبل ذلك يقصر
ويالك من ملهى هناك ومجلس ● لنا لم يكدره علينا مكدر
يمج ذكي المسك منها مفلج ● رقيق الحواشي ذو غروب مؤشر
يرف اذا يفتر عنه كأنه ● حصى برد أو اقحوان منور
وترنو بعينيها الي كما رنا ● الى ربرب وسط الخميلة جؤذر
فلما تقضى الليل الا أقله ● وكادت توالي نجمه تتغور
أشارت بان الحي قد حان منهم ● هبوب ولكن موعد لك عزور

وذو الدليل متسدلا وذو النعمة مستنفعا بها فلما علم الله تبارك وتعالى ان الناس لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وكتب الأولين والأخبار عن القرون والجبابرة الماضين طبع كل قرن من الناس على أخبار من يليه ووضع القرن الثاني دليلا يعلم به صدق خبر الأول لان كثرة السماع للاخبار العجيبة والمعاني الغريبة

فما راعني الا مناد برحلة • وقد لاح مفتوق من الصبح أشقر

فلما رأت من قد تنور منهم • وايقاظهم قالت أشر كيف تأمر

فقلت أباديهم فإما أفوتهم • وإما ينال السيف ثأرا فيثأر

فقالت أتحقيقا لما قال كاشح • علينا وتصديقا لما كان يؤثر

فان كان ما لا بد منه فغيره • من الامر أدنى للخفاء وأستر

أقص على أختي بدء حديثنا • ومالي من ان تعلما متأخر

لعلهما ان تبغيا لك مخرجا • وان ترحبا سربا بما كنت أحصر

فقامت كئيبا ليس في وجهها دم • من الحزن تذرى عبرة تتحدر

فقالت لاختيها أعينا على فتى • أتى زائرا والامر للامر يقدر

فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا • أقلى عليك الهم فالخطب أيسر

يقوم فيمشي بيننا متنكرا • فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر

فكان مجني دون من كنت أتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

فلما أجزنا ساحة الحي قلن لي • ألم تتق الاعداء والليل مقمر

وقلن أهذا دأبك الدهر سادرا • أما تستحي أو ترعوي أو تفكر

قوله شبت يقول أوقدت يقال شببت النار والحرب أي أوقدتهما وقوله وأنؤر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز وانما الهمز لانضمام الواو وقد مضى تفسير هذا وقوله قمير انما صغره لانه ناقص عن التمام وهذا في أول الشهر وكذلك يصغر في آخر الشهر لان النقصان فيهما واحد قال عمر

وقمير بدا ابن خمس وعشريـ ـن له قالت الفتاتان قوما

وقوله رعيان يريد جمع الراعي ومثله راكب وركبان وفارس وفرسان والسمر جمع السامر وهم الجماعة يتحدثون ليلا والحباب حية بعينه وقوله ونفضت عني العين يقول احترست منها وأمنتها والنفضة أمام العسكر القوم يتقدمون فينفضون الطريق وقوله أزور يعني متجافيا يقال تزاور فلان اذا ذهب في شق وقوله ذو غروب غرب كل شيء حده وانما يعني الاسنان وقوله مؤشر يعني له أشر وهو تأشير الاسنان في قول الناس جميعا يقال لاسنانه أشر فهذا الشائع الذائع

مشحذة للاذهان ومادة للقلوب وسبب للتفكير وعلة للتنقير عن الامور وأكثر الناس سماعا أكثرهم خواطر وأكثرهم خواطر أكثرهم تفكرا وأكثرهم تفكرا أكثرهم علما وأكثرهم علما أرجحهم عملا كما ان أكثر البصراء رؤية للاعاجيب أكثرهم تجاربا ولذلك صار البصير أكثر خواطر من الاعمى وصار البصير السميع أكثر خواطر من البصير الأصم وعلى قدر شدة الحاجة تكون الحركة

واما الشَّنَبُ فهو عندهم جميعا بَرَدٌ في الاسنان وحدثني الرياشي عن ابن عائشة قال أخذ أبي حَبَّةَ رُمَّانٍ بين اصبعيه فاذا هي تَرِفُّ فقال هذا الشَّنَبُ وقوله وكادت توالي نجمه تتغور التوالي التوابع وتتغور تغور فتذهب وهو مأخوذ من الغَوْرِ وقوله أشارت بان الحي قد حان منهم هبوب يقول انتباه يقال هَبَّ من نومه يَهُبُّ قال عمرو بن كلثوم

الاَهُبّي بصحنكِ فاصبحينا * (ولا تُبقي خُمورَ الاَندرينا)

وقال الآخر هَبَّتْ تلوم وليست ساعةَ اللاّحي * هلا انتظرت بهذا اللوم اصباحي

وعزور موضع بعينه وقوله وأيقاظهم جمع يَقُظٍ وقوله فقالت أتحقيقاً أي أتفعل هذا تحقيقاً ومن كلام العرب أَكُلَّ هذا بُخْلاً وذلك انه رآه يفعل شيأ أنكره فقال أتفعل كل هذا بخلا وقوله أبادِيهم أظهرهم غير مهموز يقال بدا يَبْدُو غير مهموز اذا ظهر وبدأت بهذا مهموزا اذا أردت به معنى الاول وقوله بدء حديثنا يريد أول حديثنا وقوله وان ترحبا يريد أن تتسعا أي تتسع صدورهما من قولهم فلان رَحيبُ الصدر وقوله أحصرُ أضيق به ذَرْعاً وقد مضى تفسيره وقوله مجنّي يريد تُرسي وقوله ثلاث شخوص والوجه ثلاثة أشخص ولكنه لما قصد الى النساء أنث على المعنى وابان ما أراد بقوله كاعبان ومعصر ومثله قول الشاعر

فانَّ كلابا هذه عشرُ أبطُنٍ * وأنت بريءٌ من قبائلها العَشرِ

فقال عشر أبطن لان البطن قبيلة وابان ذلك في قوله من قبائلها العشر وقال الله جل وعز من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها لان المعنى حسنات ويروى ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عُقْبةَ المُرّيّ الى المدينة اعترض الناس فمر به رجل من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيح فقال له يا أخا أهل الشام مِجَنُّ ابن أبي ربيعة أحسنُ من مِجَنِّكَ يريد قول ابن أبي ربيعة

فكان مجنّي دون مَنْ كنتُ أتّقي * ثلاثُ شخوصٍ كاعبانِ ومُعْصِرُ

وقوله اما تستحي يريد تستحيي وله تفسير يبعد في العربية قليلا وسنذكره بعد ذا ان شاء الله تعالى

وعلى قد رضعف الحاجة يكون السكون كان الراجي والخائف دائبان والآيس والآمن وادعان واذا كان الله تعالى لم يخلق عباده في طبع عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وآدم أبي البشر صلوات الله عليهم أجمعين وخلقهم ناقصين وعن درك مصالحهم عاجزين وأراد منهم العبادة وكلفهم الطاقة وترك العيان للأمل البعيد وأرسل اليهم رسله وبعث فيهم أنبياءه وقال

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس وحُدِّثْتُ ان عُمَرَ الوادي قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في صَرْدٍ من الارض فسمعت غناء من القرار لم أسمع مثله فقلتُ والله لأتوصَّلَنَّ اليه ولو بذهاب نفسي

فانحدرتُ اليه فاذا عبد أسود فقلت له أَعِدْ عليّ ما سمعت فقال لي والله لو كان عندي قِرًى أقريكَ ما فعلتُ ولكني أجعله قِراك فاني ربما غنّيتُ هذا الصوت وانا جائع فاشبع وربما غنيته وأنا كسلانُ فأنشطُ وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم انبرى يغنيني

وكنتُ اذا ما زُرْتُ سُعْدَى بأرضها ٭ أرى الارض تُطوى لي ويدنو بعيدُها
من الخفرات البيض ودّ جليسها ٭ اذا ما قضتْ أحدوثةً لو تعيدُها
(وبعده تحلّلُ أحقادي اذا ما لقيتُها ٭ وتبقى بلا ذنب عليّ حقودُها
وكيف يحبّ القلبُ من لا يحبّه ٭ بلى قد تريد النفسُ من لا يريدها)

قال عمر فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التي وصف فاذا هو كما ذكر وتحدث الزبيريون عن خالد صامة انه كان من أحسن الناس ضربا بالعود قال فقدمتُ على الوليد بن يزيد وهو في مجلس ناهيك به مجلسا فألقيته على سريره وبين يديه معبد ومالك بن أبي السمح وابن عائشة وأبو كامل غُزَيِّل الدمشقي فجعلوا يغنون حتى بلغت النوبة اليّ فغنّيته

سرى همّي وهمُّ المرء يسري ٭ وغار النجمُ الا قِيدَ فِتْر
أراقب في المجرّة كلّ نجم ٭ تعرّض أو على المجراة يجري
لهمّ ما أزالُ له قرينا ٭ كأنّ القلبَ أُبطنَ حرّ جمر
على بكرٍ أخي فارقتُ بكرا ٭ وأيّ العيش يصلح بعد بكر

فقال لي أعِدْ يا صامُ ففعلتُ فقال لي من يقول هذا الشعر فقلت هذا يقوله عروة بن أذينة يرثي أخاه بكرا فقال لي الوليد ٭ وأيّ العيش يصلح بعد بكر ٭ هذا العيش الذي نحن فيه والله قد تحجّر واسعا على رغم أنفه وحُدّثتُ أن سكينة بنت الحسين أُنشدتْ هذا الشعر فقالت ومن بكر فوُصف لها فقالت أذاك الأُسَيْدُ الذي كان يمرّ بنا والله لقد طاب كلّ شيء بعد ذاك حتى الخبزُ والزيتُ وروى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملك وأمّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية واليها كان ينسب قال يوما يقال ان الدنيا لم تصفُ لاحد قطّ يوما فاذا خلوتُ يومي هذا فاطووا عني الاخبار ودعوني ولذّتي وما خلوتُ له ثم دعا بحبابة فقال اسقيني وغنّيني فخلوا في أطيب عيش فتناولت حبابة حبّة رمّان فوضعتها في فيها فغصّت بها فماتت فجزع يزيد جزعا أذهله ومنع من دفنها حتى قال له مشايخ

لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ولم يشهد أكثر عباده حجج رسله عليهم السلام ولا أحضرهم عجائب أنبيائه ولا أسمعهم احتجاجهم ولا أراهم تدبيرهم لم يكن بدّ من ان يطلع المعاينين على أخبار الغائبين وان يحضر أسماع الغائبين لأخبار المعاندين وان يخالف بين طبائع المخبرين وعلل الناقلين ليدل السامعين ومن يحبب من الناس على ان العدد الكثير المختلف العلل

بنى أميّة انّ هذا عيب لا يُستقال وانما هذه جيفة فأذن فى دفنها وتبع جنازتها فلما واراها قال أمسيتُ والله فيك كما قال كُثيّر

فان تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الهوى ٭ فباليأس تسلو عنكِ لا بالتجلّد

وكلّ خليلٍ راءني فهو قائلٌ ٭ من اجلكِ هذا هامةُ اليوم أو غدِ

فَعُدّ بينهما خمسة عشر يوما وقوله راءني يريد رآني ولكنه قلب فأخر الهمزة ونظير هذا من الكلام قِسِيٌّ فى جمع قوس وانما الاصل قُوُوسٌ ولما أخّر الواوين أبدل منهما ياءين كما يجب فى الجمع تقول دَلْوٌ ودُلِيٌّ وعاتٍ وعُتِيٌّ وان شئت قلت عِتِيٌّ ودِلِيٌّ من أجل الياء فان كان فُعولٌ لواحد قلت عُتُوٌّ ويجوز القلبُ والوجه فى الواحد اثبات الواو كما تقول مَغْزُوٌّ ومَدْعُوٌّ ويجوز مَغْزِيٌّ ومَدْعِيٌّ وفى القرآن وعَتَوا عُتُوًّا كبيرا وقال أيُّهم أشدُّ على الرحمن عِتِيًّا وقال ارجعي الى ربك راضيةً مَرْضيّةً والاصل مَرْضُوّةً لانه من الواو ومن الرضوان ومن القلب قولهم طَأْمَنَ ثم قالوا اطْمَأَنَّ فأخروا الهمزة وقدموا الميم ومثل هذا كثير جدا وقوله هذا هامةُ اليوم أو غدِ يقول ميّتٌ فى يومه أو فى غده يقال انما فلان هامة أى يصير فى قبره وأصل ذلك شئ كانت العرب تقوله قد مضى تفسيره وحدثنى عبد الصمد بن المُعَذَّل قال سمعتُ اسحق بن ابراهيم المَوْصلى يحدث قال حججت مع أمير المؤمنين الرشيد فلما قَفَلْنا فنزلنا المدينة آخَيْتُ بها رجلا كان له سِنٌّ ومعرفةٌ وأَدَبٌ فكان يَنْتابُنى فأتى ذاتَ ليلة فى منزلى اذا أنا بصوته يستأذن علىّ فظننت أمرا قد فَدَحَه فَفَزِعَ فيه الىّ فاسرعت نحو الباب فقلت ما جاء بك فقال اذن أخبرك دعانى صديق لى الى طعام عتيد وشراب قد التقى طرفاه وشِواءٍ رشراشٍ وحديثٍ مُمْتِعٍ وغناءٍ مُطْرِبٍ فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذت منى حُمَيّا الكأس مأخذها ثم غُنِّيتُ بقول نُصَيْب

بزينبَ أَلْمِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَّكْبُ ٭ وقل ان تَمَلِّينا فما مَلَّكِ القلبُ

فكدتُ أطير طربا ثم وجدت فى الطرب نقصا اذ لم يكن معى من يفهم هذا كما فهمته ففزعت اليك لأصف لك هذه الحال ثم أرجع الى صاحبى وضرب نعليه مُوَلِّيا عنى فقلت قف أكلّمْكَ فقال ما بى الى الوقوف اليك من حاجة وحدثنى غير واحد من أصحابنا عن أبى زيد سعيد بن أوس الانصارى يُسْنِدُه قال كانت وليمةٌ فى أخوالنا وهم حَىٌّ يقال لهم بنو نُبَيْط من الانصار قال فحضر الناس وجاء

المتضادى الاسباب المتفاوتى الهمم لا يتفقون على تخرص الخبر فى المعنى الواحد وكما لا يتفقون على تخرص الخبر فى المعنى الواحد على غير التلاقى والتراسل الا وهو حق فكذلك لا يمكن مثلهم فى مثل عللهم التلاقى عليه والتراسل فيه ولو كان تلاقيهم ممكنا وتراسلهم جائزا لظهر ذلك وفشا واستفاض وبدا ولو كان ذلك أيضا ممكنا وكان قولا متوهما لبطلت الحجة وانتقضت العادة

حسّان بن ثابت وقد ذهب بصره ومعه ابنه عبد الرحمن يقوده فلما وُضِعَ الطعام وجيء بالثريد قال حسان لابنه يا بنيّ أطعامُ يدٍ أم طعام يدين فقال بل طعام يد فأكل ثم جيء بالشواء فقال أطعام يد أم طعام يدين فقال طعام يدين فأمسك وفي المجلس قينتان تغنيان بشعر حسان

انظر خليلي بباب جِلّقَ هل ● تُؤنِسُ دون البلقاء من أحد

قال وحسان يبكي يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب وعبد الرحمن يومئ اليهما أن زيدا قال أبو زيد فلا أعجبني ما أعجبه من أن تبكيا أباه يقول عجبتُ ما الذي اشتهى من أن تبكيا اباه فقوله أعجبني أي تركني أعجبُ ومثله قول ابن قيس الرقيات

ألا هزئت بنا قرشيــةٌ يهتز موكبها ● رأت بي شيبة في الرأ

س عني ما أغيبها ● فقالت أبن قيس ذا ● وبعض الشيب يعجبها

أي تتعجب منه وحدثني عبد الصمد بن المعذّل قال كان خليلان الأموي يتغنى ويرى ذلك زائدا في الفتوّة وكان خليلان شريفا وذا نعمة واسعة فحضر يوما منزل عقبة بن سلم الهناني وهو أمير البصرة وكان ماتيا جبارا فلما طَعِموا وخلوا نظر خليلان الى عود موضوع في جانب البيت فعلم أنه عُرِّضَ له به فأخذه فتغنى

يابنة الأزدي قلبي كئيبُ ● مستهام عندها ما يؤوب

ولقد لاموا فقلت دعوني ● ان من تلحون فيه حبيبُ

فجعل وجه عقبة يتغير وخليلان في سهو عما فيه عقبة يرى انه محسن ثم فطن لتغير وجه عقبة فعلم أنه لما تغنى به فقطع الصوت وجعل مكانه ألا هزئت بنا قرشيــة يهتز موكبها فسُرِّيَ عن عقبة فلما انقضى الصوت وضع خليلان العود وأكد على نفسه الحلف ألا يغني عند من يجوز أمره عليه أبدا وحُدِّثت أن رجلا تغنى بحضرة الرشيد بشعر مُدِح به علي بن ريطة وهو علي بن أمير المؤمنين المهدي وتغناه المغني على جهل وهو

قل لعليّ أبا فتى العرب ● وخير نام وخير منتسب

أعلاك جداك يا عليُّ اذا ● قصّر جدٌّ في ذروة الحسب

ففتش عن المغني فوجده لم يدر فيمن الشعر فبحث عن أول من تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرقّاص

ولقد دلت العبرة ولعادت النفس بعلة الاخبار جاهلة ولكان الناس على الله أعظم الحجة وقد قال الله جل وعز لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل اذا كلفهم طاعة رسله وتصديق أنبيائه ورسله وكتبه والايمان بجنته وناره ولم يضع لهم دليلا على صدق الاخبار وامتناع الغلط في الآثار تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا واعلم ان الله تعالى انما خالف بين طبائع الناس ليوفق بينهم ولم

فأمر به فضرب أربعمائة سوط * وحُدِّثتُ أن معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء أعجبه فلما أصبح قال ليزيد من كان مُلهيك البارحة فقال له يزيد ذاك سائب خاثر قال اذًا فأَخثِر له من العطاء وحُدِّثتُ أن معاوية قال لعمرو امض بنا الى هذا الذى قد تشاغل باللهو وسعى فى هدم مروءته حتى ننعى عليه أى نعيب عليه فعله يريد عبد الله بن جعفر بن أبى طالب فدخلا اليه وعنده سائب خاثر وهو يلقى على جوار لعبد الله فأمر عبد الله بتنحية الجوارى لدخول معاوية وثبت سائب مكانه وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمرا فأجلسه الى جانبه ثم قال لعبد الله أعد ما كنت فيه فأمر بالكراسى فألقيت وأُخرج الجوارى فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم

دِيارًا التى كادت ونحن على مِنًى * تحلّ بنا لولا نجاء الركائب

ومثلك قد أصبيتُ ليست بكَنَّة * ولا جارة ولا حليلة صاحب

وردّده الجوارى عليه فحرك معاوية يديه وتحرك فى مجلسه ثم مدّ رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير فقال عمرو اتئد يا أمير المؤمنين فان الذى جئت لتلحاه أحسن منك حالا وأقل حركة فقال معاوية اسكت لا أبالك فان كل كريم طروب * وحُدِّثتُ من غير وجه أن سفيان بن عيينة قال لجلسائه يوما انى أرى جارنا هذا السَّهمىّ قد أثرى وانفسحت له نعمة وصار ذا جاه عند الامراء ووافدا الى الخلفاء فمم ذاك يعنى يحيى بن جامع فقال له جلساؤه انه يصير الى الخليفة فيتغنى له فقال سفيان فيقول ماذا فقال أحد جلسائه يقول

أطوف نهارى مع الطائفين * وأرفع من مئزرى المسبَل

فقال سفيان ما أحسن ما قال فقال الرجل

وأسهر ليلى مع العاكفين * وأتلو من المُحكَم المُنزَل

قال حسن والله جميل قال ان بعد هذا شيأ قال سفيان وما هو قال

عسى فارج الكرب عن يوسف * يسخّر لى ربة المحمَل

فزوى سفيان وجهه وأومأ بيده أن كفّ وقال حلالا حلالا وانى ابن أبجر عطاء بن أبى رباح وهو يطوف فقال اسمع صوتا للغريض فقال له عطاء يا خبيث أفى هذا الموضع فقال ابن أبجر ورب هذه البَنيّة لتسمعنّه خفية أو لأشيدنّ به فوقف له فتغنى

يجب ان يوفق بينهم فيما يخالف مصلحتهم لان الناس لو لم يكونوا مسخرين بالأسباب المختلفة وكانوا مجبرين فى الامور المتفقة والمختلفة لجازان يختاروا بأجمعهم الملك والسياسة وفى هذا ذهاب العيش وبطلان المصلحة والبوار والتواء ولو لم يكونوا مسخرين بالاسباب مرتهنين بالعلل لرغبوا عن الحجامة أجمعين والبيطرة والقصابة والدباغة ولكن لكل صنف من الناس مزين

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ • انَّكِ ان لا تَفْعَلِى تَحْرَجِى

أنّى أُتِيحَتْ لى يَمانِيَةٌ • احدى بنى الحرث من مَذْحِجِ

نَلْبَثُ حولا كاملا كلَّه • لا نَلْتَقِى الا على مَنْهَجِ

فى الحجّ ان حَجَّتْ وماذا مِنًى • وأهلُه ان هى لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء الكثير الطَيِّبُ يا خبيثُ وسمع سليمانُ بن عبد الملك مُتَغَنِّيًا فى عسكره فقال اطلبوه فجاؤا به فقال أَعِدْ ما تغنيت فتغنى واحتفل وكان سليمانُ مُفْرِطَ الغَيْرَة فقال لاصحابه والله لكأنها جَرْجَرَةُ الفحل فى الشَوْل وما أحسب أُنثى تسمع هذا الاصَبَتْ ثم أمر به فخُصِىَ وحُدِّثْتُ أن الفرزدق قدم المدينة فنزل على الأحوص بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبى الاقلح فقال له الاحوص ألا أُسمِعُكَ غناءً من غناء القُرى فأتاه بعُقَيْلة بجعل يغنيه فكان مما غناه

أتَنْسَى اذ تُوَدِّعُنا سُلَيْمَى • بفرع بَشامة سُقِىَ البَشامُ

ولو وجد الحَمام كما وجدنا • بسُلْمانَيْن لا كْتَأبَ الحَمامُ

فقال الفرزدق لمن هذا فقالوا لجرير ثم غناه

أَسْرَى لخالدة الخيالُ ولا أرى • شيأ ألذّ من الخيال الطارق

ان البلية مَن تَمَلُّ حديثه • فانقع فُؤادكَ من حديث الوامق

فقال لمن هذا فقيل لجرير ثم غناه

ان الذين غدوا بلُبِّكَ غادروا • وَشَلًا بعينك ما يزال مَعينا

غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْنَ لى • ماذا لَقِيتَ من الهوى ولَقِينا

فقال لمن هذا فقالوا لجرير فقال الفرزدق ما أحوجه مع عفافه الى خُشونة شعرى وأَحْوَجَنى مع فُسوقى الى رِقَّة شعره وقال الأَحْوَصُ يوما لمَعْبَد امض بنا الى عَقيلة حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها فمضيا فألفيا على بابها مُعاذًا الانصارىَّ ثم الزُرَقىَّ وابنَ صائد النجارى فاستأذنوا عليها جميعا فأذنت لهم الا الاحوص فانها قالت نحن غِضابٌ على الاحوص فانصرف الاحوص وهو يلوم أصحابه على استبدادهم فقال

ضَنَّتْ عَقيلةُ لما جئتُ بالزاد • وآثرت حاجة الثاوى على الغادى

عندهم ماهم فيه وسهل ذلك عليهم فالحائك اذا رأى تقصيرا من صاحبه أو سوء حذق أو خرقا قال له يا حجام والحجام اذا رأى تقصيرا من صاحبه قال له يا حائك ولذلك لم يجمعوا على اسلام أبنائهم فى غير الحياكة والحجامة والبيطرة والقصابة ولولا ان الله تعالى أراد أن يجعل الاختلاف سببا للاتفاق والائتلاف لما جعل واحدا قصيرا وآخر طويلا وواحدا حسنا والآخر قبيحا

فقلتُ واللهِ لولا أن تقولَ له • قد باح بالسرِّ أعدائى وحُسّادى

قلنا لمنزلها حُيِّيتَ من طَلَلٍ • وللعقيق ألا حُيِّيتَ من وادى

انى جعلتُ نَصيبى من مودتها • لمَعْبَد ومُعاذ وابن صَيّاد

لابن اللَّعين الذى يُخْبا الدخان له • والمُغَنِّى رسول الزُّور قَوّادى

أما معاذٌ فانى لستُ ذاكرَهُ • كذاك أجدادُهُ كانوا لأجدادى

قال الزبيرى وكان مُعاذٌ جَلْدًا فخاف الاحوصُ أن يَضربه فحلف مَعْبَدٌ أن لا يكلم الاحوص ولا يتغنى فى شعره فشق ذلك على الاحوص فلما طالت هِجرتُه اياه رَحَل نَجيباً له وجعل طِلاءً فى مِذْرَعٍ (والمذرع زِقٌّ سُلِخَ حين سُلِخَ مما يلى الذراع) فى حقيبة رحله وأعَدَّ دنانير ومضى نحو معبد فأناخ ببابه ومعبد جالس بفنائه فنزل اليه الاحوصُ فكلمه فلم يكلمه معبد فقال يا أبا عَبّاد أتهجرنى فخرجت اليه امرأته أم كَرْدَمٍ فقالت أتهجر أبا محمد والله لتكلمنه قال فاحتمله الاحوص فأدخله البيت وقال والله لا رِمْتُ هذا البيت حتى آكل الشِواء وأشرب الطِلاءَ وأسمع الغِناء فقال له معبد قد أخزى الله الأبعدَ هذا الشِواء ها كلنهُ والغناء سمعته فأنّى لك بالطِلاء قال قم الى ذلك المذرع ففيه طلاء ومعه دنانير فأصلح بها ما تريد من أمرنا ففعل كل ما قال فقالت أم كَرْدَمٍ لمعبد أتهجر مَن ان زارنا أغدر فينا فضلا ونَيْلاً وان فارقنا خَلَّف فينا عقلا ونُبْلاً فانصرف الاحوص مع العصر فمر بين الدارين وهو يميل بين شُعْبَتَى رحله وحُدِّثْتُ ان سعد بن مُصْعَب بن الزبير اتُّهِمَ بامرأة فى ليلة مَناحة أو عُرْسٍ وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير فقال الاحوص وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار

ليس بسَعْدِ النارِ مَن تذكرونه • ولكنّ سَعْدَ النار سعدُ بن مُصْعَبِ

ألم تَرَ أنّ القوم ليلةَ جمعهم • بَغَوْهُ فألفَوْه لدى شَرِّ مَرْكَبِ

فما يَبْتَغى بالشر لا درّ دَرُّه • وفى بيته مثلُ الغزال المُرَبَّبِ

فأمر سعدُ بن مصعب بطعام فصنع ثم حُمل الى قِباب العرب وقال للاحوص وكان له صديقا تعالَ نَغِضْ فنصيب منه فلما خلا به أمر به فأُوثِق وأراد ضربه فقال له الاحوص دعنى فلا والله لا أهجو زُبَيريًّا أبدا فخلّاه ثم قال انى والله ما التذذت على مِزحك ولكنى أنكرت قولك

وواحدا غنيا وآخر فقيرا وواحدا عاقلا وآخر مجنونا وواحدا زكيا وآخر غبيا ولكن خالف بينهم ليختبرهم وبالاختبار يطيعون وبالطاعة يسعدون ففرق بينهم ليجمعهم وأحب ان يجمعهم على الطاعة ليجمعهم على المثوبة فسبحانه وتعالى ما أحسن ما أبلى وأولى وأحكم ما صنع وأتقن ما دبر لان الناس لو رغبوا كلهم عن عار الحياكة لبقينا عراة ولو رغبوا بأجمعهم

• وفى بيته مثل الغزال المربب • وحُدِّثْتُ ان ابن أبى عتيق ذُكِرَ له ان المُخَنَّثين بالمدينة خُصُوا وانه خُصِيَ الدَّلالُ فيهم فقال انا لله أمَا والله لئن فُعِلَ ذلك به لقد كان يُحْسن

لِمَنْ رَبْعٌ بذات الجَيْش أمْسَى دارسا خَلَقا

ثم استقبل ابنُ أبى عتيق القبلة يصلى فلما كبر سَلَّمَ ثم التفت الى أصحابه فقال اللهم انه كان يُحْسِنُ خفيفَهُ فاما ثقيلُهُ فلا الله أكبر وحُدِّثْتُ ان مَدَنيا كان يصلى مذ طلعت الشمس الى أن قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يَتَغَنَّى وهما فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رجل من الشُّرَطِ قد قبض على المغنى فقال اتَرْفَعُ عَقيرتَكَ بالغناء فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه فانفتل المدنىُّ من صلاته فلم يزل يَطْلُبُ اليه فيه حتى استنقذه ثم أقبل عليه فقال أتدرى لِمَ شَفَعْتُ فيكَ قال لا ولكنى اخالُكَ رحمتَنى قال اذاً فلا رحمنى الله قال فأحسبك عرفتَ قرابة بيننا قال اذاً فقطعها الله قال فليَدٍ تقدمتْ منى اليكْ قال لا والله ولا عرفتكْ قبلها قال فخَبِّرْنى قال لانى سمعتكْ غَنَّيْتَ آنفاً فاقَمْتَ واوات مَعْبَدٍ امَا والله لو أسأتَ التأدية لكنت أحد الاعوان عليكْ والصوتُ الذى ينسب الى واوات معبد شعْرُ الاعْشَى الذى يعاتب فيه يَزيدَ بن مُسْهر الشيبانى وهو قوله

هُرَيْرَةَ وَدِّعْهاوانْ لام لائمُ • غداةَ غدٍ أم أنتَ للبين واجمُ

لقد كان فى حَوْلٍ ثَواءٍ ثَوَيْتُهُ • تُقَضَّى لُبانات ويُسْأَمُ سائمُ

قوله هريرةَ ودعها وان لام لائم منصوب بفعل مضمر تفسيره وَدِّعْها كأنه قال وَدِّعْ هريرة فلما اخْتَزَلَ الفعل أظهر مايدل عليه وكان ذلك أجود من أن لا يُضْمَرَ لان الامر لايكون الا بفعل فأضمر الفعل اذ كان الامر أحَقَّ به وكذلك زيدا اضرب به وزيدا فأكرمه وان لم تضمر ورفعتَ جاز وليس فى حُسْنِ الاول ترفعه على الابتداء وتُصَيِّرُ الامر فى موضع خبره فأما قول الله عز وجل والسارقُ والسارقةُ فاقطعوا أيديهما وكذلك الزانيةُ والزانى فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائة جلدة فليس على هذا الرفع الوجه لان معناه الجزاء كقوله الزانيةُ أى التى تزنى فانما وجب القطع للسَّرَقِ والجَلْدُ للزنا فهذا مجازاة ومن ثم جاز الذى يأتينى فله درهم فدخلت الفاء لانه استحَقَّ الدرهم بالاتيان فان لم ترد هذا المعنى قلت الذى يأتينى له درهم ولا يجوز زيد فله درهم على هذا المعنى ولكن لو قلت زيد فله درهم على معنى هذا زيد فله درهم أو هذا زيد فحسن جميل جاز على ان زيدا خبر وليس بابتداء

عن كذا البنا البقينا بالعراء ولو رغبوا عن الفلاحة لذهبت الاقوات ولبطل أصل المعاش فسخرهم على غير اكراه ورغبهم من غير دعاء ولولا اختلاف طبائع الناس وعللهم لما اختاروا من الاشياء الا أحسنها ومن البلاد الا أعدلها ومن الامصار الا أوسطها ولو كان كذلك لتناجزوا على طلب الواسط وتشاجروا على البلاد العليا ولما وسعهم بلد ولما تم بينهم صلح فقد صار بهم التسخير الى غاية

وللاشارة دخلت الفاء وفى القرآن الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ودخلت الفاء لان الثواب دخل للانفاق وقد قرأت القرّاء الزانية والزانى فاجلدوا والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا بالنصب على وجه الامر والوجه الرفع والنصب حسن فى هاتين الآيتين ومالم يكن فيه معنى جزاء فالنصب الوجه ويروى ان معبدًا بلغه ان قتيبة بن مسلم فتح خمس مدائن فقال لقد غنيت خمسة أصوات هنّ أشد من فتح المدائن التى فتحها قتيبة بن مسلم والاصوات

ودع هريرة ان الركب مرتحل ● وهل تطيق وداعا أيها الرجل

وقوله

هريرة ودعها وان لام لائم ● غداة غد أم أنت للبين واجم

وقوله

رأيت عرابة الأوسى يسمو ● الى الخيرات منقطع القرين

وقوله

ودع لبابة قبل ان تترحلا ● واسأل فان قليلة ان تسألا

وقوله

لعمرى لئن شطت بعثمة دارها ● لقد كنت من خوف الفراق أليح

اما قوله ودع هريرة ان الركب مرتحل وقوله هريرة ودعها وان لام لائم فللاعشى يعاتب فيهما يزيد بن مسهر الشيبانى يقول

أبلغ يزيد بنى شيبان مألكة ● أبا ثبيت اما تنفك تأتكل

ألست منتهيا عن نحت أثلتنا ● ولست ضائرها ما أطت الابل

كناطح صخرة يوما ليفلقها ● فلم يضرها واوهى قرنه الوعل

ويقول فى الأخرى يعاتبه أيضا

يزيد يغض الطرف دونى كأنما ● زوى بين عينيه على المحاجم

فلا ينبسط من بين عينيك ما انزوى ● ولا تلقنى الا وأنفك راغم

فأقسم ان جد التقاطع بيننا ● لتنصطفقن يوما عليك المآتم

وتلقى حصان تنصف ابنة عمها ● كما كان تلقى الناصفات الخوادم

اذا اتصلت قالت أبكر بن وائل ● وبكر سبتها والأنوف رواغم

فأما الشعر الثالث فللشماخ بن ضرار بن مرة بن غطفان يقوله لعرابة بن أوس بن قيظى الانصارى

رأيت عرابة الأوسى يسمو ● الى الخيرات منقطع القرين

القناعة وكيف لا يكون كذلك وأنت لو حولت ساكنى الآجام الى الفيافى وساكنى السهل الى الجبال وساكنى الجبال الى البحار وساكنى الوبر الى المدر لأذاب قلوبهم الهم ولاتى عليهم فرط النزاع وقد قيل عمر الله البلدان بحب الأوطان وقال عبد الله بن الزبير رحمه الله تعالى ليس الناس بشئ من أقسامهم أقنع منهم بأوطانهم وقال معاوية فى قوم من اليمن رجعوا الى بلادهم بعدان

اذا مارأيتُ رُفعتْ لمجلسٍ • تلقّاه عَرابةُ باليمين

اذا بلّغتني وحملت رحلي • عَرابةَ فاشرقي بدم الوتين

والرابع لعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة يقوله في بعض الروايات

وَدِّعْ لُبابةَ قبل أن تترحّلا • واسأل فان قليلة ان تسألا

امكث لعمرك ساعةً فتأنّها • فعسى الذي بخلت به ان يبذلا

لسنا نبالي حين نُدرِكُ حاجةً • ان باتَ أو ظلَّ المطيُّ مُعَقَّلا

والشعر الخامس لا أعرف قائله ولم يتغنّ معبد في مدح قط الا في ثلاثة أشعار منها ما ذكرنا في عرابة

ومنها قول عبد الله بن قيس الرُّقيّات في عبد الله بن جعفر بن أبي طالب

تَقَدَّتْ بي الشهباءُ نحو ابن جعفر • سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

والثالث قول موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزُّبير

حمزةُ المبتاعُ بالمالِ الثّنا • ويرى في بيعه ان قد غَبَنْ

وهو ان أعطى عطاءً كاملا • ذا انامل يكدره بمَنْ

ونحن ذاكرون قصص هذه الاشعار التي جرت في عقب ما وصفنا ان شاء الله تعالى قال أبو العباس كان عبد الله بن قيس الرقيات منقطعا الى مُصْعَب بن الزبير وكان كثير المدح له وكان يقاتل معه وفيه يقول

انما مُصعبٌ شهابٌ من الله • تجلّتْ عن وجهه الظلماءُ

مُلكُهُ مُلكُ قوةٍ ليس فيه • جبروتٌ منه ولا كبرياءُ

يتّقي الله في الامور وقد أفلح من كان همُّهُ الاتّقاءُ

قال أبو العباس وله فيه اشعار كثيرة فلما قتل مصعب كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر فَشَفَعَ فيه الى عبد الملك فَشَفَّعَهُ في ان تركَ دمه فقال ويدخل البلد يا أمير المؤمنين فتسمع منه فأبى فلم يزل به حتى أجابه ففي ذلك يقول لعبد الله بن جعفر

أتيناكَ نُثني بالذي أنتَ أهلُهُ • عليكَ كما أثنى على الارض جارُها

تَقَدَّتْ بي الشهباءُ نحو ابن جعفر • سواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

تزورُ فتىً قد يَعلَمُ الناسُ أنه • تجودُ له كفٌّ قليلٌ غرارُها

أزلهم من الشأم منزلا خصيبا وفرض لهم في شؤون العطاء يصلون أوطانهم بقطيعة أنفسهم وقال الله جل وعز ولو أنا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم فقرن الضن بالأوطان الى الضن بمهج النفوس وليس على ظهرها انسان الا وهو معجب بعقله لا يسره ان له بجميع ماله ما لغيره ولولا ذلك لماتوا كمدا ولذابوا حسدا ولكن كل انسان وان كان يرى انه

فوالله لولا ان تزور ابن جعفر • لكان قليلا فى دمشق قرارها

والشعر الذى مدح به عبد الملك

عادَهُ من كثيرة الطربُ • فعينُه بالدموع تنسكبُ
كوفيةٌ نازحٌ محلّتها • لا أَمَمٌ دارها ولا صقبُ
والله ما ان صبت الىّ ولا • يُعلم بينى وبينها نسبُ
الا الذى أورثت كثيرة فى الـقلب وللحب سورة عجبُ

وفيها يقول

ما نقموا من بنى أُمَيَّة الا انهم يحلمون ان غضبوا
وانهم سادة الملوك فلا • تصلح الا عليهم العربُ
ان الفنيق الذى أبوه أبو الـعاصى عليه الوقار والحُجُبُ
خليفة الله فى رعيته • جفّت بذلك الاقلام والكتبُ
يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهبُ

فقال له عبد الملك أتقول لمصعب

انما مصعب شهاب من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ

وتقول لى

يعتدل التاج فوق مفرقه • على جبين كانه الذهب

واما شعر الشمّاخ فى عرابة فقد ذكر فى موضعه بحديثه واما الشعر فى حمزة بن عبد الله بن الزبير فانه لموسى شهوات وكان موسى قال لمعبد أقول شعرا فى حمزة وتتغنى أنت به فما أعطاك من شئ فهو بيننا فقال هذا الشعر

حمزة المبتاع بالمال الثنا • ويرى فى بيعه أن قد غبن
وهو ان أعطى عطاء كاملا • ذا انامل يكدره بمن
واذا ما سنة مجحفة • برت المال كبرى بالسفن
حسرت عنه نقيا لونه • طاهر الاخلاق ما فيه درن

فأعطاه مالا فقاسمه موسى

(باب)

قال أبو العباس قال عتبة بن شماس

حاسد فى شئ فهو يرى انه محسود فى شئ ولولا اختلاف الاسباب لتنازعوا بلدة واحدة واسما واحدا وكنية واحدة فقد صاروا كما ترى مع اختيار الاشياء المختلفة الى الأسماء القبيحة والألقاب السمجة والأسماء مبذولة والصناعات مباحة والمتاجر مطلقة ووجوه الطرق مخلاة ولكنها مطلقة فى الظاهر مقسمة فى الباطن وان كانوا لا يشعرون بالذى دبره

انَّ أَوْلى بالحق فى كل حقٍّ • ثمَّ أحْرَى بان يكون حقيقا
مَنْ أبوه عبدُ العزيز بن مروا • ن ومَنْ كان جدُّه الفاروقا
رَدَّ أموالَنا علينا وكانتْ • فى ذُرَاشاهقٍ بفوت الأنُوقا

يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان وأمُّ عمر أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله والأنوق الرَّخَمَةُ ولا يقال الانوق الا للرخمة الانثى ومن أمثال العرب هو أعزُّ من بيض الانوق وتقول العرب لمن يَطْلُبُ الامر العسير سألتنى بيض الأنُوق وذالك انها تبيض فى رؤس الجبال فلا يكاد يوجد بيضها لبعد مطلبه وعسره فان سأله مُحالاً قال سألتنى الأبلقَ العقوقَ وانما هو الذكر من الخيل ويقال فرس عَقوقٌ اذا حملتْ فامتلأ بطنها فالأبلقُ العقوق محال ويروى ان رجلا سأل معاوية أمر الا يوجد فأعلمه ذلك وسأل أمرا أعسر ابعده فقال معاوية

طَلَبَ الأبلقَ العقوق فلما • لم يَنَلْهُ أراد بيض الانوق

وانما الابلق الذكر من الخيل يقال فرس عَقوقٌ اذا حَمَلتْ فامتلأ بطنها فالابلق العقوق محال وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز

ماعَدَّ قومٌ كأجداد تعُدُّهُمُ • مروانُ ذو النور والفاروقُ والحكَمُ
أشبهتَ من عُمَرَ الفاروقِ سيرتَهُ • قادَ السريَّةَ وائتمَّتْ به الامم
تدعو قريشٌ وانصارُ الرسول له • انْ عُمِّتعوا بابى حفصٍ وماظَلَمُوا

وفيه يقول جرير أيضا

يعودا الحلمُ منك على قريش • وتُفَرِّجُ عنهمُ الكُرَبَ الشدادا
وقد آمنتَ وحشتهم برفقٍ • ويُعيى الناسَ وحشُك ان يُصادا
(وتَبنى المجدَ ياعمرُ ابن ليلى • وتكفى المُمحِلَ السنةَ الجمادا)
وتدعو الله مجتهدًا ليرضى • وتذكر فى رعيتك المعادا
(فما كعبُ بن مامةَ وابنُ سُعدى • بأجودَ منكَ ياعمرُ الجوادا)

وكان ابن سعد الازدى قد تولى صدقات الاعراب وأعطياتهم فقال جرير يشكوه الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه

الحكيم من ذلك ولا بالمصلحة فيه فسبحان من حبب الى واحد ان يسمى ابنه محمدا وحبب الى آخر ان يسميه شيطانا وحبب الى آخر ان يسميه عبد الله وحبب الى آخر ان يسميه حمارا لان الناس لو لم يخالف بين علمهم فى اختيار الأسماء وجاز ان يجتمعوا على شئ واحد كان فى ذلك بطلان العلامات وفساد المعاملات وأنت اذا رأيت ألوانهم وشمائلهم واختلاف

انّ عيالى لاافواكه عندهم • وعندابن سعدسكّر وزبيب
وقد كان ظنّى بابن سعدسعادة • وما الظنّ الامخطئ ومصيبُ
فان ترجعوا رزقى الىّ فانه • متاعُ ليالٍ والاداء قريبُ
تحنّى العظامُ الراجفاتُ من البِلَى • وليس لداء الركبتين طبيبُ

وفيه يقول أيضا المانى

نَعَى النُّعاةُ أميرَ المؤمنين لنا • يا خيرَ من حجّ بيتَ الله واعتمرا
حملتَ أمرا جسيما فاصطبرتَ له • وقمتَ فيه بحق الله يا عُمَرا
فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ • تبكي عليكَ نجومَ الليل والقمرا

قوله يا عمرا ندبةٌ أراد يا عُمَراه وانما الالف للندبة وحدها والهاء تزاد فى الوقف لخفاء الالف فاذا وصلتَ لم تزدها تقول يا عمرا اذا الفضل فاذا وقفت قلت يا عمراه فحذف الهاء فى القافية لاستغنائه عنها فاما قوله نجومَ الليل والقمرَ ففيه أقاويل كلّها جيدٌ فمنها ان تنصب نجوم الليل والقمرا بقوله بكاسفة يقول الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليل والقمر يقول انما تكسف النجومَ والقمرَ بافراط ضيائها فاذا كانت من الحزن عليه قد ذهب ضياؤها ظهرت الكواكب ويقال ان الغبار يوم حليمة سدّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدة عن مطلع الشمس ويوم حليمة هو اليوم الذى سافر فيه المنذرُ بن المنذر بعرب العراق الى الحرث الأعرج الغسّانى وهو الاكبر والحرث فى عرب الشام وهو أشهر أيام العرب ومن أمثالهم فى الامر الفاشى ما يومُ حليمةَ بسرٍّ وفيه يقول النابغة

تُخُيِّرنَ من أزمان يوم حليمةٍ • الى اليوم قد جُرِّبنَ كلَّ التجاربِ

وأظن قول القائل من العرب لأُرِيَنّكَ الكواكب ظهرًا انما أُخذ من يوم حليمة قال طرفة

ان تنوّلْه فقد تمنعُه • وتُرِيه النجمَ يجرى بالظُّهرْ

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القسرى

لَعَمرى لقد سار ابن شَيبةَ سيرةً • أرتكَ نجومَ الليل مظهرةً تجرى

ويجوز ان يكون نجومَ الليل والقمرَ أراد بهما الظرف يقول تبكى الشمس عليك مدةَ نجوم الليل والقمر كقولك تبكى عليك الدهرَ والشهرَ وتبكى عليك الليلَ والنهارَ يا فتى ويكون تبكى عليك

صورهم وسمعت لغاتهم ونغمهم علمت ان طباعهم وعاداتهم المحجوبة الباطنة على حسب أمورهم الظاهرة وبعض الناس وان كانوا مسخرين للحياكة فليس بمسخر للفسق والخيانة والاحكام والصدق والأمانة وقد يسخر الملك لقوم بأسباب قديمة وأسباب حديثة فلا يزال ذلك الملك مقصورا عليهم ما دامت تلك الأسباب قائمة فليس اذا كانوا للملك مسخرين وكان الناس لهم مسخرين

الشمس النجومَ كقولك بَكَيْتُ زيدا على فلان لما رأيتُ به وقد قال فى هذا المعنى أَحَدُ المُحْدَثين شيأ مليحا وهو أحمد أخو أشجع السُّلَمِى بقوله لنصر بن شَبَث العُقَيْلِى وكان أوقع بقوم من بنى تَغْلِب بموضع يعرف بالسَّواجير وهو أشبه بالشعر قال

لله سيفٌ فى يَدَىْ نَصْرِ • فى حَدِّه ماءُ الرَّدَى يَجْرِى
أَوْقَعَ نَصْرٌ بالسَّواجير ما • لم يُوقِعِ الجَحَّافُ بالبِشْرِ
أَبْكَى بنى بَكْرٍ على تَغْلِبٍ • وتَغْلِبًا أَبْكَى على بكر

ويكون تبكى عليك نُجومَ الليلِ والقَمَرَ على ان تكون الواو فى معنى مع واذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذى يليه أو بعده فعل انتصبَ لانه فى المعنى مفعولٌ وَصَلَ الفعلُ اليه فنصبه ونظير ذلك استوى الماءُ والخشبةَ لانك لم ترد استوى الماءُ واستوتِ الخشبةُ ولو أردتَ ذلك لم يكن الا الرفع ولكنَّ التقدير ساوى الماءُ الخشبةَ وكذلك مازلتُ اسيرُ والنيلَ يافتى لانك لست تخبر عن النيل بسير وانما تريد انك سرتَ بحذائه ومعه فوصلَ الفعلُ وهذا باب يطول شرحه فان قلت عبدُالله وزيدٌ أخَوَاك وأنت تريد بالواو معنى مع لم يكن الا الرفع لان قبلها اسما مبتدأ فهى على موضعه وأجود التفسيرين عندنا فى قول الله عز وجل فَأَجْمِعوا أمركم وشُرَكاءَكُمْ ان تكون الواو فى معنى مع لانك تقول أَجْمَعْتُ رأيى وأمرى وجَمَعْتُ القومَ فهذا هو الوجه وقوم ينصبونه على دخوله بالشركة مع اللام فى معنى الاول والمعنى الاستعداد بهما فيجعلونه كقول القائل

يا ليتَ زَوْجَكِ قد غَدَا • مُتَقَلِّدًا سيفا ورُمْحا

والرمح لا يُتَقَلَّدُ ولكن أدخله مع ما يُتَقَلَّدُ فتقديره متقلدا سيفا وحاملا رمحا ويكون تقدير الآية فَأَجْمِعُوا أمرَكم وأَعِدُّوا شركاءَكم والمعنى يؤول الى أمر واحد ومن ذلك قوله

• شَرَّابُ أَلْبانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ • فأما ما جاء من القرآن على هذا خاصة فقوله عز وجل واللهُ خَلَقَ كُلَّ دابة من ماء فمنهم مَنْ يمشى على بطنه ومنهم مَنْ يمشى على رجلين ومنهم مَنْ يمشى على أربع فأدخل مَنْ ههنا لان الناسَ مع هذه الاشياء لَجَرَتْ على لفظ واحد ولا تكون مَنْ الا لمن يعقل اذا أفردتها وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو اليه عُمَّالَهُ

انَّ الذين أمرتَهم أَنْ يعدلوا • نَبَذُوا كتابَكَ واسْتُحِلَّ المَحْرَمُ

بالجبرية والنخوة والفظاظة والقسوة والطول الاحتجاب والاستتار وسوء اللقا والتضييع وقد يكون الانسان مسخرا لامر ومخيرا فى آخر ولولا الأمر والنهى لجاز التسخير فى دقيق الأمور وجليلها وخفيها وظاهرها لان بنى الانسان انما سخروا له ارادة العائدة عليهم ولم يسخروا المعصية كما لم يسخروا المفسدة وقد تستوى الأسباب فى مواضع وتتفاوت فى مواضع كل ذلك ليعلم الله

وأردتَ أن يَلِي الامانة منهمُ • بَرٌّ وهيهاتَ الأبرُّ المسلم
طُلْسُ الثياب على منابر أرضنا • كلٌّ بنقص نصيبنا يتكلّم

أنشدنيه الرياشي عن الاصمعي ونظير هذا قول ابن همّام السلولي

اذا نصبوا القول قالوا فأحسنوا • ولكنَّ حُسْنَ القول خالفه الفعل
وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها • أفاويقَ حتى ما يدرُّ لها ثُعْل

وقد مر تفسير هذا الشعر والأطلسُ الاغبر وربما اشتدت غبرته حتى يخفى في الغبار وانما أراد بقوله طلس الثياب انهم يُظهرون تقشّفا ويكون ان يكون جعلهم بمنزلة الذئاب وهو أحسن ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولّى رجلا بلدا فوفد عليه فجاءه مُدّهنا حسن الحال في جسمه عليه بُردان فقال له عمر رضي الله عنه أهكذا ولّيناك ثم عزله ودفع اليه غُنَيمات يرعاها ثم دعا به بعد مدة فرآه باليا أشعث في ثوبين أطلسين وذُكر عند عمر بخير فرده الى عمله وقال كلوا واشربوا وادّهنوا فانكم تعلمون الذي تُنهون عنه ويروى عن الحسن انه قال اقرعوا من هذه الاعواد فانهم اذا رقوها القنوا الحكمة لتكون عليهم حجة يوم القيامة وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه أنشدنيه الرياشي

قد غيّب الدافنون اللحدَ اذ دفنوا • بدير سمعان قسطاس الموازين
من لم يكن همّه عينا يفجّرها • ولا النخيل ولا ركض البراذين
أقول لما أتاني ثَمّ مهلكُه • لا يبعدنَّ قوامُ الملك والدين

يقال هذا قوامُ الامر وملاكُه لا غير وتقول فلان حسن القَوام مفتوح تريد بذلك الشطاط لا يكون الا ذاك وقوام اذا كان اسما لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لانها متحركة الا ان يكون جمعا فقد كانت الواو في واحده ساكنة فتنقلب في الجمع لان حركتها العلة تقول سوط وسياط وثوب وثياب وحوض وحياض فان كانت الواو في الواحد متحركة ثبتت في الجمع نحو طويل وطوال وكذلك فعال اذا كان مصدرا صح اذا صح فعله واعتلّ اذا اعتل فعله فما كان مصدرا لفاعلت فهو فعال صحيح نحو قاولته قوالا ولاوذته لواذا كقول الله عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا أي ملاوذة واذا كان مصدر فعلت اعتلّ لاعتلال الفعل فقلت قمت قياما ونمت نياما

تعالى لهم مصالح الدنيا ومن اشد الذين ألا ترى ان أمة قد اجتمعت على ان عيسى عليه السلام هو الله وأمة قد اجتمعت على انه ابن الله وأمة اجتمعت على ان الآلهة ثلاثة عيسى أحدها ومنهم من يتذبذب ومنهم من يتدهر ومنهم من يقول نسطوريا بعد ان كان يعقوبيا ومنهم من أسلم بعد ان كان نصرانيا ولست واجدا هذه الأمة مع اختلاف مذاهبها وكثرة تنقلها انتقلت مرة

وَلُذْتُ لِيَاذًا وعُذْتُ عِيَاذًا وقال عُوَيْفُ القوافى شعرًا يرثى سليمانَ بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله هذا ما اخترنا منه

لاحَ سحابٌ فرأينا بَرْقَهُ ● ثم تدانى فسمعنا صَعْقَهُ
وراحت الريحُ تُزَجِّى بُلْقَهُ ● ودُهْمَهُ ثم تُزَجِّى وُرْقَهُ
ذاكَ سَقَى وَدْقًا فَرَوَّى وَدْقُهُ ● قبرَ امرئٍ أعظمَ ربى حقَّهُ
قبرَ سليمانَ الذى مَنْ عَقَّهُ ● وجَحَدَ الخيرَ الذى قد بقَّهُ
فى العالمين جِلَّهُ ودِقَّهُ ● لما ابتلى اللهُ بخيرٍ خَلْقَهُ
وكادت النفسُ تُساوى حَلْقَهُ ● ألْقَى الى خيرِ قريشٍ وَسْقَهُ
يا عمرَ الخيرَ المُلَقَّى وَفْقَهُ ● سُمِّيتَ بالفاروق فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارزُقْ عيالَ المسلمين رِزْقَهُ ● واقصد الى الخير ولا تُوَقَّهُ
بحرُكَ عذبُ الماء ما أعَقَّهُ ● ربُّكَ والمحرومُ من لم يُسْقَهُ

يقال لاح البرق اذا بدا وألاح اذا تلألأ وهذا البيت يُنْشَدْ ● من هاجه الليلةَ برقٌ الاح ● ويقال شرقت الشمسُ اذا بدَتْ وأشرقت اذا أضاءتْ وصفَتْ ويقال صاعقة وصاقعة وبنو تميم تقول صاقعة والصَّعْقُ شدة الرَّعْد ويُعْنَى به فى أكثر ذلك ما يعترى مَنْ يسمع صوت الصاعقة وقوله تزجى يقول تسوقه وتستحثُّه والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض وفى الخيل كلُّ لون يخالطه بياض فهو أَبْلَقُ والأَوْرَقُ الذى بين الخضرة والسواد وهو ألأَمُ ألوانِ الابل ويقال ان لحم البعير الأورق أطيبُ لُحْمان الابل والوَدْقُ المطر يقال وَدَقَت السماءُ يا فتى تَدِقُ وَدْقًا قال الله جل وعز فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ من خلاله وقال عامر بن جُوَيْن الطائى

فلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَها ● ولا أرضَ أبقَلَ ابقالَها

وأصل العَقِّ القَطْعُ فى هذا الموضع وللعَقِّ مواضعُ كثيرة يقال عَقَّ والديه يعُقُّهما اذا قطعهما وعَقَقْتُ عن الصبى من هذا وقالوا ابل هو من العَقيقة وهى الشَّعَرُ الذى يُولَدُ الصبىُّ به يقال فلان بعقيقته اذا كان بشعر الصبا لم يحلقه ويقال سيف كأنَّه عقيقةٌ أى كأنه لَمْعةُ برقٍ يقال رأيت عقيقة البرق يا فتى أى اللمعة منه فى السحاب ويقال فلان عُقَّتْ تميمته ببلد كذا أى قطعت عنه فى ذلك

واختلفت مرة متعمدة أو ناسية فى يوم واحد فجعلته وهو الجمعة يوم السبت ولم تخطب فى يوم جمعة بخطبة يوم خميس ولا غلطت فى كانون الأول فجعلته كانون الآخر ولا بين الصوم والافطار لان الباب الأول فى باب الامكان وتعديل الأسباب والامتحان والباب الثانى داخل فى باب الامتناع وتسخير النفوس وطرح الامتحان وقد زعم ناس من الجهال ونفر من

الموضع قال الشاعر ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني • اذا أخصبت أو كان جدبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين مشرف • الى وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تميمتي • وأول أرض مس جلدي ترابها

وقوله و بجد الخير الذي قد بقه يقال بق فلان في الناس خيرا كثيرا و بق ولدا كثيرا وأبق كلاما كثيرا وقوله ألقى الى خير قريش وسقه فهذا مثل يريد قلده أمره والوسق الحمل وقوله الملق وفقه يقال لقى فلان خيرا أي جعل يلقاه والوسق من الكيل مقدار خمسة أقفزة بقفيز البصرة وهو قفيزان ونصف بقفيز مدينة السلام وقوله ليس في أقل من خمسة أوسق صدقة انما مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزا بقفيز البصري والوفق التوفيق وقوله سميت بالفاروق فقنأو بل الفاروق هو الذي يفرق بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون في الفرقان وقد أبان ذلك بقوله فافرق فرقه وقوله وارزق عيال المسلمين رزقه يقال رزقه يرزقه رزقا والاسم الرزق وقوله بحرك عذب الماء ما أعقه مقلوب انما هو ما أقعه وبلك يقال ماء قعاع وماء حراق فالقعاع الشديد الملوحة يقول ما أملحه ربك والحراق الذي يحرق كل شيء بملوحته والماء العذب يقال له النقاخ وما دون ذلك شيأ يقال له المسوس أنشد أبو عبيدة

لو كنت ماء كنت لا • عذب المذاق ولا مسوسا

يقال ماء عذب وماء فرات وهو أعذب العذب و يقال ماء ملح ولا يقال مالح وسمك مملوح ومليح ولا يقال مالح وأشد الماء ملوحة الأجاج قال الفرزدق

ولو أسقيتهم عسلا مصفى • بماء النيل أو ماء الفرات
لقالوا انه ملح أجاج • أراد به لنا احدى الهنات

وقوله ذاك سقى ودقا فروى ودقه يقال فيه قولان أحدهما فروى الغيم ودقه هذا القبر يريد من ودقه فلما حذف حرف الجر جعل الفعل والآخر كقولك رويت زيدا ماء وروى أكثر من أروى لان روى لا يكون الا مرة بعد مرة يقول فروى الله ودقه أي جعله رواء فأضمر لعلم المخاطب لأن قوله لاح سحاب انما معناه ألاحه الله فالفاعل كالمذكور لان المعنى عليه ونظيره قوله جل وعز اني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ولم يذكر الشمس وكذلك ما ترك على ظهرها

الشكال ممن يزعم ان الشك واجب في كل شيء الا في العيان ان أهل المنصورة وافوا مصلاهم يوم خميس على انه يوم الجمعة في زمن منصوري وان أهل البصرين جلسوا عن مصلاهم يوم الجمعة على انه يوم خميس في زمن أبي جعفر فبعث اليهم وقومهم وهذا لا يجوز ولا يمكن في أهل الامصار ولا في العدد الكثير من أهل القرى لان الناس من بين صانع لا يأخذ أجرته ولا راحة

من دابة ولم يذكر الارض وقال قوم وَدْقَهُ بريد وَدْقَةً واحدة وهذا ردى. فى المعنى ليس بمبالغ قال ابن الموصلى

لَعَمْرِى لئن حُلِّئْتُ عن مَنْهَلِ الصبا • لقد كنتُ وَرَّادًا لمَنْهَلِهِ العَذْبِ
لَيالِىَ أمشى بين بُرْدَىَّ لاهيًا • أميسُ كغُصْنِ البانةِ الناعمِ الرَّطْبِ
سلامٌ على سيرِ القِلاصِ مع الرَّكْبِ • ووَصْلِ الغَوانى والمُدامةِ والشَّرْبِ
سلامُ امرئٍ لم تَبْقَ منه بَقِيَّةٌ • سوى نظرِ العينين أو شَهْوةِ القلبِ

قوله والشرب يريد جمع شارب يقال شاربٌ وشَرْبٌ وراكب ورَكْبٌ وتاجر وتَجْرٌ وزائر وزَوْرٌ قال الطِّرِمّاحُ

حَبَّ بالزَّوْرِ الذى لا يُرَى • منه الا صَفْحَةٌ عن لِمامِ

وهذا باب متصل كثير قال العَجّاجُ

بواسطٍ أكرمُ دارٍ دارا • واللهُ سَمّى نَصْرَكَ الانصارا

يريد أنصارَكَ فأخرجه على ناصر ونَصْر وقوله سلام امرئ على البدل من قوله سلام على سير القلاص وان شئت نصبتَ بفعل مضمر كانك قلت أُسَلِّمُ سلامَ امرئ لانك ذكرتَ سلامًا أولا ومثل ذلك له صوتٌ صوتَ حمار لانك لما قلت له صوت دللت على أنه يصوّت كانك قلت يصوّتُ صَوتَ حمار وكذلك له حَنينٌ حَنينَ ثَكْلَى وله صَريفٌ صَريفَ القَعْوِ بالمَسَد أى يصرف صريفا فما كان من هذا نكرة فنصبه على وجهين على المصدر وتقديره يَصْرِفُ صريفا مثل صريف جَمَلٍ وان شئتَ جعلته حالا وتقديره يخرجه فى هذه الحال وما كان معرفة لم يكن حالا ولكن على المصدر فان كان الاول فى غير معنى الفعل لم يكن النصب البتَّةَ ولم يصلح الا الرفع على البدل تقول له رأسٌ رأسُ ثورٍ وله كَفٌّ كفُّ أسدٍ فالمرتفع الثانى اذا كان نكرة كان بدلا أو نعتا واذا كان معرفة كان بدلا ولم يكن نعتا لان النكرة لا تُنْعَتُ بالمعرفة وكذلك اذا كان الاول ابتداء لم يجز الا الرفع لان الكلام غير مُسْتَغْنٍ وانما يجوز الاضمار بعد الاستغناء تقول صوتُهُ صوتُ الحمار وغناؤُهُ غناءُ المُجِيدين وكذلك ان خَبَّرْتَ بامر مستقرٍ فيه اختير الرفعُ تقول له عِلْمٌ عِلْمُ الفقهاء وله رأىٌ رأىُ القضاة لانك انما تمدحه بان هذا قد استقر له وليس الابلغُ فى مدحه ان تخبر بانك رأيته فى حال تعلُّمٍ ويجوز النصب على انك رأيته فى حال تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه فهذا يَصْلُحُ والاجودُ الرفع فاذا قلت له صوتٌ صوتَ حمار فانما خَبَّرْتَ أنه يُصَوِّتُ فهذا سوى ذلك المعنى ومما يُخْتارُ فيه الرفعُ

له دون الجمعة وبين تجار قد اعتادوا الدعة فى الجمع والجلوس عن الاسواق ومن معلم كتاب لا يصرف غلمانه الا فى الجمع وبين معنى بالجمع يتلاقى هناك مع المعارف والاخوان والجلساء وبين معنى بالجمع حرصا على الصلاة ورغبة فى الثواب ومن رجل عليه موعد ينتظره ومن صيرفى يصرف ذلك اليوم سفاتجه وكتب أصحابه ومن جندى فهو يعرف بذلك نوبته وبعض

قولك عليه نوحٌ نوحُ الحمامِ وانما اختير الرفع لان الهاء فى عليه اسم المفعول له والهاء فى له اسم الفاعل ويجوز النصب على انك اذا قلت عليه نوح دل النوح على أن معه نائحا فكانك قلت ينوحون نوح الحمام فهذا تفسير جميع هذه الابواب وقال ابن الخياط المدنىّ يعنى مالك بن أنس

يَأبَى الجوابَ فما يُراجَعُ هيبةً ● والسائلون نَوَاكِسُ الاذقانِ

هَدْىُ التقىّ وعزُّ سُلطانِ النُهَى ● فهو العزيزُ وليس ذا سُلْطانِ

أراد له هدىُ التقىّ أو معه هدى التقىّ

﴿ باب ﴾

قال أبو العباس نذكر فى هذا الباب من كل شئ شيأ لتكون فيه استراحةٌ للقارئ وانتقالٌ ينفى المَلَل لحسن موقع الاستطراف ونخلط ما فيه من الجدّ بشئ يسير من الهزل ليستريحَ اليه القلبُ وتسكنَ اليه النفسُ قال أبو الدرداء رحمه الله انى لأستجمّ نفسى بالشئ من الباطل ليكون أقوى لها على الحق وقال على بن أبى طالب رحمه الله القلبُ اذا أُكْرِهَ عَمِىَ وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تَمَلّ كما تملُّ الابدانُ فابتغوا لها طرائفَ الحكمة وقال ابن عباس رضى الله عنهما العِلْمُ أكثرُ من أن يُؤْتَى على آخره فخُذُوا من كل شئ أحسنَه وليس هذا الحديث من الباب الذى ذكرنا ولكن نذكر الشئ بالشئ اما لاجتماعهما فى لفظ واما لاشتراكهما فى معنى وقال الحسن وليس من هذا الباب حادثُوا هذه القلوبَ فانها سريعةُ الدُثورِ واقدَعُوا هذه الانفسَ فانها طُلَعَةٌ وانكم الّا تَزَعُوها تَنْزِعْ بكم الى شرِّ غايةٍ وقد مضى تفسير هذا الكلام وقال أرْدَشِيرُ بن بابك ان للآذان مَجَّةً وللقلوب مَلَّةً ففرّقوا بين الحكمتين يكن ذلك استجماما وكان أنُوشَرْوانُ يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كاحتياج الابدان الى أقواتها من الغذاء ويروى انه أُصيبَ فى حكمة آل داود لا ينبغى للعاقل ان يُخْلِىَ نفسه من واحدة من أربع من عُدّةٍ لمَعادٍ أو اصلاحٍ لمَعاش أو فكرٍ يَقِفُ به على ما يُصْلِحُه مما يفسده أو لذّةٍ فى غير مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالات الثلاث وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لابيه يوما يا أبَتِ انك تنامُ نومَ القائلة وذو الحاجة على بابك غيرُ نائم فقال له يا بُنَىّ ان نفسى مَطِيّتى فان حملتُ عليها فى التَعَب حَسَرْتُها أى لم أُبْقِ قوله حسرتها بلغتُ بها أقصى غاية الاعياء قال الله جل وعز ينقلبْ اليكَ البصرُ خاسئا وهو حسيرٌ وأنشد أبو عبيدة

كالسؤال والمساكين والقصاص الذين يمدون أعناقهم للجمعة انتظارا للصدقة والفائدة فى أمور كثيرة وأسباب مشهورة ولو جاز ذلك فى فى أهل البصرين والمنصورة لجاز ذلك على أهل البصرة والكوفة ولو جاز ذلك فى الايام لكان فى الشهور أجوز ولو جاز ذلك فى الشهور لكان فى السنين أجوز وفى ذلك فساد الحج والصوم والصلاة والزكاة والاعياد ولو كان ذلك جائزا لجازان

ان العسير بها داءٌ مخامرها • فشطرها نظر العينين محسور

قوله فشطرها يريد قصدها ونحوها قال الله جل وعز فولّ وجهك شطر المسجد الحرام قال الشاعر

لهن الوجى لم كنّ عونا على النوى • ولا زال منها ظالعٌ وحسير

يعنى الابل يقول هى المفرّقة كما قال الآخر

ما فرّق الأُلّاف بعد الله الّا الابلُ ولا اذا صاح غرا • بٌ فى الديار احتملوا

وما غرابُ البين الا ناقةٌ أو جملُ

(قال أبو الحسن وزادنى فيه غير أبى العباس

والناس يلحون غرا • ب البين لما جهلوا

والبائس المسكين ما • تُطوى عليه الرحلُ

(ويقال انه لأبى الشيص) قال أبو العباس فمن قال آلفٌ للواحد قال للجميع أُلّافٌ كعامل وعُمّال وشارب وشُرّاب وجاهل وجُهّال ومن قال ألفٌ قال للجميع آلافٌ وتقديره عدلٌ وأعدال وحِملٌ وأحمالٌ ونقلٌ وانقال وقد أنصف الابل الذى يقول

ألا فرعى الله الرواحل انها • مطايا قلوب العاشقين الرواحلُ

على انهنّ الواصلاتُ عُرى النوى • اذا ما نأى بالآلفين التواصلُ

وقال الآخر أقول والهوجاء تمشى والفضلُ • قطّعت الأحداجُ أعناق الابلِ

الهوجاء التى تجدّ فى السير وتركب رأسها كأنّ بها هوجا كما قال • لله درّ اليعملات الهوج •

وكما قال الاعشى وفيها اذا ما هجّرت عجرفيّةٌ • اذا خلت حرباء الوديقة أصيدا

والفضل مشيةٌ فيها اختيال كأنّ مشيتها تخرج عن خطامها فتفضُل عليه والاصل فى ذلك ان يمشى الرجل وقد أفضل من ازاره ويمشى المرأة وقد أفضلت من ذيلها وانما يفعل ذلك من الخيلاء ولذلك جاء فى الحديث فضلُ الازار فى النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى تميمة الهجيمى واياك والمخيلة فقال يا رسول الله نحن قوم عربٌ فما المخيلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبلُ الازار وقال الشاعر (ويقال انه لقيس ابن الخطيم)

ولا ينسينى الحدثان عرضى • ولا أُرخى من المرح الازارا

يتفق الشعراء على قصيدة واحدة والخطباء على خطبة واحدة والكتاب على رسالة واحدة بل جميع الناس على لفظة واحدة وانما نزلت لك حالات الناس وخبرتك عن طبائعهم وفسرت لك عللهم لتعلم ان العدد الكثير لا يتفقون على تخرص الخبر الواحد فى المعنى الواحد فى الزمن الواحد على غير التشاعر فيكون باطلا وسأبين لك موضع اختلافهم واتفاقهم وانهم لم يخالف بينهم فى

وقال أبو قيس بن الأسلت الانصاري

تمشي الهوينا اذا مشت فُضُلاً • كأنها عود بانة قصف

(قال أبو الحسن علي بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن الخطيم الانصاري أعني تمشي الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوليد بن يزيد

أنا الوليد الامام مفتخرا • أنعم بالي واتبع الغزلا

أنقل رجلي الى مجالسها • ولا أبالي مقال من عذلا

غراء فرعاء يستضاء بها • تمشي الهوينا اذا مشت فضلا

ثم نعود الى الباب قال الراجز يعني ابله أو ناقته

ان لها لسائقا خدلجا • لم يدلج الليلة فيمن أدلجا

الخدلج المدمج الساقين وانما عنى المرأة التي ساقه حبه اليها والكلام يجري على ضروب فمنه ما يكون في الاصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه ما يقع مثلا فيكون أبلغ في الوصف والكناية تقع على ثلاثة أضرب أحدها التعمية والتغطية كقول النابغة الجعدي

أكني بغير اسمها وقد علم الله خفيات كل مكتتم

وقال ذو الرمة استراحة الى التصريح من الكناية

أحب المكان القفر من أجل أنني • به أتغنى باسمها غير معجم

وقال أحد القرشيين هو محمد بن نمير الثقفي

وقد أرسلت في السر أن قد فضحتني • وقد بحت باسمي في النسيب وما تكني

ويروى ان عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة قال شعرا وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق الى امرأة مخزومية وهو

ألمم بزينب ان البين قد أفدا ... المنابذات الخال فاستطلعا لنا • على العهد باق ودها أم تصرما

وقولا لها ان النوى أجنبية • بنا وبكم قد خفت ان تتيمما

قال فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد الى امرأة مسلمة محرمة تكتب اليها بمثل هذا الشعر قال فلما كان بعد مدة قال له ابن أبي ربيعة أما علمت أن الجواب جاءنا من عند ذلك الانسان فقال له ما هو فقال كتبت

أضحى قريضك بالهوى نماما • فاقصد هديت وكن له كتاما

بعض الوجوه الا أرهاصا لمصلحتهم ولتصح أخبارهم ألا ترى ان أحدا لم يبع قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان ذلك الدرهم خير له من سلعته ولم يشتر أحد قط سلعة بدرهم الا وهو يرى ان تلك السلعة خير له من درهمه ولو كان صاحب السلعة يرى في سلعته ما يرى فيها صاحب الدرهم وكان صاحب الدرهم يرى في الدرهم ما يرى فيه صاحب السلعة ما اتفق بينهما شراء أبدا ولا بيع أبدا وفي هذا

واعلم بان الخال حين ذكرته • فعدا العدو به عليك وقاما

ويكون من الكناية وذاك أحسنها الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش الى مايدل على معناه من غيره قال الله وله المثل الاعلى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم وقال أولامستم النساء والملامسة فى قول أهل المدينة مالك وأصحابه غير كناية انما هو اللمس بعينه يقولون فى الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انتقض وكذلك قولهم فى قضاء الحاجة جاء فلان من الغائط وانما الغائط الوادى وكذلك المرأة قال عمرو بن معدى كرب الزبيدى

فكم من غائط من دون سلمى • قليل الأنس ليس به كتيع

وقال الله جل وعز فى المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما كانا يأكلان الطعام وانما هو كناية عن قضاء الحاجة وقال وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا وانما هى كناية عن الفروج وهذا كثير والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكنية وهو ان يعظم الرجل ان يدعى باسمه ووقعت فى الكلام على ضربين وقعت فى الصبى على جهة التفاؤل بان يكون له ولد ويدعى بولده كناية عن اسمه وفى الكبير ان ينادى باسم ولده صيانة لاسمه وانما يقال كنى عن كذا بكذا أى ترك كذا الى كذا لبعض ما ذكرنا وكان خالد بن عبد الله القسرى لعنه الله يلعن على بن أبى طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فعل الله على على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة وأبى الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول أكنيت فهذا اولى هذا قال أبو العباس ونرجع الى الباب الذى قصدناله قال اعرابى

وحقة مسك من نساء لبستها • شبابى وكأس باكرتنى شمولها

جديدة سربال الشباب كأنها • أباءة بردى سقتها غيولها

محملة باللحم من دون خصرها • تطول القصار والطوال تطولها

قوله باكرتنى شمولها زعم الاصمعى ان الخمر انما سميت شمولا لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال وقوله أباءة بردى الأباءة القصبة وجمعها الأباء قال كعب بن مالك الانصارى

من سره ضرب يرعبل بعضه • بعضا كمعمعة الأباء المحرق

جميع المفسدة وغاية الهلكة فسبحان الذى حبب الينا مافى أيدى غيرنا وحبب الى غيرنا مافى أيدينا ليقع التبايع واذا وقع التبايع وقع التراجع واذا وقع التراجع وقع التعايش وبذلك أيضا على اختلاف طبائعهم وأسبابهم انك تجد الجماعة وبين أيديهم الفاكهة والرطب فلا تجد يدين تلتقيان على رطبة بعينها وكل واحد من الجميع يرى ماحواه الطبق غيران شهوته

المعمعةُ صوت احراقه يقال سمعتُ معمعةَ القَصَب والقوصرة في النار أي صوت احتراقها وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وماوالاه ورقته قال حُمَيد بن ثور الهلالي

لم أَلق عَمْرة بعد اذ هي ناشئٌ • خرجت مُعطَّفةً عليها مئزرُ

(العطاف الوشاح من النساء)

برزت عقيلة أربع هادَيْنها • بيض الوجوه كأنهنّ العُنقُر

(العُنقُر أصول القصب يقال عُنقَر وعُنقُر) وفي هذا الشعر

ذهبت بعقلك ربطةٌ مطويّةٌ • وهي التي تُهدى بها لو تُنشَر

(قال أبو الحسن أنشدنيه ثعلب في قوله لو تنشر تُشعَر)

فهممتُ أن أغشى اليها مَحجِراً • ولمثلها يُغشى اليه المَحجِرُ

وقوله سقتها الغيل والغيل ههنا الأجمة ومن هذا قولهم أُسد غيل قال طرفة

أُسُد غيل فاذا ما شربوا • وهبوا كلّ أَمون وطِمِرّ

وقد أملينا جميع ما في الغَيْل والغِيل وقوله تطول القصار والطوالَ تطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فَعُل وهو ما يقع في نفسه انتقالا لا يتعدى الى مفعول نحو ما كان كريما فكَرُم وما كان وضيعا او لقد وَضُع وما كان شريفا او لقد شَرُف وكان الشئ صغيرا فكَبُر وكذلك كان قصيرا فطال وأصله طَوُل وقد أخبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ما قبلهما وهما متحركتان وعلى ذلك يقال في الفاعل فَعيل نحو شريف وكريم وطويل فاذا قلت طاولني فطُلتُه أي فعلوته طولا فتقديره فعَل نحو خاصمني فخصَمتُه وضاربني فضربته وفاعله طائل كقولك ضارب وخاصم وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الرَّبعة واذا مشى مع الطوال طالهم وقال رباح ابن سُنَيح الزنجي مولى بني ناجية وكان فصيحا يجيب جريرا لما قال جرير

لا تطلبنّ خُؤولةً في تغلب • فالزنج أكرم منهم اخوالا

فضرب رباح فذكر أكثر من ولدته الزنج من اشراف العرب في قصيدة مشهورة معروفة يقول فيها

والزنج لولا قيتَهم في صفهم • لاقيتَ ثَمَّ جحاجحا أبطالا

ما بال كلب بني كليب سبّهم • ان لم يوازن حاجبا وعقالا

وقعت على واحدة غير التي آثرها صاحبه ولربما سبق الرجل الى الواحدة وقد كان صاحبه يريدها في نفسه غير ان ذلك لا يكون الا في الفرط ولو كانت شهواتهم ودواعيهم تتفق على واحدة بعينها لكان في ذلك التمانع والتجاذب والمبادرة وسوء المخالطة والمواكلة وكذلك هو في شهوة النساء والاماء والمراكب والكسى وهذا كثير والعلم به قليل وبأقل مما قلنا يعرف العاقل صواب

ان الفرزدق صخرة عادية • طالت فليس تنالها الاجبالا

يريد طالت الاجبال فليس تنالها ثم نعود الى ذكر الباب وقال مروان بن أبى حفصة وهو مروان ابن سليمان بن يحيى بن يحيى بن أبى حفصة واسم أبى حفصة يزيد

انّ الغوانى طالما قتلننا • بعيونهنّ ولا يدين قتيلا

من كل آنسة كأنّ حجالها • ضمنّ أحور فى الكناس كحيلا

أردين عروة والمرقش قبله • كلّ أصيب وما أطاق ذهولا

ولقد تركن أبا ذؤيب هائما • ولقد تبلن كثيرا وجميلا

وتركن لابن أبى ربيعة منطقا • فيهن أصبح سائرا محمولا •

الا أكن ممن قتلن فاننى • ممن تركن فؤاده مخبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال ودى يدى وكل ما كان من فعل مما فاؤه واو ومضارعه يفعل فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة وكذلك ما كان منه على فعل يفعل لان العلة فى سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن فى يدين علة أخرى وهى ان الياء التى هى لام الفعل بعد كسرة فهى تعتلّ اعتلال آخر يرمى وأوله يعتل اعتلال واو يعد واحتمل علتين لان بينهما حاجزا ومثل ذلك وعى يعى ووقى يقى ووفى يفى ووشى يشى وونى فى أمره ينى وما أشبه ذلك ويقع فى فعل نحو ولى الامير الآن يلى فاذا أمرت كان الفعل على حرف واحد فى الوصل لاتصاله بما بعده تقول يا زيد ع كلاما وش ثوبا وتقول ل عمرا يا زيد من وليت فاذا وقفت قلت له وشه وقه لا يكون الا ذلك لان الواو تسقط فتبتدئ بمتحرك فلا يحتاج الى ألف وصل فاذا وقفت احتجت الى ساكن تقف عليه فأدخلت الهاء لبيان الحركة فى الاول ولم يجز الا ذلك ومن قال لك الفظ لى بحرف واحد غير موصول فقد سألك محالا لانك لا تبتدئ الا بمتحرك ولا تقف الا على ساكن فقد قال لك الفظ لى بساكن متحرك فى حال وقوله ضمنّ يقول ضمن القبر زيدا وضمن القبر زيد كل صحيح فمن قال ضمن القبر زيدا فانما أراد جعل القبر ضمين زيد ومن قال ضمن زيد القبر فانما أراد جعل زيد فى ضمن القبر وينشد هذا البيت على وجهين (لأبى حية النميرى)

وما غائب من غاب يرجى ايابه • ولكنه من ضمن اللحد غائب

مذهبنا والله تعالى نسأل التوفيق وهو الذى خالف بين طبائعهم وأسبابهم حتى لا يتفق على تخرص خبر واحد لان فى اتفاق طبائعهم وأسبابهم فى جهة الاخبار فساد أمورهم وقلة فوائدهم واعتبارهم وفى فساد أخبارهم فساد متاجرهم والعلم بما غاب عن أبصارهم وبطلان المعرفة بانبيائهم ورسلهم عليهم السلام ووعدهم ووعيدهم وأمرهم ونهيهم وزجرهم ورغبتهم

ومن روى مَن ضُمِّنَ الحدَ فانّه يريد من ضُمِّنَه الحدُ وحذف الهاء من صلة مَن وهذا من الواضح الذي لا يحتاج الى تفسير وقوله أحورَ يعني ظبيًا وأهل الغريب يذهبون الى أن الحَوَرَ في العين شدةُ سوادِ سوادها وشدةُ بياضِ بياضها والذي عليه العرب انما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد وقد فسرنا الحَوَرَ والحَواريَّ والكِناس حيث تَكنِسُ البقرةُ والظبيةُ وهو أن تتخذ في الشجرة العاديّة كالبيت تأوي اليه وتتعرّف فيه فيقال ان رائحته أطيب رائحة لطيب ما ترتعي قال ذو الرمة

اذا استهلّت عليه غَبيةٌ أرِجَت • مرابضُ العين حتى يأرَجَ الخشبُ
كأنه بيتُ عطّارٍ يضمّنه • لطائمَ المسكِ يحويها وتُنتهَبُ

قوله غبية هي الدفعة من المطر وعند ذلك تحرك الرائحة والأرَجُ توهّج الريح وانما يستعمل في الريح الطيبة والعِينُ جمع عيناء يعني البقرة الوحشية وبها شُبّهت المرأة فقيل حورٌ عِينٌ واللطيمةُ الابل التي تحمل العطر والبز لا تكون لغير ذلك فيقول ضُمِّنَ ظبيًا أحورَ العين أكحل وجعل الجمالَ كالكناس وقال ابن عباس في قول الله جل وعز فلا أقسم بالخُنَّس الجوار الكُنَّس قال أقسم ببقر الوحش لانها خُنْسُ الأنوف والكُنَّسُ التي تلزم الكناس وقال غيره أقسم بالنجوم التي تجري بالليل وتخنُس بالنهار وهو الاكثر وقوله أرْدَيْنَ يقول أهلكن والردى الهلاك والموت من ذا والذهول الانصراف يقال ذَهَلَ عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره (قال الله عز وجل يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت أي تسلى وتنسى عنه الى غيره) قال كثيّر

صحا قلبه يا عزّ أو كاد يذهلُ • وأضحى يريد الصرمَ أو يتدلّلُ

وقوله ولقد تبلن كثيرا وجميلا أصل التبل الترة يقال تبلي عند فلان قال حسان بن ثابت

تبلت فؤادك في المنام خريدةٌ • تسقي الضجيعَ بباردٍ بسّامِ

والخريدة الحييّة وقوله ممن ترك فؤاده مخبولا يريد الخبل وهو الجنون ولو قال مخبّلا لكان حسنا يريد مصيدا واقعا في الحبالة كما قال الاعشى

فكلّنا هائمٌ في اثر صاحبه • دانٍ وناءٍ ومخبولٌ ومختبَلُ

وخُبِّرتُ أن رجلا جافيا عشق قينة حضرية فكلّمها يوما على ظهر الطريق فلم تكلمه فظن أن ذلك حياء منها فقال يا خريدة قد كنت أحسبك عمرو بأنا بالنائم قد وتشنّينا فقالت يا ابن الحبشية

وحدودهم وقصاصهم الذي هو حياتهم والذي يعدل طبائعهم ويسوي أخلاقهم ويقوي أسبابهم والذي به يتمانعون من تواثب السباع وقلة احتراس البهائم واضاعة الاعمار وبه تكثر خواطرهم وتفكيرهم ويحسن معرفتهم ولم نقل ان العدد الكثير لا يجتمعون على الخبر الباطل كالتكذيب والتصديق ونحن قد نجد اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والدهرية وعباد المبدرة

أتجمشني بالهمز الخريدة الحيية والعروب الحسنة التبعل وفسر في القرآن على ذلك في قول عُرُبا
أترابا فقيل هن المحببات لازواجهن قال أوس بن حجر (ويقال عبيد بن الابرص

وقد لهوت بمثل الرئم آنسة) • تُصبي الحليم عروب غير مكلاح

وذكر الليثي أن رجلا أحب جارية ولم يكن يحسن مما يتوصل به الى النساء شيئا الا أنه كان يحفظ القرآن فكان يتوصل اليها بالآية بعد الآية فكان ان وعدته فأخلفته فتحين وقت مرورها فقال يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون وان خرجت خرجة ولم يعلم بها فينتظر تحينها في أخرى قتلا ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وان وشى به اليها واش كتب اليها يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة • وذكروا أن أبا القمقام بن بحر السقاء عشق جارية مدينية فبعث اليها ان اخوانا لي زاروني فابعثي الي برؤس حتى نأكلها ونصطبح على ذكرك ففعلت فلما كان اليوم الثاني بعث اليها ان القوم مقيمون لم نفترق فابعثي الي بقلية جزورية وبقرية قد يتغدى حتى نتغداها ونصطبح على ذكرك فلما كان في اليوم الثالث بعث اليها انا لم نفترق فابعثي الي بسنبوسك حتى نصطبح اليوم على ذكرك فقالت لرسوله اني رأيت الحب يحل في القلب ويفيض الى الكبد والأحشاء وان حب صاحبنا هذا ليس يجاوز المعدة وخبرت أن أبا العتاهية كان قد استأذن في أن يطلق له أن يهدي الى أمير المؤمنين المهدي في النيروز والمهرجان فأهدى في أحدهما برنية ضخمة فيها ثوب ناعم مطيب قد كتب في حواشيه

نفسي بشيء من الدنيا معلقة • الله والقائم المهدي يكفيها

اني لأيأس منها ثم يطمعني • فيها احتقارك للدنيا وما فيها

فهم بدفع عتبة اليه فجزعت وقالت يا أمير المؤمنين حرمتي وخدمتي أتدفعني الى رجل قبيح المنظر بائع جرار ومكتسب بالعشق فأعفاها وقال املؤا هذه البرنية مالا فقال للكتاب أمر لي بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن اذا شئت أعطيناك دراهم الى أن يفصح بما أراد فاختلف في ذلك حولا فقالت عتبة لو كان عاشقا كما زعم لم يكن يختلف منذ حول في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذكري صفحا وحدثت أبا الحرث جمين واحدة كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلني الله فداك لا أسمع للغداء ذكرا قالت أما تستحيي أما في وجهي ما يشغلك

يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم وينكرون آياته وأعلامه ويقولون لم يأت بشيء ولا بان بشيء وانما قلنا ان العدد الكثير لا يتفقون على نفي مثل أخبارهم ان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب التهامي الابطحي عليه السلام خرج بمكة ودعا الى كذا وأمر بكذا ونهى عن كذا وأباح كذا وجاء بهذا الكتاب الذي نقرؤه فوجب العمل بما فيه وانه تحدى البلغاء والخطباء والشعراء بنظمه

عن ذا قال لها جعلني الله فداك لو أن جميلا وبثينة قعدا ساعة لا يأكلان شيئا لبزق كل واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا وأُنشدتُ لاعرابي

وقد رابني من زهدكم أنّ زهدكما * يشدّ على خبزي ويبكي على جُملي

فلو كنتَ عُذريَّ العلاقة لم تكن * سمينا وأنساكَ الهوى كثرةَ الأكلِ

وقال أعرابي

ذكرتُكِ ذكرةً فاصطدتُ ضبّاً * وكنتُ اذا ذكرتُكِ لا أخيب

وقال ذو الرمة

ألم تعلمي يا ميَّ أنّا وبيننا * مهاوٍ لطرف العين فيهنّ مطرح

ذكرتُكِ ان مرّت بنا أمُّ شادنٍ * أمامَ المطايا تشرئبُّ وتسنحُ

من المؤلفات الرملَ أدماءُ حرّةٌ * شُعاعُ الضحى في لونها يتوضّحُ

هي الشِبْهُ أعطافا وجيدا ومقلةً * وميّةُ أبهى بعدُ منها وأملحُ

كأنّ البُرى والعاجَ عيجت متونُهُ * على عُشَرٍ نهّى به السيلُ أبطحُ

لئن كانت الدنيا عليَّ كما أرى * تباريحَ من ذكراكِ للموتُ أروحُ

قوله مها وواحدتها مهواة وهو الهواء بين الشيئين ويقال لفلان في داره مطرح اذا وصفها بالسعة يقال فلان يطرح بصره كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه

نظّارةٌ حين تعلو الشمسُ راكبها * طرحا بعيني لياحٍ فيه تحديدُ

اللياح من البياض واللَّوحُ العطش واللُّوحُ الهواء. والشادن الذي قد شدن أي تحرك وقوله تشرئبّ يقال اذا وقف ينظر كالمتحير قد اشرأبّ نحوي ويقال هو يسنح في المرعى وقوله من المؤلفات يقال آلفتُ المكانَ أولفه ايلافا ويقال ألفتُه ألفا وفي القرآن لايلاف قريش ايلافهم وقرؤا ألفهم على القصر وقوله الرملَ النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض على شيء نذكره بعد الفراغ من هذا الباب ان شاء الله وأصل الهجان الابيض والعطف ما انثنى من العنق قال ثانيَ عطفه ويقال للأردية العُطُف لانها تقع على ذلك الموضع وفي الحديث ان قوما يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قانفا لنسبهم في قريش فقال اخرجوا بنا الى البقيع فنظر الى أكفهم ثم قال اطرحوا العُطُف واحدها عطاف ثم أمرهم فاقبلوا وأدبروا وانما أقبل عليهم فقال ليست بأكف قريش ولا شمائلها فاعطاهم فيمن هم منه والجيدُ العنق والبُرى

الخلاخيل

وتأليفه في المواضع الكثيرة والمحافل العظيمة فلم يرم ذلك أحد ولا تكلفه ولا أتى ببعضه ولا شبيه منه ولا ادعى انه قد فعل فيكون ذلك الخبر باطلا وليس قول جمعهم انه كان كاذبا معارضة لهذا الخبر الا ان يسموا الانكار معارضة وانما المعارضة مثل الموازنة والمكايلة فتى قابلونا باخبار في وزن أخبارنا ومخرجها ومجيئها فقد عارضونا ووازنونا وقابلونا وقد تكافينا وتدافعنا فاما الانكار

الخلاخيل واحدتها بُرَةٌ وهى من الناقة التى تقع فى مارن الانف والذى يقع فى العظم يقال له الخشاشُ والعاج كان يتخذ مكان الأسورة قال جرير

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْناً بكوعها ● لها مَسَكاً من غير عاجٍ ولا ذَبْلِ

العبس ما يتعلق من الأبعار والبول بأذناب الابل والوذَحُ الذى يتعلق بأطراف ألاء الشاء ويكون العبس فى أذناب الابل من البول اذا خَثُرَ والجون ههنا الاسود وهو الاغلب فيه والكوع رأس الزَّند الذى يلى الابهام والكُرسوع رأسه الذى يلى الخنصر والمَسَكَةُ السوارُ والذَّبْلُ شئ يتخذ من القرون كالاسورة ويقال سِوارٌ وسُوارٌ وإسوارٌ قالت الخنساءُ ● كانه تحت طَيِّ البُردِ اسوارُ ●

والعشر شجر بعينه والابطح ما انبطح من الوادى يقال أبْطَحُ وبَطْحاء يافتى وأبْرَقُ وبَرْقاءُ وأمْعَزُ ومَعْزاءُ وهذا كثير والتباريح الشدائد يقال بَرَّح به وفى الحديث فأين أصحاب النهر قال لقوا بَرَحاً والعرب لا تعرفه الا ساكن الراء قال جرير

ما كنتُ أوَّلَ مشعوفٍ أضَرَّبه ● بَرْحُ الهوى وعذابٌ غيرُ تفتيرِ

(قال أبو الحسن وقد سمعنا من غير أبى العباس يقال لقيت منك بَرَحاً بالفتح ويقال لقى منه البُرَحِينَ أى الدواهىَ الشدادَ التى تُبَرِّحُ) قال أبو العباس فى المثل السائر قيل لرجل ما أخفى قال ما لم يكن وفى تفسير هذه الآية يَعلَمُ السرَّ وأخفى قال ما حدَّثت به نفسك كما قال أوْ كنتم فى أنفسكم وتقديره فى العربية وأخفى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظمَ وانه لكالبقة أو أصغرُ ولو قال رأيت زيدا أو شبيه الجاز لان فى الكلام دليلا ولو قال رأيتُ الجمل أو راكبا وهو يريد عليه لم يجز لانه لا دليل فيه والأوّل انما قرَّب شيأ من شئ وههنا انما ذكر شيأ ليس من شَكْلِ ما قبله فأما قوله جل ثناؤه وهو أهْوَنُ عليه ففيه قولان أحدهما وهو المرضى عندنا انما هو وهو عليه هَيِّنٌ لان الله جل وعز لا يكون عليه شئ أهْوَنَ من شئ آخر وقد قال مَعْنُ بن أوس

لَعَمْرُكَ ما أدرى وانى لأوْجَلُ ● على أيِّنا تغدو المَنِيَّةُ أوَّلُ

أراد وانى لَوَجِلٌ وكذلك يتأوَّلُ ما فى الاذان الله أكبر الله أكبر أى الله كبير لانه انما يُفاضَلُ بين الشيئين اذا كانا من جنس يقال هذا أكبر من هذا اذا شاكَلَهُ فى باب فأما الله أجْوَدُ من فلان والله أعلمُ بذلك منك فوجهه بَيِّنٌ لانه من طريق العلم والمعرفة والبَذْلِ والاعطاء وقوم يقولون اللهُ

فليس بحجة كما ان الاقرار ليس بحجة ولا تصديقنا النبى صلى الله عليه وسلم حجة على غيرنا ولا تكذيب غيرنا له حجة علينا وانما الحجة فى المجىء الذى لا يمكن فى الباطل مثله فان قلت وأى مجىء أتيت خبر النصارى عن عيسى ابن مريم عليه السلام وذلك انك لو سألت النصارى مجتمعين ومتفرقين لخبروك عن أسلافهم ان عيسى قد قال انى اله قلنا قد علمنا ان نصارى عصرنا لم

أكبر من كل شيء وليس يقع هذا على محض الرؤية لانه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وكذلك قول الفرزدق

ان الذي سمك السماء بنى لنا • بيتا دعائمه أعز وأطول

جائز أن يكون قال الذي يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما يجري من المخاطبة والمفاخرة وجائز أن تكون دعائمه عزيزة طويلة قال الراجز

قبحتم يا آل زيد نفرا • ألأم قوم أصغروا أكبرا

يريد صغارا وكبارا فأما قول مالك بن نويرة في ذؤاب بن ربيعة حيث قتل عتيبة بن الحرث بن شهاب وفخر بني أسد بذلك مع كثرة من قتلت بنو يربوع منهم

فخرت بنو أسد بمقتل واحد • صدقت بنو أسد عتيبة أفضل

فانما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلام وقد أبان ما قلنا في بيته الثاني بقوله

فخروا بمقتله ولا يوفي به • مثنى سراتهم الذين نقتل

والقول الثاني في الآية وهو أهون عليه عندكم لان اعادة الشيء عند الناس أهون من ابتدائه حتى يجعل شيأ من لا شيء ثم نعود الى الباب قال زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة • ولو خالها تخفى على الناس تعلم

فهذا مثل المثل الذي ذكرناه وقال عمرو بن العاص اذا أنا أفشيت سري الى صديقي فأذاعه فهو في حل فقيل له وكيف ذاك قال أنا كنت أحق بصيانته وقال امرؤ القيس

اذا المرء لم يخزن عليه لسانه • فليس على شيء سواه بخزان

وأحسن ما سمع في هذا ما يعزى الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقائل يقول هو له ويقول آخرون قاله متمثلا ولم يختلف في أنه كان يكثر انشاده

فلا تفش سرك الا اليك • فان لكل نصيح نصيحا

واني رأيت غواة الرجا • ل لا يتركون أديما صحيحا

وذكر العتبي أن معاوية أسر الى عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان حديثا قال عثمان فجئت الى أبي فقلت ان أمير المؤمنين أسر الي حديثا أفأحدثك به قال لا انه من كتم حديثه كان الخيار اليه ومن أظهره كان الخيار عليه فلا تجعل نفسك مملوكا بعد ان كنت مالكا فقلت له أويدخل هذا بين الرجل

يكذبوا على القرن الذي كان قبلهم والذين كانوا بلونهم ولكن الدليل على ان أصل خبرهم ليس كفرعه ان عيسى عليه السلام لو قال اني اله لما أعطاه الله تعالى احياء الموتى والمشي على الماء على ان في عيسى عليه السلام دلالة في نفسه انه ليس باله وانه عبد مدبر ومقهور ميسر وليس خبرهم هذا الا كأخبار النصارى عن آبائهم والقرن الذي يليهم ان بولس قد كان جاء بالآيات

وأبيه فقال لا ولكني أكره أن تذلّل لسانك بإفشاء السر قال فرجعت الى معاوية فذكرت ذلك
له فقال معاوية أعتقك أخي من رق الخطأ وقال معاوية أُعنتُ على علي رحمه الله بأربع كنتُ
رجلاً أكتم سري وكان رجلاً ظُهَرَةً وكنتُ في أطوعِ جُندٍ وأصلحه وكان في أخبث جند وأعصاه
وتركته وأصحابَ الجمل وقلت ان ظفروا به كانوا أهونَ عليّ منه وان ظفر بهم اعتددتُ بها عليه
في دينه وكنتُ أحبَّ الى قريش منه فيالكَ من جامع اليَّ ومفرّق عنه وعونٍ لي وعونٍ عليه وقال
أرْدَشيرُ الداءُ في كل مكتوم وقال الاخطل

ان العداوة تلقاها وان قَدُمَتْ * كالعُرِّ يكمُنُ حيناً ثم ينتشرُ

وقال جميلٌ

ولا يَسْمَعَنْ سري وسرَّكِ ثالثٌ * ألا كلُّ سرٍّ جاوزَ اثنين شائعُ

وقال آخر وهو مِسكين الدارميّ

وفتيانِ صدقٍ لستُ مُطْلِعَ بعضهم * على سرِّ بعضٍ غير أني جِماعُها
يَظَلُّونَ في الارض الفضاءِ وسِرُّهُمْ * الى صخرةٍ أعيا الرجالَ انصداعُها
(لكل امرئٍ شِعبٌ من القلب فارغٌ * وموضعُ نجوى لا يُرامُ اطّلاعُها)

وقال آخر

سأكتم سرِّي وأحفظ سرَّه * ولا غرّني أنّي عليه كريمُ
حليمٌ فينسى أو جهولٌ يُضيعُهُ * ولا الناسُ الا جاهلٌ وحليمُ

وكان يقال أصبرُ الناس مَن صبر على كتمان سرّه ولم يُبْدِه لصديقه فيوشكُ أن يصير عدوًّا فيذيعَه

وقال آخر

ولي صاحبٌ سرّي المُكَتَّمُ عنده * مخاريقُ نيرانٍ بليلٍ تُحَرَّقُ
عَطَفْتُ على أسراره فكسوتُها * ثياباً من الكتمان لا تتخرّقُ
فمن تكن الاسرارُ تَطْفُو بصدره * فأسرارُ صدري بالاحاديث تُغْرَقُ
فلا تودعنَّ الدهرَ سرَّكَ أحمقاً * فانكَ ان أودعتَهُ منه أحمقُ
وحَسْبُكَ في سَتْرِ الاحاديث واعظاً * من القول ما قال الاريبُ الموفَّقُ
اذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرِّ نفسه * فصدرُ الذي يَسْتَوْدِعُ السرَّ أضيقُ

وقال كَعْبُ بن سَعْدٍ الغَنَوِيُّ

ولستُ بمُبْدٍ للرجال سريرتي * وما أنا عن أسرارهم بسؤولِ

والعلامات والأخبار المأثورة عن القرن الذي كان يليهم منهم أن ماني قد كان جاءهم بالآيات والعلامات والأخبار المجوس عن آبائهم الذين كانوا يلونهم ان زرادشت قد جاءهم بالآيات والعلامات وقد علمنا ان هؤلاء النصارى لم يكذبوا على القرن الذي كان يليهم ولا الزنادقة ولا المجوس ولكن الدليل على أصل خبرهم ليس كفرعه لأن الله تعالى جل وعز لا يعطي العلامات من

(ولا آنا بوما الحديث سمعته * الى ههنا من ههنا بنقول)

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله ان هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عنى ثلاثا لا يجربن عليك كذبا ولا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا فقيل لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال بعض المحدثين

لى حيلة فيمن ينم وليس فى الكذاب حيله * من كان يخلق ما يقو ل فحيلتى فيه قليله

وقال آخر (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد)

ان النموم أغطى دونه خبرى * وليس لى حيلة فى مفترى الكذب

وقال بعض المحدثين

كتمت الهوى حتى اذا نطقت به * بوادر من دمع تسيل على خدى

وشاع الذى أضمرت من غير منطق * كأن ضمير القلب يرشح من جلدى

وقال جميل بن عبد الله بن معمر العذرى

اذا جاوز الاثنين سر فانه * بنث وافشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أى قريب من ذلك هذه حقيقته يقال قمن وقمين فى معنى قال الحرث بن خالد المخزومى

من كان يسأل عنا أين منزلنا * فالأقحوانة منا منزل قمن

وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من باع دارا أو عقارا فلم يردد ثمنه فى مثله فذلك مال قمن الا يبارك فيه وقال الرقاشى

اذا نحن خفنا الكاشحين فلم نطق * كلاما تكلمنا بأعيننا سرا

فنقضى ولم يعلم بنا كل حاجة * ولا نكشف النجوى ولا نهتك السترا

وقال معاوية لعياش بن صحار العبدى ما أقرب الاختصار قال لمحة دالة وقيل خير الكلام ما أغنى اختصاره عن اكثاره وقيل النمام سهم قاتل وقال بعض المحدثين

لا أكتم الأسرار لكن أنمها * ولا أدع الأسرار تغلى على قلبى

لا يعرفه لان بولس ان كان عنده أن عيسى عليه السلام اله فهو لا يعرف الله تعالى بل لا يعرف الربوبية من العبودية والبشرية من الالهية

(فصل منه) والنصارى خاصة رياء عجيب وظاهر زهد والناس أبطأ شىء عن التصفح وأسرع شىء الى تقليد صاحب السن والسمت وظاهر العمل أدعى لهم من العلم

(فصل منه على ذكرهم) وكل قوم بنوا على حب الاشكال وشد الرحال

وان أحقّ الناس بالسخف لامرؤ • تقلبه الأسرار جنبا الى جنب

وقال آخر   وأمنع جارتي من كل خير • وامشي بالنميمة بين صحبي

ويقال النمام القتّات وفي الحديث لا يراح القتّات رائحة الجنة وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الله المثلث فقيل يا رسول الله ومن المثلث فقال الذي يسعى بصاحبه الى سلطانه فيهلك نفسه وصاحبه وسلطانه وقال معاوية للاحنف بن قيس في شيء بلغه عنه فانكر ذلك الاحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال له الاحنف يا أمير المؤمنين ان الثقة لا يبلغ وقال أحد الماضين (وهو طريح بن اسمعيل الثقفي)

ان يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا • شرا أذيع وان لم يسمعوا كذبوا

وقال المهلب بن أبي صفرة أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسرّ اليه ويقال النكاح السرّ على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يذكر الشيء بالشيء وهذا حرف يغلط فيه لان قوما يجعلون السرّ الزنى وقوم يجعلونه الغشيان وكلا القولين خطأ انما هو الغشيان من غير وجهه قال الله تبارك وتعالى ولكن لا تواعدوهن سرًّا الا ان تقولوا قولا معروفا فليس هذا موضع الزنى وقال الحطيئة

ويحرم سر جارتهم عليهم • ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال الاعشى لسلامة ذي فائش الحميري

وقوم ان يضمنوا جارة • وكانوا بموضع أنضادها

فلن يطلبوا سرّها للغنى • ولن يسلموها لازهادها

في هذا قولان أحدهما انهم لا يطلبون اجترارها اليهم على رغم أوليائها من أجل مالها غصبا للجوار ولا يسلمونها اذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة والآخر انهم لا يرغبون في ذوات الاموال وانما يرغبون في ذوات الأحساب اختيارا للاولاد وصيانة للاصهار ان يطمع فيهم من لا حسب له وقول الحطيئة • ويأكل جارهم أنف القصاع • انما يريد المستأنف الذي لم يؤكل قبل منه شيء يقال روضة أنف اذا لم ترع وكأس أنف اذا لم يشرب منها شيء قبل قال لقيط بن زرارة

ان الشواء والنشيل والرغف • والقينة الحسناء والكأس الأنف

• للطاعنين الخيل والخيل خنف •

يشتد وجدهم به وحبهم له حتى ينقلب الحب عشقا والوجد صبابة لانسا كله التي بين الطبائع والمناسبة التي بين النفوس وعلى قدر ذلك يكون البغض والحقد لان النصارى حين جعلوا ربهم انسانا مثلهم بخعت نفوسهم بالاهبته له لتوهمهم الربوبية وسمحت بالمودة لتوهمهم البشرية فلذلك قدروا من العبادة على ما لم يقدر عليه سواهم وبمثل هذا السبب صارت المشبهة منا أعبد

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا ان نخرج فيه من حزن الى سهل ومن جد الى هزل ليستريح اليه القارئ ويدفع من مستمعه الملال ونحن ذاكرون ذلك ان شاء الله تعالى قال بكر بن النطاح فى كلمة له يمدح فيها مالك بن على الخزاعى

عرضت عليها ما أرادت من المنى • لترضى فقالت قم فجئنا بكوكب
فقلت لها هذا التعنت كله • كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب
فلو اننى أصبحت فى جود مالك • وعزته ما نال ذلك مطلبى
فتى شقيت أمواله بسماحه • كما شقيت قيس بأرماح تغلب

وقال الخليع فى كلمة له يمدح بها عاصما الغسانى

أقول ونفسى بين شوق وحسرة • وقد شخصت عينى ودمعى على خدى
أريحى بقتل من تركت فؤاده • بلحظته بين التأسف والجهد
فقالت عذاب فى الهوى قبل ميتة • وموت اذا أقرحت قلبك من بعدى
لقد فطنت للجور فطنة عاصم • لصنع الايادى الغر فى طلب الحمد
سأشكوك فى الاشعار غير مقصر • الى عاصم ذى المكرمات وذى المجد
لعل فتى غسان يجمع بيننا • فتأمن نفسى منكم لوعة الصد

وقال اسمعيل بن القاسم

ان السلام وان البشر من رجل • فى مثل ما أنت فيه ليس يكفينى
هذا زمان ألح الناس فيه على • زهو الملوك وأخلاق المساكين
أما علمت جزاك الله صالحة • عنى وزادك خيرا يا ابن يقطين
أنى أريدك للدنيا وعاجلها • ولا أريدك يوم الدين للدين

وقال يزيد بن محمد بن المهلب المهلبى فى كلمة يمدح بها اسحق بن ابراهيم

ان أكن مهديا لك الشعر انى • لابن بيت تهدى له الاشعار
غير انى أراك من أهل بيت • ما على الارض بسودد وفخار

وقال أيضا فى كلمة أخرى وإذا جدت فكل شىء نافع • واذا حدت فكل شىء ضائر

عمن ينفى التشبيه حتى رعاراًيته يتنفس من الشوق اليه ويشهق عند ذكر الزيارة ويبكى عند ذكر الرؤية ويغشى عليه عند ذكر رفع الحجب وما ظنك بشوق من طمع فى مجالسة ربه جل جلاله ومحادثة خالقه عز ذكره ولقد قالت القوم غول ودعاهم أمر فانظر ماهو وان سألتنى عنه خبرتك انما هو نتيجة أحد أمرين اما تقليد الرجال واما طلب تعظيمهم ولذلك السبب لم ترض اليهود

وإذا أتاكَ مُهلّبيٌّ في الوغى • والسيفُ في يدِهِ فنعمَ الناصرُ

وقال عبد الله بن الزُّبَير لما أتاه قتلُ مُصعَب بن الزبير أشهِدَهُ المُهلَّبُ بن أبي صُفرة قالوا لا كان المهلب في وجوه الخوارج قال أفشهده عبَّادُ بن الحُصَين الحَبَطيُّ قالوا لا قال أفشهده عبد الله بن خازم السُّلَميُّ قالوا لا فتمثّل عبد الله بن الزُّبَير فقال

فقلتُ لها عيثي جَعارِ وجَرِّري • بلحمِ امرئٍ لم يَشهدِ اليومَ ناصرُهْ

جَعارِ اسم من أسماء الضَّبُع وهي صفة غالبة لانه يقال لها جاعرة فهذا في بابه كفَساقِ ولَكاعِ وحَلاقِ للمنية وقد فسرنا هذا الباب مُستقصًى على وجوهه الاربعة وروى ان ابنة جارية لهَمَّام بن مُرَّة بن ذُهل بن شَيبان قالت له يوما

أهمامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قلبي • الى اللّاتي يَكُنَّ مع الرجالِ

فقال يا فَساقِ أردتِ صَفيحةً ماضيةً فقالت

أهمامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قلبي • الى صَلعاءَ مُشرِفةِ القَذالِ

فقال يا خَبارِ أردتِ بيضةً حصينة فقالت

أهمامُ بنَ مُرَّةَ حَنَّ قلبي • الى أيرٍ أُسَدُّ به مَبالي

قال فقتلها قال أبو العباس قال أبو الشَّمَقمَق وهو مروانُ بن محمد وزعم التَّوَّزيُّ عن أبي عبيدة قال أبو الشمقمق ومنصور بن زياد ويحيى بن سُلَيم الكاتبُ من أهل خُراسانَ من بُخاريةِ عبيد الله ابن زياد (وبُخاريةُ اسم قرية من قرى خراسان وبها كان عبيد الله بن زياد) وكان أبو الشمقمق ربما لحَنَ ويَهزِلُ كثيرا ويُجِدُّ فيكثر صوابه قال يمدح مالك بن علي الخزاعيَّ ويذُمُّ سعيد بن سَلْم الباهليَّ

قد مَرَرنا بمالكٍ فوجدنا • هُ جوادًا الى المكارم يَنمي

ما يبالي أتاه ضَيفٌ مُخِفٌّ • أم أتته يأجوجُ من خَلفِ رَدمِ

فانتهينا الى سعيد بن سَلْمٍ • فاذا ضيفُه من الجوع يَرمي

واذا خبزُهُ عليه سيكفيـ • ـكَهُمُ الله ما بدا ضوءُ نجمِ

واذا خاتمُ النبيِّ سُلَيما • نَ بنِ داودَ قد علاه بختمِ

فارتحلنا من عند هذا بحمدٍ • وارتحلنا من عند هذا بذمِّ

من انكار حقه بتكذيبه حتى طلبت قتله وصلبه والمثلة به ثم لم ترض بذلك حتى زعمت انه لغير رشدة فلو كانت دون هذه المنزلة منزلة لما انتهت اليهود دون بلوغها ولو كانت فوق ما قالت النصارى منزلة لما انتهت دون غايتها وبذلك السبب صارت الرافضة أشد صبابة وتحرقا وأفرط غضبا وأدوم حقدا وأحسن تواصلا من غيرهم أيضا ورب خبر قد كان فاشيا فدخل عليه

وقال عبد الصمد بن المعذّل يرثى سعيد بن سلم

كم صغير جبرته بعد يتم • وفقير نعشته بعد عدم

كلما عضّت الحوادث نادى • رضى الله عن سعيد بن سلم

وقال سعيد بن سلم عرض لى اعرابى فمدحنى فبلغ فقال

الا قل لسارى الليل لا تخش ضلة • سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا سيد اربى على كل سيد • جواد حثا فى وجه كل جواد

قال فتأخرت عن برّه قليلا فهجانى فبلغ فقال

لكل أخى مدح ثواب يعده • وليس لمدح الباهلى ثواب

مدحت ابن سلم والمديح مهزة • فكان كصفوان عليه تراب

وقال أبو الشمقمق قال لى الناس زر سعيد بن سلم • قلت للناس لا أزور سعيدا

وأميرى فتى خزاعة بالبصرة قد عمّها اسماحا وجودا

ولنعم الفتى سعيد ولكن • مالك أكرم البرية عودا

فقال سعيد لوددت انه لم يكن ذكرنى مع مالك وانه أخذ منى أمنيته وقال أبو الشمقمق أيضا

هيهات تضرب فى حديد بارد • ان كنت تطمع فى نوال سعيد

والله لو ملك البحار بأسرها • وأتاه سلم فى زمان مدود

يبغيه منها شربة لطهوره • لأبى وقال تيممن بصعيد

(ومثله قول الآخر لو ان قصرك يا ابن يوسف كله • ابر يضيق بها فضاء المنزل

وأتاك يوسف يستعيرك ابرة • ليخيط قد قميصه لم تفعل)

وقال مسلم بن الوليد دعوتك لا يقضى الزمان غريمها • وبخلك بخل الباهلى سعيد

سعيد بن سلم الأم الناس كلهم • وماقومه من بخله ببعيد

يزيد له فضل ولكن مزيدا • تداركنا مجده بيزيد

خزيمة لا بأس به غير انه • لمطبخه قفل وباب حديد

وقال عبد الصمد بن المعذل يرثى عمرو بن سعيد بن سلم وكان عمرو هلك بعد سعيد بيسير

من العلل ما منعه من الشهرة ورب خبر ضعيف الأصل واهن المخرج قد تهيأ له من الاسباب ما يوجب الشهرة

(فصل منه) واعلم ان لاكثر الشعر طعنا وحظوظا كالبيت يحظى ويسير حتى يحظى صاحبه بحظه وغيره من الشعر أجود منه وكالمثل يحظى ويسير وغيره من الامثال أجود وماضاع من كلام الناس وضل أكثر مما حفظ وحكى واعتبر ذلك من نفسك وصديقك

رُزِئنا أبا عمرٍو فقلنا الناعمرو • سيكفيكَ ضوءُ البدرِ غيبوبةَ البدرِ

وكان أبو عمرٍو مُعارًا حياتُهُ • بعمرٍو فلما ماتَ ماتَ أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيدُ يومًا لسعيد بن سَلْم يا سعيدُ مَنْ بيتُ قيسٍ في الجاهلية قال يا أمير المؤمنين بنو فَزارة قال فمَنْ بيتهم في الإسلام قال يا أمير المؤمنين مَنْ شرَّفتموه قال صدقتَ أنت وقومُكَ

وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي قال حدثني رجل من أهل مكة قال رأيت في منامي سعيد بن سَلْم في حياته وفي نعمته وكثرة عَدَد ولده وحُسْن مذهبه وكمال مُروءته قال فقلتُ في نفسي ما أجَلَّ ما أُعطيَهُ سعيدُ بن سَلْم فقال لي قائل وما ذَخَره الله له في الآخرة أكثر وكان سعيد بن سلم إذا استقبل السَّنَة التي يَستأنف فيها عدد سنيه أعتق نَسَمةً وتصدق بعشرة آلاف درهم فقيل لمدينيّ إن سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال إذًا لا يَبيعُهُ وقال أحمد بن يوسف الكاتبُ لولد سعيد بن سلم

أبني سعيدٍ إنكم من مَعْشَرٍ • لا يَعرفون كرامةَ الأضياف

قومٌ لباهلةَ بن يَعْصُرَ إن هُمُ • نُسِبوا حَسِبتَهُمُ لعبدِ مَناف

قَرَنوا الغداءَ إلى العَشاء وقرَّبوا • زادًا لعَمْرُ أبيكَ ليس بكاف

وكأنني لما حَطَطْتُ إليهمُ • رَحْلي نزلتُ بأبرقِ العَزّاف

بينا كذاكَ أتاهمُ كُبَراؤُهُمْ • يَلحَوْنَ في التبذير والإسراف

وأنشدني المازني

سَلِ اللهَ ذا المَنِّ من فضله • ولا تسألَنَّ أبا وائلَهْ

فما سألَ اللهَ عبدٌ له • فخابَ ولو كان من باهلَهْ

(قال أبو الحسن وزادني بعض أصحابنا

تَرى الباهليَّ على خُبزِهِ • إذا رامه آكلٌ آكلَهْ)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس

أباهِلَ يَنْبَحُني كلبكم • وأُسْدُكُمُ ككلاب العرب

ولو قيل للكلب يا باهليّ • عوى الكلبُ من لُؤمِ هذا النَّسَب

وحدثني علي بن القاسم قال حدثني أبو قلابة الجَرْميّ قال جمعتنا جنازة مع أبي جَزْءِ بن عمرو بن سعيد

وجليسُه وأمر الأسباب عجيب ومن ذلك قتل علي بن أبي طالب من السادة والقادة والحماة ما عسى لو ذكرته لاستكبرته واستعظمته فاضرب الناس عن ذكرهم وجهلت العوام مواضعهم وأخذوا في ذكر عمرو بن عبد ود فرفعوه فوق كل فارس مشهور وقائد مذكور وقد قرأت على العلماء كتاب الفجار الأول والثاني والثالث وأمر المطيبين والأحلاف ومقتل أبي أزيهر ومجيء

قال وكنا فى ذراه وهو اذ ذاك شجى وضى فجلسنا فى المسجد الحرام الى أقوام من بنى الحرث بن كعب لم تر أفصح منهم فرأوا هيئة أبى بجزء واعظامنا اياه مع جماله فقال قائل منهم له أمن أهل بيت الخليفة أنت قال لا ولكن رجل من العرب قال ممن الرجل قال رجل من مضر قال أعرض ثوب الملبس من أيها عافاك الله قال رجل من قيس قال أين يراد بك صرالى فصيلتك التى تؤويك قال رجل من بنى سعد بن قيس قال اللهم غفرا من أيها عافاك الله قال رجل من بنى يعصر قال من أيها قال رجل من باهلة قال قم عنا قال أبو قلابة فاقبلت على الحارثى فقلت أتعرف هذا قال ذكر انه باهلى فقلت هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير قال حتى عددت خمسة ثم قلت هذا أبو بجزء أمير ابن عمرو وكان أميرا ابن سعيد وكان أميرا ابن سلم وكان أميرا ابن قتيبة وكان أميرا فقال الحارثى الامير أعظم أم الخليفة فقلت بل الخليفة قال أفالخليفة أعظم أم النبى قلت بل النبى قال والله لو عددت له فى النبوة أضعاف ما عددت له فى الامارة ثم كان باهليا ما عبأ الله به شيأ قال فكادت نفس أبى بجزء تخرج فقلت انهض بنا فان هؤلاء أسوأ الناس آدابا (قال أبو الحسن يقال للرجل اذا سئل عن شئ فأجاب عن غيره أعرض ثوب الملبس أى أبدى غير ما يراد منه) وحدثت أن أعرابيا لقى رجلا من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهلى قال أعيذك بالله من ذلك قال اى والله وأنا مع ذلك مولى لهم فأقبل الاعرابى يقبل يديه ويتمسح به قال له الرجل ولم تفعل ذاك قال لانى أثق بان الله عز وجل لم يبتلك بهذا فى الدنيا الا وأنت من أهل الجنة ويزعم الرقاشى أن قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند أفضى الى أثاث لم ير مثله والى آلات لم يسمع بمثلها فاراد أن يرى الناس عظيم ما فتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظهر عليهم فأمر بدار ففرشت وفى صحنها قدور يرتقى بالسلالم فاذا بالحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة الرقاشى قد أقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ كبير فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لى فى معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فأبى عبد الله الا أن يأذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى امرأة قبل ذاك فأقبل على الحضين فقال أمن الباب دخلت يا أبا ساسان قال أجل أسن عمك عن تسور الحيطان قال أرأيت هذه القدور قال هى أعظم من أن لا ترى قال ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها قال أجل ولا عيلان ولو كان رآها سمى شبعان ولم يسم عيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذى يقول

الفيل وكل يوم جمع كان لقريش فاسمعت لعمرو هذا فى شئ من ذلك ذكرا فان قلت ان نبل القاتل زيادة فى نبل المقتول فكل من قتله على بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليه أنبل منه وأحق بالشهرة ولكن أشعار ابن ود ومناقلة الصبيان فى الكتاب هما اللتان أورثتاه ما ترى وتسمع

(فصل منه فى أمر الاخبار)

وانما ذكرت هذا لتعلم ان العلم قد يكون أصله

عزلنا وأمّرنا وبكر بن وائل * تجرّ خصاها تبتغي من تحالف

قال أعرفه وأعرف الذي يقول

وخيبة من يخيب على غنيّ * وباهلة بن يعصر والركاب

(يريد يا خيبة من يخيب) قال أفتعرف الذي يقول

كأنّ فقاح الأزد حول ابن مسمع * وقد عرقت أفواه بكر بن وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذي يقول

قوم قتيبة أمّهم وأبوهم * لولا قتيبة أصبحوا في مجهل

قال أما الشعر فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيأ قال أقرأ منه الأكثر الأطيب هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا قال فأغضبه فقال والله لقد بلغني أن امرأة الحضين حملت اليه وهي حبلى من غيره قال فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله بن مسلم فأقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله غيرك هذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الحضين بيده لواء علي بن أبي طالب رحمه الله على ربيعة وله يقول القائل

لمن راية سوداء يخفق ظلّها * اذا قيل قدّمها حضين تقدّما

والحرث بن وعلة يقول الأعشى وكان قصده فلم يحمده وعرّج عنه الى هوذة بن علي ذي التاج وهوذة من بني حنيفة بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل والحرث بن وعلة من بني رقاش وهي امرأة وأبوهم مالك بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فقال الاعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذة بن علي

أتيت حريثا زائرا عن جنابة * فكان حريث عن عطائي جامدا

اذا ما رأى ذا حاجة فكأنما * يرى أسدا في بيته وأساودا

لعمرك ما أشبهت وعلة في الندى * شمائله ولا أباه مجالدا

وانّ امرأ قد زرته قبل هذه * بجوّ لخير منك نفسا ووالدا

تضيّفته يوما فقرّب مجلسي * وأصفدني على الزمانة قائدا

ضعيفا ثم يعود قويا ويكون أصله قويا فيعود ضعيفا الذي يعتريه من الأسباب ويحل به من الاعراض من لدن مخرجه ووصوله الى أن يبلغ مدته ومنتهى أجله وغاية التدبير فيه والمصلحة عليه فلما كان هذا مخوفا وكان غير مأمون على المتقادم منه وضع الله تعالى لنا على رأس كل فترة علامة وعلى غاية كل مدة أمارة ليعيد قوة الخير ويجدد ما قد درس من أنبا.

وأمتعني على العشا بوليـــدة • فأبت بخير منـــك يا هوذ حامدا

فتى لو يباري الشمس ألقت قناعها • أو القمر الساري لألقى المقالدا

يرى جمع ما دون الثلاثين قصرة • ويعدو على جمع الثلاثين واحدا

وهي كلمة قوله أتيت حويثا يريد الحرث وتصغيره على لفظه حويرث وهذا التصغير الآخر يقال له الترخيم وهو أن تحذف الزوائد من الاسم ثم تصغر حروفه الاصلية فتقول في تصغير أحمد حميد لانه من الحمد وفي الحرث حريث لانه من الحرث وفي غضبان غضيب لانه من الغضب لان الالف والنون زائدتان وكذلك ذوات الاربعة تقول في تصغير قنـديل على لفظه قنيديل فان صغرته مرخما حذفت الياء فقلت قنيدل فعلى هذا مجرى الباب وقوله عن جنابة يقول عن غربة وبعد يقال هم نعم الحي لجارهم جار الجنابة أي الغربة يقال رجل جنب ورجل جانب أي غريب قال الله جل وعز والجار الجنب وقال الحطيئة

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا • في آل لأي بن شماس بأكياس

وقال علقمة بن عبدة فلا تحرمني نائلا عن جنابة • فاني امرؤ وسط القباب غريب

فمن قال للواحد جنب قال للجميع أجناب كقولك عنق وأعناق وطنب وأطناب ومن قال للواحد جانب قال للجميع جناب كقولك راكب وركاب وضارب وضراب قالت الخنساء

ابكي أخاك لايتام وأرملة • وابكي أخاك اذا جاورت أجنابا

وان كان من الجنابة التي تصيب الرجل قلت رجل جنب ورجلان جنب وكذلك المرأة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جنبان وامرأة جنبة وقوم أجناب وقوله يرى أسدا في بيته وأساودا يريد جمع أسود سالخ وأسود ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك يجرى ههنا مجرى الاسماء لانه يدل على الحية وأفعل اذا كان نعتا بنفسه فجمعه فعل نحو أحمر وحمر وأسود وسود واذا كان نعتا فاجرى مجرى الاسماء فجمعه أفاعل نحو أساود وأجادل وأداهم اذا أردت القيد لانه نعت غالب يجري مجرى الاسماء وان أردت أدهم الذي هو نعت محض قلت دهم قال الأشهب بن رميلة

أسود شرى لاقت أسود خفية • تساقوا على حرد دماء الاساود

فاجراه مجرى الاسماء نحو الاصاغر والاكابر والاحامد وقوله لعمرك ما أشبهت وعلة في الندى

المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين لان نوحا عليه السلام هو الذي جدد الاخبار التي كانت في الدهر الذي بينه وبين آدم عليهما السلام حتى منعها الخلل وحماها النقصان بالشواهد الصادقة والامارات القائمة وليس ان أخبارهم وحججهم قد كانت درست وأخلت بل حين همت بذلك وكادت بعثه الله عز وجل بأنه لا تخلو الارض من حججه ولذلك سموا آخر الدهر الفترة وبين

شمائله فانه جعل شمائله بدلا من وعلة والتقدير ما أشبهت شمائل وعلة والبدل على أربعة أضرب فواحد منها أن يبدل أحد الاسمين من الآخر اذا رجعا الى واحد ولا تبالى أمعرفتين كانا أم معرفة ونكرة وتقول مررت بأخيك زيد لان زيدا هو الاخ وكذلك مررت برجل عبد الله فهذا واحد وآخر أن يبدل بعض الشئ منه نحو ضربت زيدا رأسه لما قلت ضربت زيدا أردت أن تبين موضع الضرب منه فمثل الاول قول الله تبارك وتعالى اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله ولنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ومثل البدل الثانى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا من فى موضع خفض لانها بدل من الناس ومثله الا أنه أعيد حرف الخفض قال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم والبدل الثالث مثل ماذكرنا فى البيت أبدل شمائله منه وهى غيره لاشتمال المعنى عليها ونظير ذلك أسألك عن زيد أمره لان السؤال عن الامر وتقول على هذا سلب زيد ثوبه فالثوب غيره ولكن به وقع السلب كما وقعت المسئلة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه لان المسئلة انما كانت عن القتال هل يكون فى الشهر الحرام قال الشاعر (وهو الاخطل)

ان السيوف غدوها ورواحها * تركت هوازن مثل قرن الاعضب

وبدل رابع لا يكون مثله فى القرآن ولا فى الشعر وهو أن يغلط المتكلم فيدرك غلطه أو ينسى فيذكر فيرجع الى حقيقة ما يقصد له وذلك قولك مررت بالمسجد دار زيد أراد أن يقول مررت بدار زيد فاما نسى واما غلط فاستدرك فوضع الذى قصد له فى موضع الذى غلط فيه وقوله بجو فهى قصبة اليمامة وقوله تضيفته يوما انما هو تفعلته من الضيافة يقال ضفت الرجل أى نزلت به وأضافنى أى أنزلنى وقوله وأصفدنى يقول أعطانى وهو الاصفاد والصفد الاسم والاصفاد المصدر قال النابغة * فلم أعرض أبيت اللعن بالصفد * ويقال صفدت الرجل فهو مصفود من القيد ولا يقال فى القيد أصفدت ولكن صفدته صفدا واسم القيد الصفد قال الله جل وعز مقرنين فى الاصفاد كقولك جمل وأجمال وصنم وأصنام وقوله فتى لو يبارى الشمس يقول يعارض يقال انبرى لى فلان أى اعترض لى فى هذا المعنى وفلان يبارى الريح من

الفترة والقطعة فرق فاعرف ذلك ثم بعث الله جل وعز ابراهيم عليه السلام على رأس الفترة الثانية التى كانت بينه وبين دهر نوح وانما جعلها الله تعالى أطول فترة كانت فى الارض لان نوحا كان لبث فى قومه يحتج ويخبر ويؤكد بين ألف سنة الا خمسين عاما ولان آخر آياته كانت أعظم الآيات وهى الطوفان الذى أغرق الله تعالى به جميع أهل الارض غيره وغير شيعته وانما

هذا أي يعارض الريح بجوده فهذا غير مهموز فأما بارأت الكرى فهو مهموز لأنه من أبرأني وأبرأته ويقال برأ فلان من مرضه وبرئ يافتى والمصدر منهما البُرء فاعلم وبريت القلم غير مهموز والله البارئ المصوّر ويقال ما برأ الله مثل فلان مهموز وقولك البريّة أصله من الهمز ويختار فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد وكذلك يختار في النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازما قال في جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وصيّ وأوصياء وتقيّ وأتقياء وشقيّ وأشقياء ومن همز الواحد قال في الجميع نبآء لأنه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسول صلى الله عليه وسلم وقال العباس بن مرداس السلمي

يا خاتم النبآء إنك مرسل * بالحق كلّ هدى السبيل هداكا

وقوله أو القمر الساري لألقى المقالدا فأسكن الياء ضرورة وإنما جاز ذلك لأن هذه الياء تسكن في الرفع والخفض فإذا احتاج الشاعر إلى إسكانها في النصب قاس هذه الحركة على الحركتين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالألف التي في مثنّى التي هي على هيئة واحدة في جميع الاعراب قال النابغة ردّت عليه أقاصيه ولبّده * ضربُ الوليدة بالمسحاة في الثأد

فأسكن الياء في أقاصيه وقال رؤبة

كأن أيديهنّ بالقاع القرق * (أيدي جوار يتعاطين الورق)

وقال * سوّى مساحيهنّ تقطيطُ الحقق * (ويروى تقطيط بالنصب وهو أجود لأن بعده

* تقليلُ ما قارعن من سمر الطرق * والطُرق جمع طُرقة) وقال آخر

كفى بالنأي من أسماء كاف * وليس لحبها ما عشت شاف

وأما قوله وأمتعني على العشا بوليدة * فأبت بخير منك يا هوذ حامدا

فإنه كان يحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبة والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب قال الله جل وعز حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة كانت المخاطبة للأمة ثم انصرفت إلى النبي صلى الله عليه وسلم إخبارا عنهم

وقال عنترة شطّت مزار العاشقين فأصبحت * عسرا عليّ طلابكِ ابنة مخرم

فكان يحدث عنها ثم خاطبها ومثل ذلك قول جرير

فار الماء من جوف تنور ليكون أعجب للآية وأشهر للقصة وأثبت للحجة ثم مازالت الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بعضهم على أثر بعض في الدهر الذي بين ابراهيم وبين عيسى عليهما السلام فلترادف حججهم وتظاهر أعلامهم وكثرة أخبارهم واستفاضة أمورهم ولشدة ما أكد ذلك في القلوب ورسخ في النفوس وظهر على الألسنة لم يدخلها الخلل والنقص والفساد في

وترى العواذل يبتدرن ملامتي • فاذا أردن سوى هواك عصينا

وقال الآخر   فدى لك والدي وسراة قومي • ومالي انه منه أتاني

وهذا كثير جدا وقوله برى جمع مادون الثلاثين قصرة أي قليلا من الاقتصار و بروكا و بغدو وبعدو جميعا وكان هوذة بن علي ذا قدر عال وكانت له خرزات تنظم فتجعل على رأسه تشبها بالملوك وحدثني التوزي عن أبي عبيدة قال ماتتوج معدي قط انما كانت التيجان لليمن قال فسألته عن قول الاعشى

من ير هوذة يسجد غير متئب • اذا تعمم فوق التاج أو وضعا

قال انما كانت خرزات تنظم له وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى هوذة كما كتب الى الملوك وكانت بنو حنيفة بن لجيم أصحاب اليمامة ويقول بعض النسابين ان عبيد بن حنيفة كان أتى اليمامة وهي صحراء فاختطها فجعل يركض حواليها ويخط برمحه في الأرض على ما أصاب من النخل وانهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر فلما طلع لهم التمر بعد لم يهتدوا الصعود النخل فأقبلوا يجدونه حتى فكروا واقاعدوا له السلام فلما عمرت اليمامة جعلت العرب تنجعهم لموضع التمر فيجاورون العزبرنهم وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقط ممن كانوا ويقال ان اليمامة والبحرين والقريتين ومواضع هنالك كانت لطسم وجديس والخبر في ذلك مشهور بزرقاء اليمامة وقد ذكر ذلك الأعشى في قوله

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها • حقا كما نطق الذئبي اذ سجعا

قالت أرى رجلا في كفه كتف • أو يخصف النعل لهفي أية صنعا

وكذبوها بما قالت فصبحهم • ذو آل غسان يزجي الموت والشرعا

وحدثني التوزي عن أبي عبيدة والأصمعي عن أبي عمرو قال قال لي رجل من أهل القريتين أصبت ههنا دراهم وزن الدرهم ستة دراهم وأربعة دوانيق من بقايا طسم وجديس فخفت السلطان فأخفيتها وقد ذكر ذلك زهير في قوله

عهدي بها يوم باب القريتين وقد • زال الهماليج بالفرسان واللجم

فاستبدلت بعدنا دارا يمانية • ترعى الخريف فادنى دارها ظلم

الدهر الذي كان بين النبي عليه الصلاة والسلام وبين عيسى عليه الصلاة والسلام قد بين همت بالضعف وكادت تنقص عن التمام وانتهت قوتها بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم فجدد أقاصيص آدم ونوح وموسى وهارون وعيسى ويحيى عليهم السلام وأمورا بين ذلك وهو الصادق بالشواهد الصادقة وأنها الساعة آتية وانه ختم الرسل عليهم السلام به فعلت

وقال جرير يهجو بني حنيفة هجائي الناس من أحياء كلهم • حتى حنيفة تقسو في مناحيها

(تعير بنو حنيفة بالفسولان بلادهم بلاد نخل فيما كاونه ويحدث في أجوافهم الرياح والقراقير)

أصحاب نخل وحيطان ومزرعة • سيوفهم خشب فيها مساحيها

ذلت وأعطت يدا للسلم صاغرة • من بعدما كاد سيف الله يفنيها

صارت حنيفة أثلاثا فثلثهم • أضحوا عبيدا وثلث من مواليها

قوله مناحيها المنحاة مقام السانية على الحوض والحائط البستان وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في وقعته بمسيلمة الكذاب والنسابين بعد هذا قول منكر وقال جرير

أبني حنيفة نهنهوا سفهاءكم • اني أخاف عليكم أن أغضبا

أبني حنيفة انني ان أهجكم • أدع اليمامة لا توارى أرنبا

وقال عمارة بن عقيل

بل أيها الراكب الماضي لطيته • بلغ حنيفة وانشر فيهم الخبرا

أكان مسلمة الكذاب قال لكم • لن تدركوا المجد حتى تغضبوا مضرا

مهلا حنيفة ان الحرب ان طرحت • عليكم بركها أمرعتم الضجرا

البرك الصدر اذا فتحت الباء ذكرت وان أردت التأنيث كسرت الباء قلت بركة قال الجعدي

ولو حاذراعين في بركة • الى جؤجؤ رهل المنكب

وزعم الاصمعي أن زيادا كان يقال له أشعر بركا لانه كان أشعر الصدر وغير الاصمعي يزعم أن هذا كان يقال للوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية وذكروا أن عدي بن حاتم بن عبد الله الطائي قال يوما الا تعجبون لهذا أشعر بركا يولى مثل هذا المصر والله ما يحسن أن يقضي في تمرتين فبلغ ذلك الوليد فقال على المنبر أنشد الله رجلا سماني أشعر بركا الا قام فقام عدي بن حاتم فقال أيها الامير ان الذي يقوم فيقول أنا سميتك أشعر بركا لجري. فقال اجلس يا أبا طريف فقد برأك الله منها فجلس وهو يقول والله ما برأني الله منها وكانت أم الوليد بن عقبة أم عثمان بن عفان رحمهما الله وهي أروى بنت كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها البيضاء

عند ذلك ان حجته ستتم الى مدتها وبلوغ امر الله عز وجل فيها

(فصل منه) ثم رجع الكلام الى القول في الأخبار فأقول ان الناس موكلون بحكاية كل عجيب وميسرون للاخبار عن كل عظيم وليسوا للحسن أحكى منهم للقبيح ولا لما ينفع أحكى منهم لما يضر وعلى قدر كبر الشيء تكون حكايتهم له واستماعهم ألا ترى ان رجلا من الخلفاء لو ضرب عنق رجل من العظماء

بنت

بنت عبد المطّلب بن هاشم ومن ثَمّ قال الوليد لعلي بن أبي طالب رحمه الله أنا أتقى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأمّي من حيث تلقاه بأبيك وكان يقال البيضاء بنت عبد المطلب قبّة الديباج واسمها أمّ حكيم ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أروى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبني هاشم لهذا السبب حين قُتِلَ عثمانُ رحمه الله

بني هاشم رُدّوا سلاحَ ابن أختكم • ولا تنهبوهُ لا تحلُّ مناهبُه

بني هاشم كيف الهوادةُ بيننا • وعند عليٍّ درعُهُ ونجائبُه

هُم قتلوه كي يكونوا مكانه • كما غدرتْ يوماً بكسرى مرازبُه

وهذا القول باطل وكان عُروةُ بن الزبير إذا ذَكَرَ مَقتَلَ عثمان يقول كان عليٌّ أتقى لله من أن يُعينَ في قتل عثمان وكان عثمانُ أتقى لله من أن يعين في قتل عليّ وقال الوليد بن عقبة

ألا انّ خيرَ الناس بعد ثلاثة • قتيلُ التجوبيِّ الذي جاء من مصر

ومالي لا أبكي وتبكي أقاربي • وقد حُجبتْ عنّا فضولُ أبي عمرو

وقالت ليلى الأخيليّة أنشدنيه الرياشيّ عن الأصمعي

أبعدَ عثمان ترجوا الخيرَ أمّتُه • وكان آمنَ مَن يمشي على ساقِ

خليفةُ الله أعطاهم وخوّلهم • ما كان من ذهبٍ جمٍّ وأوراق

فلا تُكذِّبْ بوعد الله وارضَ به • ولا توكّلْ على شيٍ بإشفاق

ولا تقولنْ لشيءٍ سوف أفعلُه • قد قدّرَ اللهُ ما كلُّ امرئٍ لاقِ

وقال آخر

ألا قُل لقومٍ شاربي كأسِ علقمٍ • بقتلِ امامٍ بالمدينة مُحرِمِ

قتلتُم أمينَ الله في غير ردّةٍ • ولا حدِّ احصانٍ ولا قتلِ مُسلمِ

تعالوا فقاتونا فان كان قتلُهُ • لواحدةٍ منها فحلٌّ لكم دمي

والّا فاعظِمْ بالذي قد أتيتُم • ومَن يأتِ ما لم يرضَهُ الله يظلمِ

فلا يهنئنَّ الشامتين مُصابُهُ • تخطّهم من قتله حوبُ جرمهم

وأنشدني الرياشي عن الأصمعي (قال أبو الحسن هذا الشعر لابن الغريرة الضبّي)

لَعمرُ أبيكَ فلا تذهَلَن • لقد ذهبَ الخيرُ الا قليلا

لما أمسى وفي عسكره وبلدته جاهل ولا عالم الا وقد استقر ذلك عنده وثبت في قلبه لان الناس بين حاسد فهو يحكي ذلك الذي دخل عليه من الشكل وقلة العدد وبين واجد يعجب الناس وبين واعظ معتبر وبين قوم شأنهم الأراجيف بالفاسد والصالح ولو كان ضرب عنقه في يوم عيد أو حلبة أو استمطار أو موسم لكان أشد لاستفاضته وأسرع لظهوره ولو جاز ان يكتم الناس هذا

وقد فتن الناس فى دينهم • وخلّى ابن عفّان شرّا طويلا

ومثله قول الراعى قتلوا ابن عفّان الخليفة محرما • ودعا فلم أر مثله مخذولا

فتفرّقت من بعد ذاك عصاهم • شققا وأصبح سيفهم مفلولا

قوله محرما يريد فى الشهر الحرام وكان قتل فى أيام التشريق رحمه الله وقال أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى وكانت له صحبة

تفاقد الذابحو عثمان ضاحية • أىّ قتيل حرام ذبّحوا ذبحوا

ضحّوا بعثمان فى الشهر الحرام ولم • يخشوا على مطمح الكفّ الذى طمحوا

فأىّ سنّة جور سنّ أوّلهم • وباب جور على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضلّ الله سعيهم • من سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا

فاستوردتهم سيوف المسلمين على • تمام ظمء كما يستورد النضح

ان الذين تولّوا قتله سفها • لاقوا أثاما وخسرانا فما ربحوا

الظمء ما بين الشربتين وقوله ضحّوا بعثمان انما أصله فعل فى الضحى قال زهير

ضحّوا قليلا على كثبان أسنمة • ومنهم بالقسوميّات معترك

أى نزلوا ضحى ويقال بيّتوا ذاك أى فعلوه ليلا قال الله جل وعز اذ يبيّتون ما لا يرضى من القول وأنشد أبو عبيدة

أتونى فلم أرض ما بيّتوا • وكانوا أتونى بأمر نكر

لأنكح أيّمهم منذرا • وهل ينكح العبد حرّ لحر

وقوله فى سفح ذاك الدم الزاكى الذى سفحوا أى فى صبّ ذاك الدم يقال سفحت دمه وسفكت دمه قال الله تبارك وتعالى الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا وقوله على تمام ظمء فهذا مثل وأصل الظمء أن تشرب الابل يوما ثم تغبّ يوما لا ترد الماء فما بين الشربتين ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الربع كما يقال فى الحمّى لانهم يعتدّون بيومى شربها او الخمس أن تظمأ ثلاثة أيام والنضح الحوض والأثام الهلاك قال الله عز ذكره ومن يفعل ذلك يلق أثاما ثم فسر فقال يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا فجزم يضاعف لانه بدل من قوله يلق أثاما اذ كان اياه فى المعنى وأنشدنى أبو عبيدة

وشبهه على الايثار الكتمان وعلى جهة النسيان لكنا لاندرى لعله قد كان فى زمن صفين والجمل والنهروان حرب مثلها أو أشد منها ولكن الناس آثروا الكتمان واتفقوا على النسيان فاذا كان قتل الملك للرجل من العظماء بهذه المنزلة من قلوب الأعداء ومن قلوب الحكماء والغوغاء فما ظنك بمن لو أبصروا رجلا قد أحياه بعد أن ضرب عنقه وأبان رأسه من جسده أليس يكون

جزى الله ابن عروة اذ لحقنا • عقوقا والعقوق من الاثام

وقوله على مطامح الكف يقول على رفعها وابعادها يقال طمح بصره اذا ارتفع فابعد النظر

قال امرؤ القيس   لقد طمح الطماح من بعد ارضه • ليلبسنى من دائه ما تلبسا

(باب)

قال أبو العباس وهذا باب طريف نصل به هذا الباب الجامع الذى ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فاحسن ذلك ما جاء باجماع الرواة ما مر لامرئ القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شئ فى حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا • لدى وكرها العناب والحشف البالى

فهذا مفهوم المعنى فان اعترض معترض فقال فهلا فصل فقال كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الحشف قيل له العربى الفصيح الفطن اللقن يرمى بالقول مفهوما ويرى ما بعد ذلك من التكرير عيا قال الله جل وعز وله المثل الأعلى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله علما بان المخاطبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب ومن تمثيل امرئ القيس العجيب قوله   كأن عيون الوحش حول خبائنا • وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

ومن ذلك قوله   اذا ما الثريا فى السماء تعرضت • تعرض أثناء الوشاح المفصل

وقد أكثر الناس فى الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سهولة هذه الالفاظ ومن أعجب التشبيه قول النابغة

فانك كالليل الذى هو مدركى • وان خلت أن المنتأى عنك واسع

وقوله   خطاطيف حجن فى حبال متينة • تمد بها أيد اليك نوازع

وقوله   فانك شمس والملوك كواكب • اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومن عجيب التشبيه قول ذى الرمة

وردت اعتسافا والثريا كأنها • على قمة الرأس ابن ماء محلق

وقوله   لجاءت بنسج العنكبوت كأنه • على عصويها سابرى مشبرق

وتأويل هذا أنه يصف ماء قديما لا عهد له بالواردة فقد اصفر واسود فقال

يكون تعجبهم من احيائه أشد من تعجبهم من قتله وكان يكون اخبارهم من خلفوا فى منازلهم ومن ورد عليهم عن القتل ليكون سببا للاخبار عن الاحياء. اذ كان الأول صغيرا فى جنب الثانى فهذا يدل على ان اعلام الرسل عليهم الصلاة والسلام وآياتهم أحق بالظهور والشهرة والقهر للقلوب والاسماع من مخارجهم وشرائعهم بل قد نعلم ان موسى عليه السلام لم يذكر ولم يشهر

وماء قديم العهد بالانس آجن • كأن الدبى ماء الغضا فيه تبصق

وقد أجاد علقمة بن عبدة الفحل فى وصف الماء الآجن حيث يقول

اذا وردت ماء كأن جمامه • من الآجن حناء معا وصبيب

فقال ذو الرمة فى وصف هذا الماء فقرن بتغيره بعد مطلبه

فأدلى غلامى دلوه يبتغى بها • شفاء الصدى والليل أدهم أبلق

يريد أن الفجر قد نجم فيه فجاءت يعنى الدلو بنسج العنكبوت كأنه على عصوبها سابرى مشبرق والسابرى الرقيق من الثياب والدروع والمشبرق الممزق وأنشد أبو زيد

لهونا بسربال الشباب ملاوة • فأضحى سربال الشباب شبارقا

ومن التشبيه العجيب قول ذى الرمة فى صفة الظليم

شخت الجزارة مثل البيت سائره • من المسوح خدب شوقب خشب

الشخت الضئيل اليابس الضعيف والجزارة القوائم وقوله مثل البيت سائره من المسوح يعنى اذا مد جناحيه وانما أخذه من قول علقمة بن عبدة

صعل كأن جناحيه وجؤجؤه • بيت أطافت به خرقاء مهجوم

الصعل الصغير الرأس والخرقاء التى لا تحسن شيأ فهى تفسد ما عرضت له قال الحطيئة

هم صنعوا لجارهم وليست • يد الخرقاء مثل يد الصناع

والمهجوم المهدوم وفى الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت فى بكر بن وائل الا هجم أى هدم والخدب الضخم والشوقب الطويل والخشب الذى ليس بلين على من نزل به ومن التشبيه المصيب قوله فى صفة روضة

قرحاء حواء أشراطية وكفت • فيها الذهاب وحفتها البراعيم

قرحاء يريد الأنوار وقوله حواء يقول تضرب الى السواد لشدة ريها وخضرتها وكذلك المفسرون يقولون فى قول الله جل وعز مدهامتان تضربان الى الدهمة لشدة خضرتهما وريهما وقوله أشراطية ليس مما قصد له ولكنه مما يجرى فيفسر ومعناه أنها مطرت بنوء الشرطين وحدثنى الزيادى قال سمعت الاصمعى وسئل بحضرتى أو سألته عن قوله أشراطية فقال بأسته واست عرسه وذاك أن الاصمعى كان لا ينشد ولا يفسر ما كان فيه ذكر الأنواء لقول رسول الله صلى الله

عليه

الا لاعاجيبه ولا آياته وكذلك عيسى عليه السلام ولولا ذلك لما كانا الا كغيرهما ممن لا يشعر بموته ولا مولده وكيف تتقدم المعرفة بهما المعرفة بأعلامهما وأعاجيبهما وأنت لم تسمع بذكرهما قط دون ما ذكر من أعلامهما فاذا كان شأن الناس الاخبار عن كل عجيب وحكاية كل عظيم والاطراف بكل طريف وايراد كل غريب من أمور دنياهم فالا يمتنع فى طبائعهم ولا

عليه وسلم اذا ذُكِرَت النجومُ فأمسكوا الان الخبر فى هذا بعينه مُطِرنا بنَوء كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعرا فيه هجاءٌ وكان لا يفسر شعرا يوافق تفسيره شيأ من القرآن هكذا يقول أصحابه

وسُئِلَ عن قول الشمّاخ

طَوَى ظِمْأَها فى بَيْضَة الصَّيْفِ بعدما • جرَى فى عِنانِ الشِّعْرَيَيْنِ الأَمَاعِزُ

فأبى أن يفسر فى عنان الشعريين وأما قوله الذهاب فهى الأمطار اللينة الدائمة ويقال انها أنجعُ المطر فى النبت وكذلك العِهادُ وأنشد الاصمعى

أَمِرْعُمُ بِالنَّعْماءِ حتى • كَأَنَّ الارضَ جَلَّلَها العِهادُ

والبَراعيمُ واحدتها بُرْعومةٌ وهى أَكِمَّةُ الرَّوضِ قبل أن تَتَفتَّقَ يقال لواحدها كِمٌّ وكِمامٌ فمن قال كِمام فجمعه أَكِمَّةٌ مثل صِمام وأَصِمَّة وزِمام وأَزِمَّة ومن قال كِمٌّ فالجماعُ أَكْمامٌ قال الله عز وجل والنَّخْلُ ذاتُ الأَكْمامِ ومن ذلك قول الآخر أحسبه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّر (قال أبو الحسن يقال انه لمجنون بنى عامر وهو الصواب)

كَأَنَّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغْدَى • بِلَيْلَى العامرِيَّةِ أو يُراحُ

قَطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتَتْ • تُعالِجُه وقد عَلِقَ الجَناحُ

(لها فَرْخانِ قد غَلِقا بِوَكْرٍ • فَعُشُّهُما تُصَفِّقُهُ الرِّياحُ

فلا باللَّيلِ نالَتْ ما تُرَجِّى • ولا بالصبحِ كان لها بَراحُ)

ويروى تجاذبُه فهذا غاية الاضطراب وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار وقال الشيبانى للحجّاج

هَلَّا بَرَزْتَ الى غَزالَةَ فى الوَغَى • بل كان قَلْبُكَ فى جَناحَىْ طائرِ

فهذا يجوز أن يكون فى الخَفَقان وفى الذَّهاب البَتَّةَ ومن التشبيه المحمود قول الشاعر

طَليقُ اللهِ لم يَمْنُنْ عليه • أبو داودَ وابنُ أبى كَثيرِ

ولا الحَجّاجُ عَيْنَىْ بِنْتِ ماءٍ • تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصُّقورِ

وهذا غاية فى صفة الجبان ونَصَبَ عينى بنت ماء على الذم وتأويله أنه اذا قال جاءنى عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ فليس يقول الا وقد عرفه بالخُبْثِ والفسق فنصبه بأعنى وما أشبهه من الافعال نحو أَذْكُرُ وهذا أبلغ فى الذم أن يقيم الصفةُ مقامَ الاسم وكذلك المدح وقول الله تبارك وتعالى والمُقيمينَ الصلاةَ بعد قوله لكن الراسخون فى العلم منهم انما هو على هذا ومَنْ زعم أنه أراد ومن

يخرج من قوى الخليقة فى البطش والحيلة أحق بالاخبار والاذاعة وبالاظهار والافاضة هذا على ان يترك الطباع وما تولد عليه والنفوس وما تنتج والعلل وما يحضر فكيف ان كان الله عز وجل قد خص اعلام أنبيائه وآيات رسله عليهم السلام من تهييج الناس على الاخبار عنها ومن تسخير الاسماع لحفظها بخاصة لم يجعلها لغيرها

(فصل منه) فان قال

المقيمين الصلاة فخطئ في قول البصريين لانهم لا يعطفون الظاهر على المضمر المخفوض ومن أجازه من غيرهم فعلى قبح كالضرورة والقرآن انما يحمل على أشرف المذاهب وقرأ حمزة الذي تساءلون به والأرحام وهذا مما لا يجوز عندنا الا أن يضطر اليه شاعر كما قال

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا ● فاذهب فما بك والايام من عجب

وقرأ عيسى بن عمر وامرأته حمالة الحطب أراد وامرأته في جيدها حبل من مسد فنصب حمالة على الذم ومن قال ان امرأته مرتفعة بقوله سيصلى نارا ذات لهب فهو يجوز وليس بالوجه أن يعطف المظهر المرفوع على المضمر حتى يؤكد نحو اذهب أنت وربك فقاتلا واسكن أنت وزوجك الجنة فأما قوله لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا فانه لما طال الكلام وزادت فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعني ذهبت وزيد وأذهب وعمرو وقال جرير

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه ● ما لم يكن وأب له لينالا

وقال ابن أبي ربيعة قلت اذ أقبلت وزهر تهادى ● كنعاج الملا تعسفن رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة

لعمري وما عمري علي بهين ● لقد نطقت بطلا علي الاقارع

أقارع عوف لا أحاول غيرها ● وجوه قرود تبتغي من تخادع

وقال عروة بن الورد العبسي سقوني الخمر ثم تكنفوني ● عداة الله من كذب وزور

والعرب تنشد قول حاتم الطائي رفعا ونصبا

ان كنت كارهة معيشتنا ● هاتا فحلي في بني بدر

الضاربين لدى أعنتهم ● والطاعنين وخيلهم تجري

وانما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء وكذلك قول الخرنق بنت هفان القيسية من بني قيس بن ثعلبة

لا يبعدن قومي الذين هم ● سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك ● والطيبين معاقد الأزر

وكل ما كان من هذا فعلى هذا أكثر انشاده وان لم ترد مدحا ولا ذما قد استقر له فوجهه النعت

قائل ان الحجة لا تكون حجة حتى تعجز الخليقة وتخرج من حد الطاقة كاحياء الموتى والمشي على الماء وكفلق البحر وكاطعام الثمار في غير أوان الثمار وكانطاق السباع واشباع الكثير من القليل وكلما كان جسما مخترعا وجرما مبتدعا وكالذي لا يجوز ان يتولاه الا الخالق ولا يقدر عليه الا الله عز وجل ذكره فاما الاخبار التي هي أفعال العباد وهم تولوها وبهم كانت وبقولهم حدثت

وقرأ بعض القراء فتبارك الله أحسنَ الخالقين وأكثر ما تنشد العرب بيت ذي الرمة نصبا لانه لما ذكر ما يحنّ اليه ويصبو الى قربه أشاد بذكر ما قد كان ينبغي فقال

دِيارَ مَيّة اذ ميٌّ تُساعِفُنا • ولا يَرى مِثلَها عُجمٌ ولا عَرَبُ

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله

بَيضاءُ في دَعَجٍ صَفراءُ في نَعَجٍ • كأنها فِضّةٌ قد مَسّها ذَهَبُ

وفيها من التشبيه المصيب

تَشكو الخِشاشَ ومَجرى النِسعَتَين كما • أنَّ المريضُ الى عُوّادِه الوَصِبُ

الخشاش ما كان في عظم الانف وما كان في المارن فهو بُرةٌ يقال أبريتُ الناقةَ فهي مُبراةٌ قال الشماخُ وهذا من التشبيه العجيب

فَقرّبتُ مُبراةً تَخالُ ضُلوعَها • من الماسِخيّات القِسيَّ المُوتَّرا

وماسخةُ من بني نصر من الازد واليهم نُسبت القِسيُّ الماسخيّةُ وأحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي

وكأنما انتطحت على أثباجها • فُدُرٌ بشابةَ قد تَمَمْنَ وُعولا

الفادرُ المُسِنُّ من الوعول وذو الرمة أخذ ذلك المعنى من قول المثقِّب العبدي

اذا ما قُمتُ أرحَلُها بليلٍ • تأوَّهُ آهةَ الرجلِ الحزينِ

ومن التشبيه المستحسن قول علقمة بن عَبَدةَ

كأنَّ ابريقَهم ظَبيٌ على شَرَفٍ • مُفَدَّمٌ بسبا الكَتّانِ مَلثومُ

فهذا حسن جدا وقال أبو الهنديّ وهو عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعي الرياحيّ من بني رياح بن يربوع وكان شبث سيد بني يربوع بالكوفة

مُفَدَّمةٌ قَزّا كأنَّ رِقابَها • رِقابُ بَناتِ الماءِ أفزَعَها الرَعدُ

وكان أبو الهندي قد غلب عليه الشراب على كرم منصبه وشرف أُسرته حتى كاد يبطله وكان عجيب الجواب فجلس اليه رجل مرة يُعرف ببرزين المناقير وكان أبوه صُلب في خرابة والخرابة عندهم سَرِق الابل خاصة فاقبل يُعرّض لأبي الهنديّ بالشراب فلما أكثر عليه قال أبو الهندي أحدُهم يرى القذاة في عين أخيه ولا يرى الجذع في است أبيه وفي الخرابة يقول الراجز

فلا يجوز ان يكون حجة اذ كان لا حجة الا ما لا يقدر عليه الخليقة وما لا يتوهم من جميع البرية قلنا انا لم نزعم ان الاخبار حجة فيحتجوا علينا بها وانما زعمنا ان مجيئها حجة والمجيء ليس هو أمر يتكلفه الناس ويختارونه على غيره ولو كان كذلك لكانوا متى أرادوه فعلوه وتهيؤا له ولفعلوه في الباطل كما يجيء لهم في الحق والمجيء أيضا ليس هو فعلا قائما فيستطيعوه أو يعجزوا عنه وانما

والخارب اللصّ يحبّ الخاربا • وتلك قربى مثل أن تناسبا • ان تشبه الضرائب الضرائبا

وقال الآخر

انت الطريق واجتنب أرماما • انّ بها أكتلَ أو رزاما • خويربين ينقفان الهاما

(زاد أبو الحسن • لم يترُكا لمسلم طعاما •) نصب خويربين على أعني لا يكون غير ذلك لانه انما أثبت أحدهما بقوله أو ومرّ نصر بن سيّار الليثي بأبي الهندي وهو يميل سكرا فقال له أفسدت شرفك فقال أبو الهندي لو لم أفسد شرفي لم تكن أنت والي خراسان وحجّ به نصر بن سيار مرة فلما وردا الحرم قال له نصر انك بفناء بيت الله ومحلّ وفوده فدع لي الشراب حتى ينفر الناس واحتكم عليّ فَفَعل فلما كان يوم النفر أخذ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكي ويقول

رضيع مدام فارق الراح روحه • فظلّ عليها مستهلّ المدامع

أديرا على الكاس اني فقدتها • كما فقد المفطوم درّ المراضع

وكان يشرب مع قيس بن أبي الوليد الكناني وكان أبو الوليد ناسكا فاستعدى عليه وعلى ابنه فهربا منه وقال أبو الهندي قل للسري أبي قيس أتوعدنا • ودارنا أصبحت من داركم صددا

أبا الوليد أما والله لو عملت • فيك الشمول لما حرّمتها أبدا

ولا نسيت حُميّاها ولذّتها • ولا عدلت بها مالا ولا ولدا

ثم نرجع الى التشبيه وربما عرض الشيء والمقصود غيره فيذكر للفائدة تقع فيه ثم يعاد الى أصل الباب قال أبو العباس وقال عروة بن حزام العذري

كأنّ قطاةً عُلّقت بجناحها • على كبدي من شدة الخفقان

ويقال ان المرأة اذا كانت مبغضة لزوجها فآية ذلك أن تكون عند قربه منها مرتدّة النظر عنه كأنما تنظر الى انسان من ورائه واذا كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه واذا نهض نظرت من ورائه الى شخصه حتى يزول عنها فقال رجل أردت أن أعلم كيف حالي عند امرأتي فالتفتّ وقد نهضت من بين يديها فاذا هي تكلح في قفاي وقال الفرزدق في هذا المعنى والنوار تخاصمه عند عبد الله بن الزبير فدونكها يا ابن الزبير فانها • مولّعة يوهي الحجارة قيلها

اذا جلست عند الامام كأنها • ترى رفقة من خلفها تستحيلها

هو ان الانسان يعلم انه اذا اتى البصريين فأخبروه انهم قد عاينوا كذا شيئا ثم اتى الكوفيين فأخبروه بمثل ذلك انهم قد صدقوا اذ كان مثلهم لا يتواطؤ على مثل خبرهم على جهلهم بالغيب وعلى اختلاف طبائعهم وهممهم وأسبابهم فليس بين هذا وبين احياء الموتى والمشي على الماء فرق اذ كان الناس لا يقدرون عليه ولا يطمعون فيه والمجيء انما هو معنى معقول

قوله

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرة ههنا ومرة ههنا وقوله ترى رفقة يقال رِفقة ورُفقة ومعنى تسخيلها انتبين حالاتها قال حميد بن ثور

مروعة تستخيل الشخوص • من الخوف تسمع مالا ترى

(قوله مروعة يقول كل شئ يذنيني من الظفر بها يروعها وينفرها)

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يكنى عن ذكره

ترى الصبيان ما كفة عليها • كعنفقة الفرزدق حين شابا

ويقال ان الفرزدق حين أُنشد النصف الاول ضرب بيده الى عنفقته توقعا لعجز البيت ومن التشبيه الحسن قول جرير فى صفة الخيل

يشتفن للنظر البعيد كانما • ارنانها بوائن الآشطان

قوله يشتفن ويتشوفن فى معنى واحد وقوله كانما ارنانها بوائن الآشطان أراد شدة صهيله يقول كانما يصهلن فى آبار واسعة تبين أشطانها عن نواحيها ونظير ذلك قول النابغة الجعدى

ويصهل فى مثل جوف الطوى • صهيلا يبين للمعرب

المعرب العالم بالخيل العراب ومن حسن التشبيه قول عنترة

غادرن نضلة فى معرك • يجر الاسنة كالمحتطب

يقول طعن وغودرت الرماح فيه فظل يجرها كانه حامل حطب ومن التشبيه المتجاوز المفرط قول الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به • كانه علم فى رأسه نار

فجعلت المهتدى يأتم به وجعلته كنار فى رأس علم والعلم الجبل قال جرير • اذا قطعن علما بدا علم • وقال الله جل ثناؤه وله الجوار المنشآت فى البحر كالاعلام ومن هذا الضرب من التشبيه قول العجاج • تقضى البازى اذا البازى كسر • والتقضى الانقضاض وانما أراد سرعتها والعرب تبدل كثيرا الياء من أحد التضعيفين فيقولون تظنيت والاصل تظننت لانه تفعلت من الظن وكذلك تقضيت من الانقضاض أى تقضضت وكذلك تسريت ومثل هذا كثير ومن تشبيه المحدثين المستطرف قول بشار كان فؤاده كرة تنزى • حذار البين ان نفع الحذار

(يروعه السرار بكل أمر • مخافة أن يكون به السرار)

وشئ موهوم اذا كان كيف يكون ومعلوم ان الناس لا يمكنهم ان يقدروا عليه ولا يستطيعون فعله وانما مدار أمر الحجة على عجز الخليقة فتى وجدت أمرا ووجدت الخليقة عاجزة عنه فهى حجة ثم لا عليك جوهرا كان أو عرضا أو موجودا أو متوهما معقولا ألا ترى أن فلق البحر ليس هو من جنس اختراع الثمار لان الفلق هو انفراج أجزاء والثمار أجرام حادثة وكذلك لو ادعى رجل ان

وفى هذه القصيدة

جَفَتْ عينى عن التَّغْميض حتى • كأنَّ جُفونَها عنها قِصارُ

أقولُ ولَيْلَتى تَزْدادُ طولاً • أما للّيل بعدهمُ نَهارُ

وقال الحسن بن هانئ فى صفة الخمر

فاذا ما لَمَسْتَها فهَباءُ • تَمْنَعُ اللّمْسَ ما تُبِيحُ العُيونا

دَرَسَ الدهرُ ما تَجَسَّمَ منها • وتَبَقَّى لُبابُها المكنونا

فهى بِكْرٌ كأنها كلُّ شئٍ • يَتَمَنَّى مُخَيَّرٌ أن يكونا

فى كؤوسٍ كأنهنَّ نُجومٌ • جارياتٌ بُروجُها أيدينا

طالعاتٌ مع السُّقاة علينا • فاذا ما غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فينا

فهذه قطعة من التشبيه غاية على ضعف كلام المُحْدَثين وقال الحنفى وهو اسحق بن خَلَف فى صفة السيف

أَلْقَى بجانب خَصْره • أمضى من الأجل المُتاح

فكأنما ذَرُّ الهَبا • ءِ عليه أنفاسُ الرياح

وقال مسلم بن الوليد الانصارى فى مدحه يزيد بن مزيد

تَمْضِى المَنايا كما تَمْضِى أسِنّتُهُ • كأنَّ فى سرجه بَدْراً وضِرْغاما

وقال دعبل بن علىّ فى صفة مصلوب

لم أرَ صفّاً مثلَ صفِّ الزُّطِّ • تسعينَ منهم صُلِبوا فى خَطِّ

من كل عالٍ جِذْعُهُ بالشَّطِّ • كأنه فى جِذْعه المُشْتَطِّ

أخو نُعاسٍ جَدَّ فى التَّمَطِّى • قد خامَرَ النومَ ولم يَغِطِّ

(وقال آخر فى صفة مصلوب وهو يزيد المُهَلَّبىّ

قام ولمّا يَسْتَعِنْ بساقِه • الفَ مَثْواهُ على فِراقِه • كأنما يَنْحَطُّ فى أشْداقِه

أراد بياض الشريط فى فيه) وقال أعرابى فى صفة مصلوب (وهو الاخطل قال أبو الحسن الاخطل الذى يعنى رجل مُحْدَثٌ من أهل البصرة ويعرف بالأُخَيْطِل ويُلَقَّب بِبرقوقا وذكر أبو الحسن أن أبا العباس كان يُدَلِّسُ به)

كأنه عاشق قد مَدَّ صَفْحَتَهُ • يومَ الفِراقِ الى تَوْديعِ مُرْتَحِلِ

الله عز وجل أرسله لجعل حجته علينا لاخبار بما أكلنا وادخرنا وأضمرنا لكان قد احتج علينا فان قلت ان المنجمين ربما أخبروا بالضمير وبالأمر المستور وببعض ما يكون قلنا هنالك فرق فان خطأ المنجمين كثير وصوابهم قليل بل هو أقل من القليل وأنتم لا تقدرون ان تقفون من أخبار المرسلين عليهم السلام فى كثير أخبارهم على خطأ واحد والذى سهل قليل المنجمين

أوقائمٌ من نُعاسٍ فيه لَوثَتُهُ • مواصلٌ لِتَمَطّيه من الكَسَلِ

(وقال مسلم بن الوليد) وَضْعُتُهُ حيث تَرتابُ الرياحُ به • ويَحْسُدُ الطيرَ فيه أَضْبُعُ البَلَدِ)

وقال حَبيبُ بن أَوسٍ (قال أبو الحسن يعنى به اسحق بن ابراهيم الطاهرى)

قد قَلَّصَتْ شَفتاه من حَفيظته • فخِيلَ من شِدّةِ التَّعبيسِ مُبتَسِما

وقال أيضا فى رجل يَنْسُبُهُ الى الدعوة (وهو اسحق بن ابراهيم الطاهرى)

وتنقَّلُ من مَعشَرٍ فى مَعشَرٍ • فكأنَّ أُمَّكَ أو أباكَ الزِّئبَقُ

يقال زِئبِقٌ و زِئبَرٌ مهموزان ودرهم مُزَأْبَقٌ وثوب مُزَأْبَرٌ ومن افراط التشبيه قول أبى خراش الهذلى يصف سرعة ابنه فى العَدْو

كأنَّهُمُ يَسْعَونَ فى إثرِ طائرٍ • خَفيفِ المُشاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذى نَحْضِ

يُبادِرُ جُنْحَ الليلِ فهو مُهابِذٌ • يَحُثُّ الجَناحَ بالتَّبَسُّطِ والقَبْضِ

وقال أَوسُ بن حَجَرٍ (قال أبو الحسن أهل الكوفة يروونها لعَبيدِ بن الأَبرَصِ)

كأنَّ رِيقَتَها بعد الكَرى اغتُبِقَتْ • من ماءِ أَدكَنَ فى الحانوتِ نَضّاحِ

أومن مُعَتَّقَةٍ وَرهاءَ نَشوَتُها • أومن أَنابيبِ رُمّانٍ وتُفّاحِ

وقال ابن عَبْدَلٍ يهجو رجلا بالبَخَرِ

نَكَهتَ علىَّ نَكهةَ أَخْدَرِىٍّ • شَتيمٍ شابِكِ الأنيابِ وَرْدِ

وفى هذا الشعر فما يَدنو الى فيهِ ذُبابٌ • ولو طُلِيَتْ مَشافِرُهُ بقَنْدِ

يَرَيْنَ حَلاوةً ويَخَفْنَ موتا • وشيكًا ان هَمَمْنَ له بوِرْدِ

الذُّبابُ الواحد من الذِّبّان وأدنى العدد فيه أَذِبَّةٌ والكثير الذِّبّانُ ولكنه ذكر واحدا ثم خَبَّرَ عن سائر الجنس والاسد أَنتَنُ السِّباعِ فَمًا كما أن الصقرَ أنتنُ الطيرِ فَمًا قال بعض المُحْدَثينَ فى رجل يهجوه والمهجُوُّ داود بن بكر وكان وَلِىَ الأهوازَ وفارسَ والشعر لابى الشَّمَقمَقِ

وله لِحيةُ تَيسٍ • وله مِنقارُ نَسرٍ

وله نَكهةُ لَيثٍ • خالَطَتْ نَكهةَ صَقرِ

وقال عبد الرحمن بن أبى عبد الرحمن ابن عائشة

من يكن إِبْطُهُ كآباطِ ذا الخَلْقِ فإبطاىَ فى عِدادِ الفِقاحِ

ظرافة ذلك منهم لانهم لو قالوا فأخطأوا أبدا لما كان عجبا لانه ليس بعجب ان يكون الناس لا يعلمون ما يكون قبل ان يكون ومن أعجب العجب ان يوافق قولهم بعض ما يكون وقد نجد المنجمين يختلفون فى القضية الواحدة ويخطئون فى أكثرها وقد نجد الرسول يخبرونهم عما يأكلون ويشربون ويدخرون ويضمرون فى الامور الكثيرة المعانى والمختلفة فى

لِيَ ابطانِ يَرميانِ جليسى • بشبيه السّلاح أو بالسّلاحِ

فكأنى من نَتْن هذا وهذا • جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصباحِ

يعنى مُصْعَبَ بن عبد الله الزُبَيرى وصباحَ بن خاقان المنقرى وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان فحُدِّثتُ أن أحمد بن هشام لقيهما يوما فقال أمَا سمعتما ما قال فيكما هذا يعنى اسحق بن الموصلى فقالا ما قال فينا الا خيرا قال قال

لا م فيها مُصْعَبٌ وصباحٌ • فعصينا مُصْعَبا وصباحا

وأبينا غير سعى اليها • فاسترحنا منهما واستراحا

قالا ما قال الا خيرا والمكروه ما قال فيك اذ يقول

وصافية تُغشى العيون رقيقة • رهينة عام فى الدنان وعامِ

أدرنا بها الكأس الرَوِيّة موهنًا • من الليل حتى انجاب كلُّ ظلامِ

فما ذرّ قَرْنُ الشمس حتى كأننا • من العِيّ نحكى أحمدَ بن هشامِ

واعلم أن التشبيه حدّ الاشياء تَشابُهُ من وجوه وتباين من وجوه فانما يُنظَر الى التشبيه من حيث وقع فاذا شُبِّه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق ولا يراد العِظَم والاحراق قال الله جل وعز كأنهنّ بيضٌ مكنونٌ والعرب تشبه النساء ببيض النعام تريد نقاءه ونعمة لونه قال الراعى

كأن بيض نعام فى ملاحفها • اذا اجتلاهن قيظ ليله ومدُ

وقيل للدوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله أىّ منظر أحسن فقالت قصورٌ بيضٌ فى حدائق خُضر فأنشد عمر بن الخطاب لعدى بن زيد

كدُمى العاج فى المحاريب أو كالـ • ـبيض فى الروض زَهْره مستنير

وقال الآخر كالبيض فى الأُدحِيّ يلمع بالضحى • فالحُسنُ حسنٌ والنعيم نعيمُ

وقال جرير ما استوصف الناس عن شئ يروقهم • الا رأوا أمّ نوح فوق ما وصفوا

كأنها مُزنة غَرّاء واضحة • أو دُرّة لا يوارى لونها الصدفُ

المزنة السحابة البيضاء خاصة وجمعها مُزْنٌ قال الله جل وعز أأنتم أنزلتموه من المُزن فالمرأة تشبه بالسحابة لتهاديها وسهولة مرّها قال الأعشى

الوجوه حتى لا يخطئ فى شئ من ذلك وليس فى الارض منجم ذكر شيأ او وافق ضميرا الا وأنت واجد بعض ما يزجر قد يجيء بمثله وأكثر منه فان قلت ان الناس يكذبون فى الأخبار عن الاعراب والكهان من كل جيل قلنا فهم فى أخبارهم عن المنجمين أكذب وبعد فالناس غير مستعظمين لكثرة كذب المنجمين وخطئهم وخدعهم والناس يستقطعون اليسير من المرسلين عليهم

كأنّ مشيتها من بيت جارتها • مرّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

الريثُ الابطاء فهذا ما تلحقه العينُ منها فاما الخفّةُ فهي كاسرع مارّ وان خفي ذلك على البصر قال الله جل وعز وترى الجبال تحسبها جامدةً وهي تمرّ مرّ السحاب والعرب تُشبّه المرأة بالشمس والقمر والغصن والغزال والبقرة الوحشية والسحابة البيضاء والدرّة والبيضة وانما تقصد من كل شيء الى شيء قال ذو الرمّة

ومَيّةُ أحسنُ الثقلين جيدا • وسالفةً وأحسنهم قذالا

فلم أرَ مثلها نظرا وعينا • ولا أمّ الغزال ولا الغزالا

تريك بياض غرّتها ووجها • كقرن الشمس أفتق ثم زالا

أصاب خصاصةً فبدا كليلا • كلا وانغلّ سائرهُ انغلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية العنق والقذالان ناحيتا القفا من الرأس وقوله أفتق ثم زالا يقال أفتق السحاب اذا انكشف انكشافة فكانت فيه فُرجة يسيرة بين السحابتين تقول العرب دام علينا الغيم ثم أفتقنا اذا نظرا الى الشمس والقمر من فتق السحاب فهو أحسن ما يكون وأشدّه استنارة وقوله كلا يريد في سرعة ما بدا ثم غاب وقال الله عز وجل كأنّهن الياقوت والمرجان وقال تبارك وتعالى كأمثال اللؤلؤ المكنون والمكنون المصون يقال كننتُ الشيء اذا صنته وأكننته اذا أخفيته فهذا المعروف قال الله تبارك وتعالى أو أكننتم في أنفسكم وقد يقال كننته أخفيته وقد قال جرير في يزيد بن عبد الملك وأمّه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

الحزمُ والجودُ والايمانُ قد نزلوا • على يزيد أمين الله فاختلفوا

ضخمُ الدسيعة والايمان غرّتهُ • كالبدر ليلة كاد الشهر ينتصف

وقال ذو الرمّة فيا ظبية الوعساء بين جلاجل • وبين النقا آأنت أم أمّ سالم

وقال ابن أبي ربيعة أبصرتها ليلةً ونسوتها • يمشين بين المقام والحجر

يرفلن في الريط والمروط كما • تمشي الهوينا سواكن البقر

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة وقال أبو عبد الرحمن العطويّ

قد رأينا الغزال والغصن والنيّـرين شمس الضحى وبدر الظلام

السلام وكلما كان الرجل في عينك أعظم وكان عن الكذب أزجر كان كذبه عندك أعظم وانما المنجم عند العوام كالطبيب الذي ان قتل المريض علاجه كان عندهم ان القضاء هو الذي قتله وان برأ كان هو أبرأه على ان صوابهم أكثر ودليلهم أظهر وقد صار الناس لا يقتصرون للمنجمين على قدر ما يسمعون منهم دون ان يولدوا لهم ويضعوا الاعاجيب عن

فوحق البيان يعضده البر * هان في مأقط ألد الخصام

مارأينا سوى المليحة شيئا * جمع الحسن كله في نظام

فهي تجري مجرى الأصالة في الرأ * ي ومجرى الأرواح في الأجسام

البرهان الحجة قال الله عز وجل قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين أي حجتكم والمأقط موضع الحرب فضربه مثلا لموضع المناظرة والمحاجة والألد الشديد الخصومة قال الله تبارك وتعالى لتنذر به قوما لدا وقال وهو ألد الخصام وقالت ليلى الأخيلية

كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور

ولم يقدع الخصم الألد ويملأ الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر

السديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي يمان في المعنى فما بين مطلع سهيل الى مطلع الفجر جنوب وانما تأتي الجنوب من قبل اليمن قال جرير

وحبذا نفحات من يمانية * تأتيك من قبل الريان أحيانا

واذا هبت من تلقاء الفجر فهي الصبا تقابل القبلة فالعرب تسميها القبول قال الشاعر

اذا قلت هذا حين أسلو يهيجني * نسيم الصبا من حيث يطلع الفجر

واذا أتت من قبل الشام فهي شمال قال الفرزدق

مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور

وهي تقابل الجنوب وكذلك قال امرؤ القيس

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها * لما نسجتها من جنوب وشمأل

واذا جاءت من دبر البيت الحرام فهي الدبور وهي تهب بشدة والعرب تسميها محوة عن أبي زيد لانها تمحو السحاب ومحوة معرفة لا تنصرف فاما الاصمعي فزعم ان محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعا

قد بكرت محوة بالعجاج * فدمرت بقية الرجاج

الرجاج حاشية الابل وضعافها وقال الأعشى

لها زجل كحفيف الحصا * د صادف بالليل ريحا دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام في العربية لان بعضهم يجعلها نعوتا وبعضهم يجعلها أسماء

ألسنتهم وكل ملحد في الارض للرسول طاعن عليه عائب له يرى ان يصدق عليه كل كذاب يريد ذمه وان يكذب كل صادق يريد مدحه وبعد فلو كان خبر المنجمين في الصواب كخبر الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام الذي هو حجة لما كان خبر المنجمين حجة فان قلت ولم ذاك قلت لان من كثر صوابه على غير استدلال ومقايسة وعلى غير حساب وتجربة أو على نظر

وكذلك مصادرها تحتاج الى الشرح والتفسير ونحن ذاكرون ذلك فى عقب هذا الباب ان شاء الله

يقال جنبت الريح جنوبا وشملت شمولا ودبرت دبورا وصبت صبوا وسمت سموما وحرت حرورا

مضمومات الاوائل فاذا أردت الاسماء فتحت أوائلها فقلت جنوب وشمول وسموم ودبور وحرور

ولم يأت من المصادر شئ مفتوح الاول الا أشياء يسيرة قالوا توضأت وضوءا حسنا وتطهرت

طهورا وأولعت بالشئ ولوعا وان عليه لقبولا ووقدت النار وقودا وأكثرهم يجعل الوقود

الحطب والوقود المصدر ويقال الشمال على لغات ست يقال شمال وشأمل وشمأل وشمل

وشمل وشامل غير مهموز ويقال الشمال الجربياء قال ابن أحمر

بهجر من قسا ذفر الخزامى • تداعى الجربياء به الحنينا

ويقال الجنوب الأزيب ويقال الصبا القبول وبعضهم يجعله الجنوب وهو فى الصبا أشهر بل

هو القول الصحيح والاير والهير والأيير والهيير قال الشاعر • مطاعيم أيسار اذا الهير هبت •

فهذا يدل على أنه الصبا وذلك أنهم انما يمتدحون بالاطعام فى المشتاة وشدة الزمان كما قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى • لا ترى الآدب فينا ينتقر

الجفلى العامة والنقرى الخاصة والآدب صاحب المأدبة يقال مأدبة ومأدبة للدعوة وفى

الحديث ان القرآن مأدبة الله قال أهل العلم معناه مدعاة الله وليس من الادب وأكثر المفسرين

قالوا القول الاول وكلاهما فى العربية جائز ويدل على القول الاول قول رسول الله صلى الله عليه

وسلم أما الجفنة الغراء أى التى يجتمع الناس عليها ويدعون اليها ويقال فى الدعوة أدبه يأدبه أدبا

اذا دعاه قال الشاعر وما أصبح الضحاك الا كثالج • عصانا فأرسلنا المنية تأدبه

وقولنا فى الرياح انها تكون أسماء ونعوتا نفسره ان شاء الله يقول أكثر العرب هذه ريح جنوب

وريح شمال وريح دبور فيجعل جنوبا وشمالا ودبورا وسائر الرياح نعوتا قال الاعشى

لها زجل كحفيف الحصا • د صادف بالليل ريحا دبورا

وقال زهير مكلل باصول النبت تنسجه • ريح شمال لضاحى مائه حبك

وقال جرير • ريح خريق شمال أو يمانية • فهذا يكون على النعت أجود لانه أوضحه بيمانية

ولا تكون اليمانية الا نعتا لانها منسوبة فاما الخريق فهى الشديدة من كل ريح قال حميد بن ثور

ومعاينة لم يكن الأمر من قبل الوحى لانك لو قلت قصيدة فى نفسك فحدثك بها رجل وأنت تعلم انه ليس بمنجم وأنشدكها كلها لعلمت ان ذلك لا يكون الا بوحى ومثل ذلك رجل اشتد وجع عينيه فعالجه طبيب فبرئ فلو جعل الطبيب ذلك حجة على نبوته لوجب علينا تكذيبه ولو قال رجل من غير ان يمسه أو يدنو اليه اللهم ان كنت صادقا عليك فاشفه الساعة فبرئ من

بِشُوَى سَوامٍ والمَطِيُّ كأنَّه ... قَنَا مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَرِيقُ

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال قال جرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير ابن العوام في كلمة يقول فيها

انى تذكرني الزبير حمامة ... تدعو بأعلى الأيكتين هديلا
يا لهف نفسي اذ يغرك حبلهم ... هلا اتخذت على القيون كفيلا
قالت قريش ما أذل مجاشعا ... جارا وأكرم ذا القتيل قتيلا
أفبعد متركم خليل محمد ... ترجو القيون مع الرسول سبيلا
أفتى الندى وفتى الطعان غررتم ... وأبا الشمال اذا تهب بليلا

ويروى أن أحيحة بن الجلاح الانصاري وكان يبخل اذا هبت الصبا طلع من أطمه فنظر الى ناحية هبوبها ثم يقول لها هبي هبوبك فقد أعددت لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدفع الى الوليد منها خمس تمرات فيرد علي منها ثلاثا لأني لصلابتها بعد جهد ما يلوك منها اثنتين وكان لبيد بن ربيعة ابن مالك بن جعفر بن كلاب شريفا في الجاهلية والاسلام قد نذر أن لا تهب الصبا الا نحر وأطعم حتى تنقضي فهبت بالاسلام وهو بالكوفة مقتر مملق فعلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وكان واليها لعثمان بن عفان وكان أخاه لامه وأمهما أروى ابنة كريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس وأم أروى البيضاء بنت عبد المطلب فخطب الناس وقال انكم قد عرفتم نذر أبي عقيل وما وكد على نفسه فأعينوا أخاكم ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها

أرى الجزار تشحذ مديتاه ... اذا هبت رياح أبي عقيل
طويل الباع أبيض جعفري ... كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن الجعفري بما لديه ... على العلات والمال القليل

فلما أتته قال جزى الأمير خيرا قد عرف الأمير أني لا أقول شعرا ولكن اخرجي يا بنية فخرجت خماسية فقال لها أجيبي الأمير فأقبلت وأدبرت) وبعث الناس فقضى نذره ففي ذلك تقول ابنة لبيد

اذا هبت رياح أبي عقيل ... دعونا عند هبتها الوليدا

ساعته لعلمنا انه صادق فان قالوا وما علمنا ان محمدا عليه الصلاة والسلام لم يكن منجما قلنا ان علمنا بذلك كعلمنا بان العباس وحمزة وعليا وأبا بكر وعمر رضوان الله عليهم أجمعين لم يكونوا منجمين ولا أطباء متكهنين وكيف يجوز ان يصير انسان عالما بالنجوم من غير ان يختلف الى المنجمين أو يختلفوا اليه أو يكون علم النجوم فاشيا في أهل بلاده أو يكون في أهله واحد معروف به

طويل

(طَويلَ الباعِ أبيضَ عَبْشَمِيًّا • أعانَ على مُرُوَّتِهِ لَبِيدا
بأمثالِ الهضابِ كأنَّ رَكْبًا • عليها من بني حامٍ قُعودا
أبا وَهْبٍ جزاكَ اللهُ خيرًا • نحرناها وأطعمنا الثريدا
فَعُدْ إنَّ الكريمَ له مَعادٌ • وظَنِّي بابنِ أَرْوَى أنْ يعودا

قال لها لبيد أحسنت يا بنيتي لولا أنك سألت فقالت ان الملوك لا يُستحى من مسئلتهم فقال لها يا بنيتي وأنت في هذا أشعر) ومَنْ جعل الشمال والجنوب أسماء لم يصرفها اذا سُمِّيَ بشيء منها رجلٌ لانك اذا سميت رجلا مذكرا باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعدًا لا علامةَ للتأنيث فيه لم تصرفه في المعرفة وصرفته في النكرة نحو عَناق وأتان وعقرب وان كان نعتا انصرف لانك اذا سميتَ رجلا مذكرا بنعت مؤنث لا علامة فيه صرفته لانه مذكر نُعِتَ به المؤنث نحو حائض وطالق ومُتْئِم ومُرْضِع واذا ذكرنا من الباب شيأ فلم نذكره منه فعلى مجراه ومنهاجه قال الشاعر فجعل ما وصفنا أسماء

حالت وحِيلَ بها وغَيَّرَ آيَها • طولُ البِلَى تجري به الرِيحانِ
رِيحُ الشَّمال مع الجَنوب وتارةً • رِهَمُ الربيع وصائبُ التَّهْتانِ

وقد أنشدوا بيت زهير • رِيحُ الجَنوبِ اضاحي مائهِ حُبُكُ • وقولنا لا علامة فيه للتأنيث لتَعرِفَ كيف حكم علامات التأنيث لان ذلك انما يكون على ضربين فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف في معرفة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث فالمقصور نحو حُبْلَى وسَكْرَى وما أشبه ذلك والممدود نحو حمراء وصفراء وصحراء وما أشبه ذلك فان كانت ممدودة لغير التأنيث انصرف اذا كان لمذكر في المعرفة والنكرة زائدا كان أو أصليا فالاصلي نحو سقاء وغذاء وحذاء ورداء والزائدة نحو علباء وحرباء وقُوباء يا فتى ومن قال قُوباء يا فتى أنّث ولم يصرف لان الاولى مُلْحَقَةٌ وهذه للتأنيث فأما الالف المقصورة التي لغير التأنيث فان كانت أصلية انصرفت في المذكر نحو مَلْهًى ومَغْزًى ومُشْتَرًى وان كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت في النكرة ولم تنصرف في المعرفة نحو أَرْطًى وعَلْقًى فيمن جعل الواحدة عَلْقاةً وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف في النكرة وغير منصرف في المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربيا كان أو أعجميا فهذه جملة هذا الباب فاما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه في الكتاب المقتضب وتقول في أكثر

ولو بلغ انسان في علم النجوم وليست معه علة من هذه العلل وكان ذلك يخفى لكان ذلك كبعض الآيات والعلامات ومتى رأينا حاذقا بالكلام أو بالطب أو بالحساب أو بالغناء أو بالنجوم أو بالعروض خفي على الناس موضعه وسببه وجميع ما ذكرنا فعناية الناس به وعداوتهم له وشهرته في نفسه دون محمد صلى الله عليه وسلم وهل نسب أحد قط لأحد الا دون ما نسبه

الكلام هبت جنوبا وهبت شمالا فتستغنى عن ذكر الريح وهذا مما يؤكد أنها نعوت لأن الحال انما بابها أن تقع فيما يكون نعتا قال جرير

هبت شمالا فذكرى ما ذكرتكم • عند الصفاة التى شرقى حورانا

وقال الآخر فأى حى اذا هبت شامية • واستدفأ الكلب بالمأسور ذى الذئب

المأسور يعنى قتبا وانما الأسر الشد بالقد حتى يحكم وانما قيل الاسير من ذا لانه كان يشد بالقد ثم قالت العرب لكل محكم شديد الأسر قال الله تبارك وتعالى نحن خلقناهم وشددنا أسرهم وقوله ذى الذئب يعنى الفضول التى وسعته وأسبغته يقال غبيط مذأب أى ذو ذئب أى موسع والغبيط مركب من مراكب النساء وقال أوس بن حجر فى شدة البرد وغلبة الشمال يرثى فضالة بن كلدة الأسدى

والحافظ الناس فى قحوط اذا • لم يرسلوا تحت عائذ ربعا

وعزت الشمأل الرياح وقد • أمسى كميع الفتاة ملتفعا

وكانت الكاعب المنعمة الحسناء فى زاد أهلها سبعا

تحوط وقحوط وكحل وبحرة أسماء السنة الجدبة والعائذ الحديثة النتاج فتنحر أولادها فى السنة الجدبة ابقاء على ألبانها وشحومها والربع الذى ينتج فى الربيع والهبع الذى ينتج فى الصيف يقال ماله هبع ولا ربع وانما سمى هبعا لان الربع أسن منه فيمشى مع أمهاتها ولا يلحقهن الهبع الا باجتهاد فيستعين بعنقه فى المشى يقال اذا فعل ذلك هبع يهبع ويقال للريح الشمال نسع ومسع قال الهذلى

قد حال دون دريسيه مأوبة • نسع لها بعضاه الارض تهزيز

الدريسان ثوبان خلقان ومأوبة مفعلة من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه قال أبو عبيدة هو سير النهار والاسآد سير الليل لا تعريس فيه وأنشد لسلامة بن جندل

يومان يوم مقامات وأندية • ويوم سير الى الاعداء تأويب

وانما يعنى ريحا وقوله نسع أى شمال والعضاه شجرة ضخمة فبعض العرب يقول للواحدة عضاهة والجميع عضاه على وزن دجاجة ودجاج وبعضهم يقول الواحدة عضة فيقول فى الجمع عضوات وعضهات فتكون من الواو ومن الهاء قال الشاعر

هذا طريق يأزم المآزما • وعضوات تقطع اللهازما

له رهطه وأدانى أهله ومن معه فى بيته وربه وما أعرف برحمة الله المعاند والمسترشد والمصدق والمكذب بنكر أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن منجما ولا طبيبا واذا قال الجاهل انه قد كان يعلم الخط نفى له ذلك وتعلم الاسباب والقضاء فى النجوم نفى له ذلك وتعلم البيان وقدر منه على ما يعجز أمثاله عنه وخفى ذلك أليس مع قوله ما يعلم خلافه يعلم انه قد سلم له

ونظير عضة سنة على أن الساقط الهاء فى قول بعض العرب والواو فى قول بعضهم تقول فى جمعها سنوات وسانيت الرجل وبعضهم يقول سنهات وأكريته مسانهة وهذا الحرف فى القرآن يقرأ على ضربين فمن قرأ لم يتسنه وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانهت التى هى سنهة ومن جعله من الواو قال فى الوصل لم يتسن وانظر فاذا وقف قال لم يتسنه فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء فى قوله فبهداهم اقتده وكتابيه وحسابيه والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السنون ومن لم يقصد الى السنة قال لم يتأسن والآسن المتغير قال الله جل وعز فيها أنهار من ماء غير آسن ويقال اسن فى هذا المعنى كما يقال رجل حاذر وحذر ويقال للريح الجنوب النعامى قال أبو ذؤيب

مرته النعامى فلم يعترف * خلاف النعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته استدرته وفى الحديث ما هبت الريح الجنوب الا أسال الله بها واديا وقال رجل يمدح رجلا

فتى خلقت أخلاقه مطمئنة * له نفحات ريحهن جنوب

يريد أن الجنوب تأتى بالمطر والندى والعرب تكره الدبور وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وقلما يكون بالدبور المطر لانها تجفل السحاب ويكون فيها الرهج والغبرة ولا تهب الا أقل ذلك الا بشدة فتكاد تقلع البيوت وتأتى على الزروع وقال رجل يهجو رجلا

لو كنت ريحا كانت الدبورا * أو كنت غيما لم تكن مطيرا
أو كنت ماء لم تكن طهورا * أو كنت مخا كنت مخا ريرا
* أو كنت بردا كنت زمهريرا *

الرير المخ الرقيق يقال مخ رير ورار فى معنى واحد وقال السليك

* يصيدك قافلا والمخ رار * والشيء يذكر بالشيء وقال آخر

لو كنت ماء لم تكن بعذب * أو كنت سيفا كنت غير عضب
أو كنت لحما كنت لحم كلب * أو كنت عيرا كنت غير ندب

فأما قول السليك فانه يرثى فرسه وكان يقال له النحام فقال

كأن قوائم النحام لما * تحمل صحبتى أصلا محار
على قرماء عالية شواه * كأن بياض غرته خمار

أعجوبة كأعجوبة ابراء الاكمه والابرص والمشى على الماء اذ كان ذلك لا يجوز ولا يمكن فى الطبائع والعقل والتجربة وافهم يرحمك الله ما أنا واصفه لك هل يجد التارك لتصديقه انه لا يدرى بزعمه لعله كان أعلم الخلق بالنجوم ناظرا لنفسه غير معاند لحجة عقله وهو لم يجد أحدا قط برع فى صناعة واحدة تخفى على الناس موضعه بكل ما حكيناه وفسرناه وأنت كيف تعلم انه ليس فى

ومايُدْرِيكَ مافقري اليه * اذاماالقومُ ولّوا أو أغاروا

ويُحْضِرُ فوق جُهْدِ الحُضْرِ نَصًّا * يَصِيدُكَ قافلا والمخُّ رار

قوله كانَ قوائمَ النعام مجارِ المحارةُ الصَدَفَةُ يريد الملاسة وانه قد ارتفعت قوائمه للموت والاُصُلُ جمع أَصيل والاصيلُ العَشيُّ يقال أَصيلٌ وأُصُلٌ مثل قَضيب وقُضُب وجمع أُصُلٍ آصال وهو جمع الجمع وتقديره عُنُقٌ وأَعناقٌ وطُنُبٌ وأطناب ويقال في جمع أَصيلةٍ أصائلُ مثل خَليفةٍ وخَلائف قال الأَعشى * ولا بأَحسنَ منها اذ دنا الأُصُلُ * وقال أبو ذُؤَيب

لَعَمْرِي لَأَنتَ البيتُ أُكْرِمُ أَهلَهُ * وأَقعدُ في أفيائهِ بالأَصائل

وقرماء ممدودة اسم موضع وشواه قوائمه وقد فسرناه قبل هذا وقوله ولوا أو أغاروا اذا طَلَبوا أو هَرَبوا وقوله يصيدكَ أي يصيد لك يقال صِدْتُكَ ظَبْيًا قال الله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرونَ أي كالوا لهم أو وزنوا لهم يقال كِلْتُكَ ووَزَنْتُكَ لانه قد قال تعالى أوّلًا اذا اكتالوا على الناس يَسْتَوفونَ فأما ما جاء في الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجعلها رِياحًا ولا تجعلها رِيحًا فان العرب تقول لا تَلْقَحُ السحابُ الا من رياحٍ وتصديق ذلك قول الله عز وجل الله الذي يُرسِلُ الرياحَ فَتُثيرُ سَحابًا وقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تَذاءَبَتْ قال الشاعر * نَسْعٌ اذا تَذاءَبَتِ الرِياحُ * يقول اذا تقابلت يقال تذاءبت الرياح وتَناوَحَتْ أي تقابلتْ وتَناوَحَ الشجرُ اذا قابلَ بعضُه بعضًا وانما سميت النائحة نائحة لانها تُقابِلُ صاحبتها فاذا خَلَصَتِ الريحُ عندهم دَبورًا فهي من جنس البَوار واذا خَلَصَتْ شمالًا شَشْتَوِيَّةً فهي من آيات الجَدْبِ ومن ثَمَّ تقول العرب فلان يُطْعِمُ في الشمالِ كما تقول يُطْعِمُ في المَحْلِ قال أوسُ بن حَجَرٍ * وعَزَّتِ الشَمْأَلُ الرِياحَ * أي غلبتها فكانت أقوى منها فلم تَدَعْ لها موضعا وقوله تعالى وعَزَّني في الخطاب أي غلبني في المُخاطبة والخصومة ومن أمثال العرب من عَزَّ بَزَّ وتأويله من غَلَبَ سَلَبَ قالت الخنساءُ

كأَنْ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى * اذ الناسُ اذ ذاكَ مَنْ عَزَّ بَزّا

قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بَحْرٍ الجاحظ قال رأيت رجلا من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلا من بني فَزارةَ ثم أحد بني بَدْرِ بن عمرو وكان الغَنَوِيُّ متمكنا من لسانه وكان الفزاريُّ بَكِيًّا فقال الغنوي

اخوانك من ليس بمنجم وان فيهم من ليس بطبيب الا بمثل ما يعرف به رهط النبي صلى الله عليه وسلم وآله منه وكيف لم يشتهر ذلك ولم يحتج به عليه ولقد بلغ من اسرافهم في شتمه وافراطهم عليه ان نافقوا أحالوا الا انهم كانوا يقولون له أنت ساحر وأنت مجنون وانما يقال للرجل ساحر لخلابته وحسن بيانه واطف مكائده وجودة مداراته وتحببه ويقال مجنون

ماؤنا ما بين الرَّقَم الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رِشاءً وأعذب منهم ماءً انا ريف السهولِ ومعاقل الجبال وأرضهم سَبِخة ومياههم املاح وأرشيتهم طوال والعرب اذ ذاك مَن عزّ بزّ فعزَّنا ما تخيّرنا عليهم وبذلهم ما رضوا عنا بالضيم قوله كان الفزارى بكيّا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك فى الحَلَب يقال ناقة غزيرة وناقة بَكيّ وهى ضد الغزيرة أى قليلة اللبن ودهين وصمرِد فى معنى يقال بَكَأَت الشاة والناقة وبَكُؤَت قال الشاعر

فاذا ما حاردت أو بَكُؤَت * فُضّ عن خاتم أخرى طينُها

وقال سلامة بن جندل الطُّهَوى

يقول مَحبِسُها أدنى لمَرتَعِها * وان تداعى ببَثٍّ كلُّ محلوب

يقول ان تَحبِس الابل على ضُرّ ونقاتل عنها فهو أدنى بأن تعزّ فترتع فيما تستقبل وان ذهبت ألبانها الانا ان طردناها وهربنا طمع فينا واستُذِلّنا ويقال فى الكلام رجل عَيِيٌّ بَكِيٌّ قال أبو العباس وهذا الغنوى اذا حاول بقبيلته آل بدر فقد أعظم الفِريةَ وبلغ فى البهت وأسمت العدوّ بجمهور قيس وصار بهم الى ما قال الأخطل

وقد سرّنى من قيسِ عَيلانَ أننى * رأيتُ بنى العجلان سادوا بنى بدر

وكان زيادٌ يقول وهو الغاية فى السياسة أوصيكم بثلاثة بالعالم والشريف والشيخ فوالله لا أُوتَى بوضيعٍ سبّ شريفا أو شابّ وثَب بشيخ أو جاهلٍ امتهن عالما الا عاقبت وبالغت وقال عُمارة لبنى أسد بن خُزَيمة

ياأيها السائلى عَمْدًا الأُخبِرَهُ * بذات نفسى وأيدى الله فوق يدى

ان تستقيم أسدٌ تَرشُد وان شَغَبَت * فلا يلُمْ لائمٌ الا بنى أسد

انى رأيتكمُ يُعصَى كبيرُكمُ * وتُكنَعون الى ذى الفَجرة النَّكِد

فباعد الله كلَّ البُعدِ دارَكمُ * ولا شفاكم من الأضغان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدلّه على ضِغن بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضا والوضيع ينقلب الى الشريف لانه يرى مُقاولته فخرا والاجتراء عليه رِبحا كما أن مُقاولةَ الشريف اللئيم ذلّ وضَعة وقال الشاعر

اذ أنت قاولتَ اللئيمَ فانما * يكونُ عليكَ العتبُ حين تُقاوِلُه

اضد ذلك كله

(فصل منه) وليس ينتفع الناس بالكلام فى الاخبار الا مع التصادق ولا تصادق الا مع كثرة السماع والعلم بالاصول لان رجلا لو نازع فى الاخبار وفى الوعد والوعيد والخاص والعام والناسخ والمنسوخ والفريضة والنافلة والسنة والشريعة والاجتماع والفرقة ثم حسنت نيته وناصح عن نفسه لما عرف حقائق باطل دون ان يكون قد

ولست كمن يرضى بما غيره الرضا * ويمسح رأس الذئب والذئب آكله

وسنشبع في هذا المعنى ان شاء الله وفي هذا الشعر بيت يقدّم في باب القتل وهو

فلا تقربن أمر الصريمة بامرئ * اذا رام أمراً عوّقته عواذله

(وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة * من الروع أفرخ أكثر الروع باطله)

الصريمة العزيمة وقد امتنع قوم من الجواب تنبّلا ومواضعهم تنبئ عن ذلك وامتنع قوم عيّا بلا اعتلال وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السفه وبعضهم معتل برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يسبّه الرجل الركيك من العشيرة فيعرض ويسبّ سيد قومه وكانت الجاهلية ربما فعلته في الذحول قال الراجز

ان بجيلا كلما هجاني * ملت على الأغطش او أبان

أو طلحة الخير فتى الفتيان * أولاك قوم شأنهم كشاني

ما نلت من أعراضهم كفاني * وان سكتّ عرفوا احساني

وقال أحد المحدثين اني اذا هرّ كلاب الحي قلت له * اسلم وربّك مخنوق على الجرر

قوله اسلم فاستأنف بألف الوصل لان النصف الاول موقوف عليه قال الشاعر

ولا يبادر في الشتاء وليدها * القدر ينزلها بغير جعال

الجعال الذي يوضع فيه البرمة وربما توقّيت به حرارتها قال الراجز

لا نسب اليوم ولا خلة * اتّسع الخرق على الراقع

وهذا كثير غير معيب وفي مثل اختيار النبيل لتتكافأ الاعراض قول الاخطل

شفى النفس قتلى من سليم وعامر * ولم يشفها قتلى غنيّ ولا جسر

ولا جشم شرّ القبائل انها * كبيض القطا ليسوا بسود ولا حمر

ولو ببني ذبيان بلّت رماحنا * لقرّت بهم عيني وباء بهم وتري

وقال رجل من المحدثين وهو حمدان بن أبان اللاحقي

أليس من الكبائر أن وغدا * لآل معذّل يهجو سدوسا

هجا عرضا لهم غضّا جديدا * وأهدف عرض والده اللبيسا

عرف الوجوه وسمع الجمل وعرف الموازنة وماكان في الطبائع وما يمتنع فيها وكيف أيضا يقول في التأويل من لم يسمع بالتنزيل وكيف يعرف صدق الخبر من لم يعرف سبب الصدق واعلم ان من عود قلبه التشكك اعتراه الضعف والنفس عزوف إلفا عودتها من شيء جرت عليه والمخبر الى تقوية قلبه وردّ قوته عليه وافهامه موضع رأيه وتوفيقه على الأمر الذي أشغل صدره

وقال

وقال آخر اللؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ ووالدِه * واللؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ وما وَلَدا
قومٌ اذا جَرَّ جانٍ قومِهِمْ أمِنُوا * من لُؤمِ أحسابِهِمْ أن يُقتَلوا قَوَدا
اللؤمُ داءٌ لوَبْرٍ يُقتَلونَ به * لا يُقتَلونَ بداءٍ غيرِه أبدا

قال أحد المحدثين (هو دعبل)
أما الهجاءُ فدَقَّ عِرضُكَ دونه * والمدحُ عنكَ كما علمتَ جليلُ
فاذهب فأنتَ عتيقُ عِرضِكَ انه * عِرضٌ عَزَزْتَ به وأنتَ ذليلُ

وقال آخر نُبِّئتُ كلباً هابَ رَمْيي له * يُنبحُني من موضعٍ نائي
لو كنتَ من شيءٍ هجوناكَ أو * لو نلتَ الشائعَ والرائي
فعُدْ عن شتمي فاني امرؤٌ * حلَّمني قلَّةُ أكفائي

وقال آخر (هو دعبل) فلو أني بُليتُ بهاشميٍّ * خُؤُولتُه بنو عبدِ المَدانِ
صبرتُ على عداوته ولكن * تعالَي فانظري بمن ابتلاني

ووقف رجل عليه مُقَطَّعاتٌ على الاحنف بن قيس يسبه وكان عمرو بن الاهتم جعل له ألف درهم على أن يُسَفِّهَ الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سبا يُغضِبُ والاحنفُ مُطرِقٌ صامت فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يعَضُّ ابهاميه ويقول ياسوأتاه والله ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه وفعل ذلك آخرُ فأمسكَ عنه الأحنفُ فأكثر الرجل الى أن أراد الأحنفُ القيام للغداء فأقبل على الرجل فقال له ياهذا ان غداءنا قد حضر فانهض بنا اليه ان شئت فانك مُذ اليوم تحدو بجمل ثقالٍ والثقالُ من الابل البطىء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث وعَدَّتْ على الاحنف سقطةٌ في هذا الباب وهو أن عمرو بن الأهتم دَسَّ اليه رجلا ليسفهه فقال أبا بحر ما كان أبوك في قومه قال كان من أوسطهم لم يَسُدْهُم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانية ففَطِنَ الاحنفُ انه من قِبَلِ عمرو فقال ما كان مال أبيك فقال كانت له صِرمةٌ يُمنَح منها ويَقري ولم يك أهتم سَلّاحا وجُعِلَ لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أُمِّه ولم تكن في موضع مَرضِيٍّ فأتاه الرجل وهو بمصر أميرعليها فقال أردت أن أعرف أمَّ الأمير فقال نعم كانت من عَنَزَة ثم من بني جلّان تُسمّى لَيلى وتُلقَّبُ النابغة اذهب وخذ ما جُعِلَ لك وقال له مرة المنذر بن الجارود أيُّ رجلٍ أنت لولا أُمُّك

أحوج منه الى المنازعة في فرق ما بين المجيء الذي يكذب مثله والمجيء الذي لا يكذب مثله وستتكلف من علاج دائه وترتيب افهامه ان أعان على نفسه بما لا يبقي سببا للشك ولا علة للضعف والله تعالى المعين على ذلك والمحمود عليه (فصل منه) ومتى سمعنا نبي الله عليه السلام اتكل على عدالته وعلى معرفة قومه بقديم طهارته وقلة كذبه دون أن جاءهم بالعلامات

قال فانى أحمد الله اليك انى فكرت فى هذا البارحة فأقبلت أنقلها فى قبائل العرب فما خطرت لى عبد القيس على بال ودخل عمرو مكة فرأى قوما من قريش قد جلسوا حلقة فلما رأوه رموه بأبصارهم فعدل اليهم فقال أحسبكم كنتم فى شئ من ذكرى قالوا أجل كنا نميل بينك وبين أخيك هشام أيكما أفضل فقال عمرو ان لهشام علىّ أربعة أمه ابنة هشام بن المغيرة وامى من قد عرفتم وكان أحب الى أبيه منى وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد وأسلم قبلى واستشهد وبقيت وقد أكثر الناس فى الباب الذى ذكرناه وانما نذكر من الشئ وجوهه ونوادره قال رجل لرجل من آل الزبير كلاما أقذع له فيه فأعرض الزبيرى عنه ثم دار كلام فسب الزبيرى على بن الحسين فأعرض عنه فقال له الزبيرى ما يمنعك من جوابى فقال على ما منعك من جواب الرجل وقد روى قول القائل لو قلت واحدة لسمعت عشرا فقال له الرجل ولكنك لو قلت عشرا ما سمعت واحدة وقال الشاعر

ولقد أمر على اللئيم يسبنى • فأجوز ثم أقول لا يعنينى

وقال رجل لرجل وسبه فلم يلتفت اليه اياك أعنى فقال له الرجل وعنك أعرض فأما قول الشعبى للرجل ما قال فمن غير هذا الباب وانما مخرجه الديانة وذلك أن رجلا سب الشعبى بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبى ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لى وقال أبو العباس قال رجل لأبى بكر الصديق رحمه الله لأسبنك سبا يدخل معك قبرك فقال معك والله يدخل لا معى (ويحدث ابن عائشة عن أبيه أن رجلا من أهل الشام دخل المدينة فقال رأيت رجلا على بغلة لم أر أحسن وجها ولا أحسن لباسا ولا أفره مركبا منه فسألت عنه فقيل لى الحسن بن على بن أبى طالب فامتلأت له بغضا فصرت اليه فقلت أأنت ابن أبى طالب فقال أنا ابن ابنه فقلت له فيك وبك وبأبيك أسبهما فقال أحسبك غريبا قلت أجل فقال ان لنا منزلا واسعا ومعونة على الحاجة ومالا نواسى منه فانطلقت وما أجد على وجه الأرض أحب الى منه) ويتصل بهذا الباب ذكر من رغب برجل عن ارث رجل لا يشاكله وولاية رجل لا يشابهه قال الشاعر

بكت دار بشر شجوها ان تبدلت • هلال بن قعقاع ببشر بن غالب
وما هى الا كالعروس تنقلت • على رغمها من هاشم فى محارب

وقال الفرزدق حين ولى العراق عمر بن هبيرة الفزارى يعقب مسلمة بن عبد الملك

والبرهانات ولعمرى لو لم نجد الحافظ ينسى والصادق يكذب والمؤمن يبدل لقد كان ما ذهبوا اليه وجها

(فصل منه فى ذكر دلائل النبى صلى الله عليه وسلم)

وباب آخر يعرف به صدقه وهو اخباره عما يكون واخباره عن ضمائر الناس وما يأكلون وما يدخرون ولدعائه المستجاب الذى لا تأخير فيه ولا خلف له وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم حين لقى من قريش

راحت بمسلمة البغال عشية * فارعي فزارة لا هناك المرتع

ولقد علمت اذا فزارة أُمِّرت * أن سوف يطمع في الامارة أشجع

فأرى الأمور تنكرت أعلامها * حتى أمية عن فزارة تنزع

عُزل ابن بشر وابن عمرو قبله * وأخو هراة لمثلها يتوقع

فلما ولي خالد بن عبد الله القسري على عمر بن هبيرة قال رجل من بني أسد يجيب الفرزدق

عجب الفرزدق من فزارة أن رأى * عنها أمية بالمشارق تنزع

فلقد رأى عجبا وأحدث بعده * أمر تضج له القلوب وتفزع

بكت المنابر من فزارة شجوها * فاليوم من قسر تذوب وتجزع

وملوك خندف أسلمونا للعدى * لله در ملوكنا ما تصنع

كانوا كتاركة بنيها جانبا * سفها وغيرهم تصون وترضع

قال أبو العباس وكان الفرزدق هجّاء لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق وفي ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان

أمير المؤمنين وأنت برّ * أمين لست بالطبع الحريص

أأطعمت العراق ورافديه * فزاريا أحذّ يد القميص

تفهّق بالعراق أبو المثنى * وعلّم قومه أكل الخبيص

ولم يك قبلها راعي مخاض * ليأمنه على وركي قلوص

قوله لست بالطبع الحريص فالطبع الشديد الطمع الذي لا يفهم لشدة طمعه وانما أُخذ هذا من طبع السيف يقال طبع السيف يا فتى وهو سيف طبع اذا ركبه الصدأ حتى يغطي عليه والمثل من هذا في الذي طُبع على قلبه انما هو تغطية وحجاب يقال طبع الله على قلب فلان كما قال جل وعز طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم هذا الوقف ثم قال وعلى أبصارهم غشاوة وكذلك رين على قلبه وغين على قلبه فالرين يكون من أشياء تألّف عليه فتغطيه قال الله جل وعز كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وأما غين على قلبه فهي غشاوة تعتريه والغينة القطعة من الشجر الملتف تغطي ما تحتها قال الشاعر

كأني بين خافيتي عقاب * أصاب حمامة في يوم غين

والعرب ما لقي من شدة أذاهم له وتكذيبهم اياه واستعانتهم عليه بالاموال والرجال دعا الله عز وجل ان يجدب بلادهم وان يدخل الفقر في بيوتهم فقال صلى الله عليه وآله اللهم سنين كسني يوسف اللهم اشدد وطأتك على مضر فامسك الله عز وجل عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وقلت المزارع وماتت المواشي وحتى اشتووا القد والعلهز فعند ذلك وفد حاجب بن

وقال بعضهم أراد فى النفاق من الطلمة وقال آخرون أراد فى يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون فى الغنة كما يقال للحية أيم وأين واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون فى القوافى لما ذكرت لك من اجتماعهما فى الغنة قال الراجز

بنى ان البر شئ هين * المنطق اللين والطعيم

وقال آخر

ما تنقم الحرب العوان منى * بازل عامين حديث سنى

* لمثل هذا ولدتنى أمى *

والعراقان البصرة والكوفة والرافدان دجلة والفرات وقوله أحذ يد القميص الأحذ الخفيف قال طرفة * وأتلع نهاض أحذ ململم * وانما نسبه بالخفة فى يده الى السرق وقوله تفهق أى امتلاء ماء يقال بئر تفهق وغدير يفهق اذا امتلأ ماء قال الراجز

لا ذنب لى قد قلت للقوم استقوا * والقوم فى عرض غدير يفهق

وقال الاعشى فى مدحه المحلق بن حنتم أحد بنى أبى بكر بن كلاب

نفى الذم عن رهط المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

هكذا رواية أبى عبيدة وقوله

ولم يك قبلها راعى مخاض * ليأمنه على وركى قلوص

كانت بنو فزارة ترمى بغشيان الابل ولذلك قال ابن دارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار

فلما عزل ابن هبيرة وحبسه خالد بن عبد الله القسرى قال الفرزدق

لعمرى لئن نابت فزارة نوبة * لمن حدث الايام تحسبها قسر

لقد حبس القسرى فى سجن واسط * فتى شيظميا ما ينهنهه الزجر

فتى لم تربيه النصارى ولم يكن * غذاء له لحم الخنازير والخمر

الشيظمى الطويل قال ذو الرمة

اذا مار منها رمية فى مفازة * عراقيها بالشيظمى المواشك

يريد حاديا يسوقها وقوله ما ينهنهه الزجر يقول ما يحركه وقوله فتى لم تربيه النصارى يقيه به على

زوارة على كسرى يشكو اليه الجهد والأزل ويستأذنه فى رعى السواد وهو حين ضمنه عن قومه وأرهنه قوسه فلما أصاب مضر خاصة الجهد وتم بهم الازل وبلغت الجهد مبلغها وانتهت الموعظة منتهاها عاد بفضله صلى الله عليه وسلم على الذى بدأهم به فسأله ربه الخصب وادرار الغيث فأتاهم منه ماهدم بيوتهم ومنعهم حوائجهم فكلموه فى ذلك فقال اللهم حوالينا

ام

أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه أسلمها في يوم عيد للروم فأولدها خالدا وأسدا ولذلك

يقول الفرزدق ألا قطّع الرحمن ظهر مطيّة * أتتنا تهادى من دمشق بخالد

وكيف يؤم الناس من كانت أمّه * تدين بأن الله ليس بواحد

بنى بيعة فيها النصارى لأمّه * ويهدم من كفر منار المساجد

وقال عليك أمير المؤمنين بخالد * وأصحابه لا طهّر الله خالدا

بنى بيعة فيها الصليب لأمّه * ويهدم من بغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطّها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالي موالي الأنصار وهو ليتني في المؤذنين حياتي * انهم يبصرون من في السطوح

فيشيرون أو تشير إليهم * بالهوى كل ذات دلّ مليح

فحطها عن دور الناس ويروى عنه فيما روي من عتوّه أنه استُسقي من بيعة بناها لأمه فقال للملأ من المسلمين قبّح الله دينهم إن كان شرّا من دينكم وقال الفرزدق لابن هبيرة حيث نُقب له السجن وهرب وسار تحت الأرض هو وابنه حتى نفذا

لمّا رأيت الأرض قد سُدّ ظهرها * ولم يبق إلا بطنها لك مخرجا

دعوت الذي ناداه يونس بعدما * ثوى في ثلاث مظلمات ففرّجا

فأصبحت تحت الأرض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حيث أدلجا

خرجت ولم تمنن عليك طلاقة * سوى ربذ التقريب من آل أعوجا

فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجاني أميرا ومدحني أسيرا قوله حيث أدلجا تقول أدلجت إذا سرت من أول الليل وادّلجت إذا سرت من آخره في السحر قال زهير

بكرن بكورا وادّلجن بسحرة * فهنّ لوادي الرسّ كاليد للفم

وأعوج فرس كان لغني وقالوا كان لبني كلاب ولا يُنكر هذا لأن حبيبة بنت رياح الغنوية ولدت بني جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار إلى بني جعفر بن كلاب من غني والعرب تنسب الخيل الجياد إلى أعوج وإلى الوجيه ولاحق والغراب والصموم وما أشبه هذه الخيل من المتقدمات قال زيد الخيل جلبنا الخيل من أجإ وسلمى * تخبّ نزائعا خبب الذئاب

ولا علينا فأمطر الله عز وجل ما حولهم وأمسك عنهم وكتب إلى كسرى يدعوه إلى نجاته وتخليصه من كفره فبدأ باسمه على اسمه فأنف من ذلك كسرى لشقوته وأمر بتمزيق الكتاب فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال اللهم مزّق ملكه كل ممزق فمزق الله جل وعز ملكه وجدّ أصله وقطع دابره لأن كل ملك في الأرض وإن كان قد أخرج من معظم ملكه فهو مقيم على بقية منه

جلبنا كلّ طِرفٍ أعوجيٍّ * وسَلْهبةٍ تكافيءُ العُقابا

ثم نرجع الى التشبيه المصيب قال امرؤ القيس فى طول الليل

كأن الثريّا عُلّقتْ فى مَصامها * بأمراس كتّانٍ الى صُمّ جَنْدلِ

فهذا فى ثبات الليل واقامته والمصام المَقامُ وقيل للممسك عن الطعام صائم لثباته على ذلك ويقال صام النهار اذا قامت الشمس قال امرؤ القيس

فَدَعها وسَلِّ الهمَّ عنك بجَسْرةٍ * ذَمولٍ اذا صام النهارُ وهَجّرا

وقال النابغة

خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ * تحتَ العجاجِ وخيلٌ تَعلُكُ اللُّجُما

والأمراس جمع مَرَسٍ وهو الحبل قال أبو زُبيد يرثى غلامه وتعرض للحرب فقتل

أمّا تعلّق بى الرماحُ فلا * أبكيك الا للدلو والمَرَس

وقال فى ثبات الليل

فيالكَ من ليلٍ كأنّ نجومَهُ * بكلّ مُغار الفتلِ شُدّت بيذبُلِ

المغار الشديد الفتل يقال أغرتُ الحبلَ اذا شددت فتله ويذبل جبل بعينه وقال أيضا

كأنّ أباناً فى أفانين وَدْقه * كبيرُ أناسٍ فى بجادٍ مزمَّلِ

أبانٌ جبل وهما أبانان أبان الاسود وأبان الأبيض قال مُهلهلٌ وكان نزل فى آخر حربهم حرب البسوس فى جنب بن عمرو بن عُلَة بن جلد بن مالك وهو مذحج وجَنْبٌ حى من أحيائهم وضيعٌ فخطبت ابنته ومُهرت أدما فلم يقدر على الامتناع فزوجها وقال

أنكحها فقدُها الاراقمَ فى * جَنْبٍ وكان الحباءُ من أدم

لو بأبانين جاء يخطبها * ضُرِّجَ ما أنفُ خاطبٍ بدمِ

وقوله فى أفانين ودقه يريد ضروبا من ودقه والوَدْقُ المطر قال الله تبارك وتعالى فترى الودق يخرج من خلاله وقال عامر بن جُوين الطائى

فلا مزنةٌ ودقتْ ودقَها * ولا أرضَ أبقلَ ابقالَها

وقوله كبيرُ أناسٍ فى بجادٍ مزمّل يريد مزملا بثيابه قال الله تبارك وتعالى يا أيها المزّمّل قُم الليلَ الا قليلا وهو المتزمّل والتاء مدغمة فى الزاى وانما وصف امرؤ القيس الغيثَ فقال قوم أراد أن المطر قد خنّق الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل وقال آخرون انما أراد ما كساه المطرُ

وذلك ان الاسلام لم يترك ملكا بحيث تناله الحوافر والاخفاف والاقدام الا أزاله عنه وأخرجه منه الى عقاب يعتصم بها ومعاقل يأوى اليها أو طرده الى خليج منيع لا يقطعه الا السفن فهم من بين هارب قد دخل فى وجار واختنق فى غيضة أو مقيم على فم شعب ورأس مضيق قد سخت نفسه عن كل سهل وأسلم كل مرج أو ملك لا قرار له وليس بذى مدر فيوتى وانما أصحابه اكراد

من

من خضرة النبت وكلاهما حسنٌ وذكر الودق لان تلك الخضرة من عمله وقال الراجز يصف غيما

أقبلَ في المُستَنِّ من ربابه * أسنمةُ الآبالِ في سحابه

أراد أن ذلك السحاب يُنبتُ ما تأكله الابل فتصير شحومها في أسنمتها والرباب سحاب دُوَيْنَ المُعظَم من السحاب قال المازني كأنّ الربابَ دُوَيْنَ السحاب * نعامٌ تُعلَّقُ بالأرجل

وقوله جل وعز اني أراني أعصر خمرا أي أعصر عنبا فيصير الى هذه الحال وقال زهير

كأنّ فُتاتَ العهنِ في كل منزلٍ * نزلن به حبُّ الفنا لم يُحطَّمِ

الفنا شجر بعينه يُثمر ثمرا أحمر ثم يتفرق في هيئة النبق الصغار فهذا من أحسن التشبيه وانما وصف ما يسقط من أنماطهن اذا نزلن والعهنُ الصوف المُلوَّن في قول أكثر أهل اللغة وأما الأصمعي فقال كل صوف عهن وكذلك قال أهل اللغة الحَنتَم الخزفُ الاخضر وقال الأصمعي كل خزف حنتم قال القرشي

من مُبلغُ الحسناءِ أن حليلَها * بميسانَ يُسقى في زُجاجٍ وحَنتَمِ

وقال جرير

مافي مَقام ديارِ تغلبَ مسجدٌ * وبها كنائسُ حَنتَمٍ ودِنانِ

والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يُبعِد قال الله عز وجل وله المَثَلُ الأعلى في الزجاجة كأنها كوكبٌ دُرِّيٌّ وقال طلعُها كأنه رؤس الشياطين وقد اعترض معترض من الجهلة المُلحدين في هذه الآية فقال انما يُمثَّلُ الغائبُ بالحاضر ورؤس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء في هذا القول كما قال الله جل وعز بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولمّا يأتِهم تأويلُه وهذه الآية قد جاء تفسيرها في ضربين أحدهما أن شجرا يقال له الأَستَنُ منكر الصورة يقال لثمره رؤس الشياطين وهو الذي ذكره النابغة في قوله * تحيدُ من أستَنٍ سودٍ أسافلُه *
وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصَّوْمَ والقول الآخر وهو الذي يسبق الى القلب أن الله جل ذكره شنّع صورة الشياطين في قلوب العباد وكان ذلك أبلغ من المعاينة ثم مثّل هذه الشجرة بما تنفر منه كل نفس وحُدِّثتُ في اسناد متصل أن أبا النجم العجلي أنشد هشام بن عبد الملك

* والشمس قد صارت كعين الأحول * لما ذهب به الرويُّ عن الفكر في عين هشام فأغضبه فأمر بطرده فأمّل أبو النجم رجعته وكان يأوي المساجد فأرِقَ هشامٌ ليلة فقال لحاجبه ابغني رجلا عربيا فصيحا يحادثني ويُنشدني فطلب له ما طلب فوقف على أبي النجم فأتى فلما دخل به اليه قال

يطلبون الضيعة أو كالخوارج يطلبون الغرة فاما ان يكون ملك يصهرهم ويقيم بازائهم ويغاديهم الحرب ويسيمهم ويباهلهم الظفر ويناهضهم كما كانت ملوك الطوائف وكالذي كان بين فارس والروم فلا وذلك لقوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله الى قوله عز ذكره ولو كره المشركون فلم يرض ان أظهره بنفسه حتى جعل أهله الغالبين

أين تكون منذ أقصيناك قال بحيث ألقتني رسلك قال فمن كان أبا مثواك قال رجلين كلبيا وتغلبيا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر فقال له مالك من الولد قال ابنتان قال أزوجتهما قال زوجت احداهما قال فبم أوصيتها قال قلت لها ليلة أهديتها

سُبّي الحماة وابهتي عليها * وان أبت فازدلفي اليها
ثم اقرعي بالودّ مرفقيها * وجدّدي الحلف به عليها
* لا تخبري الدهر بذاك ابنيها *

قال أفما أوصيتها بغير هذا قال نعم قالت

أوصيت من برة قلبا حرا * بالكلب خيرا والحماة شرا
لا تسأمي نهكا لها وضرا * والحيّ عميهم بشر طرا
وان كسوك ذهبا ودرا * حتى يروا حلو الحياة مرا

فقال هشام ما هكذا أوصى يعقوب ولده قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولا بني كولده قال فما حال الأخرى قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة قال فما قلت فيها قال قلت

كأن ظلامة أخت شيبان * يتيمة ووالداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان * وليس في الرجلين الا خيطان
* فهي التي يذعر منها الشيطان *

قال فقال هشام لحاجبه ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها قال ماهي عندي ووزنها خمسمائة قال فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين أفلا تراه قال * فهي التي يذعر منها الشيطان * وان لم يره لما قرر في القلوب من نكارته وشناعته وقال آخر

وفي البقل ان لم يدفع الله شره * شياطين يعدو بعضهن على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جن أو انس يقال له شيطان وأن قولهم تشيطن انما معناه تخبث وتنكر وقد قال الله جل وعز شياطين الانس والجن قال الراجز

أبصرتها تلتهم الثعبانا * شيطانة تزوجت شيطانا

وقال امرؤ القيس أتوعدني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

والغول لم يخبر صادق قط أنه رآها ثم نرجع الى تفسير قول أبي النجم قوله سبّي الحماة وابهتي عليها

انما

بالقدرة والظاهرين بالمنعة والآخذين الاتاوة وكتب كسرى الى فيروز ابن الديلمي وهو من بقية أصحاب سيف بن ذي يزن ان احمل الي هذا العبد الذي بدأ باسمه قبل اسمي واجترأ علي ودعاني الى غير ديني فأتاه فيروز فقال ان ربي أمرني ان أحملك اليه فقال صلى الله عليه وآله ان ربي خبرني انه قد قتل ربك البارحة فامسك علي ريث ما يأتيك الخبر فان تبين لك صدقي والا فأنت على

انما يريد ابهتيها فوضع ايهم في موضع ا كذبي فمن ثم وصلها بعلى والذي يستعمل في صلة الفعل اللام لانها لام الاضافة تقول لزيد ضربت ولعمرو أكرمت والمعنى عمرا أكرمت فانما تقديره اكرامي لعمرو وضربي لزيد فأجرى الفعل مجرى المصدر وأحسن ما يكون ذلك اذا تقدم المفعول لان الفعل انما يجيء وقد عملت اللام كما قال الله جل وعز ان كنتم للرؤيا تعبرون وان أخر المفعول فعربي حسن والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال الله جل وعز وأمرت لان أكون أول المسلمين والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه قل عسى أن يكون ردف لكم انما هو ردفكم وقال كثير

أريد لانسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

وحروف الخفض يبدل بعضها من بعض اذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع قال الله جل ذكره ولأصلبنكم في جذوع النخل أي على ولكن الجذوع اذا أحاطت دخلت في لانها للوعاء يقال فلان في النخل أي قد أحاط به قال الشاعر

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة * فلا عطست شيبان الا بأجدعا

وقال الله جل وعز أم لهم سلم يستمعون فيه أي عليه وقال تبارك وتعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله أي بأمر الله وقال ابن الطثرية

غدت من عليه تنفض الطل بعدما * رأت حاجب الشمس استوى فترفعا

وقال الآخر غدت من عليه بعدما تم خمسها * تصل وعن قيض بزيزاء مجهل

أي من عنده وقال العامري

اذا رضيت علي بنو قشير * لعمر الله أعجبني رضاها

وهذا كثير جدا وقوله وان أبت فازدلفي اليها يقول تقربي ومن ذا سميت المزدلفة قال العجاج

ناج طواه الأين مما وجفا * طي الليالي زلفا فزلفا * سماوة الهلال حتى احقوقفا

تقول زلفة وزلف كقولك غرفة وغرف وقوله بالكلب خيرا والحماة شرا كلام معيب عند النحويين وبعضهم لا يجيزه وذلك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ومن قال هذا قال ضربت زيدا في الدار والحجرة عمرا وكان أبو الحسن الأخفش يراه ويقرأ واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات فعطف

أمرك فراع ذلك فيروز وهاله وكره الاقدام عليه والاستخفاف به فاذا الخبر قد أتاه ان شيرويه قد وثب عليه في تلك الليلة فقتله فأسلم وأخلص ودعا من معه من بقية الفرس الى الله عز ذكره فأسلموا

((فصل منه في ذكر النبي صلى الله عليه وسلم))

ثم ان الذي تقدمه صلى الله عليه وآله من البشارات في الكتب المتقادمة في الازمان المتباعدة والبلدان

على أنّ وعلى في وقال عديّ بن زيد

أكلَّ امرئٍ تحسبين امرأً * ونارٍ توقَّدُ بالليل نارا

فعطف على كلّ وعلى الفعل وأما قوله غدت من عليه بعدما تمّ خمسها فالخمسُ ظِمْءٌ من أظمائها وهو أن تردثم تُغِبَّ ثلاثا ثم ترد فيعتدّ بيومي وِردها مع ظِمْئها فيقال خمسٌ والربع كحُمّى الربع وقوله تصلّ أي تسمع لأجوافها صليلا من يبس العطش يقال المسمار يصلّ في الباب إذا أُكره فيه قال جرير يخاطب الزبير ويرثيه في هجائه الفرزدق

لو كنتَ حين غُرِرتَ بين بيوتنا * لسمعتَ من وقع الحديد صليلا

ويقال الحمار المُصلصلُ إذا أخرج صوته من جوفه حادًّا خفيًّا قال الأعشى

عنتريسٌ تعدو إذا حرّكَ السو * طُ كعدوِ المُصلصلِ الجوّالِ

وقال المفسرون في قول الله عز وجل من صلصال من حمإٍ مسنون قالوا هو الطين الذي قد جفّ فإذا قرعه شيءٌ كان له صليلٌ وتفسير ذلك عند العرب النقْنُ الذي يذهب عنه الماء في الغُدران فينشقّق ثم ييبس والقَيضُ قشر البيضة الأعلى والذي يلبس البيضة فيكون ما بينها وبين قشرها الأعلى يقال له الغِرقئُ يقال ثوب كأنه غرقئ بيض والزيزاء ما ارتفع من الأرض وهو ممدود منصرف في المعرفة والنكرة إذا كان المذكر كالعلباء والحرباء وسنذكر هذا في غير هذا الموضع مفسَّرا إن شاء الله تعالى على أنا قد استقصيناه في الكتاب المقتضب والمجهلُ الصحراء التي يُجهَل فيها فلا يُهتدى لسبيلها ويقال للشيء إذا غبّ وتغيرت رائحته صلّ وأصلّ فهو صالٌّ ومُصِلٌّ ويقال نَتِنَ وأنتن ويقال خمّ وأخمّ وذلك إذا كان مستورا حتى يفسد ويقال إذا عتق اللحمُ فتغير خَنِزَ وخَزِنَ وبيت طرفة أحسنُ ما يُنشد عليه

ثم لا يخنَزُ فينا لحمُها * إنما يخنَزُ لحمُ المدّخر

ويقال لربّ البيت وربّة البيت اللذين ينزل بهما الضيفُ هي أمّ مثواه وهو أبو مثواه وأنشد أبو عبيدة

من أمّ مثوى كريمٍ قد نزلتُ بها * إنّ الكريم على علّاته يسعُ

وفي كتاب الله جل وعز أكرمي مثواه معناه عند العرب إضافته ومن التشبيه المُطّرد على ألسنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها قال الراجز

الموجودة بكل مكان على شدة عداوة أهلها وتعصب حامليها ومع قوة حسدهم وشدة بغيهم وما ذلك ببديع منهم ومن آبائهم على أنهم أشبه بآبائهم منهم بأزمانهم وكل الناس أشبه بأزمانهم منهم بآبائهم وآباؤهم الذين قتلوا أنبياءهم عليهم الصلاة والسلام وتعنتوا رسلهم صلى الله عليهم حتى خلاهم الله عز وجل من يده وأفقدهم عصمته وتوفيقه ولم استدل على ذكره في التوراة

كأنها ليلة غب الازرق * وقد مددنا باعها السوق * خرقاء بين السلمين ترتقي

قوله ليلة غب الازرق انما يعني موضعا وأحسبه ماء لانهم يقولون نطفة زرقاء وهي الصافية قال

زهير فلما وردنا الماء زرقا جمامه * وضعن عصي الحاضر المتخيم

وقال آخر فألقت عصا التسيار عنها وخيمت * بأرجاء عذب الماء زرق محافره

وقوله وقد مددنا باعها السوق يقول استفرغنا ما عندها من السير يقال تبوعت وانباعت اذا مدت باعها وقوله خرقاء بين السلمين ترتقي يقول لكثرة حركة الخرقاء وقلة حذقها بالصعود وقال

الآخر كأنها نائحة تفجع * تبكي لشجو وسواها الموجع

وقال الشماخ كأن ذراعيها ذراعا مدلة * بعيد السباب حاولت أن تعذرا

من البيض أعطافا اذا اتصلت دعت * فراس بن غنم أو لقيط بن يعمرا

بها شرق من زعفران وعنبر * أطارت من الحسن الرداء المحبرا

تقول وقد بل الدموع خمارها * أبى عفتي ومنصبي أن أعيرا

كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

كأن ابن آوى موثق تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

شبه يديها بيدي مدلة بجمال ومنصب قد سابت وأقبلت تعتذر وتشير بيديها فوصف جمالها الذي به تدل ومنصبها المتصل بمن ذكرته وقوله أطارت من الحسن الرداء المحبرا يقول هي مدلة بجمالها فلا تختمر فتستر شيأ عن الناظر لانها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها وقد كشف هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة المخزومي حيث يقول

فلما تواقفنا وسلمت أقبلت * وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

تبالهن بالعرفان لما عرفنني * وقلن امرؤ باغ أكل فأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم * يقيس ذراعا كلما قسن اصبعا

(فقلت لمطريهن ويحك انما * ضررت فهل تستطيع نفعا فتنفعا)

قوله كأن بذفراها مناديل فارقت * أكف رجال يعصرون الصنوبرا

يقول لسواد الذفرى وهذا من كرمها قال أوس بن حجر

والانجيل والزبور وعلى صفته والبشارة به في الكتب الا لأنك متى وجدت النصراني واليهودي يسلم بأرض الشام وجدته يحتل بأمور ويحتج بأشياء مثل الامور التي يحتج بها من أسلم بالعراق وكذلك من أسلم بالحجاز ومن أسلم من اليمن من غير تلاق ولا تعارف ولا تشاعر وكيف يتلاقون ويتراسلون وهم غير متعارفين ولا متشاعرين ولو كانوا كذلك لظهر

كأنّ كحيلاً معقداً أو عنيّةً * على رجع ذفراها من الليت واكفُ

(الكحيل القطرانُ والعنيّة ضرب منه) وهذا معنى يسئل عنه لان الليتين صفحتا العنق والذفرى فى أعلى القفا فكيف يكف على الذفرى من الليت والمعنى انما هو كأنّ كحيلاً معقداً أو عنيّة واكف على رجع ذفراها وقوله من الليت كقولك موضع دجلة من بغداد انما هو للحد بينهما الا أنه وكف من شئ على شئ وأما قوله

كأنّ ابن آوى موثقٌ تحت غرضها * اذا هو لم يكلم بنابيه ظفرا

يقول ليست تستقر فكأن ابن آوى يكلمها بنابيه أو يخلبها بظفره فهى لا تستقر وقال أوس ابن حجر

كأن هراً جنيباً تحت غرضتها * والتفّ ديك بحقويها وخنزير

والغرضُ والغرضةُ واحد وهو حزام الرحل وقال آخر

كأن ذراعيها ذراعا بذيّة * مفجّعة لاقت حلائل عن عُفْرِ

سمعن لها واستفرغت فى حديثها * فلا شئ يفرى باليدين كما تفري

(قال أبو العباس أنشدنيهما عبد الصمد بن المعذّل وأنشدنيهما سعيد بن سلم) ولو قيل ان هذا من أبلغ ما قيل فى هذا الوصف ما كان ذلك بعيداً وصفها بأنها بذية وقد فجعت بما أسمعت ونيل منها والقيت خلائلها بعد زمان وتلك الشكوى كامنة فيها وأصغين اليها يتسمعن والفرى الشق يقال فرى أوداجه أى قطع وفريتُ الأديم واذا قلت أفريتُ فمعناه أصلحتُ وقول الحجاج انى والله ما أهمّ الا أمضيتُ ولا أخلقُ الا فريتُ يقول اذا قدّرت قطعت يقال فريت القربة والمزادة فهما مفريّتان قال ذو الرمة * كأنه من كلى مفريّة سربُ * وقال امرؤ القيس

كأن الحصى من خلفها وأمامها * اذا نجلته رجلها خذفُ أعسرا

كأن صليل المروحين تشذّه * صليلُ زيوف ينتقدن بعبقرا

قوله خذف أعسر يريد أنه يذهب على غير قصد وقوله صليل زيوف يقال ان الزيف شديد الصوت صافيه وقال آخر

كأن يديها يدا ماتح * أتى يوم وردلغب زرودا

يخاف العقاب وفى نفسه * اذا هو أنهل ألا يعودا

يقول هذا الساقى يخاف العقاب ان قصّر ولا عودة له اليه ثانية فهى تُسقى سقية فى مرة واحدة

ذلك ولم يتكتم كما حكينا قبل هذا ولو قابلت بين أخبارهم واحتجاجهم مع كثرة الالفاظ واختلاف المعانى لوجدتها متساوية

(فصل منه) فان قال قائل لم كانت أعلام موسى عليه السلام فى كثرتها مع غبى بنى اسرائيل ونقصان أحلام القبط فى وزن أعلام محمد صلى الله عليه وسلم وفى قدرها مع أحلام قريش وعقول العرب ومتى أحببت أن تعرف

وقد أكثروا فى هذا فن الافراط فى السرعة قول ذى الرمة

كأنه كوكب فى إثر عفرية * مسوّم فى سواد الليل منقضب

يقال عفريت وعفرية فى معنى واحد والتاء فى عفريت زائدة وهو ملحق بقنديل يقال فلان (عفرية زبنية والزبنية المنكر وجمعه زبانية وأصله من الحركة يقال زبنه اذا دفعه ويقال) عفرية نفرية على التوكيد (وعفريت نفريت ويقال عفارية ولم يتبع بنفارية) ومن الافراط قول الحطيئة

وان نظرت يوما بمؤخر عينها * الى علم بالغور قالت له ابعد

ومن الافراط قوله

بأرض ترى فرخ الحبارى كأنه * بها راكب موف على ظهر قردد

ومن ذلك قوله

وكادت على الأطواء أطواء ضارج * تساقطنى والرحل من صوت هدهد

وقال آخر

مروح برجليها اذا هى هجّرت * ويمنعها من أن تطير زمامها

وقال الشماخ

مروح تغتلى فى البيد حرف * تكاد تطير من رأى القطيع

وكذلك الاعرابى الذى يقول * لو ترسل الريح لجئنا قبلها * وقد مضى خبره وأملح ما قيل فى هذا المعنى وأجوده قول امرئ القيس

وقد أغتدى والطير فى وكناتها * بمنجرد قيد الاوابد هيكل

جعله للوحش كالقيد وحدثت أن رجلا نظر الى ظبية ترود فقال له أعرابى أتحب أن تكون لك قال نعم قال فأعطنى أربعة دراهم حتى أردها اليك ففعل فخرج يمحص فى أثرها فجدّت وجدّ حتى أخذ بقرنيها فجاء بها وهو يقول

وهى على البعد تلوّى خدّها * تريغ شدّى وأريغ شدّها * كيف ترى عدو غلام ردّها

قال أبو العباس ومن حلو التشبيه وقريبه وصريح الكلام قول ذى الرمة

ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقد جللته المظلمات الحنادس

الحندس اشتداد الظلمة وهو توكيدها يقال ليل حندس وليل أليل مظلم وقال الشماخ فى صفة الفرس

مفجّ الحوامى عن نسور كأنها * نوى القسب ترّت عن جريم ملجلج

قوله مفج الحوامى يريد مفرق الحوامى فالحوامى نواحى الحافر والنسور واحدها نسر وهى نكتة

غى بنى اسرائيل ونقص أحلام القبط ورجحان عقول العرب وأحلام كنانة فانظر بواديهم ورباعهم وانظر الى بنيهم وبقاياهم كما نظرت الى بنى اسرائيل من اليهود وغى بنى من مضى من القبط تعتبر ذلك وتعرف ما أقول ثم أنظر فى الاشعار الصحيحة والخطب المعروفة والامثال المضروبة والالفاظ المشهورة والمعانى المذكورة مما نقلته الجماعات عن الجماعات وكلام العرب ومعانيهم فى الجاهلية ثم تفقد وسل أهل العلم والخبرة عن بنى اسرائيل فان

في داخل الحافر ويُحمَد الفرس اذا صَلُبَ ذلك منه ولذلك شُبِّه بنوى القسب ورَتَّ سقطت والجَريم المصروم والملجاج الذي قد لُجلِج مضغًا في الفم ثم قُذف لصلابته وقوله مفج ليس يريد الذي هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النَّسر فانه ان اتسع واستوى أسفله فذلك الرحُّ وهو مذموم في الخيل وكذلك ان ضاق وصَغُر قيل له مُصْطَرٌّ وكان عيبا فيها قال حُمَيدُ الأرقط

لا رَحَحٌ فيها ولا اصطرارُ * ولم يُقلِّم أرضها البيطار

(* ولا لحبليه بها حَبارُ *

الحَبار الأثر) ويروى ولم يُقلَّب وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعث فيقلمها البيطار لانها اذا كانت كذلك ذهب منها شيءٌ بعد شيءٍ فحفيها وقال علقمة بن عبدة

لا في شَظاها ولا أرساغها عَنَتٌ * ولا السنابك أفناهن تقليم

وانما يحمد الحافر المُقعَّب وهو الذي هيئته كهيئة القَعْب وان كان كذلك قيل حافر وأبٌ قال ابن الخرع

لها حافر مثل قعب الوليـ * ـد يتخذ الفار فيه مغارا

يريد لو دخل الفار فيه لصلح كقول القائل فأتى بجفنة يقعد عليها عشرة أي لو قعد عليها عشرة لصلح وقال الراجز * وأبٌ حَتْ نسورهُ الأوقارا * (يقال حافر موقور وهو أن يصيبه داء يشبه الرهصة) وفي كل حافر حاميتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومقدَّمه السُنبك ومؤخره الدابرة ومثل قوله عن جرم ملجلج قول علقمة بن عبدة

سُلّاءةٌ كعصا النهديّ غُلَّ بها * ذو فيئة من نوى قرّان معجوم

شبهها بالشوكة من شوك النخل لان الفرس الانثى يحمد منها أن يدقّ صدرها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والحصان يحمد منهنَّ أن يعرُض الصدر ثم ينخرط الى ذنبه ضُمورا فيقال في صفته كأنه جَلَم وقوله كعصا النهدي يريد في الصلابة قال * وكل كُميت كالهراوة صلدم * وقوله ذو فيئة من نوى قران يقول ذو رَجْعة يقول مضغته الابل فلم تكسره ثم بعرته صحاحا ومعجوم معضوض يقال عجمته أعجمه اذا مضغته فالعجم المضغ ويقال للنوى من كل شيء العَجَم متحرك العين قال الاعشى

* وجذعانها كلقيط العَجَم * وقال النابغة

وظلّ يعجم أعلى الرَّوق منقبضا * في حالك اللون صدق غير ذي أوَد

وجدت لهم مثلا سائرا كما تسمع للقبط والفرس فضلا عن العرب فقد أبطلنا فيما قلنا وقد كان الرجل من العرب يقف المواقف وينشئ عدة أمثال كل واحد منها ركن يبنى عليه وأصل يتفرع منه أو هل تسمع لهم بكلام شريف أو معنى يستحسنه أهل التجربة وأصحاب التدبير والسياسة أو حكم أو حكمة أو حذق في صناعة مع ترادف الملك فيهم وتظاهر الرسالة في رجالهم وكيف لا تقضي عليهم بالغي والجهل ولم تسمع لهم بكلمة فاخرة أو معنى نبيه لا ممن كان في المبدأ ولا ممن كان في

ومثل

ومثل البيت الاول قول عقبة بن سابق العنبري

له بين حواميه * نسور كنوى القسب

فهذا تشبيه مقارب جدا ومن التشبيه الحسن قول الشاعر (هو الشماخ)

كأنّ المتن والشرخين منه * خلاف النصل سيط به مشيج

يريد سهما رمى به فانفذ الرمية وقد اتصل به دمها والمتن متن السهم وشرخ كل شئ حده فاراد شرخي الفوق وهما حرفاه والمشيج اختلاط الدم بالنطفة هذا أصله قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

وقال الله جل وعز من نطفة أمشاج نبتليه وفي الحديث اقتلوا امسان المشركين واستبقوا شرخهم أي الشباب لان الشرخ الحد قال حسان

انّ شرخ الشباب والشعر الأسـ * ـود ما لم يعاص كان جنونا

وأنشدنا عمرو بن مرزوق قال أنشدنا شعبة قال أنشدنا سماك بن حرب في هذا الحديث

ان شرخ الشباب تألفه البيـ * ـض وشيب القذال شئ زهيد

فأما قول الشنفرى كأنّ لها في الأرض نسيا تقصه * على أمها وان تحدثك تبلت

فانما أراد شدة استحيائها يقول لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيأ في الأرض والنسي على ضربين أحدهما ما تقادم عهده حتى ينسى والآخر ما أضله أهله فيطلب ويطمع فيه وتقصه تتبعه قال الله جل وعز وقالت لاخته قصيه أي اتبعي أثره والأم القصد وقوله وان تحدثك تبلت تقطع الحديث لاستحيائها وأنشد بشار بن برد الاعمى قول كثير

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

قال فقال الله أبو صخر جعلها عصا ثم يعتذر لها والله لو جعلها عصا من مخ أو زبد لكان قد هجنها بالعصا الا قال كما قلت وبيضاء المحاجر من معد * كأنّ حديثها قطع الجنان

اذا قامت لسبحتها تثنت * كأنّ عظامها من خيزران

والخيزرانة كل غصن لين يتثنى ويقال للمردي خيزرانة اذا كان يتثنى اذا اعتمد عليه قال النابغة

يظل من خوفه الملاح معتمدا * بالخيزرانة بعد الأين والنجد

المحضر ولا من قاطن السواد ولا من نازلي الشام ثم انظر الى أولادهم مع طول لبثهم فينا وكونهم معنا هل غير ذلك من أخلاقهم وشمائلهم وعقولهم وأحلامهم وآدابهم وفطنهم فقد صلح بنا كثير من أمور النصارى وغيرهم وليس النصارى كاليهود لان اليهود كلهم من بني اسرائيل الا القليل وبعد فلم يضرب فيهم غيرهم لان مناكحهم مقصورة فيهم ومحبوسة عليهم قصورا ولهم موداة الى آخره وعقول أسلافهم مردودة على أخلافهم ثم اعتبر بقولهم لنبيهم

الا بن الاعباء والنجد العرق وقد عاب بعض الناس قول كثير

فما روضة بالحزن طيبة الثرى * يمج الندى جثجاثها وعرارها

بمنخرق من بطن واد كأنما * تلاقت به عطارة وتجارها

بأطيب من أردان عزة موهنا * وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

وحكى الزبيريون أن امرأة مدينية عرضت لكثير فقالت أأنت القائل هذين البيتين قال نعم قالت فض الله فاك أرأيت لو أن زنجية بخرت أردانها بعندل رطب أما كانت تطيب ألا قلت كما قال امرؤ القيس

ألم ترأني كلما جئت طارقا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب

قوله جثجاثها وعرارها الجثجاث ريحانة طيبة الريح برية من أحرار البقل قال جرير يهجو خالد عينين العبدي

كم عمة لك يا خليد وخالة * خضر نواجذها من الكراث

نبتت عنيته فطاب لريحها * ونأت عن القيصوم والجثجاث

وانما هجاه بالكراث لان عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم والعامة يسمونه الركل والركال قال أحد العبديين

ألا حبذا الأحساء وطيب ترابها * وركالها غادٍ علينا ورائح

وقول كثير وعرارها فالعرار البهار البري وهو حسن الصفرة طيب الريح قال الاعشى

بيضاء غدوتها وصفـ * ـراء العشية كالعرارة

وقوله موهنا يريد بعد هدء يقال أتانا بعد هدء من الليل وبعد وهن أي بعد دخولنا في الليل وأنشد أبو زيد

هبت تلومك بعد وهن في الندى * بسل عليك ملامتي وعتابي

والمندل العود يقال له المندل والمندلي قال الشاعر

أمن زينب ذي النار * قبيل الصبح ما تخبو

اذا ما خمدت يلقى * عليها المندل الرطب

قال أبو العباس ذي معناه ذه يقال ذا عبد الله وذي أمة الله وذه أمة الله وته أمة الله وتا أمة الله فاذا قلت هذا عبد الله فالاسم ذا وها للتنبيه وعلى هذا تقول هذي أمة الله وان شئت أسكنت في الوصل فقلت هذه أمة الله واذا قلت هذهي أمة الله فالياء زائدة لان هذه الهاء لما كانت في لفظ

عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة حين مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعبدونها وكقولهم أرنا الله جهرة وكعكوفهم على عجل صنع من حليهم يعبدونه من دون الله بعد أن أراهم من الآيات ما أراهم وكقولهم اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون فكان الذي جاء به موسى عليه السلام مع نقص بني اسرائيل والقبط مثل الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم مع رجحان قريش والعرب وكذلك وعد محمد عليه السلام بنار الأبد كوعيد موسى

المضمر شبهوها به فى زيادة الياء نحو مررت بهى يا فتى لا يجوز أن تضم الهاء فى هذه على قول من
قال مررت بهو لان هاء الاضمار أصلها الضم تقول رأيتهو يا فتى ورأيتهم يا فتى وهذه الهاء ليست
من هذه انما هى مشبهة وتقول هاته هند وهاتى هند وهاتا هند على زيادة ها التنبيه قال جرير

هذى التى جدعت تيما معاطسها * ثم اقعدى بعدها يا تيم أو قومى

وقال عمران بن حطان   وليس لعيشنا هذا مهاهٌ * وليست دارنا هاتا بدار

قال أبو العباس النحويون يثبتون الهاء فى الوصل فيقولون مهاهٌ وتقديره فعالٌ ومعناه اللمع
والبهاء يقال وجه له مهاه يا فتى والأصمعى يقول مهاة تقديرها حصاة يجعل الهاء زائدة
وتقديرها فى قوله فعلة والمهاة البلورة والمهاة البقرة الوحشية وجمعها المها (حكى يعقوب بن
السكيت مهاة من أسماء الشمس وأنشد

ثم يجلوا الظلام ربٌّ رحيمٌ * بمهاة ضياؤها منشور)

فاذا صغرت ذه قلت تيا كأنك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها لانك اذا صغرت ذا قلت ذيا فلو
صغرت ذى فقلت ذيا لالتبس المؤنث بالمذكر فصغروا ما يخالف فيه المؤنث المذكر وهذه المبهمة
يخالف تصغيرها تصغير سائر الاسماء وسنذكر ذلك فى باب نفرده له ان شاء الله تعالى * عاد القول
الى التشبيه أنشدتنى أم الهيثم فى صفة جمل

كأن صوت نابه بنابه * صرير خطاف على كلابه

أراد الصريف وهو أن يحك أحد نابيه بالآخر وقوله صرير خطاف على كلابه فالخطاف ما تدور
عليه البكرة والكلاب ما وليه وقد قال النابغة

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

القعو ما تدور عليه البكرة اذا كان من خشب فان كان من حديد فهو خطاف وان دارت على
حبل فذلك الحبل يسمى الدرك وقوله مقذوفة يقول مرمية باللحم والدخيس الذى قد ركب
بعضه بعضا والنحض اللحم وبازلها نابها ومعنى بزل وفطر واحد وهو أن ينشق الناب قال ذو الرمة

كأن على أنيابها كل سدفة * صياح البوازى من صريف اللوائك

يقول مما تلوكها ويقال فى الغضب تركت فلانا يصرف نابه عليك ويحرق ويحرق ورأيته يعض

بنى اسرائيل بالقاء
الهلاس على زروعهم
والهم على أفئدتهم
وتسليط الموتان على
ماشيتهم وباخراجهم من
ديارهم وان يظفر بهم
عدوهم فكان تعجيل
العذاب الأدنى فى
استدعائهم واستمالتهم
وردعهم عما يريد بهم
وتعديل طبائعهم كتأخير
العذاب الشديد على
غيرهم لان الشديد
المؤخر لا يزجر الا أصحاب
النظر فى العواقب
وأصحاب العقول التى
تذهب فى المذاهب
فسبحان من خالف بين
طبائعهم وشرائعهم
ليتفقوا على مصالحهم

عليكَ الأُرَّمَ قال زهير فى مدحه حصن بن حذيفة (بن بدر الفزارى)

أبى الضيمَ والنُّعمانُ يحرُقُ نابه * عليه فأفضى والسيوفُ مَعاقِلُه

وقال آخر نُبِّئْتُ أحماءَ سُلَيمى أنما * ظلوا غِضابا يعلُكون الأُرَّما

وقال بعض النحويين يعنى الشفاه وقال بعضهم يعنى الأصابع فأما قولهم عض على ناجذه وهو آخر الاسنان فيكون على وجهين أحدهما انه قال قد احتنك وبلغ والآخران يكون للاطراق والتشدد وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه انه كان يقول اذا لقيتم القوم فاجمعوا القلوب وعضوا على النواجذ فان ذلك ينبى السيوف عن الهام ● ثم نعود الى التشبيه قال الراجز (وهو أبو النجم)

كأنها حين تناهى الباسُ * جَنِيَّةٌ فى رأسها أمراسُ

بها سكون وبها شماسُ * يخرج منها الحَجَرُ الكُباسُ

يمر لا يحبسه حَبَّاسُ * لا نافذ الطعنِ ولا تَرَّاسُ

يصف المنجنيق والامراس الحبال الواحد مَرَسةٌ والكُباسُ الضخم يقال هامة كَبْساءُ يا فتى ورأس أَكْبَسُ والحَبَّاسُ الذى من شأنه ان يحبس يقال رجل ضارب للذى يضرب كثيرا كان منه ذلك أو قليلا فاذا قلت ضَرَّابٌ وقَتَّالٌ فانما يُكَثِّرُ الفعل ولا يكون للقليل قال الراجز

أَخْضَرُ من مَعْدِنِ ذى قُساس * كأنه فى الحَيْدِ ذى الأضراس

* يُرْمَى به فى البلد الدَّهاسِ *

يصف معولا وذو قُساس معدن للحديد الجيد وهو يقرب من بلاد بنى أسد والحيد ما أشرف من الجبل أو غير ذلك يقال للطُنُف حَيْدٌ وهو الذى يسميه أهل الحضر الافريز يقال طَنَف حائطك ويقال للناتئ وسط الكتف حَيْدٌ وعَيْرٌ وكذا الناتئ فى القدم وقوله ذى الأضراس يريد الموضع الضرس الخشن ذا الحجارة فيقول هذا المعولُ لحِدَّته يقع فى الخشونة فيهدمها كما يهدم الدهاسَ والدَّهاسُ ما لان من الرمل قال دُرَيْدُ بن الصِّمَّة فى يوم حُنَيْنٍ ابن مُجْتَلَدُ القوم فقالوا بأوطاس فقال نِعْمَ مَجالُ الخيل لا حَزْنٌ ضَرِسٌ ولا لين دَهِسٌ وقال العجاج يصف حمارا

كأن فيه اذا ما شحجا * عودا دُوَيْنَ اللَّهَوات مُولَجا

فى دنياهم ومن اشدهم فى دينهم مع ان محمدا صلى الله عليه وسلم مخصوص بعلامة لها فى العقل موقع كموقع فلق الصبح من العين وذلك قوله لقريش خاصة وللعرب عامة مع ما فيها من الشعراء والخطباء والبلغاء والدهاة والحلماء وأصحاب الرأى والمكيدة والتجارب والنظر فى العاقبة ان عارضتمونى بسورة واحدة فقد كذبت فى دعواى وصدقتم فى تكذيبى ولا يجوز ان يكون مثل العرب فى كثرة عددهم واختلاف عللهم والكلام كلامهم وهو سيد عملهم فقد فاض بيانهم وجاشت

هذا يوصف به العَيْرُ الوحشي اذا أسَنّ تراه لا يستدّ نهيقُهُ وكأنه يعالجه علاجا قال الشمّاخُ

اذا رجّعَ التعشيرَ عَجّا كأنه * بناجذه من خلف قارحه شجي

فأما قول عنترة بَرَكَتْ على ماء الرداع كأنما * بركت على قصبٍ أجشَّ مهضّم

فانما يصف الناقة ويذكر حنينها يقال انه يخرج منها كأشجى صوت فانما شبهه بالزّمير وأراد القصب الذي يُزمَر به قال الأصمعي هو الذي يقال له بالفارسية ناي قال الراعي يصف الحادي

زَجِلَ الحُداء كأنّ في حيزومه * قصبا ومُقنِعةَ الحنينِ عجولا

المُقنِعُ الرافع رأسه في هذا الموضع ويقال في غيره الذي يحط رأسه استخذاء وندما قال الله جل وعز مُقنِعي رؤوسهم ومن قال هو الرافع رأسه فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر ثم يطأطئ رأسه فهو بعدُ يرجع الى الاغضاء والانكسار والبعير يحن كأشد الحنين الى الألّاف اذا أُخذ من القطيع قال وأكثر ما يحنّ عند العطش قال الشاعر

(وتفرقوا بين الجميع لنيّة * لابدّ أن يتفرق الجيرانُ)

لا تصبرُ الابلُ الجلادُ تفرقتْ * بين الجميع ويصبر الانسانُ

وقال آخر وهل ريبةٌ في أن تحنّ نجيبةٌ * الى الفها أو أن يحنّ نجيبُ

واذا رجّعت الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون كما يهتاجون لنوح الحمام ولالتماح البروق وقال عوفُ بن مُحلّم وسمع نوح حمامة

ألا يا حمامَ الأيكِ الفك حاضرٌ * وغصنك ميّالٌ ففيم تنوح

أفق لا تنح من غير شيء فانني * بكيتُ زمانا والفؤادُ صحيح

ولوعا فشطّت غربةً دارُ زينب * فها أنا أبكي والفؤادُ قريحُ

وكل مُطوّقة عند العرب حمامةٌ كالدُّبسي والقُمري والورشان وما أشبه ذلك قال حُميدُ بن ثور

وما هاج هذا الشوقَ الا حمامةٌ * دعت ساق حُرٍّ ترحةً وترنّما

اذا شئتُ غنّتني بأجزاع بيشة * أو النخل من تثليث أو بيلملما

مطوّقةٌ خطباءُ تسجعُ كلما * دنا الصيفُ وانجال الربيعُ فأنجما

مُحلّاةُ طوقٍ لم يكن من تميمةٍ * ولا ضرب صوّاغٍ بكفّيه درهما

به صدورهم وغلبتهم
قومهم عليه عند أنفسهم
حتى قالوا في الحيات
والعقارب والذئاب
والكلاب والخنافس
والجعلان والحمير والحمام
وكلما دب ودرج ولاح
لعين وخطر على قلب
ولهم بعد أصناف النظم
وضروب التأليف
كالقصيد والرجز والمزدوج
والمجانس والاسماع
والمنثور وبعد فقد
هجوه من كل جانب
وهاجى أصحابه شعراءهم
ونازعوا خطباءهم
وحاجوه في المواقف
وخاصموه في المواسم
وبادروه العداوة
وناصبوه الحرب فقتل

تَغَنَّتْ على غصنٍ عِشاءً فلم تَدَعْ • لنائحةٍ فى نَوحِها مُتَلَوَّما

اذا حركتْه الريحُ أومالَ مَيلةً • تغنتْ عليه مائلًا ومُقَوَّما

عجبتُ لها أنَّى يكون غناؤُها • فصيحًا ولم تَفغَرْ بمَنطقها فما

فلم أرَ مثلى شاقَه صوتُ مثلها • ولا عَربيًّا شاقَه صوتُ أعجما

وقال ابن الرقاع وذكر حمامة

(ومما شجانى أننى كنتُ نائمًا • أُعَلَّلُ من بَردِ الكرى بالتَنَسُّمِ

الى أن بكتْ ورقاءُ فى غصنِ أيكةٍ • تردد مَبكاها بحسن الترنم)

فلو قبل مَبكاها بكيتُ صَبابةً • بسُعدَى شفيتُ النفسَ قبل التَنَدُّم

ولكنْ بكتْ قبلى فهاج لى البكا • بُكاها فقلتُ الفَضلُ للمتقدم

اما قول حميد دعت ساق حر فانما حكى صوتها ويقال للواحد ذكرا كان أو أنثى حمامة والجمع الحَمام والحَمامات فاذا كان ذكرا قلت هذا حمامة واذا كانت أنثى قلت هذه حمامة وكذلك هذا بطّةٌ وهذه بَطّةٌ ويقال بقرة للذكر والأنثى ودجاجة لهما فاذا قلت ثورا أو ديكا بيَّنتَ الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير ويقال للحمامة تَغَنَّتْ وناحت وذلك أنه صوت حسن غير مفهوم فيُشَبَّه مرة بهذا ومرة بهذا قال قَيسُ بن مُعاذ

ولولم يَشُقنى الظاعنونَ لَشاقَنى • حمائمُ وُرْقٌ فى الديار وُقوعُ

تجاوَبْنَ فاستَبكَيْنَ من كان ذا هَوًى • نوائحَ ما تجرى لهنَّ دموع

وقوله وانجال الربيع يقال انجال عنا أى أقلع ومثل ذلك أنجَمَ عنا وان قلت أنجَمَ فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم وان قلت انجاب فمعناه انشقَّ يقال المِجْوَبُ للحديدة التى يُنَقَّبُ بها العَسِيبُ ويقال جُبْتُ البلاد أى دخلتها وطوفتُها وفى القرآن وثمودَ الذين جابوا الصخر بالواد أى شقوه وقوله لم يكن من تَمِيمةِ التميمةُ المعاذةُ وقد مضى هذا وقوله ولم تَفغَرْ بمنطقها فما يقول لم تفتح يقال فَغَرَ فاه اذا فتحه (حكى ثعلب فغرفاه وفغَرَ نفسُه وكذلك شَحا فاه وشَحا نفسُه) وقوله ولا عربيا شاقه صوت أعجما يقول لم أفهم ما قالت ولكنى استحسنت صوتها واستغربته فحننت له ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدرى ما تقول فيبكيه ذلك ويرققه ويذكر به غير

منهم وقتلوا منه وهم أثبت الناس حقدا وأبعدهم مطلبا واذكرهم لخير او لشر وأنفاهم له وأهجاهم بالعجز وأمدحهم بالقوة ثم لا يعارضه معارض ولم يتكلف ذلك خطيب ولا شاعر ومحال فى التعارف ومستنكر فى التصادق ان يكون الكلام أخصر عندهم وأيسر مؤنة عليهم وهو أبلغ فى تكذيبهم وأنقض لقوله وأجدر أن يعرف ذلك أصحابه فيجتمعوا على ترك استعماله والاستغناء به وهم يبذلون مهجهم وأموالهم ويخرجون من ديارهم فى اطفاء أمره

ماقصدت له وحُدِّثتُ أن بعض المحدّثين سمع غناءً بخراسان بالفارسية فلم يدرِ ما هو وغيرَ أنه شوّقه

لشجاه وحسنه فقال في ذلك   حَدَتْكَ ليلةٌ أشرقتْ وطابتْ • أقام سُهادُها ومضى كَراها

سمعتُ بها غناءً كان أولى • بأن يقتادَ نفسي من غناها

الغناء الأول الممدود من الصوت والذي ذكره بعد في القافية من المال مقصور

ومُسمِعةٍ يحارُ السمعُ فيها • ولا تُصممه لا يَصمم صداها

مرتْ أوتارَها فشفتْ وشاقتْ • فلو يسطيعُ حاسدُها فداها

ولم أفهم معانيها ولكن • ورتْ كبدي فلم أجهلْ شجاها

فكنتُ كأنني أعمى معنّى • بحب الغانيات وما يراها

(وقال عبدُ بني الحسحاس

وراهنّ ربي مثلَ ما قد ورينني • وأحمى على أكبادهنّ المكاويا)

قال أبو العباس والشيء يذكر بالشيء وان كان دونه فيجري لاحتوائه الباب والمعنى عليهما وفي شعر

حُميد هذا ما هو أحكم مما ذكرنا وأوعظ وأحرى ان يتمثل به الأشراف وتُسوَّد به الصحف وهو قوله

أرى بصري قد رابني بعد صحة • وحسبك داءً أن تصحَّ وتسلما

ولا يلبثُ العصران يومٌ وليلةٌ • اذا طلبا أن يُدركا ما تيمّما

ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كفى بالسلامة داءً ❁ ثم نرجع الى التشبيه والعرب

تشبّه على أربعة أضرب فتشبيه مفرط وتشبيه مصيب وتشبيه مقارب وتشبيه بعيد يحتاج الى

التفسير ولا يقوم بنفسه وهو أخشن الكلام فمن التشبيه المفرط المتجاوز قولهم للسخي هو كالبحر

وللشجاع هو كالاسد وللشريف سما حتى بلغ النجم ثم زادوا فوق ذلك فمن ذلك قول بعضهم (وهو

بكر بن النطاح بقوله لابي دلف القاسم بن عيسى)

له هممٌ لا منتهى لكبارها • وهمّته الصغرى أجلُّ من الدهر

له راحةٌ لو أن معشارَ جودها • على البرّ صار البرُّ أندى من البحر

ولو أنّ خلقَ الله في مسكِ فارسٍ • وبارزه كان الخليَّ من العمر

وقد قيل ان امرأة عمران بن حطّان قالت له أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قط قال أو فعلتُ قالت

وفي توهين ماجاء به ولا
يقولون بل لا يقول
واحد من جماعتهم
لم تقتلون أنفسكم
وتستهلكون أموالكم
وتخرجون من دياركم
والحيلة في أمره يسيرة
والمأخذ في أمره قريب
ليؤلف واحد من شعرائكم
وخطبائكم كلاما في نظم
كلامه كأقصر سورة
يتحداكم بها وكأصغر آية
دعاكم الى معارضتها بل
لو نسوا ما تركهم حتى
يذكرهم ولو تغافلوا
ما تركه ان ينبههم بل لم
يرض بالتنبيه دون
التوقيف فدل ذلك
العاقل على ان أمرهم
في ذلك لا يخلو من أحد

أنت القائل فهنالك مجزأة بن ثور * وكان أشجع من أسامة

أفيكون رجل أشجع من الاسد قال فقال أنا رأيت مجزأة فتح مدينة والأسد لا يفتح مدينة ومن عجيب التشبيه في افراط غير أنه خرج في كلام جيد وعني به رجل جليل فخرج من باب الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جعل لجودة ألفاظه وحسن رصفه واستواء نظمه في غاية ما يستحسن قول النابغة يعني حصن بن حذيفة (بن بدر بن عمرو الفزاري)

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم * وكيف بحصن والجبال جنوح

ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل * نجوم السماء والأديم صحيح

فعما قليل ثم جاء نعيه * فظل ندي الحي وهو ينوح

ومن تشبيههم المتجاوز الجيد النظم ما ذكرناه وهو قول أبي الطمحان

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وروى عن الأصمعي أنه رأى رجلا يختال في أزر في يوم قر في مشيته فقال له ممن أنت يا مقرور فقال أنا ابن الوحيد أمشي الخيزلى ويدفئني حسبي وقيل لآخر في هذه الحال أما وجعت البرد فقال بلى والله ولكني أذكر حسبي فأدفأ وأصوب منهما قول العريان الذي سئل في يوم قر هما يجد فقال ما علي منه كبير مؤنة وقيل وكيف فقال دام بي العرى فاعتاد بدني ما تعتاده وجوهكم ومن التشبيه القاصد الصحيح قول النابغة

وعيد أبي قابوس في غير كنهه * أتاني ودوني راكس فالضواجع

فبت كأني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهد من نوم العشاء سليمها * لحلي النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها * تطلقه طورا وطورا تراجع

فهذه صفة الخائف المهموم ومثل ذلك قول الآخر

تبيت الهموم الطارقات يعدنني * كما تعتري الأوصاب رأس المطلق

والمطلق هو الذي ذكره النابغة في قوله * تطلقه طورا وطورا تراجع * وذلك أن المنهوش اذا ألح الوجع به تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه وانما ذكر خوفه من النعمان

أمرين اما أن يكونوا عرفوا عجزهم وأن مثل ذلك لا يتهيأ لهم فرأوا أن الاضراب عن ذكره والتغافل عنه في هذا الباب وان قرعهم به أمثل لهم في التدبير واجدر ان لا ينكشف أمرهم للجاهل والضعيف واجدر ان يجدوا الى الدعوى سبيلا والى اختداع الانبياء سببا فقد ادعوا القدرة بعد المعرفة بعجزهم عنه وهو قوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وهل يذعن الاعراب وأصحاب الجاهلية للتقريع بالعجز والتوقيف على

وما يعتريه من لَوْعة فى إِثْر لوعة والفَتْرة بينهما والخائف لا ينام الا غِرارًا فلذلك شبهه بالملدوغ المُسَهَّد وقوله لِحَلْى النساء فى يديه قعاقع لانهم كانوا يعلقون حُلِىَّ النساء على الملدوغ يزعمون أن ذلك من أسباب البرء لانه يسمع تَقَعْقُعَها فيمنعه النوم فلا ينام فَيَدِبُّ فيه السَّمُّ ويُسَهَّدُ لذلك وقال الآخر

كأنَّ فِجاجَ الأرض وهى عريضةٌ * على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابِلِ

يُؤَدَّى اليه أن كل ثَنِيَّةٍ * تَيَمَّمَها تَرْمِى اليه بقاتل

يقال لكل مستطيل كُفَّةٌ يقال كُفَّةُ الثوب لحاشيته وكُفَّةُ الحابل اذا كانت مستطيله ويقال لكل شئ مستدير كِفَّةٌ ويقال ضَعْهُ فى كِفَّة الميزان فهذه جملة هذا وكُفَّةُ الحابل يعنى صاحب الحبالة التى ينصبها للصيد وأما التشبيه البعيد الذى لا يقوم بنفسه فكقوله

بل لو رأتنى أُخْتُ جيراننا * اذ أنا فى الدار كأنّى حمار

فانما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله جل وعز وهذا البين الواضح كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أَسْفارا والسِفْرُ الكتابُ وقال مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كَمَثَلِ الحمار فى أنهم قد تعامَوْا عنها وأَضْربوا عن حدودها وأَمْرِها ونَهْيِها حتى صاروا كالحمار الذى يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها وهجا مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حَفْصةَ قوما من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم روايته فقال

زَوامِلُ للاشعار لا عِلْمَ عندهم * بجَيِّدِها الا كعِلْمِ الاباعر

لَعَمْرُكَ ما يَدْرِى البعير اذا غدا * بأوساقه أوراحَ ما فى الغرائر

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس وقد وقع على أَلْسُنِ الناس من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبى أو البقرة الوحشية والأنفَ بحَدِّ السيف والفَمَ بالخاتَم والشعرَ بالعَناقيد والعنقَ بإبريق فضة والساق بالجُمّارِ فهذا كلام جار على الأَلْسُنِ وقد قال سُراقةُ بن مالك بن جُعْشُمٍ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وساقاه باديتان فى غَرْزِه كأنهما جُمّارتانِ فأَرَدْتُه فوقعت فى مِقْنَبٍ من خيل الانصار فقَرَّعونى بالرماح وقالوا أين تُريدُ وقال كعب بن مالك الانصارى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجهُهُ فصار كأنه البَدْرُ وعينُ الانسان مشبهة بعين الظبى والبقرة فى كلامهم المنثور

النقص ثم لا يبذلون مجهودهم ولا يخرجون مكنونهم وهم أشد خلق الله أنفة وأفرط حمية وأطلبه بطائلة وقد سمعوه فى كل منهل وموقف والناس موكلون بالخطابات مولعون بالبلاغات فمن كان شاهدا فقد سمعه ومن كان غائبا فقد أتاه به من لم يزوده واما ان يكون غير ذلك ولا يجوز ان يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها لانه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحكماء مع اختلاف عللهم و بعد هممهم وشدة عداوتهم الاطباق على بذل الكثير وصون

وشعرهم المنظوم من جاري ما تكلمت به العرب وكثر في أشعارها قال

فَعَيْناكِ عَيْناها وجِيدُكِ جِيدُها ٭ ولكنَّ عظمَ الساقِ منكِ دقيق

(وقال ذو الرمة

أرى فيكِ من خَرقاءَ يا ظبيةَ اللوى ٭ مَشابِهَ جُنِّبْتِ اعتلاقَ الحبائل

فعيناكِ عيناها وجيدُكِ جيدها ٭ ولونُكِ الا انها غيرُ عاطلِ)

وقال الآخر فلم تَرَ عيني مثلَ سِربٍ رأيتُه ٭ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابن واقف

طَلَعْنَ بأعناقِ الظباء وأعين الـجآذر وامتدَّت بهنَّ الروادف

ويقال للخطيب كأن لسانه مِبْرَدٌ فهذا الجاري في الكلام كما يقال للطويل كأنه رُمْحٌ ويقال للمهتز للكرم كأنه غصن تحت بارحٍ ومن مليح التشبيه قول القائل

لِعَيْنَيكَ يومَ البينِ أسرعُ واكفاً ٭ من الفَنَن الممطور وهو مَرُوحُ

وذلك أن الغصن يقع المطر في وَرَقه فيصير منها في مثل المَداهن فاذا هبَّتْ به الريح لم تَلْبَثْه ان تُقَطِّرَه ۞ ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المُحْدَثين ومَلاحاتهم فقد شرطناه في أول الباب ان شاء الله قال أبو العباس ومن أكثرهم تشبيها لاتساعه في القول وكثرة تَفَنُّنه واتساع مذاهبه الحسن بن هانئ قال في مديحه الفَضْلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك

وكنا اذا ما الحائنُ الجَدُّ غرَّه ٭ سَنَى بَرْقِ غارٍ او صَبِيحُ رِعاد

تَرَدَّى له الفضلُ بن يحيى بن خالد ٭ بماضي الظُّبى أزهاه طولُ نجاد

أمامَ خَميسٍ أرْجُوانٍ كأنه ٭ قَمِيصٌ محُوكٌ من قَنًا وجِياد

فما هو الا الدهرُ يأتي بصَرفه ٭ على كل مَنْ يَشْقَى به ويُعادي

قوله الحائن الجد يقال حانَ الرجلُ اذا دنا موته ويقال رجل حائنٌ والمصدر الحَيْنُ والجَدُّ الحَظُّ والجَدُّ والجَدَّةُ مفتوحان فاذا أردتَ المصدر من جَدَدْتُ في الأمر قلت أَجِدُّ جِدًّا مكسور الجيم ويقال جَدَدْتُ النخل أَجُدُّه جَدًّا اذا صرمته ويقال جَدَذْتُه جَذًّا وتركت الشئ جُذاذًا اذا قطعته قِطَعًا ويُرْوَى هذا البيت لجرير على وجهين

آلُ المُهَلَّبِ جَدَّ اللهُ دابرهم ٭ أَضْحَوا رَماداً فلا أَصْلٌ ولا طَرَفُ

البسير وهذا من ظاهر التدبير ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء وأهل المعارف فكيف على الاعداء لان تحبير الكلام أهون من القتال ومن اخراج المال ولم يقل ان القوم قد تركوا مسائلته في القرآن والطعن فيه بعد ان كثرت خصومتهم في غيره ويدلك على ذلك قوله عز وجل وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة وقوله عز ذكره واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا

ويروى جَذّ وقرأ بعض القراء عطاء غير مجذوذ فأما قوله فجعلهم جذاذا فلم يقرأ بغيره ويقال كم جذاذ نخلك أى كم تصرم منها ويروى فى قول الله جل وعز وأنه تعالى جَدُّ ربنا عن أنس بن مالك غنى ربنا وقرأ سعيد بن جبير جَدّ ار بنا ولو قرأ قارئ جدًّا ربنا على معنى جَدَّ ربنا لم يقرأ به لتغير الخط وكذا قراءة سعيد مخالفة الخط وهذا الشعر ينشد بالكسر

أَجِدَّكَ لم تغتمض ليلة ∗ فترقدها مع رقّادها

ومثله (قول الأعشى) أجِدَّكَ لم تسمع وصاة محمد ∗ رسول الاله حين أوصى وأشهدا

لان معناه أجِدًّا منك على التوقيف وتقديره فى النصب أتجد جدًّا ويقال امرأة جدّاء اذا كانت لا ثدى لها فكأنه قُطِعَ منها لان أصل الجَدّ القطع ويقال بلدة جَدّاء اذا لم تكن بها مياه قال الشاعر

وجَدّاءَ ما يُرجى بها ذو هَوادةٍ ∗ لعُرفٍ ولا يخشى السُّماةَ ربيبُها

(القرابةُ والهَوادةُ فى المعنى واحد قال أبو الحسن السُّماةُ هم الصادة نصفَ النهار وروى عن بعض أصحابنا عن المازنى قال اغا سُمّى ساميًا بالسِّماة وهو خف يلبَسُه لئلا يسمع الوحشُ وطأه وهو عندى من سَمَا للصيد) ويُنشَدُ هذا البيت

أبى حُبِّى سُلَيمى أن يبيدا ∗ وأصبح حبلها خَلَقًا جديدا

يقول أصبح خَلَقًا مقطوعا لان جديدا فى معنى مجدود أى مقطوع كما تقول قتيل ومقتول وجريحٌ ومجروح ويقال فى غير هذا المعنى رجل مجدودٌ اذا كان ذا خَطَرٍ أى حظ وفى الدعاء ولا يَنفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ أى مَنْ كان له حظ فى دنياه لم يَدفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به ولو قال قائل ولا ينفع ذا الجِدّ منك الجِدُّ يريد الاجتهاد لكان وجها وقوله سنى برق غار والسنى من الضياء مقصور قال الله جل وعز يكاد سَنَى برقِه يذهب بالابصار والسَّناءُ من المجد ممدود وقال الشاعر

وهم قوم كرامُ الحَىِّ طُرًّا ∗ لهم خَوَلٌ اذا ذُكِرَ السَّناءُ

وضرب الحسن ههنا مَثَلا وجمع الرَّعْد فقال رعادٌ كقولك كَلْبٌ وكِلابٌ وكَعْبٌ وكِعاب وقوله بماضى الظُّبَى ظُبةُ كل شئ حدُّه يقال وَخَزَهُ بظبة السيف يراد بذلك حَدُّ طَرَفِه وقوله أزهاه طول نجاد النجاد حمائلُ السيف وأزهاه رفعه وأعلاه والرجل يُمدَحُ بالطول فلذلك يُذكَرُ طولُ حمائله قال مروانُ بن أبى حفصة يمدح المهدىَّ

أو بدله وقوله تعالى ذكره وقال الذين كفروا ان هذا الا افك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ويدلك كثرة هذه المراجعة وطول هذه المناقلة على ان التقريع لهم بالعجز كان فاشيا وان عجزهم كان ظاهرا ولو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم تحداهم بالنظم والتأليف ولم يكن أيضا أزاح علتهم حتى قال تعالى (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات) وعارضونى بالكذب لقد كان فى تفصيله له وتركيبه وتقديمه له واحتجاجه ما يدعو الى معارضته ومغالبته وطلب مساويه

قصرت حمائله عليه فقلصت • ولقد تأنق فيهما فأطالها

وقال الحسن بن هانئ يمدح محمد الأمين

سبط البنان اذا احتبى بنجاده • غمر الجماجم والسماط قيام

وقال جرير للفرزدق تعالوا فحاكونا الى الحكم مقنع • الى الغر من أهل البطاح الأكارم

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت • وأرضى الطوال البيض من أهل هاشم

وقال الآخر لما التقى الصفان واختلف القنا • نهالا وأسباب المنايا نهالها

تبين لى أن القماءة ذلة • وأن أشداء الرجال طوالها

وقوله أمام خميس الخميس ههنا الجيش وكذلك قال ربيئة أهل خيبر لما أطل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم محمد والخميس أى والجيش وقال الشاعر وهو طرفة

وأى خميس لا أفأنا نهابه • وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

أفأنا رددنا يقال أفاء يفيء اذا رد والأرجوان الاحمر قال الشاعر

عشية غادرت خيلى حميدا • كأن عليه حلة أرجوان

والجياد الخيل وفى القرآن اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد ومن تشبيهه الجيد فى هذا الشعر الذى ذكرنا قوله

ترى الناس أفواجا الى باب داره • كأنهم رجلا دبى وجراد

فيوم لالحاق الفقير بذى الغنى • ويوم رقاب بوكرت لحصاد

ومن التشبيه الجيد قوله (أى أبى نواس الحسن بن هانئ)

فكأنى بما أزين منها • قعدى يزين التحكيما

وكان سبب هذا الشعر ان الخليفة تشدد عليه فى شرب الخمر وحبسه من اجل ذلك حبسا طويلا فقال

أيها الرائحان باللوم لوما • لا أذوق المدام الا شميما

نالنى بالملام فيها امام • لا أرى لى خلافه مستقيما

فاصرفاها الى سواى فانى • لست الا على الحديث نديما

كبر حظى منها اذا هى دارت • أن أراها وأن أشم النسيما

ولو لم يكن تحداهم من كل ما قلنا وقرعهم بالعجز عما وصفنا وهل هذا الا تمديحه له واكثاره فيه لكان ذلك سببا موجبا لمعارضته ومغالبته وطلب تكذيبه اذ كان كلامهم وهو سيد عماهم والمؤنة فيه أخف عليهم وقد بذلوا النفوس والأموال وكيف ضاع منهم وسقط على جماعتهم نيفا وعشرين سنة مع كثرة عددهم وشدة عقولهم واجتماع كلمتهم وهذا أمر جليل الرأى ظاهر التدبير

﴿ فصل منه فى كراهة امتناعهم عن معارضة القرآن لعجزهم عنها ﴾

فكأنى بما أُزَيِّنُ منها • قَعَدِىٌّ يزين التحكيما

لم يُطِقْ حَمْلَهُ السلاحَ الى الحَرْ • بِ فأَوْصَى المُطيقَ الّا يُقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد قال وحُدِّثْتُ ان العُمانِىَّ الراجز أنشد الرشيد فى صفة فرس

كأنَّ أُذْنَيْهِ اذا تَشَوَّفا • قادمةً أو قلمًا مُحَرَّفا

فعلم القوم كلهم انه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لاصلاح البيت الا الرشيد فانه قال له قل

• تَخالُ أُذْنَيْهِ اذا تشوفا • والراجز وان كان لحن فقد أحسن التشبيه ويروى أن جريرا دخل الى الوليد وابنُ الرِقاعِ العاملىُّ عنده يُنْشِدُهُ القصيدة التى يقول فيها

غَلَبَ المَسامِيحَ الوليدُ سَماحةً • وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وسادَها

قال جرير فحسدته على أبيات منها حتى أنشد فى صفة الظبية • تُزْجِى أَغَنَّ كأنَّ اِبْرةَ رَوْقِهِ • قال فقلت فى نفسى وقع والله ما يقدر أن يقول أو يُشَبِّه به قال فقال • قَلَمٌ أصاب من الدَواةِ مِدادَها • قال فما قدرت حسدا له أن أقيم حتى انصرفت ومن تشبيهه الحسن الذى نستطرفه قوله

تُعاطِيكَها كَفٌّ كأنَّ بَنانَها • اذا اعْتَرَضَتْها العينُ صُفُّ مَدارى

ومن التشبيه المليح قوله وكأنَّ سُعْدَى اذ تُوَدِّعُنا • وقد اشْرَأَبَّ الدمعُ أن يَكِفا

رَشَأٌ تَواصَيْنَ القِيانُ به • حتى عَقَدْنَ بأُذْنِهِ شُنُفا

(يقال اشْرَأَبَّ لان يكلمنى اذا تهيأ للكلام واشْرَأَبَّ الدمعُ اذا تهيأ للوكف) وفى هذا الشعر من التشبيه

خَبِّرْ فُؤادَكَ أو سَتُخْبِرُهُ • قَسَمًا لَتَنْتَهِيَنَّ أو حَلَفا

الحبُّ ظهرٌ أنت راكِبُهُ • فاذا صرفتَ عِنانَهُ انصرفا

ومن التشبيه الجيد قوله اليك رَمَتْ بالقوم خُوصٌ كأنما • جَماجِمُها فوق الحِجاجِ قُبُورُ

وله أيضا سأَرْحَلُ من قُودِ المَهارى شِمِلَّةً • مُسَخَّرَةً ما أَسْحَمَتْ بحادى

مع الريح ما راحت فان هى أعصفت • تَهوزُ برأس كالعَلاةِ وهادى

العلاة السندان قال جرير أيفخر بالحَمِيمِ قُيُونُ ليلى • وبالكِيرِ المُرَقَّعِ والعَلاةِ

وقال الحسن بن هانئ فى صفة السفينة

بُنِيَتْ على قَدَرٍ ولاءَمَ بينها • طَبَقانِ من قِيرٍ ومن أَلْواحِ

والذى منعهم من ذلك هو الذى منع ابن أبى العوجاء واسحاق بن طالوت والنعمان بن المنذر وأشباههم من الارجاس الذين استبدلوا بالعز ذلا وبالايمان كفرا وبالسعادة شقوة وبالحجة شبهة بل لا شبهة فى الزندقة خاصة فقد كانوا يصنعون الآثار ويولدون الاخبار ويبثونها فى الأمصار ويطعنون فى القرآن ويسالون عن متشابهه وعن خاصه وعامه ويضعون الكتب على أهله وليس شئ مما ذكرنا يستطيع دفعه جاهل غبى ولا معاند ذكى

(فصل منه) ولما كان

فكأنها والماء ينطح صدرها * والخيزرانة في يد الملاح

جون من العقبان يبتدر الدجى * يهوي بصوت واصطفاق جناح

وقال في شعر آخر يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها وضياءها واشراقها

اذا عبّ فيها شارب القوم خلته * يقبّل في داج من الليل كوكبا

فأما قوله بنينا على كسرى سماء مدامة * جوانبها محفوفة بنجوم

فلو ردّ في كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفاني دون كل نديم

فانما كانت صورة كسرى في الاناء وقوله جوانبها محفوفة بنجوم فانما يريد ما تطوّق به من الزبد

وقد قال في أخرى (أول الشعر من غير الأم

ودار ندامى خلّفوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس

مساحب من جرّ الزقاق على الثرى * وأضغاث ريحان جنيّ ويابس

حبست بها صحبي فألّفت شملهم * واني على أمثال تلك لحابس)

أقمنا بها يوما ويوما وليلة * ويوما له يوم الترحّل خامس

تدار علينا الراح في عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس

قرارتها كسرى وفي جنباتها * مها تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر ما ذرّت عليه جيوبها * وللماء ما دارت عليه القلانس

العسجدية منسوبة الى العسجد وهو الذهب وقال المثقّب العبدي

قالت ألا لا تشترى ذا كم * الا بما شئنا ولم يوجد

الا بسدري ذهب خالص * كلّ صباح آخر المسند

من مال من يجبي ويجبى له * سبعون قنطارا من العسجد

وقوله تدّريها أي تختلها يقال دريت الصيد اذا ختلته قال الاخطل

وان كنت قد أقصدتني اذ رميتني * بسهميك والرامي يصيد وما يدري

وقال الحسن بن هانئ ما حطّك الواشون من رتبة * عندي ولا ضرّك ما اغتابوا

كأنهم أثنوا ولم يعلموا * عليك عندي بالذي عابوا

أعجب الامور عند قوم فرعون السحر ولم يكن أصحابه قط في زمان أشد استحكاما فيه منهم في زمانه بعث الله موسى عليه السلام على ابطاله وتوهينه وكشف ضعفه واظهاره ونقض أصله لردع الاغنياء من القوم ولمن نشأ على ذلك من السفلة والطغام لانه لو كان أتاهم بكل شئ ولم يأتهم بمعارضة السحر حتى يفصل بين الحجة والحيلة لكانت نفوسهم الى ذلك متطلعة ولا عتل به أصحاب الاشغال ولشغلوا به بال الضعيف ولكن الله تعالى جده أراد حسم الداء وقطع المادة وان

وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لمخلّ بن قضلة وقد ذكر معاوية بن شكل فقال أبيتَ اللعن انه لقعوُ الأليتين مُقبِلُ النعلين خفجُ الفخذين مشّاءٌ بأقراء تبّاعُ اماء قتّالُ ظباء فقال النعمان ان أردت أن تذيمه فذهته وقوله مقبل النعلين يقول لنعله قبالان ونسبه الى الترفّه وتباع اماء وقتال ظباء من ذلك والقعو ما تدور فيه البكرة اذا كان من خشب وقوله تذيمه معناه تذمّه يقال ذمّه يذمّه ذمّا وذامه يذيمه ذيما وذأمه يذأمه ذأما والمعنى واحد قال الله تبارك وتعالى اخرج منها مذؤوما مدحورا وقال الحرث بن خالد المخزومي لعبد الملك

صحبتك اذ عيني عليها غشاوة * فلما انجلت قطّعت نفسي أذيمها

وقوله فذهته يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج وبنو سعد بن زيد مناة بن تميم كذلك تقول ونحو من قاربها قال رؤبة

لله درّ الغانيات المُدّه * سبّحن واسترجعن من تألّهي

يريد المدّح وفي هذه الأرجوزة * برّاق أصلاد الجبين الأجله * يريد الاجلح والعرب تقول جلح الرجل يجلح جلحا وجله يجله جلها وجلى يجلى جلى والمعنى واحد قال العجاج

* مع الجلا ولائح القتير * ومثل بيت الحسن وكلام النعمان قول عمرو بن معديكرب

كأنّ مخرّشا في بيت سعدى * يعلّ بعيبها عندي شفيع

وفي قصيدة الحسن هذه ان جئتُ لم تأت وان لم أجئ * جئتَ فهذا منك لي دأبُ

كأنما أنتَ وان كنتَ لا * تكذب في الميعاد كذّابُ

وهذا كلام طريف ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار

وكأنّ تحت لسانها * هاروت ينفث فيه سحرا

وتخالُ ما جمعت عليه * ثيابها ذهبا وعطرا

وهذا التشبيه الجامع ونظيره في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرتُ لك من قول مسلم بن الوليد

* كأنّ في سرجه بدرا وضرغاما * ومن حسن التشبيه من قول المحدثين قول عباس بن الاحنف

أحرم منكم بما أقول وقد * نال به العاشقون من عشقوا

صرتُ كأني ذبالة نُصبت * تضيء للناس وهي تحترق

لا يجد المبطلون متعلقا ولا الى اختداع الضعفاء سبيلا مع ما أعطى الله موسى عليه السلام من سائر البرهانات وضروب العلامات وكذلك زمن عيسى عليه السلام كان الأغلب على أهله وعلى خاصة علمائه الطب وكانت عوامهم تعظم على خواصهم فأرسله الله عز وجل باحياء الموتى اذ كانت غايتهم علاج المرضى وابراء الاكمه اذ كانت غايتهم علاج الرمد مع ما أعطاه الله تعالى عز وجل من سائر العلامات وضروب الآيات لان الخاصة اذا نجحت بالطاعة وقهرتها الحجة

فهذا احسن فى هذا جدا ومن حسن ماقالوا فى التشبيه قول اسمعيل بن القاسم أبى العتاهية للرشيد

أمين الله أمنك خير أمن * عليك من التقى فيه لباس

تساس من السماء بكل فضل * وأنت به تسوس كما تساس

كأن الخلق ركب فيه روح * له جسد وأنت عليه راس

وقد أخذ هذا المعنى على بن جبلة فقال فى مدحه حميد بن عبد الحميد وزاد فى الشرح والترتيب فقال

يرتق ما يفتق أعداؤه * وليس يأسو فتقه آسى

فالناس جسم وامام الهدى * رأس وأنت العين فى الراس

والعرب تختصر فى التشبيه وربما أومأت به ايماء قال أحد الرجاز

بتنا بحسان ومعزاه تئط * مازلت أسعى بينهم وألتبط

حتى اذا كان الظلام يختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

يقول فى لون الذئب واللبن اذا جهد وخلط بالماء ضرب الى الغبرة وأنشد الاصمعى

وتشرب محضا وتسقى عيالها * سجاجا كأقراب الثعالب أورقا

السجاج الرقيق الممذوق والقرب ان الجنبان والواحد قرب ومن ذلك قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شاور فى رجل جنى جناية وجاء قومه يشفعون له فشفع له قوم آخرون فقال له عمر يارسول الله أرى أن توجع قربيه فقال القوم يارسول الله انك لن تشتد على أمتك بقول عمر فنزل اليه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال له ثلاثا يامحمد القول قول عمر شد الاسلام بعمر فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فضرب الرجل والاوراق لون بين الخضرة والسواد يقال جمل أورق بين الورقة وهو ألأم ألوان الابل عند العرب وأطيبها لحما ومن مليح التشبيه قول عبد الصمد بن المعذل فى صفة العقرب

تبرز كالقرنين حين تطلعه * ترجله مرا ومرا ترجعه

فى مثل صدر السبت خاف نقطعه * أعصل خطار تلوح شنعه

أسود كالسبجة فيه مبضعه * لاتصنع الرقشاء مالا يصنعه

وفى هذه الارجوزة أيضا

وعرفت موضع العجز والقوة وفصل مابين الآية والحيلة كان أنجع للعامة واجدران لا يبقى فى أنفسهم بقية وكذلك دهر محمد صلى الله عليه وسلم كان أغلب الأمور عليهم وأحسنها عندهم وأجلها فى صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به فحين استحكمت لفهمهم وشاعت البلاغة فيهم وكثر شعراؤهم وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله عز وجل فتحداهم بما كانوا لايشكون انهم يقدرون على أكثر منه فلم يزل يقرعهم بعجزهم

باب

بات بها حين حبيش يتبعه • وبات جذلان وثيرا مضجعه
ذا سنة آمن ما يروعه • حتى دنت منه لحتف ترمعه
فاظت تحممها وتجمعه • يا بؤس للمودعه ما نودعه
فشرعت أم الحمام اصبعه • أنحت عليه كالشهاب تلذعه
عطله سربال حرير تخلعه • فكل خل ظاهر تفجعه
يزداد من بغت الحمام جزعه • واليأس من تيسيره توقعه

وكذلك قال يزيد بن ضبة (أو العرجي قال أبو الحسن شك أبو العباس فى أنه لاحدهما أعنى هذا البيت) ولكنهم بانوا ولم أدر بغتة • وأفظع شئ حين يفجؤك البغت

ومن أحسن التشبيه ومليحه قول رجل يهجو رجلا رثاثة الحال

يا تيه لك فى جبة مخرقة * أطول أعمار مثلها يوم
وطيلسان كالآل يلبسه • على قميص كأنه غيم

والتشبيه كثير وهو باب كأنه لا آخر له وانما ذكرنا منه شيأ لئلا يخلو هذا الكتاب من شئ من المعانى ونختم ما ذكرنا من أشعار المحدثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ثم نأخذ فى غير هذا الباب ان شاء الله قال طفيل تقريبه المرطى والجون معتدل • كأنه سبد بالماء مغسول السبد طائر بعينه وقد قالوا الخصفة التى توضع عند البئر وهو بالطائر أشبه وانما أراد العرق فى هذا الوقت وخير الخيل ما لم يسرع عرقه ولم يبطئ فاذا جاء فى وقته حمدوه قال الراجز

كأنه والطرف منه سام • مشتمل جاء من الحمام

وقال الأعشى يعادى الخموص ومثقلها • وعفوهما قبل أن يستحم

الخموص جاعها الخمص وهى التى لم تحمل فى عامها والمثقل العير والعفو الولد وجمعه عفاء فاعلم وهو أشبه له اذا لم يكن لعامه ويستحم يعرق وفى حديث أم زرع مضجعه كمسل الشطبة وتكفيه ذراع الجفرة ومعناه أنه خميص البطن وهذا تمدح به العرب وتستحسنه فأما قول متمم بن نويرة • فتى غير مبطان العشيات أروعا • فانما أراد انه لا يستعجل بالعشاء لانتظاره الضيف كما قال

وضيف اذا أرغى طروقا بعيره • وعان ثناه الوفد حتى تكنعا

ويتقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لاقويائهم وخواصهم وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبيا قط مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات ولكل شئ باب ومأتى واختصار وتقريب فمن أحكم الحكمة ارسال كل نبى بما يفحم أعجب الأمور عندهم ويبطل أقوى الأشياء فى ظنهم

(فصل منه فى ذكر أخلاق النبى عليه الصلاة والسلام)

وآية أخرى لا يعرفها الا الخاصة ومتى ذكرت الخاصة فالعامة فى ذلك

وقالوا فى قول الخنساء ‏ يُذَكِّرُنِى طلوعُ الشمسِ صَخْرًا • وأذكُرُهُ لكلِّ غروبِ شمس

قالوا أرادت بطلوع الشمس وقتَ الغارة وبغروب الشمس وقتَ الاضياف وقال رجل لابن له والله ما أنتَ بعظيم الرأس فتكون سيدًا ولا بأَرْسَحَ فتكون فارسا وقال رجل من بنى أسد لرجل من قيس والله ما فُتِقَتْ فتقَ السادة ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسان فهذه كلها نعوت قد عُرِفَتْ لقوم حتى كأنها امماتٌ لهم ينبغى للفارس أن يكون مُهَفْهَفَ الخصرِ بن متوقد العينين حَمْشَ الذراعين وأنشد الاصمعى • كأنما ساعداه ساعدا ذيب • قالوا ومن نعت السيد أن يكون لحيما ضخمَ الهامة جهيرَ الصوت اذا خطا أَبْعَدَ واذا أُوْمِلَ مَلَأَ العين لان حقه أن يكون فى صدر مجلس او ذروة منبر أو منفردا فى موكب وكانوا يقولون فى نعت السيد يملأ العين جمالا والسمع مقالا وقال أبو على دعبل فى رجل نسبه الى السودد بقوله لمعاذ بن جبل بن سعيد الحميرى وهو من ولد حميد بن عبد الرحمن الفقيه

فاذا جالسته صَدَّرْتَهُ • وتَنَحَّيْتَ له فى الحاشيه

واذا سايرته قَدَّمْتَهُ • وتأخرتَ مع المستأنيه

واذا ياسرته صادفته • سَلِسَ الخُلْقِ سليمَ الناحيه

واذا عاسرته صادفته • شَرِسَ الرأى أبيًّا داهيه

فاحمد الله على صحبته • واسأل الرحمن منه العافيه

وهذا المعنى قد أجمله جرير فى قوله

بشرٌ أبو مروان ان عاسرتَهُ • عَسِرٌ وعند يساره ميسور

مثل الخاصة وهى الاخلاق والافعال التى لم تجتمع لبشر قط قبله ولا تجتمع لبشر بعده وذلك انا لم نر ولم نسمع لأحد قط كصبره ولا كحلمه ولا كوفائه ولا كزهده ولا كجوده ولا كنجدته ولا كصدق لهجته وكرم عشيرته ولا كتواضعه ولا كعلمه ولا كحفظه ولا كصمته اذا صمت ولا كقوله اذا قال ولا كعجيب منشئه ولا كقلة تلونه ولا كعفوه ولا كدوام طريقته وقلة امتنانه ولم نجد شجاعا قط الا وقد جال جولة وفر فرة وانحاز مرة من معدودى شجعان

﴿ باب ﴾

تجتمع فيه طرائف من حسن الكلام وجيد الشعر وسائر الأمثال ومأثور الأخبار ان شاء الله

• كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر قال زياد بن عمرو يا أمير المؤمنين ان الحجاج سيفُكَ الذى لا ينبو وسهمُكَ الذى لا يطيش وخادمُكَ الذى لا تأخذه فيك لومةُ لائم فلم يكن أحد بعدُ أَخَفَّ على قلب الحجاج منه ولزياد يقول ابن قيس الرقيات فى معاتبته المهلب بن أبى صفرة

أبلغا جارىَ المهلب عنى • كُلُّ جارٍ مفارقٌ لا محاله

إنّ جاراتك اللواتى بتكرو * ـت لتنبيذ رحلهنّ مقالهْ

لو تعلّقن من زياد بن عمرو * بحبال لما ذممن حبالهْ

غلبت أمّه أباه عليه * فهو كالكابلى أشبه خالهْ

ولقد غالنى يزيد وكانت * فى يزيد خيانة ومغالهْ

عتكىّ كأنه ضوء بدر * يحمد الناس قوله وفعالهْ

وقال أسماء بن خارجة الفزارىّ لا أشاتم رجلا ولا أردّ سائلا فانما هو كريم أسدّ خلّته أو لئيم أشترى عرضى منه وقال سهل بن هرون يجب على كل ذى مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكان يقول عند التعزية التهنئة بآجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة وأراد رجل الحج فأتى شعبة بن الحجاج يودّعه فقال له شعبة أما إنك إن لم ترا الحلم ذلاّ والسفه أنفا سلم لك حجّك وقال أويس القرنىّ إن حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما وقال دعبل ابن علىّ الخزاعى يذم رجلا

رأيت أبا عمران يبذل عرضه * وخبز أبى عمران فى أحرز الحرز

يحنّ إلى جاراته بعد شبعه * وجاراته غرثى تحنّ إلى الخبز

وقال آخر قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رتاج الباب والدار

لا يقبس الجار منهم فضل نارهم * ولا تكفّ يد عن حرمة الجار

أظن تمامه) حتى إذا استنبح الأضياف كلبهم * قالوا لأمّهم بولى على النار

قامت بأحرها تندى مشافره * كأنه رئة فى كفّ جزّار)

وقال رجل من طيئ وكان رجل منهم يقال له زيد من ولد عروة بن زيد الخيل قتل رجلا من بنى أسد يقال له زيد ثم أقيد به بعد

علا زيدنا يوم الحمى رأس زيدكم * بأبيض مصقول الغرار يمان

فان تقتلوا زيدا بزيد فانما * أقادكم السلطان بعد زمان

(قال أبو الحسن وأنشدنا غيره

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم * بأبيض من ماء الحديد يمان)

الإسلام مشهورى فرسان الجاهلية كفلان وفلان وبعد فقد نصر النبى صلى الله عليه وسلم وهاجر معه قوم لم نر كنجدتهم نجدة ولا كصبرهم صبرا وقد كانت لهم الجولة والفرة كما قد بلغك عن يوم أحد وعن يوم حنين وغير ذلك من الوقائع والأيام فلا يستطيع منافق ولا زنديق ولا دهرى أن يحدث أن محمدا صلى الله عليه وسلم جال جولة قط ولا فر فرة قط ولا حام عن غزوة ولا هاب حرب من كاثره

ثبتك الله بالحجة وحصن دينك من كل شبهة

قال كلّم شمعل التغلبي عبد الملك كلاما لم يرضه فرماه عبد الملك بالجرز ففدش وهشم فقال شمعل

أمن جذبة بالرجل منى تباشرت * عداتى فلا عيب علىّ ولا سخر

فان أمير المؤمنين وسيفه * لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقال الحجاج البخل على الطعام أقبح من البرص على الجسد وقال زياد كفى بالبخيل عارا ان اسمه لم يقع في حمد قط وكفى بالجواد مجدا ان اسمه لم يقع فى ذم قط وقال آخر

ألا تربن وقد قطعتنى عذلا * ماذا من الفضل بين البخل والجود

لا يعدم السائلون الخير أفعله * اما نوالا واما حسن مردود

الا يكن ورق يوما أراح به * للخابطين فانى لين العود

قوله الا يكن ورق يريد المال وضربه مثلا ويقال أتى فلان فلانا يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق فجعل الخابط الطالب والورق المال كما قال زهير

وليس مانع ذى قربى ولا رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

ويروى أن ضيفا نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له وفى يده عصا فقال الضيف يا راعى الغنم فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال عجراء من سلم فقال الرجل انى ضيف فقال الحطيئة للضيفان أعددتها

وقال دعبل

وابن عمران يبتغى عربيا * ليس يرضى البنات للأكفاء

ان بدت حاجة له ذكر الضيف ويشاه عند وقت الغداء

وقال أيضا

أضياف سالم فى خفض وفى دعة * وفى شراب ولحم غير ممنوع

وضيف عمرو وعمرو يسهران معا * عمرو لبطنته والضيف للجوع

وقال دعبل

ما رحل الضيف عنى بعد تكرمة * الا برفد وتشييع ومعذرة

وقال أيضا

لم يطيقوا أن يسمعوا وسمعنا * وصبرنا على رحى الاسنان

صوت مضغ الضيوف أحسن عندى * من غناء القيان بالعيدان

وقال القرشى من بنى أمية

اذا ما وترنا لم ننم عن تراتنا * ولم نك أوغالا نقيم البواكيا

ولكننا نغضى الجياد شوازبا * فنرمى بها نحو التراث المراميا

وتوفقك مسلما وجعلك من الشاكرين قد أعجبنى حفظك الله استهداؤك العلم وفهمك له وشغفك بالانصاف وميلك اليه وتعظيمك الحق وموالاتك فيه ورغبتك عن التقليد ودرايتك عليه ومؤاثرة كتبك على بعد دارك وتقطع أسبابك وصبرك الى أوان الامكان واتساعك عند تضايق العذر وفهمت حفظك الله كتابك الأول وما حثثت عليه من تبادل العلم والتعاون على البحث والتحاب فى الدين والنصيحة لجميع المسلمين وقلت اكتب الى كتابا تقصد فيه لى حاجات النفوس

وقال جرير
ان الذى حرم الخلافة تغلبا * جعل النبوة والخلافة فينا
مضر أبى وأبو الملوك فهل لكم * يا خزر تغلب من أب كأبينا
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الىّ قطينا
ان الفرزدق اذ تحنّف كارها * أضحى لتغلب والصليب خدينا
ولقد جزعت الى النصارى بعدما * لقى الصليب من العذاب مهينا
هل تشهدون من المشاعر مشعرا * أو تسمعون من الاذان أذينا

قال أبو العباس حدثنى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قال لما بلغ الوليد قوله

هذا ابن عمى فى دمشق خليفة * لو شئت ساقكم الىّ قطينا

قال الوليد أما والله لو قال لو شاء ساقكم لفعلت ذلك به ولكنه قال لو شئت فجعلنى شرطيا له ويروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحية يتمثل قول الأخطل على غير معرفة

وابن المراغة حابس أعياره * مرمى القصية ما يذقن بلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه قال له بلال أعد انشادك فغمزه بعض الجلساء فقال الرجل انى والله ما أدرى من قاله ولا فيمن قيل فقال بلال أجل هو أشعر من ذلك هلمّا فاختصما وقال جرير

مررت على الديار فما رأينا * كدار بين تلعة والنظيم
عرفت المنتأى وعرفت منها * مطايا القدر كالحدأ الجثوم

وقال آخر
لقد تيمت فؤادك اذ تولت * ولم تخش العقوبة فى التولى
عرفت الدار يوم وقفت فيها * بريح المسك تنفح فى المحل

(باب من أخبار الخوارج)

قال أبو العباس ذكر أهل العلم من الصفرية أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبى من الأزد كره ذلك فأبوا من سواه ولم يريدوا غيره فلما رأى ذلك منهم قال يا قوم استبيتوا الرأى أى دعوه يغب وكان يقول نعوذ بالله من الرأى الدبرى قوله استبيتوا الرأى يقول دعوا رأيكم تأت عليه ليلة ثم تعقبوه يقال بيّت فلان كذا وكذا اذا فعله ليلا وفى القرآن اذ يبيتون ما لا يرضى من القول أى أداروا ذلك ليلا بينهم وأنشد أبو عبيدة

والى صلاح القلوب والى مفتاحات الشكوك وخواطر الشبهات دون الذى عليه أكثر المتكلمين من التطويل ومن التعمق والتعقيد ومن تكلف ما لا يجب واضاعة ما يجب وقلت كن كالمعلم الرفيق والمعالج الشفيق الذى يعرف الداء وسببه والدواء وموقعه ويصبر على طول العلاج ولا يسأم كثرة الترداد وقلت اجعل تجارتك التى اياها تؤمل وصناعتك التى اياها تعتمد اصلاح الفاسد ورد الشارد وقلت ولا بد من استجماع الأصول ومن استيفاء الفروع ومن حسم كل خاطر وقع

أتوني فلم أرضَ ما بيَّتوا * وكانوا أتوني بأمرٍ نُكُر
لأُنكحَ أيِّمهم منذرا * وهل يُنكحُ العبدَ حُرٌّ لحُر

والرأي الدَّبَريّ الذي يعرِض من بعد وقوع الشيء كما قال جرير

ولا يعرفون الشرَّ حتى يصيبهم * ولا يعرفون الأمرَ إلّا تدبُّرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفهم ولسان وشجاعة وإنما لجؤوا إليه وخلعوا معدانَ الإياديّ لقول معدان

سلامٌ على من بايع الله شاريا * وليس على الحزب المقيم سلامُ

فتبرّأت منه الصُّفرية وقالوا أخطأت لأنك برئت من القَعَد قال أبو العباس والخوارج في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة وحُدِّثت أن واصل بن عطاء أبا حذيفة أقبل في رُفقة فأحسّوا الخوارج فقال واصل لأهل الرفقة إن هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودعوني وإياهم وكانوا قد أشرفوا على العطب فقالوا شأنك فخرج إليهم فقالوا ما أنت وأصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده فقالوا قد أجرناكم قال فعلّمونا فجعلوا يعلّمونه أحكامهم وجعل يقول قد قبلت أنا ومن معي قالوا فامضوا مصاحَبين فإنكم إخواننا قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأَجِره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا ذاك لكم فساروا بأجمعهم حتى بلّغوهم المأمن وذكر أهلُ العلم من غير وجه أن عليا رضي الله تعالى عنه لما وجّه إليهم عبد الله بن عباس رحمة الله عليه ليناظرهم قال لهم ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكّم في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر نعُد له فقال ابن عباس لا ينبغي لمؤمن لم يَشُب إيمانه شكٌّ أن يقرّ على نفسه بالكفر قالوا إنه قد حكّم قال إن الله عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل صيد فقال عز وجل يحكم به ذوا عدلٍ منكم فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين فقالوا إنه قد حُكِم عليه فلم يرض فقال إن الحكومة كالإمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نُبذت أقاويلهما فقال بعضهم لبعض لا تجعلوا احتجاج قريش حجةً عليكم فإن هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم بل هم قوم خَصِمون وقال عز وجل وتُنذرَ به قوما لُدًّا والشيء يُذكر بالشيء وجاء في الحديث أن رجلا أعرابيا أتى عمر بن الخطاب رضي الله

عنه

كل ناجم وصرف كل هاجس ودفع كل شاغل حتى تتمكن من الجمة وتتهنأ بالنعمة وتجد رائحة الكفاية وتثلج ببرد اليقين وتفضي إلى حقيقة الأمر وإن كان لابد من عوارض العجز ولواحق التقصير فالبر لها أجل والضر علينا في ذلك أيسر وقلت أبدا بالأخوف فالأخوف وبكل ما كان آنق في السمع وأحلى في الصدور وبالباب الذي منه يؤتى المريض المتكلف والجسور المتجرف وبكلما كان أكثر لما وأنفذ كيدا وسألتني بتفتيح الاستداد والعلة

عنه فقال انى أصبت ظبيا وأنا مُحرِمٌ فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف فقال قل فقال عبد الرحمن يُهدى شاةً فقال عمر أهْدِ شاةً فقال الاعرابى والله ما دَرَى أمير المؤمنين ما فيها حتى استفتَى غيرَه فخفقه عمر رضوان الله عليه بالدِّرّة وقال أتقتُلُ فى الحَرَمِ وتَغْمِصُ الفُتْيا ان الله عز وجل قال يحكم به ذوا عدل منكم فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف وفى هذا الحديث ضروب من الفقه منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أوَلّا يكون قولُ الامام حُكْمًا قاطعا ومنها انه رأى ان الشاة مثل الظبية كما قال الله عز وجل فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ من النَّعَمِ وانه لم يسأله أخطأً قتله أم عمدًا وجعل الأمرين واحدا ومنها انه لم يسأله أقتلتَ صيدًا قبله وأنت مُحْرِمٌ لان قوما يقولون اذا أصاب ثانية لم يُحْكَمْ عليه ولكنا نقول اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى ومن عاد فَيَنْتَقِمُ اللهُ منه قال أبو العباس من طريف أخبار الخوارج قول قَطَرِىّ ابن الفُجاءة المازنِىّ لابى خالد القَنانِىّ وكان من قَعَدِ الخَوارج

أبا خالد يا انفِرْ فلَسْتَ بخالدٍ * وما جَعَلَ الرحمنُ عُذْرًا القاعد

أتَزْعُمُ ان الخارجىَّ على الهدى * وأنتَ مقيم بين لِصٍّ وجاحدِ

فكتب اليه أبو خالد

لقد زاد الحياةَ الىَّ حُبًّا * بناتى انهن من الضِعاف

احاذِرُ أن يَرَيْنَ الفقرَ بَعْدِى * وأن يَشْرَبْنَ رَنْقًا بعد صاف

وان يَعْرَيْنَ ان كُسِىَ الجَوارى * فَتَنْبُو العَيْنُ عن كَرَمٍ عِجاف

ولولا ذاكَ قد سَوَّمْتُ مُهْرِى * وفى الرحمن للضُعَفاء كاف

(أبانا مَنْ لنا ان غِبْتَ عنا * وصار الحىُّ بعدكَ فى اختلاف)

وهذا خلاف ما قال عِمْرانُ بن حِطّانَ أحدُ بنى عمرو بن شَيْبان بن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب ابن على بن بَكْرِ بن وائل وقد كان رأس القَعَد من الصُفْرِيّة وخطيبهم وشاعرَهم قال لما قُتِلَ أبو بلال وهو مِرْداسُ ابن أُدَيَّة وهى جدته وأبوه حُدَيْرٌ وهو أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان

لقد زاد الحياةَ الىَّ بُغْضًا * وحُبًّا للخروج أبو بِلال

أحاذِرُ أن أموتَ على فراشى * وأرجو الموتَ تحت ذُرا العَوالى

ولو أنى عَلِمْتُ بأن حَتْفِى * كحَتْفِ أبى بِلالٍ لم أبال

الى الاعتقاد وصفة الاناة ومقدارها ومقدمات العلوم ومنتهاها وزعمت أن من اللفظ ما لا يفهم معناه دون الاشارة ودون معرفة السبب والهيئة دون اعارته وركته وتحديده واحتيازه وقلت فان أنت لم تصور ذلك كله صورة تغنى عن المشافهة وتكتفى بظاهرها عن المرسلة أحوجتنا الى لقائك على بعد دارك وكثرة أشغالك وعلى ما تخاف من الضيعة وفساد المعيشة فكتبت لك كتابا أجهدت فيه نفسى وبلغت منه أقصى ما يمكن مثلى فى الاحتجاج للقرآن والرد على كل طعان

فمن يك همه الدنيا فانى * لها والله رب البيت قالى

وفيه يقول أيضا

ياعين بكى لمرداس ومصرعه * يارب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما ابكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك ما قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
اما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس
فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بانفاس وزد بعد انفاس

قال أبو العباس وكان من حديث عمران بن حطان فيما حدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن سلام انه لما أطرده الحجاج كان ينتقل فى القبائل فكان اذا نزل فى حى انتسب نسبا يقرب منه ففى ذلك يقول

نزلنا فى بنى سعد بن زيد * وفى عك وعامر عوبثان
وفى لخم وفى أدد بن عمرو * وفى بكر وحى بنى العدان

ثم خرج حتى نزل عند روح بن زنباع الجذامى وكان روح يقرى الاضياف وكان مسامرا لعبد الملك ابن مروان أسيرا عنده فانتمى له من الازد وفى غير هذا الحديث ان عبد الملك ذكر روحا فقال من أعطى مثل ما أعطى أبو زرعة أعطى فقه أهل الحجاز ودهاء أهل العراق وطاعة أهل الشام رجع الحديث وكان روح بن زنباع لا يسمع شعرا نادرا ولا حديثا غريبا عند عبد الملك فيسأل عنه عمران بن حطان الا عرفه وزاد فيه فذكر ذلك لعبد الملك فقال ان لى جارا من الازد ما أسمع من أمير المؤمنين خبرا ولا شعرا الا عرفه وزاد فيه فقال خبرنى ببعض أخباره فخبره وأنشده فقال ان اللغة عدنانية وانى لاحسبه عمران بن حطان حتى تذاكروا ليلة قول عمران ابن حطان يمدح ابن ملجم لعنه الله

ياضربة من تقى ما أراد بها * الا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
انى لاذكره حينا فأحسبه * أوفى البرية عند الله ميزانا

(قلبه الفقيه الطبرى فقال

ياضربة من شقى ما أراد بها * الا ليهدم من ذى العرش بنيانا
انى لاذكره يوما فألعنه * ايها وألعن عمران بن حطانا

قال

فلم أدع فيه مسألة لرافضى ولا لحديثى ولا لحشوى ولا لكافر مباد ولا لمنافق مقموع ولا لأصحاب النظام ولمن نجم بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة وانه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة فلما ظننت انى قد بلغت أقصى محبتك وأتيت على معنى صفتك أتانى كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن وانما أردت الاحتجاج لخلق القرآن وكانت مسألتك مبهمة ولم آلك أن أحدث لك فيها تأليفا فكتبت لك أشق الكتابين وأثقلهما وأغمضهما معنى وأطولهما

قال محمد بن أحمد الطبيب يَرُدُّ على عمران بن حطان

يا ضربةً من غدورٍ صار ضاربُها * أشقى البريّة عند الله انسانا
اذا تفكّرتُ فيه ظلْتُ ألعنهُ * وألعنُ الكلبَ عمران بن حطانا)

فلم يدرِ عبدُ الملك لمن هو فرجع روح الى عمران بن حطان فسأله عنه فقال عمران هذا يقوله عمران ابن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتل على بن أبي طالب فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال له عبد الملك ضيفُكَ عمرانُ بن حطان اذهَبْ فجئني به فرجع اليه فقال ان أمير المؤمنين قد أحب أن يراك قال عمران قد أردتُ أن أسألك ذلك فاستحييتُ منك فامضِ فاني بالأثر فرجع روح الى عبد الملك فأخبره فقال عبدُ الملك أما انّك سترجع فلا تجده فرجع وقد ارتحل عمران وخلَّفَ رُقْعَةً فيها

يا روحُ كم من أخي مَثْوىً نزلتُ به * قد ظنّ ظنّك من لخمٍ وغسّانِ
حتى اذا خفتُهُ فارقتُ منزلَهُ * من بعدِ ما قيل عمرانُ بن حطان
قد كنتُ جارَكَ حولاً ما تروّعني * فيه روائعُ من انسٍ ومن جانِ
حتى أردتَ بي العُظمى فأدركني * ما أدركَ الناسَ من خوف ابن مروانِ
فاعذرْ أخاك ابنَ زنباعٍ فانّ له * في النائبات خطوباً ذات ألوان
يوماً يمانٍ اذا لاقيتُ ذا يمنٍ * وان لقيتُ معدّيّاً فعدناني
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغيةٍ * كنتَ المقدَّمَ في سرّي واعلاني
لكن أبتْ لي آياتٌ مطهّرةٌ * عند الولاية في طه وعمرانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزُفَرَ بن الحرث الكلابي أحد بني عمرو بن كلاب فانتسب له أوزاعيا وكان عمران يُطيلُ الصلاة وكان غلمانٌ من بني عامر يضحكون منه فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع فسلم عليه فدعاه زُفَرُ فقال مَنْ هذا فقال رجل من الازد رأيته ضيفاً لروح بن زنباع فقال له زفر يا هذا أزديّاً مرّةً وأوزاعيّاً مرّةً ان كنت خائفاً آمنّاك وان كنت فقيراً جبرناك فلما أمسى هربَ وخلّفَ في منزله رُقْعَةً فيها

ان التي أصبحتْ يعيى بها زُفَرٌ • أعيتْ عياءً على روحِ بن زنباعِ

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشي * أعيا عياها على روحِ بن زنباعِ * وأنكره كما أنكرناه

ولولا ما اعتللت به من اعتراض الرافضة واحتجاج القوم علينا بمذهب معمر وأبي كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من زعم أن أفعال الطبيعة مخلوقة على المجاز دون الحقيقة وان متكلمي الحشوية والنابتة قد صار لهم بمناظرة أصحابنا وبقراءة كتبنا بعض الفطنة لما كتبت لك رغبة بك عن أقدارهم وضنّاً بالحكمة عن اعثارهم وانما يكتب على الخصوم والاكفاء وللاولياء على الأعداء ولمن يرى للنظر حقاً وللعلم قدراً وله في الانصاف مذهب والى المعرفة سبب

لانه قصر الممدود وذلك فى الشعر جائز ولا يجوز مد المقصور

مازال يسألنى حولًا لأخبره * والناس من بين مخدوع وخدّاع

حتى اذا انقطعت عنى وسائله * كفّ السؤالَ ولم يولع باهلاع

فاكفف كما كفّ عنى اننى رجل * اما صميمٌ واما فقعةُ القاع

واكفف لسانك عن لومى ومسئلتى * ماذا تريدُ الى شيخ لأوزاع

أما الصلاةُ فانى غير تاركها * كلُّ امرئ الذى يعنى به ساع

أكرم بروح بن زنباع وأسرته * قومٌ دعا أوليهم للعلى داع

جاورتهم سنة فيما أسرّ به * عرضى صحيح ونومى غير تهجاع

فاعمل فانك منعيٌّ بواحدة * حسبُ اللبيب بهذا الشيب من ناع

ثم ارتحل حتى أتى عُمانَ فوجدهم يعظّمون أمر أبى بلال ويظهرونه فأظهر أمرَه فيهم فبلغ ذلك الحجاج فكتب الى أهل عُمانَ فارتحل عمرانُ هاربا حتى أتى قوما من الأزد فلم يزل فيهم حتى مات وفى نزوله بهم يقول

نزلنا بحمد الله فى خير منزل * نُسَرُّ بما فيه من الأُنس والخفر

نزلنا بقوم يجمع الله شملهم * وليس لهم عودٌ سوى المجد يعتصر

من الأزد انّ الأزد أكرمُ معشر * يمانية طابوا اذا نُسبَ البشر

فأصبحتُ فيهم آمنًا لا كمعشر * أتونى فقالوا من ربيعة أو مُضر

أم الحىّ قحطان فتلكم سفاهةٌ * كما قال لى روح وصاحبه زفر

وما منهما الا يُسَرّ بنسبة * تقربنى منه وان كان ذا نفر

فنحن بنو الاسلام والله واحدٌ * وأولى عباد الله بالله من شكر

قوله يا روح كم من أخى مثوى نزلت به قدما تفسيره يقال هذا أبو مثواى وللانثى هذه أُمّ مثواى ومنزلُ الضيافة وما أشبهها المثوى وكذلك قال المفسرون فى قول الله عز وجل أكرمى مثواه أى اضافته ويقال من هذا ثوى يثوى ثويًّا كقولك مضى يمضى مضيًّا ويقال ثواءً ومضاءً كما قال

طال الثواءُ على رسمٍ بيمؤود * أودى وكلُّ جديدٍ مرةً مودى

وقوله فيه روائع من انس ومن جان الواحدة رائعة يقال راعنى يروعنى روعًا أى أفزعنى قال الله

وزعمت أنك لم ترفى كتب أصحابنا الا كتابا الا تفهمه أو كتابا وجدت الحجة على واضع الكتاب فيه أثبت وقلت واياك أن تتكل على مقدار ما عندهم دون أن تعتصر قوى باطلهم وتوفيهم جميع حقوقهم واذا تقلدت الأخبار عن خصمك خطه كما طتك لنفسك فان ذلك أبلغ فى التعليم وآيس للخصوم وقلت وزعموا انه يلزمك أن تزعم ان القرآن ليس بمخلوق الا على المجاز كما ألزم ذلك لنفسه معمر وأبو كلدة وعبد الحميد وثمامة وكل من ذهب مذهبهم وقاس قياسهم

تعالى ذكره فلما ذهب عن ابراهيم الروع ويكون الرائع الجميل يقال جمال رائع يكون ذلك فى الرجل والفرس وغيرهما وأحسب الاصل فيهما واحدا أنه يفرط حتى يروع كما قال الله جل ثناؤه يكاد سنى برقه يذهب بالأبصار للافراط فى ضيائه والرائع مهموز وكذلك كل فعل من الثلاثة مما عينه واو أو ياء اذا كانت معتلة سا كنة تقول قال يقول وباع يبيع وخاف يخاف وهاب يهاب يعتل اسم الفاعل فيهمز موضع العين نحو قائل وبائع وخائف وهائب فان صحت العين فى الفعل صحت فى اسم الفاعل نحو عور الرجل فهو عاور وصيد فهو صايد والصيد داء يأخذ فى الرأس والعينين والشؤون وانما صحت فى عور وحول وصيد لانه منقول من احول واعور وقد أحكمنا تفسير هذا فى الكتاب المقتضب وقوله

يوما يمان اذا لاقيت ذا يمن * وان لقيت معديا فعدنانى

يريد أنا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزا على معنى أتنقل يوما كذا ويوما كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر ينشد نصبا

أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة * وفى الحرب أمثال النساء العوارك

العوارك هن الحوائض وكذلك قوله

أفى الولائم أولادا لواحدة * وفى المحافل أولادا لعلات

قال العلات سميت لان الواحدة تعل بعد صاحبتها وهو من العلل وهو الشرب الثانى أى يختلفون ويتحولون فى هذه الحالات ومن كلام العرب أتميميا مرة وقيسيا أخرى وكذلك ان لم تستفهم وأخبرت قلت تميميا مرة علم الله وقيسيا أخرى أى تنتقل ومن ثم قال له زفر بن الحرث أزديا مرة وأوزاعيا أخرى والرفع على أنت جيد بالغ وقوله * لو كنت مستغفرا يوما لطاغية * يكون على وجهين لنفس طاغية والآخر للذكر وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة كما يقال رجل راوية وعلامة ونسابة وكلاهما وجه ويقال جاءت طاغية الروم يراد الجماعة الطاغية كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقتلك الفئة الباغية وقوله عند الولاية اذا فتحت فهو مصدر الولى وفى القرآن العظيم ما لكم من ولايتهم من شئ والولاية مكسورة نحو السياسة والرياضة والايالة وهى الولاية وأصله من الاصلاح يقال آله يؤوله أولا اذا أصلحه قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه

فتفهم فهمك الله تعالى ما أنا واصفه لك ومورد عليك اعلم ان القوم يلزمهم ما ألزموه أنفسهم وليس ذلك الا لعجزهم عن التخلص بحقهم والا لذهابهم عن قواعد قولهم وفروع أصولهم فليس لك ان تضيف العجز الذى كان منهم الى أصل مقالتهم وتحمل ذلك الخطأ على غيرهم فرب قول شريف الحسب جيد المركب وافر العرض برىء من العيوب سليم من الأفن قد ضيعه أهله وهجنه المفترون عليه فألزموه ما لا يلزمه وأضافوا اليه ما لا يجوز عليه ولو زعم القوم على

قد أتنا وابن علينا وأوبل ذلك قد ولينا وولى علينا وهذه كلمة جامعة يقول قد ولينا فعلمنا ما يصلح الوالى وولى علينا فعلمنا ما يصلح الرعية وقوله * حتى اذا ما انقضت منى وسائله * الوسائل واحدها وسيلة وهى الذريعة والسبب يقال قد توسلت الى فلان قال رؤبة بن العجاج

والناس ان فصلتهم فصائلا * كل الينا يبتغى الوسائلا

وقوله ولم يولع باهلاعى أى بافزاعى وتر ويعى والهلع من الجبن عند ملاقاة الاقران يقال نعوذ بالله من الهلع ويقال رجل هلوع اذا كان لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فى كل واحد منهما غير الحق قال الله عز وجل ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وقال الشاعر

ولى قلب سقيم ليس يصحو * ونفس ما تفيق من الهلاع

وقوله * اما صميم واما فقعة القاع * الصميم الخالص من كل شئ يقال فلان من صميم قومه أى من خالصهم وقال جرير لهشام بن عبد الملك

وتنزل من أمية حيث تلقى * شؤن الرأس مجتمع الصميم

وقوله واما فقعة القاع يقال لمن لا أصل له هو فقعة بقاع وذلك لان الفقعة لا عروق لها ولا أغصان والفقعة الكمأة البيضاء ويقال حمام فقيع لبياضه ومن ذا قول الشاعر

قوم اذا نسبوا يكون أبوهم * عند المناسب فقعة فى قرقر

وقال بعض القرشيين اذا ما كنت متخذا خليلا * فلا تجعل خليلك من تميم

بلوت صميمهم والعبد منهم * فما أدرى العبيد من الصميم

وقوله تستر بما فيه من الأنس والخفر فاصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خفرة اذا كانت مستترة لاستحيائها قال ابن نمير الثقفى

تضوع مسكا بطن نعمان أن مشت * به زينب فى نسوة خفرات

وقوله ان الازد أكرم أسرة يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أى أسرة أنت وأصل هذا من الاجتماع يقال للقتب مأسور وقد مضى تفسيره وينشد * يمانية قربوا اذا نسب البشر * يريد قربوا وهذا جائز فى كل شئ مضموم أو مكسور اذا لم يكن من حركات الاعراب تقول فى الاسماء فى فخذ فخذ وفى عضد عضد وتقول فى الافعال كرم عبد الله أى كرم وقد علم الله أى علم الله قال

أصل مقالتهم أن القرآن هو الجسم دون الصوت والتقطيع والنظم والتأليف وأنه ليس بصوت ولا تقطيع ولا تأليف اذ كان الصوت عندهم لا يخترع كاختراع الأجسام المصورة ولا يحتمل التقطيع كاحتمال الأجرام المجسدة والصوت عرض لا يحدث من جوهر الا بدخول جوهر آخر عليه ومحال ان يحدث الا وهناك جسمان قد صك أحدهما صاحبه ولا بد من مكانين مكان زال عنه ومكان زال اليه ولا بد من هواء بين المصطكين والجسم قد يحدث وحده ولا شئ غيره

الاخطل

الاخطل   فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الابل دبرت صفحتاه وكاهله

وقال آخر   عجبت لمولود وليس له أب * وذى ولد لم يلده أبوان

ولا يجوز فى ضرب ولا فى جمل أن يسكن لخفة الفتحة وقوله أتونى فقالوا من ربيعة أو مضر يقول أمن ربيعة أم من مضر ويجوز فى الشعر حذف ألف الاستفهام لان أم التى جاءت بعدها تدل عليها قال ابن أبى ربيعة   لعمرك ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

يريد أبسبع وقال التميمى

لعمرك ما أدرى وان كنت داريا * شعيث بن سهم أم شعيث بن منقر

الرواية على وجهين أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحى قحطان يريد أذا أم ذا والاصلح فى الرواية من ربيعة أو مضر أم الحى قحطان لان ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم الحى قحطان لانه اذا قال أزيد عندك أم عمرو فالجواب نعم أو لا لان أحد هذين عندك ومعنى الاول أيهما عندك ويروى وحدثنيه المازنى أن صفية بنت عبد المطلب أتاها رجل فقال لها أين الزبير قالت وما تريد اليه قال أريد أن أباطشه فقالت هاهو ذاك فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فرمى به متملولا فقالت صفية   كيف رأيت زبرا * أأقطا أو تمرا * أم قرشيا صقرا

لم تشكك بين الاقط والتمر فتقول أيهما هو ولكنها أرادت أرأيته طعاما أم قرشيا صقرا أى أأحد هذين رأيته أم صقرا ولو قالت أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه وقوله وما منهما الا يسر بنسبة معناه وما منهما واحد فحذف لعلم المخاطب قال الله جل اسمه وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته أى وان أحد ومعنى ان معنى ما قال الشاعر

وما الدهر الا تارتان فمنهما * أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

يريد فمنهما تارة وقوله   فنحن بنو الاسلام والله واحد * وأولى عباد الله بالله من شكر

يقول انقطعت الولاية الا ولاية الاسلام لان ولاية الاسلام قد قاربت بين الغرباء وقال الله عز وجل انما المؤمنون اخوة وقال عز وجل فباعد به بين القرابة انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح وقال نهار بن توسعة اليشكرى   دعى القوم ينصر مدعيه * ليلحقه بذى الحسب الصميم

أبى الاسلام لا أب لى سواه * اذا افتخروا بقيس أو تميم

والصوت على خلاف ذلك والعرض لا يقوم بنفسه ولا بد من أن يقوم بغيره والاعراض من أعمال الأجسام لا تكون الا منها ولا توجد الا بها وفيها والجسم لا يكون الا من جسم ولا يكون الا من مخترع الأجسام وليست يكون الجسم له علة توجبه ولا يحدث اذا حدث الا اختيارا والا ابتداعا واختراعا والصوت لا يكون الا عن علة موجبة ولا يكون الا تولدا ونتيجة ولا يحدث الا من جرمين كاصطكاك الحجرين وكقرع اللسان باطن الاسنان والا من هواء يتضاغط وريح تختنق

ويقال فيما روي من الأخبار أن أول من حكّم عروة بن أديّة وأديّة جدة له جاهلية وهو عروة ابن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة وقال قوم بل أول من حكّم رجل يقال له سعيد من بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ولم يختلفوا في اجماعهم على عبد الله بن وهب الراسبي وأنه امتنع عليهم وأومأ الى غيره فلم يقنعوا الا به فكان امام القوم وكان يوصف بالرأي فأما أول سيف سُلّ من سيوف الخوارج فسيف عروة بن أدية وذلك انه أقبل على الاشعث فقال ما هذه الدنيّة يا أشعث وما هذا التحكيم أشرط أوثق من شرط الله عز وجل ثم شهر عليه السيف والاشعث مولّ فضرب به عجز البغلة فشبّت البغلة فنفرت اليمانية وكانوا جُلّ أصحاب علي صلوات الله عليه فلما رأى ذلك الأحنف قصد هو وجارية بن قدامة ومسعود بن فدكي بن أعبد وشبث بن ربعي الرياحي الى الاشعث فسألوه الصفح ففعل وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النهروان فلم يزل باقيا مدة من خلافة معاوية ثم أُتي به زياد ومعه مولى له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيرا ثم سأله فقال ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عفان وأبي تراب علي بن أبي طالب فتولّى عثمان ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر وفعل في أمر علي مثل ذلك الى أن حكّم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سبّا قبيحا ثم سأله عن نفسه فقال أولك لزنية وآخرك لدعوة وأنت بعد عاص لربك ثم أمر به فضربت عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لي أموره فقال أأطنب أم أختصر فقال بل اختصر فقال ما أتيته بطعام بنهار قط ولا فرشت له فراشا بليل قط وكان سبب تسميتهم الحرورية أن عليا لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله اياهم فكان مما قال لهم ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم ان هذه مكيدة ووهن وانهم لو قصدوا الى حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألوني التحكيم أفعلمتم انه كان منكم أحد أكره لذلك مني قالوا اللهم نعم قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل فان خالفاه فأنا وأنتم من ذلك براء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يعدوني قالوا اللهم نعم وفيهم في ذلك الوقت ابن الكوّاء وهذا من قبل أن تذبحوا عبد الله بن خبّاب فانما ذبحوه بكسكر في الفرقة الثالثة فقالوا حكّمت في دين الله برأينا ونحن مقرّون بانا قد كفرنا ونحن تائبون فأقرر بمثل ما أقررنا وتب ننهض معك الى الشام فقال أما تعلمون ان الله جل ثناؤه قد أمر

ونار تلتهب والريح عندهم هواء تحرك والنار عندهم ريح حارة هكذا الأمر عندهم فلو قالوا لا يكون الشيء مخلوقا في الحقيقة دون المجاز وعلى مجازي اللغة الا وقد بان الله عز وجل باختراعه وتولاه بابتداعه وكان منه على اختيار والابتداع الذي يمكن تركه وانشاء عقيبه بدلا منه على ما كان يولده ونتيجته من أجسام يستحيل أن يخلق من أفعالها ويحلها الله منها والقرآن على غير ذلك جسم وصوت وذو تأليف وذو نظم وتقطيع وخلق قائم بنفسه مستغن عن غيره ومسموع في الهوى

بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأة فقال تبارك وتعالى فابعثوا حَكَماً من أهله وحَكَماً من أهلها وفى صيد أُصيبَ فى الحرم كأرنب يساوى رُبُعَ دينار فقال عز وجل يحكُمُ به ذوا عدل منكم فقالوا ان عَمِرْنا المآبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد الله على أمير المؤمنين مَحَوْتَ اسمكَ من الخلافة وكتبت على بن أبى طالب فقال لهم رضى الله عنه لى برسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حيث أَبَى عليه سهيل بن عمرو أن يكتب هذا كتابٌ كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكنى أقدمك لفضلك ثم قال اكتُبْ محمد بن عبد الله فقال لى يا على امحُ رسول الله فقلت يا رسول الله لا تسخو نفسى بمحو اسمكَ من النبوة فقال عليه السلام فقفنى عليه فمحاه بيده صلى الله عليه وسلم ثم قال اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم الىَّ فقال يا على أما انكَ ستُسامُ مثلها فتعطى فرجع معه منهم ألفان من حَروراء وقد كانوا تجمّعوا بها فقال لهم على صلوات الله عليه ما نُسمّيكم ثم قال أنتم الحَرورِيّة لاجتماعكم بحَروراء والنَّسبُ الى مثل حَروراء حَروراوىٌّ وكذلك كل ما كان فى آخره ألف التأنيث الممدودة ولكنه نُسبَ الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحَرورىّ وقال الصَّلَتانُ العَبْدىُّ فى كلمة له

أَرى أُمَّةً شَهَرَتْ سيفَها * وقد زيدَ فى سوطها الأَصبَحِى

بنَجْدِيَّةٍ وحَرورِيَّةٍ * وأَزْرَقَ يدعو الى أزرقِ

فَمِلَّتُنا أنَّنا المسلمون * على دين صِدّيقنا والنبِى

وفى هذا الشعر مما يستحسن قوله

أَشابَ الصغيرَ وأَفنَى الكبيرَ * مُرورُ الليالى وكَرُّ العَشِى

اذا ليلةٌ هَرَّمَتْ يومَها * أتى بعد ذلك يومٌ فَتِى

نَروحُ ونَغدو لحاجاتنا * وحاجةُ مَن عاش لا تنقضى

تموتُ مع المَرْء حاجاتُه * وتَبقَى له حاجةٌ ما بقى

قوله وقد زيد فى سوطها الاصبحى فانه تسمى هذه السياط التى يعاقب بها السلطان الاصبحية وتُنسبُ الى ذى أَصبَحَ الحِمْيَرىّ وكان مَلِكاً من ملوك حِمْيَرَ وهو أول من اتخذها وهو جدُّ مالك بن أنس الفقيه رضى الله عنه والنجدية تنسب الى نجدة بن عُوَيمِر وهو عامر الحنفىُّ وكان رأساً ذا مقالة

ومرئى فى الورق ومفصل وموصل ذو اجتماع وافتراق ويحتمل الزيادة والنقصان والفناء والبقاء وكلما احتملته الأجسام ووصفت به الاجرام كل ما كان كذلك فمخلوق فى الحقيقة دون المجاز وتوسع أهل اللغة فلو كانوا قالوا ذلك لكانوا أصابوا فى القياس ووافقوا أهل الحق وكانوا مع الجماعة ولم يضاهوا أهل الخلاف والفرقة ولم يفهموا أنفسهم بقول المشبهة اذ كان ظاهر قولهم على التشبيه أدل وبه أشبه ولا يجوز أن أذكر موضع موافقتى لهم ومخالفتى عليهم فى صدر

منفردة من مقالات الخوارج وقد بنى من أهلها قوم كثير وكان نجدة يصلى بمكة بحذاء عبد الله ابن الزبير فى جمعة فى كل جمعة وعبد الله يطلب الخلافة فيمسكان عن القتال من أجل الحرم قال الراعى يخاطب عبد الملك

انى حلفت على يمين برة * لا أكذب اليوم الخليفة قيلا
ما ان أتيت أبا خبيب وافدا * يوما أريد لبيعتى تبديلا
ولا أتيت نجيدة بن عويمر * أبغى الهدى فيزيدنى تضليلا
من نعمة الرحمن لا من حيلتى * انى أعدّ له على فضولا

وفى هذه القصيدة
أخذوا العريف فقطّعوا حيزومه * بالأصبحية قائما مغلولا

قوله وأزرقى يدعو الى أزرقى يريد من كان من أصحاب نافع بن الأزرق الحنفى وكان نافع شجاعا مقدما فى فقه الخوارج وله ولعبد الله بن عباس مسائل كثيرة وسنذكر جملة منها فى هذا الكتاب ان شاء الله وقوله على دين صديقنا والنبى فالعرب تفعل هذا وهو فى الواو جائز أن تبدأ بالشئ وغيره المقدم قال الله عز اسمه هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقال يا معشر الجن والانس وقال واسجدى واركعى مع الراكعين وقال حسان بن ثابت

بها ليل منهم جعفر وابن أمه * على ومنهم أحمد المتخير

يعنى بنى هاشم ومن كلام العرب ربيعة ومضر وقيس وخندف وسليم وعامر وأصحاب نافع بن الازرق هم ذووا الحد والجد وهم الذين أحاطوا بالبصرة حتى ترحل أكثر أهلها منها وكان الباقون على الترحل فقلّد المهلب حربهم فهزمهم الى الفرات ثم هزمهم الى الأهواز ثم أخرجهم عنها الى فارس ثم أخرجهم الى كرمان وفى ذلك يقول شاعر منهم فى هذه الحرب التى صاحبها صاحب الزنج بالبصرة يرثى البلد ويذكر المنقبة التى كانت لهم (قال الأخفش أنشدنيه يزيد المهلبى لنفسه)

سقى الله مصرا أخف أهلوه من مصر * وما الذى يبقى على عقب الدهر
ولو كنت فيه اذ أبيح حريمه * لمت كريما أو صدرت على عذر
أبيح فلم أملك له غير عبرة * تهيب بها أن ماردت لوعة الصدر

ونحن

هذا الكتاب لان التدبير فى وضع الكتاب والسياسة فى تعليم الجهال أن يبدأ بالأوضح فالأوضح والأقرب فالأقرب وبالأصول قبل الفروع حتى يكون آخر الكتاب لآخر القياس وآخر الكلام لا يفهم أرشدك الله تعالى ولا يتوهم الا على ترتيب الأمور وتقديم الأصول فاذا رتبنا الأمور وقدمنا الأصول صارت أواخر المعانى فى الفهم كأوائلها ورقيقها كجليلها وقد علمنا أن بعض ما فيه الاختلاف بين من ينتحل الاسلام أعظم فرية وأشد بلية

ونحن رددنا أهلها إذ ترحلوا * وقد نظمت خيل الأزارق بالجسر
ومن يخش أطراف المنايا فإننا * لبسنا لهن السابغات من الصبر
فإن كريه الموت عذب مذاقه * إذا ما مزجناه بطيب من الذكر
وما رزق الإنسان مثل منية * أراحت من الدنيا ولم تخز في القبر

وفي هذا الشعر

ليشكر بنو العباس نعمى تجددت * فقد وعد الله المزيد على الشكر
لقد جنبتكم أسرة حسدتكم * فسلت على الإسلام سيفا من الكفر
وقد نغصتهم جولة بعد جولة * يبيتون فيها المسلمين على ذعر

وقال عبد الله بن قيس الرقيات

ألا طرقت من أهل تبنة طارقة * على أنها معشوقة الدل عاشقة
تبيت وأرض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الأزارقة
إذا نحن شئنا صادفتنا عصابة * حرورية أضحت من الدين مارقة

وكان مقدار من أصاب علي صلوات الله عليه منهم بالنهروان ألفين وثماني مائة في أصح الأقاويل وكان عددهم ستة آلاف وكان منهم بالكوفة زهاء ألفين ممن يسر أمره ولم يشهد الحرب فخرج منهم رجل بعد أن قال علي رضوان الله عليه ارجعوا وادفعوا إلينا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا كلنا قتله وشرك في دمه ثم حمل منهم رجل على صف علي وقد قال علي لا تبدؤهم بقتال فقتل من أصحاب علي ثلاثة وهو يقول

أقتلهم ولا أرى عليا * ولو بدا أوجرته الخطيا

فخرج إليه علي صلوات الله عليه فقتله فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة إلى الجنة فقال عبد الله ابن وهب ما أدري أإلى الجنة أم إلى النار فقال رجل من سعد إنما حضرت اغترارا بهذا وأراه قد شك فانخزل بجماعة من أصحابه ومال ألف إلى ناحية أبي أيوب الأنصاري وكان رحمه الله على ميمنة علي وجعل الناس يتسللون وقد قال علي وقيل له إنهم يريدون الجسر فقال لن يبلغوا النطفة وجعل الناس يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون ثم قالوا قد رجعوا يا أمير المؤمنين فقال والله ما كذبت

وأشنع كفرا وأكبر إثما من كثير مما أجمعوا على أنه كفر وبعد فنحن لم نكفر إلا من أوسعناه حجة ولم نمتحن إلا أهل التهمة وليس كشف المتهم من التجسس ولا امتحان الظنين من هتك الأستار ولو كان كل كشف هتكا وكل امتحان تجسسا لكان القاضي أهتك الناس لستر وأشد الناس كشفا لعورة والذين خالفوا في العرش إنما أرادوا نفي التشبيه فغلطوا والذين أنكروا أمر الميزان إنما كرهوا أن تكون الأعمال أجساما وأجراما غلطا فإن كانوا قد أصابوا فلا سبيل

ولا كُذِبْتُ ثم خرج اليهم فى أصحابه وقد قال لهم انه والله ما يقتل منكم عشرة ولا يفلت منهم عشرة فقتل من أصحابه تسعة وأفلت منهم ثمانية ۞ قال أبو العباس وقيل أول من حكم وافظ بالحكومة ولم يشذ بها رجل من بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر من بنى صريم يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك وهو الذى ضرب معاوية على أليته فانه لما سمع بذكر الحكمين قال أيحكم فى دين الله لا حكم الا لله فسمعه سامع فقال طعن والله فأنفذ وأول من حكم بين الصفين رجل من بنى يشكر بن بكر بن وائل فانه كان فى أصحاب على فحمل على رجل منهم فقتله غيلة ثم مرق بين الصفين فحكم وحمل على أصحاب معاوية فكثروه فرجع الى ناحية على صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم فخرج اليه رجل من همدان فقتله فقال شاعر همدان

ماكان أغنى اليشكرىّ عن التى * تصلّى بها جمرا من النار حاميا
غداة ينادى والرماح تنوشه * خلعت عليا باديا ومعاويا

وجاء فى الحديث أن عليا رضى الله عنه تلى بحضرته قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال على أهل حروراء منهم وروى عن على صلوات الله عليه أنه خرج فى غداة يوقظ الناس للصلاة فى المسجد فمر بجماعة تتحدث فسلم وسلموا عليه فقال وقبض على لحيته ظننت أن فيكم أشقاها الذى يخضب هذه من هذه وأومأ بيده الى هامته ولحيته ومن شعر على بن أبى طالب الذى لا اختلاف فيه أنه قاله وانه كان يردده أنهم لما ساموه أن يقر بالكفر ويتوب حتى يسيروا معه الى الشام فقال أبعد صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتفقه فى الدين أرجع كافرا ياشاهد الله علىّ فاشهد * أنى على دين النبى أحمد * من شكّ فى الله فانى مهتدى *

ويروى * أنى توليت ولىّ أحمد * ويروى أن رجلا أسود شديد بياض الثياب وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم غنائم خيبر ولم تكن الا لمن شهد الحديبية فأقبل ذلك الاسود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عدلت منذ اليوم فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤى الغضب فى وجهه فقال عمر بن الخطاب ألا أقتله يا رسول الله فقال رسول الله انه سيكون لهذا ولأصحابه نبأ وفى حديث آخر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ويحك فمن

يعدل

عليهم وان كانوا قد أخطؤا فان خطأهم لا يتجاوز بهم الى الكفر وقولهم وخلافهم بعد ظهور الحجة تشبيه الخالق بالمخلوق فبين المذهبين أبين الفرق وقد قال صاحبكم للخليفة المعتصم يوم جمع الفقهاء والمتكلمين والقضاة والمخاصمين اعذارا وانذارا امتحنتنى وأنت تعرف ما فى المحنة وما فيها من الفتنة ثم امتحنتنى من بين جميع هذه الأمة قال المعتصم أخطأت بل كذبت وجدت الخليفة قبلى قد حبسك وقيدك ولو لم يكن حبسك على تهمة لأمضى الحكم فيك ولو لم يخف على

يعدل اذا لم أعدل ثم قال لابى بكر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته راكعا ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيته ساجدا ثم قال لعلى اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله لم أره فقال رسول الله لو قتل هذا ما اختلف اثنان فى دين الله قال أبو العباس وحدثنى ابراهيم ابن محمد التيمى قاضى البصرة فى اسناد ذكره أن عليا رضى الله عنه وجه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذهبة من اليمن فقسمها أرباعا فأعطى ربعا الاقرع بن حابس المجاشعى وربعا الزيد الخيل الطائى وربعا لعيينة بن حصن الفزارى وربعا لعلقمة بن علاثة الكلابى فقام اليه رجل مضطرب الخلق غائر العينين ناتئ الجبهة فقال لقد رأيت قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توردت خداه ثم قال أيأمننى الله عز وجل على أهل الارض ولا تأمنونى فقام اليه عمر فقال ألا أقتله يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انه سيكون من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر فى النصل فلا ترى شيأ وتنظر فى الرصاف فلا ترى شيأ وتتمارى فى الفوق قوله صلى الله عليه وسلم من ضئضئ هذا أى من جنس هذا يقال فلان من ضئضئ صدق ومن محتد صدق وفى مركب صدق وقال جرير للحكم بن أيوب بن الحكم ابن أبى عقيل وهو ابن عم الحجاج وكان عاملا له على البصرة

أقبلن من ثهلان أو وادى خيم * على قلاص مثل خيطان السلم

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

خليفة الحجاج غير المتهم * فى ضئضئ المجد وبحبوح الكرم

ويقال مرق السهم من الرمية اذا نفذ منها وأكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شئ وأقطع ما يكون السيف اذا سبق الدم قال امرؤ القيس بن عابس الكندى

وقد أختلس الضربة لا يدمى لها نصلى

فأما ما وضعه الاصمعى فى كتاب الاختيار فعلى غلط وضع وذكر الاصمعى أن الشعر لاسحق ابن سويد الفقيه وهو لاعرابى لا يعرف المقالات التى يميل اليها أهل الاهواء أنشد الاصمعى

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا * يردون السلام على السحاب

الاسلام ماعرض لك فسؤالى اياك عن نفسك ليس من المحنة ولا من طريق الاعتساف ولا من طريق كشف العورة اذ كانت حالك هذه الحال وسبيلك هذه السبيل وقيل للمعتصم فى ذلك المجلس ألا تبعث الى أصحابه حتى يشهدوا اقراره ويعاينوا انقطاعه فينقض ذلك استبصارهم فلا يمكنه جحد ما أقر به عندهم فأبى أن يقبل ذلك وأنكره عليهم وقال لا أريد أن أوتى بقوم أن أتهمتهم ميزت فيهم بسيرتى فيهم وان بان لى أمرهم أنفذت حكم الله فيهم وهم مالم أرتبهم

ولكنى أُحِبُّ بكل قلبى * وأَعلَم أن ذاك من الصواب

رسولَ الله والصديقَ حبًّا * به أرجو غداً حُسْنَ الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعنى واصل بن عطاء وكان يُكنَى أبا حذيفة وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لانه كان يَلزَم الغزّالين ليَعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهنّ وكان طويلَ العُنُق ويروى عن عمرو بن عُبَيد أنه نظر اليه من قبل أن يكلمه فقال لا يُفلح هذا ما دامت عليه هذه العنق وقال بشّار بن بُرد يهجو واصل بن عطاء

ما ذا مُنيتُ بغزّالٍ له عُنُقٌ * كنقنق الدوّ ان ولّى وان مثلا

عُنْقَ الزرافة ما بالى وبالكُمُ * تُكفّرون رجالاً أكفروا رجلا

ويروى لا بل كانه لا يُشَكُّ فيه ان بشّارا كان يتعصّبُ للنار على الأرض ويصوّب رأى ابليس لعنه الله فى امتناعه من السجود لآدم عليه السلام ويُروى له

الأرض مُظلمةٌ والنار مُشرقةٌ * والنار معبودةٌ مُذ كانت النارُ

فهذا ما يرويه المتكلمون وقتَلَه المهدىُّ على الالحاد وقد روى قومٌ أن كتبه فُتّشت فلم يُصب فيها شئ مما كان يُرمَى به وأُصيب له كتاب فيه انى أردتُ هجاء آل سُليمان بن علىٍ فذكرتُ قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكتُ منهم (الا أنى قلتُ

دينارُ آل سُليمان ودرهمهم * كبابليين حُفّا بالعفاريت

لا يُرجيان ولا يُرجى نوالهما * كما سمعت بهاروت وماروت)

وحدثنى المازنى قال قال رجل لبشّار أتأكلُ اللحمَ وهو مُباينٌ لديانتك يذهب الى أنه ثَنَوىٌّ قال فقال بشّارٌ ليسوا يدرون أن اللحم يدفع عنى شرّ هذه الظلمة وكان واصلُ بن عطاء أحدَ الأعاجيب وذلك أنه كان ألثغَ قبيحَ اللُثغة فى الراء فكان يُخلّص كلامه من الراء ولا يُفطَن بذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه ففى ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة يمدحه باطالته الخُطَبَ واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه

عليمٌ بابدال الحروف وقامعٌ * لكلّ خطيب يَغلبُ الحقَّ باطلُهْ

وقال آخر ويجعل البُرّ قمحًا فى تصرّفه * وخالف الراء حتى احتال للشّعر

كسائر الرعية وكغيرهم من عوام الأمة وما شئ أحب الى من الستر ولا شئ أولى بى من الاناة والرفق وما زال به رفيقا وعليه رقيقا ويقول لان أستحييك بحق أحب الى من أن أقتلك بحق حتى رآه يعاند الحجة ويكذب صراحا عند الجواب وكان آخر ما عاند فيه وأنكر الحق وهو يراه أن أحمد بن أبى داود قال له أليس لا شئ الا قديم أو حديث قال نعم أوليس القرآن شيأ قال نعم قال أوليس لا قديم الا الله قال نعم قال فالقرآن اذا حديث قال ليس انا متكلم وكذلك كان يصنع فى

ولم يطق مطرا والقول يعجله * فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

ومما يحكى عنه قوله وذكر بشارا أما لهذا الاعمى المكتنى بأبى معاذ من يقتله أما والله لولا أن الغيلة خلق من أخلاق الغالية لبعثت اليه من يبعج بطنه على مضجعه ثم لا يكون الا سدوسيا أو عقيليا فقال هذا الأعمى ولم يقل بشارا ولا ابن برد ولا الضرير وقال من أخلاق الغالية ولم يقل المغيرية ولا المنصورية وقال لبعثت اليه ولم يقل لارسلت اليه وقال على مضجعه ولم يقل على فراشه ولا مرقده وقال يبعج ولم يقل يبقر وذكر بنى عقيل لانه بشارا كان يتوالى اليهم وذكر بنى سدوس لانه كان نازلا فيهم واجتناب الحروف شديد قال ولما سقطت ثنايا عبد الملك قال والله لولا الخطبة والنساء ما حفلت بها قال وخطب الجمحى وكان منزوع احدى الثنيتين وكان يصفر اذا تكلم فأجاد الخطبة وكانت لنكاح فرد عليه زيد بن على بن الحسين كلاما جيدا الا أنه فضله بتمكن الحروف وحسن مخارج الكلام فقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر يذكر ذلك

صحت مخارجها وتم حروفها * فله بذلك مزية لا تنكر

المزية الفضيلة واما قوله وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب وكان مولى بنى العدوية من بنى مالك ابن حنظلة فهذان معتزليان وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل البدع والأهواء ألا تراه ذكر الرافضة معهما فقال

ومن قوم اذا ذكروا عليا * أشاروا بالسلام على السحاب

ويروى * يردون السلام على السحاب ۞ ثم نرجع الى ذكر الخوارج قال فلما قتل على أهل النهروان كان بالكوفة زهاء ألفين من الخوارج ممن لم يخرج مع عبد الله بن وهب وقوم ممن استأمن الى أبى أيوب الانصارى فتجمعوا وأمروا عليهم رجلا من طيئ فوجه اليهم على صلوات الله عليه رجلا وهم بالنخيلة فدعاهم ورفق بهم فأبوا فعاودهم فأبوا فقتلوا جميعا فخرجت طائفة منهم نحو مكة فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فتوافقوا وتراضوا بعد الحرب بان يصلى بالناس رجل من بنى شيبة لئلا يفوت الناس الحج فلما انقضى نظرت الخوارج فى أمرها فقالوا ان عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة فلو قتلناهما لعاد الأمر الى حقه وقال رجل من أشجع والله ما عمرو

جميع مسائله حتى كان يجيبه فى كل ما سأل عنه حتى اذا بلغ المضيق والموضع الذى ان قال فيه كلمة واحدة برئ منه أصحابه قال ليس انا متكلم فلا هو وقال فى أول الأمر لا علم لى بالكلام ولا هو حين تكلم فبلغ موضع ظهور الحجة خضع للحق فقتله الخليفة وقال عند ذلك أن هذا الجاهل مرة والمعاند مرة وأما الموضع الذى فيه واجه الخليفة بالكذب والجماعة بالقحة وقلة الاكتراث وشدة التصميم فهو حين قال له أحمد بن أبى داود اتزعم ان الله تعالى رب القرآن قال

دمهم وانه لا أصل هذا الفساد فقال عبد الرحمن بن مُلْجَم انا أقتل عليا فقالوا وكيف لك به قال أغتاله فقال الحجاج بن عبد الله الصريمي وهو البُرَك وأنا اقتل معاوية وقال زاذويه مولى بني العنبر ابن عمرو بن تميم وأنا أقتل عمرا فأجمع رأيهم على أن يكون قتلهم في ليلة واحدة فجعلوا تلك الليلة ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان فخرج كل واحد منهم الى ناحية فأتى ابن مُلْجَم الكوفة فأخفى نفسه وتزوج امرأة يقال لها قَطَام بنت عَلْقَمة من تَيْم الرباب وكانت ترى رأي الخوارج والأحاديث تختلف وانما يُؤْثَر صحيحها و يُرْوَى في بعض الأحاديث أنها قالت لا أَقْنَع منك الا بصداق أُسَمِّيه لك وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وأَمَة وأن تقتل عليا فقال لها لك ما سألت فكيف لي به قالت تروم ذلك غيلة فان سلمت أرحت الناس من شر وأقمت مع أهلك وان أُصِبْت صرت الى الجنة ونعيم لا يزول فأنعم لها وفي ذلك يقول

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَيْنَةٌ * وضَرْبُ عليٍّ بالحسامِ المُصَمِّمِ

فلا مَهْرَ أغلى من عليٍّ وان غلا * ولا فَتْكَ الا دون فتكِ ابنِ مُلْجَمِ

وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يزيد بن ملجم والقاصد الى عمرو آخر من بني ملجم وأن أباهم نهاهم فلما عَصَوْهُ قال استعدوا للموت وأن أمهم حَضَّتْهُم على ذلك والخبر الصحيح ما ذكرت لك أول مرة فأقام ابن ملجم فيقال ان امرأته قطام لامته وقالت ألا تقضي لما قصدت له لشد ما أحببت أهلك قال اني قد وعدت صاحبيَّ وقتا بعينه وكان هنالك رجل من أشجع يقال له شبيب فواطأه عبد الرحمن و يروى أن الأشعث نظر الى عبد الرحمن متقلدا سيفا في بني كندة فقال يا عبد الرحمن أرني سيفك فأراه فرأى سيفا حديدا فقال ما تَقَلُّدُك السيف وليس بأوان حرب فقال اني أردت أن أنحر به جزور القرية فركب الأشعث بغلته وأتى عليا صلوات الله عليه فخبره وقال له قد عرفت بسالة ابن مُلْجَم وفتكه فقال علي ما قتلني بعد و يروى أن عليا رضوان الله عليه كان يخاطب مرة و يذكر أصحابه وابن مُلْجَم تلقاء المنبر فسمع وهو يقول والله لأُرِيحَنَّهُم منك فلما انصرف علي صلوات الله عليه الى بيته أُتِيَ به مُلَبَّبا فأشرف عليهم فقال ما تريدون فخبروه بما سمعوا فقال ما قتلني بعد فخلوا عنه و يروى أن عليا كان يتمثل اذا رآه ببيت عمرو بن معدي كرب في قيس بن مكشوح المرادي والمكشوح هبيرة وانما سمي بذلك لانه ضُرِب على كشحه

لو سمعت أحدا يقول ذلك لقلت قال أنا سمعت ذلك قط من خالف ولا سائل ولا من قاص ولا في شعر ولا في حديث قال فعرف الخليفة كذبه عند المسألة كما عرف عناده عند الحجة وأحمد بن أبي داود حفظك الله تعالى أعلم بهذا الكلام وبغيره من أجناس العلم من أن يجعل هذا الاستفهام مسألة و يعتمد عليه في مثل تلك الجماعة ولكنه أراد أن يكشف لهم جرأته على الكذب كما كشف لهم جرأته في المعاندة وعند ذلك ضربه الخليفة وأية حجة لكم في امتحاننا اياكم وفي اكفارنا لكم وزعم

أُريدُ حِباءَهُ ويُريدُ قتلي • عذيرَكَ من خليلكَ من مُرادِ

فينتقي من ذلك حتى أُكثِرَ عليه فقال له المرادي إن قُضِيَ شيءٌ كان فقيل لعليّ كأنك قد عرفته وعرفتَ ما يريد بك أفلا تقتله فقال كيف أقتل قاتلي فلما كان ليلة احدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابن مُلْجَم وشَبيبٌ الأشجعي فاعتورا الباب الذي يدخل منه علي رضي الله عنه وكان مُغَلِّسًا ويُوقِظ الناسَ للصلاة فخرج كما كان يفعل فضربه شَبيبٌ فأخطأه وأصاب سيفُه البابَ وضربه ابن مُلْجَم على صَلْعَته فقال علي فُزْتُ وربِّ الكعبة شأنكم بالرجل فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الانصار قال سمعتُ كلمةَ عليٍّ ورأيت بَرِيقَ السيف فأما ابن ملجم فحمل على الناس بسيفه فأفرجوا له وتلقّاه المغيرةُ بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بقَطيفة فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض وكان المغيرة أَيِّدًا فقعد على صدره وأما شبيب فانتزع السيف منه رجلٌ من حَضْرَمَوْتَ وصَرَعَهُ وقعد على صدره وكَثُرَ الناسُ فجعلوا يصيحون عليكم صاحبَ السيف فخاف الحَضْرَمِيُّ أن يُكِبُّوا عليه ولا يَسمعوا عذره فرمى بالسيف وانسَلَّ شبيبٌ بين الناس فَدُخِلَ على عليٍّ رضوان الله عليه فأُمِر فيه فاختلف الناس في جوابه فقال علي ان أعشْ فالامرُ اليَّ وان أُصَبْ فالأمر لكم فان آثرتم أن تقتصّوا فضربةٌ بضربة وان تعفوا أقربُ للتقوى وقال قوم بل قال وان أُصبتُ فاضربوه ضربةً في مَقْتَله فأقام عليٌّ يومين فسمع ابن ملجم الرَّنَّةَ من الدار فقال له مَن حضره أي عدوَّ الله انه لا بأس على أمير المؤمنين فقال أَعَلَى مَن تبكي أُمُّ كلثوم أَعَلَيَّ أما والله لقد اشتريتُ سيفي بألف درهم وما زلتُ أَعرِضُه فما يعيبه أحد الّا أصلحتُ ذلك العيب ولقد أسقيته السمَّ حتى لَفَظَهُ ولقد ضربتُه ضربةً لو قُسِمَتْ على مَن بالمشرق لأَتَتْ عليهم ومات عليٌّ صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث فدعا به الحسن رضي الله عنه فقال ان لك عندي سرًّا فقال الحسن رضوان الله عليه أتدرون ما يريد يريد أن يَقْرُبَ من وجهي فيعضّ أُذُني فيقطعها فقال أما والله لو أمكنتني منها لاقتلعتها من أصلها فقال الحسن كلا والله لأَضرِبَنَّكَ ضربةً تُؤَدِّيكَ الى النار فقال لو علمتُ أن هذا في يديك ما اتخذتُ الهًا غيرَكَ فقال عبد الله بن جعفر يا أبا محمد ادفعه اليَّ أَشْفِ نفسي منه فاختلفوا في قتله فقال قوم أحمى له ميلين وكَحَلَهُ بهما فجعل يقول انك يا ابن أخي لتَكحَلُ عمَّكَ بمُلمُولَيْنِ مضّاضَيْنِ وقال قوم بل قطع يديه ورجليه

يومئذ ان حكم كلام الله تعالى كحكم علمه فكما لا يجوز أن يكون علمه محدثا ومخلوقا فكذلك لا يجوز أن يكون كلامه مخلوقا ومحدثا فقال له أليس قد كان الله يقدر أن يبدل آية مكان آية وينسخ آية بآية وان يذهب بهذا القرآن ويأتي بغيره وكل ذلك في الكتاب مسطور قال نعم قال فهل كان يجوز هذا في العلم وهل كان جائزا أن يبدل الله علمه ويذهب به ويأتي بغيره قال لا وقال له روينا في تثبيت ما تقول الآثار وتلونا عليك الآية من الكتاب وأريناك الشاهد من

وقال قوم بل قطع رجليه وهو فى ذلك يذكر الله عز وجل ثم عمد الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تجزع من قطع يديك ورجليك ونزالك فجزعت من قطع لسانك فقال نعم أحببت أن لا يزال فى بذكر الله رطبا ثم قتله ويروى أن عليا رضى الله عنه أتى بابن ملجم وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما فلا تأمن قتله لك فقال ما أصنع به ثم قال على رضوان الله عليه

اشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون من الوزن علما بأن المخاطب يعلم ما يريدونه فهو اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به قال وحدثنى أبو عثمان المازنى قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وانما الشعر * لعمرى لسعد بن الضباب اذا غدا * وأما الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك فانه ضرب معاوية مصليا فأصاب مأكمته وكان معاوية عظيم الأوراك فقطع منه عرقا يقال عرق النكاح فلم يولد لمعاوية بعد ذلك ولد فلما أخذ قال الامان والبشارة قتل على فى هذه الصبيحة فاستؤنى به حتى جاء الخبر فقطع معاوية يده ورجله فأقام بالبصرة فبلغ زيادا أنه قد ولد له فقال أيولد له وأمير المؤمنين لا يولد له فقتله هذا أحد الخبرين ويروى أن معاوية قطع يديه ورجليه وأمر باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك ما تأويل المقصورة فقال يخافون أن يبهظهم الناس وأما ذاذويه فانه أرصد لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارجة وهو رجل من بنى سهم بن عمرو بن هصيص رهط عمرو بن العاصى فضربه زاذويه فقتله فلما دخل به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالامرة قال أوما قتلت عمرا قيل لا انما قتلت خارجة فقال أردت عمرا وأراد الله خارجة وقال أبو زبيد الطائى يرثى على بن أبى طالب صلوات الله عليه

ان الكرام على ما كان من خلق * رهط امرئ خاره للدين مختار

طب بصير بأضغان الرجال ولم * يعدل بحبر رسول الله أحبار

وفطرة فطرت اذحان موعدها * وكل شئ له وقت ومقدار

العقول التى بها لزم الناس الفرائض وبها يفصلون بين الحق والباطل فعارضنا أنت الآن بواحد من الثلاث فلم يكن ذلك عنده ولا استحزى من الكذب فى هذا المجلس لان عدة من حضره أكثر من أن يطمع أحد أن يكون الكذب يجوز عليه وقد كان صاحبكم هذا يقول لا تقية الا فى دار الشرك فلو كان ما أقر به من خلق القرآن كان منه على وجه التقية فقد أعملها فى دار الاسلام وقد أكذب نفسه وان كان ما أقر به على الصحة والحقيقة فلستم منه وليس منكم على

حتى

حتى تنصلها فى مسجد طهر • على امام هدى ان معشر جاروا

حمت ليدخل جنات أبو حسن • وأوجبت بعده للقاتل النار

قوله خاره انما هو اختاره وهو فعله واختاره افتعله كما تقول قدر عليه واقتدر عليه وقوله بصير باضغان الرجال فهى أسرارها ومخبآتها قال الله تعالى فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم والحبر العالم ويروى أن عليا رضوان الله عليه مر بيهودى يسأل مسلما عن شىء من أمر الدين فقال له على اسألنى ودع الرجل فقال له يا أمير المؤمنين أنت حبر أى عالم قال على أن تسأل عالما أجدى لك وقوله حتى تنصلها يريد استخرجها وقوله حمت معناه قدرت قال الكميت

والوصى الذى أمال التجوبى به عرش أمة لانهدام

قتلوا يوم ذاك اذ قتلوه * حكما لا كغابر الحكام

الامام الزكى والفارس المعلم * تحت العجاج غير الكهام

راعيا كان مسجحا ففقدنا • وفقد المسيم هلك السوام

قوله الوصى فهذا شىء كانوا يقولونه ويكثرون فيه قال ابن قيس الرقيات

نحن منا النبى أحمد والصديق منا التقى والحكماء

وعلى وجعفر ذو الجناحين * هناك الوصى والشهداء

وقال كثير لما حبس عبد الله بن الزبير محمد بن الحنفية فى خمسة عشر رجلا من أهله فى سجن عارم

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المحبوس فى سجن عارم

وصى النبى المصطفى وابن عمه * وفكاك أعناق وقاضى مغارم

أراد ابن وصى النبى والعرب تقيم المضاف اليه فى هذا الباب مقام المضاف كما قال الآخر

صبحن من كاظمة الخص الخرب * يحملن عباس بن عبد المطلب

يريد ابن عباس رضى الله عنه وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك

ورثتم ثياب المجد فهى لبوسكم * عن ابنى مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابنى عبد مناف وقال أبو الأسود

أحب محمدا حبا شديدا • وعباسا وحمزة والوصيا

أنه لم يرسيفا مشهورا ولا ضرب ضربا كثيرا ولا ضرب الا بثلاثين سوطا مقطوعة الثمار مشعبة الاطراف حتى أفصح بالاقرار مرارا ولا كان فى مجلس ضيق ولا كانت حاله حال مؤيسة ولا كان مثقلا بالحديد ولا خلع قلبه بشدة الوعيد ولقد كان ينازع بألين الكلام ويجيب باغلظ الجواب ويزنون ويخف ويخف ويحلمون ويطيش وعبتم علينا اكفارنا اياكم واحتجاجنا عليكم بالقرآن والحديث وفلم تكفرونا على انكار شىء يحتمل التأويل ويثبت بالأحاديث فقد

أحبهم لحب الله حتى * أجيء اذا بعثت على هويّا

هوى أعطيته منذ استدارت * رحى الاسلام لم يعدل سويّا

(السوي والسواء الذي قد سوّى الله خلقه لا زمانة به ولا داء. وفي القرآن بشرا سويّا وتقول ساويت ذاك بهذا الامر أي جعلته مثلا له)

يقول الارذلون بنو قشير * طوال الدهر ما تنسى عليّا

بنو عم النبي وأقربوه * أحب الناس كلهم اليّا

فان يك حبهم رشدا أصبه * وليس بمخطئ ان كان غيّا

(ويروى ولست) وكان بنو قشير عثمانية وكان أبو الاسود نازلا فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني (قال وكان نقش خاتمه

يا غالبي حسبت من غالب * ارحم علي بن أبي طالب)

وقوله غير الكهام فالكهام الكليل من الرجال والسيوف يقال سيف كهام وقوله

راعيا كان مسجحا ففقدنا * وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذي يسيم ابله أو غنمه ترعى وكذلك كل شيء من الماشية فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يسيمها ويسوسها ويصلحها ومتى لم يرجع أمر الناس الى واحد فلا انتظام لهم ولا اجتماع لامورهم قال ابن قيس الرقيات

أيها المشتهي فناء قريش * بيد الله عمرها والفناء

ان تودع من البلاد قريش * لا يكن بعدهم لحي بقاء

لو تقفي ويترك الناس كانوا * غنم الذئب غاب عنها الرعاء

وقال الحميري يعني عليا رضوان الله عليه

كان المسيم ولم يكن الا لمن * لزم الطريقة واستقام مسيما

ولما سمع علي صلوات الله عليه نداءهم لا حكم الا الله قال كلمة عادلة يراد بها جور انما يقولون لا امارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة وروَوا أن عليا رضي الله عنه لما أوصى الى الحسن في وقف أمواله

ينبغي لكم أن لا تحتجوا في شيء من القدر والتوحيد بشيء من القرآن والحديث وان لا تكفروا واحدا خالفكم في شيء وأنتم أسرع الناس الى اكفارنا والى عداوتنا والنصب لنا (فصل) وأصحابنا حفظك الله اذا قاسوا خطأهم ومروا على غلطهم فانما ينقضون به شيأ من العرض والجوهر وشيأ من قولهم في المعلوم والمجهول فقط وهم قوم يكفيهم من التنبيه أقله ومن القول أيسره وخطأ النابتة وقول الرافضة تشبيه مصرح وكفر مجلح فليس هذا الجنس من ذلك الجنس والحد

وأن يجعل فيها ثلاثة من مواليه وقف فيها عين أبي نيزر والبغيبغة وهذا غلط لان وقفه لهذين
الموضعين لسنتين من خلافته حدثنا أبو محلم محمد بن هشام في اسناد ذكره آخره أبو نيزر وكان
أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الاعاجم قال وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي فرغب في الاسلام
صغيرا فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع
فاطمة وولدها عليه السلام قال أبو نيزر جاءني علي بن أبي طالب وأنا أقوم بالضيعتين عين أبي
نيزر والبغيبغة فقال لي هل عندك من طعام فقلت طعام لا أرضاه لامير المؤمنين قرع من قرع
الضيعة صنعته باهالة سنخة فقال علي به فقام الى الربيع وهو جدول فغسل يده ثم أصاب من ذلك
شيأ ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاهما ثم ضم يديه كل واحدة منهما الى أختها
وشرب بهما حسا من ماء الربيع ثم قال يا أبا نيزر ان الاكف أنظف الآنية ثم مسح ندى ذلك
الماء على بطنه وقال من أدخله بطنه النار فأبعده الله ثم أخذ المعول وانحدر في العين فجعل يضرب
وأبطأ عليه الماء فخرج وقد تفضج جبينه عرقا فانتكف العرق عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى
العين فأقبل يضرب فيها وجعل يهمهم فانثالت كأنها عنق جزور فخرج مسرعا فقال أشهد الله
أنها صدقة علي بدواة وصحيفة قال فعجلت بهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تصدق
به عبد الله علي أمير المؤمنين تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء
أهل المدينة وابن السبيل ليقي الله بهما وجهه حر النار يوم القيامة لا تباعا ولا توهبا حتى يرثهما الله
وهو خير الوارثين الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طلق لهما وليس لاحد غيرهما قال
محمد بن هشام فركب الحسين رضي الله عنه دين فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار
فأبى أن يبيع وقال انما تصدق بها أبي ليقي الله بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء وتحدث
الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم وهو والي المدينة أما بعد فان أمير المؤمنين
أحب أن يرد الالفة ويسل السخيمة ويصل الرحم فاذا وصل اليك كتابي فاخطب الى عبد الله
ابن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد بن أمير المؤمنين وارغب له في الصداق فوجه مروان الى عبد
الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الالفة من صلاح ذات البين واجتماع
الدعوة فقال عبد الله ان خالها الحسين بينبع وليس ممن يفتات عليه بأمر فأنظرني الى أن يقدم

لله وأما أخبارهم عن
عيبنا اياهم حين لم يقولوا
ان الله تبارك وتعالى رب
القرآن وفيمن لا يقول
ان الله تعالى رب الكفر
والايمان فانا لم نسألهم
عن ذلك من جهة
ما يتوهمون وانما
سألناهم عنه بجحدهم
ما يرون بأبصارهم
ويسمعون بآذانهم في
الاشعار المعروفة وفي
الخطب المشهورة وفي
الابتهال عند الدعاء
وعلى ألسنة العوام
وعند العهود والايمان
وعند تعظيم القرآن
وما يسمعون من السؤال
في الطرقات ومن
القصاص في المساجد

وكانت أمها زينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله
ابن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية فقال يا بنية أن ابن عمك القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي
طالب أحق بك ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نحلتك البغيبغات فلما حضر القوم للاملاك
تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة فتكلم الحسين
فزوجها من القاسم فقال له مروان أغدرا يا حسين فقال أنت بدأت خطب أبو محمد الحسن بن
علي عليه السلام عائشة بنت عثمان بن عفان واجتمعنا لذلك فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله
ابن الزبير فقال مروان ما كان ذلك فالتفت الحسين الى محمد بن حاطب فقال أنشدك الله أكان ذلك
قال اللهم نعم فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى
ملك أمير المؤمنين المأمون فذكر ذلك له فقال كلا هذا وقف علي بن أبي طالب صلوات الله عليه
فانتزعها من أيديهم وعوضهم عنها وردها الى ما كانت عليه ۞ قال أبو العباس رجع الحديث
الى ذكر الخوارج وأمر علي بن أبي طالب قال يروى أن عليا في أول خروج القوم عليه دعا
صعصعة بن صوحان العبدي وقد كان وجهه اليهم وزياد بن النضر الحارثي مع عبد الله بن العباس
فقال لصعصعة بأي القوم رأيتهم أشد اطافة فقال بيزيد بن قيس الارحبي فركب علي اليهم الى
حروراء فجعل يتخللهم حتى صار الى مضرب يزيد بن قيس فصلى فيه ركعتين ثم خرج فاتكأ على
قوسه وأقبل على الناس ثم قال هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة أنشدكم الله أعلمتم أحدا منكم
كان أكره للحكومة مني قالوا اللهم لا قال أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها قالوا اللهم نعم قال فعلام
خالفتموني ونابذتموني قالوا انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتب الى الله منه واستغفره نعد لك
فقال علي اني أستغفر الله من كل ذنب فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة
أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا وقالوا انما ينتظر أمير المؤمنين أن يسمن الكراع
ويجبى المال فينهض الى الشام فأتى الاشعث بن قيس عليا عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين ان
الناس قد تحدثوا انك رأيت الحكومة ضلالا والاقامة عليها كفرا فخطب علي الناس فقال من
زعم أني رجعت عن الحكومة فقد كذب ومن رآها ضلالا فهو أضل فخرجت الخوارج من
المسجد فحكمت فقيل لعلي انهم خارجون عليك فقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فوجه

لا يرون غائبا ولا يسمعون
زاريا وليس انا جعلنا هذا
مسألة على من أنكر
خلق القرآن ولكنا أردنا
أن نبين للضعفاء معاندتهم
وفرارهم من البهت
ومكابرتهم اذا سمعوا أنهم
لم يسمعوا الناس يقولون
ورب القرآن ورب يس
ورب طه وأشباه ذلك
ولعمري أن لو سمعوا
الناس يقولون عند
ايمانهم وابتهالهم الى ربهم
على غير قصد الى خلاف
ولا وفاق ورب الزنا والسرقة
ورب الكفر والكذب كما
سمعوهم وهم يقولون ورب
القرآن ورب يس ورب
طه ثم ألزمناهم خلق
القرآن بمثل ما لهم علينا

اليهم

اليهم عبد الله بن العباس فلما صار اليهم رحبوا به وأكرموه فرأى منهم جباها قرحة لطول السجود
وأيديا كثفنات الابل عليهم قمص مرحضة وهم مشمرون فقالوا ما جاء بك يا أبا العباس فقال
جئتكم من عند صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ومن عند
المهاجرين والانصار قالوا انا أتينا عظيما حين حكمنا الرجال في دين الله فان تاب كما تبنا ونهض
لمجاهدة عدونا رجعنا فقال ابن عباس نشدتكم الله الا ما صدقتم أنفسكم أما علمتم أن الله أمر بتحكيم
الرجال في أرنب تساوى ربع درهم تصاد في الحرم وفي شقاق رجل وامرأته فقالوا اللهم نعم
فقال فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن القتال للهدنة بينه وبين
أهل الحديبية قالوا نعم ولكن عليا محا نفسه من امارة المسلمين قال ابن عباس ليس ذلك بمزيلها
عنه وقد محا رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه من النبوة وقد أخذ علي على الحكمين أن لا يجورا
وان يجورا فعلي أولى من معاوية وغيره قالوا ان معاوية يدعي مثل دعوى علي قال فأيهما رأيتموه
أولى فولوه قالوا صدقت قال ابن عباس متى جار الحكمان فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما قال
فاتبعه منهم ألفان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابن الكواء وقال متى كانت حرب فرئيسكم
شبث بن ربعي الرياحي فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة لعبد الله بن وهب الراسبي
قال ومضى القوم الى النهروان وكانوا أرادوا المضي الى المدائن (قال الاخفش كذا كان يقول
المبرد النهروان بكسر النون والراء وانما هو النهروان بالفتح وأنشد للطرماح

* قل في شط نهروان * قاضى) قال أبو العباس فمن طريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلما
ونصرانيا فقتلوا المسلم وأوصوا بالنصراني فقالوا احفظوا ذمة نبيكم ولقيهم عبد الله بن خباب وفي
عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل فقالوا ان هذا الذي في عنقك ليأمرنا أن نقتلك قال ما أحيا
القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه فوثب رجل منهم على رطبة فوضعها في فيه فصاحوا به فلفظها
تورعا وعرض لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله فقالوا هذا فساد في الارض فقال عبد الله بن
خباب ما علي منكم بأس اني لمسلم قالوا له حدثنا عن أبيك قال سمعت أبي يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه يمسي مؤمنا ويصبح
كافرا فكن عبد الله المقتول ولا تكن القاتل قالوا فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى خيرا فقالوا فما

في خلق الزنا لقد كان ذلك معارضة صحيحة وموازنة معروفة وأما قولهم ان معنا العامة والعباد والفقهاء وأصحاب الحديث وليس معهم الا أصحاب الأهواء ومن يأخذ دينه من أول الرجال فأي صاحب تقوى يرحمك الله أبعد من الجماعة من الرافضة وهم في هذا المعنى أشقياؤهم وأولياؤهم لان ما خالفوهم فيه صغير في جنب ما وافقوهم عليه والذين هم هم أصحاب أهوائهم المتكلمون والمصلحون والمستصلحون وأصحاب الحديث والعوام هم الذين يقلدون

بياض بالاصل

تقول في علي قبل التحكيم وفي عثمان ست سنين فأثنى خيرا قالوا فما تقول في الحكومة والتحكيم قال أقول ان عليا أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقيا على دينه وأنفذ بصيرة قالوا انك لست تتبع الهدى انما تتبع الرجال على أسمائها ثم قربوه الى شاطئ النهر فذبحوه فامذقر دمه أي جرى مستطيلا على دقة وساموا رجلا نصرانيا بنخلة له فقال هي لكم فقالوا ما كنا لنأخذها الا بثمن قال ما أعجب هذا أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلة ومن طريف أخبارهم أن غيلان بن خرشة الضبي سمر ليلة عند زياد ومعه جماعة فذكر أمر الخوارج فأنحى عليهم غيلان ثم انصرف بعد ليل الى منزله فلقيه أبو بلال مرداس ابن أدية فقال له يا غيلان قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هؤلاء القوم الذين شروا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدنياهم ما يؤمنك أن يلقاك رجل منهم أحرص والله على الموت منك على الحياة فينفذ حضنيك برمحه فقال غيلان لن يبلغك أني ذكرتهم بعد الليلة ومرداس تنتحله جماعة من أهل الأهواء لتقشفه وبصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانه تنتحله المعتزلة وتزعم أنه خرج منكرا لجور السلطان داعيا الى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث قال على المنبر والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر منكم بالغائب والصحيح بالسقيم فقام اليه مرداس فقال قد سمعنا ما قلت أيها الانسان وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه ابراهيم عليه السلام اذ يقول وابراهيم الذي وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي ثم خرج في عقب هذا اليوم والشيعة تنتحله وتزعم أنه كتب الى الحسين بن علي صلوات الله عليه اني لست أرى رأي الخوارج وما أنا الا على دين أبيك وهذا رأي قد اشتهرت به جماعة من الأشراف يروى أن المنذر بن الجارود كان يرى رأي الخوارج وكان يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج بن يوسف يراه وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه وكان عدة من الفقهاء ينسبون اليه منهم عكرمة مولى ابن عباس وكان يقال ذلك في مالك بن أنس ويروي الزبيريون أن مالك بن أنس المدني كان يذكر عثمان وعليا وطلحة والزبير فيقول والله ما اقتتلوا الا على الثريد الأعفر فأما أبو سعيد الحسن البصري فانه كان ينكر الحكومة ولا يرى رأيهم وكان اذا جلس فتمكن في مجلسه ذكر عثمان فترحم عليه ثلاثا ولعن قتلته ثلاثا

ولا يحصلون ولا يتخيرون والتقليد مرغوب عنه في جهة العقل منهي عنه في القرآن قد عكسوا الأمور كما ترى ونقضوا العادات وذلك انا لا نشك أن من نظر وبحث وقابل ووزن أحق بالتبيين وأولى بالحجة وأما قولهم منا النساك والعباد فعباد الخوارج وحدهم أكثر عددا من عبادهم على قلة عدد الخوارج في جنب عددهم على أنهم أصحاب نية وأطيب طعمة وأبعد من التكسب وأصدق ورعا وأقل زيا وأدوم طريقة وأبذل للمهجة وأقل جماعا ومنعا وأظهر زهدا وجهدا

ويقول

ويقول لو لم نلعنهم لُعِنّا ثم يذكر عليا فيقول لم يزل أمير المؤمنين علي رحمه الله يتعرّفه النصرُ ويساعده الظفر حتى حَكّم فلم تحكّموا والحقُّ معك الاغعى قُدُمًا لا أبالك وأنت على الحق ﴿ قال أبو العباس وهذه كلمة فيها جفاءٌ والعربُ تستعملها عند الحث على أخذ الحق والاغراء وربما استعملتها الجفاة من الأعراب عند المسألة والطلب فيقول القائل للامير والخليفة انظر في أمر رعيتك لا أبالك وسمع سليمان بن عبد الملك رجلا من الاعراب في سنة جدبة يقول

رَبَّ العبادِ ما لَنا وما لكا * قد كنتَ تسقينا فما بدا لكا * أنزل علينا الغيثَ لا أبا لكا

فأخرجه سليمان أحسن مخرج فقال أشهد أنه لا أبا له ولا ولد ولا صاحبة وأشهد أن الخلق جميعا عباده وقال رجل من بني عامر بن صعصعة أبعد من هذه الكلمة لبعض قومه

أبني عُقَيلٍ لا أبا لابيكمُ * أَيّي وأيُّ بني كلابٍ أكرمُ

وقال رجل من طيئ أنشده أبو زيد الانصاري

يا قُرطَ قُرطَ حُيَيٍّ لا أبا لكمُ * يا قُرطُ اني عليكم خائفٌ حَذِرُ

أآن رَوَى مرقشٌ واصطاف أعنزُه * من التلاع التي قد جادها المطرُ

قلتم له اهجُ تميما لا أبا لكمُ * في كف عبدكمُ عن ذاكمُ قِصَرُ

فان بيت تميم ذو سمعتَ به * فيه تنمّتْ وأرست عزَّها مُضَرُ

قوله يا قرط قرط حيي نصبهما معا أكثر على ألسنة العرب وتأويلهما أنهم أرادوا يا قرط حيي فأقحموا قرطا الثاني توكيدا وكذلك لجرير

يا تَيمَ تَيمَ عديٍّ لا أبا لكمُ * لا يُلقينّكمُ في سوأةٍ عُمَرُ

ومثله لعمر بن لجا

يا زيدَ زيدَ اليعملاتِ الذُّبَّلِ * تطاولَ الليلُ عليكَ فانزلِ

فان لم ترد التوكيد والتكرير لم يجز الا رفع الاول يا زيدُ زيدَ اليعملات ويا تيمُ تيمَ عدي كما تقول يا زيدُ أخا عمرو على النعت ومثل الاول في التوكيد يا بؤسَ للحرب أراد يا بؤسَ الحرب فأقحم اللام توكيدا لانها توجب الاضافة وعلى هذا جاء لا أبالك ولا أبا لزيد ولولا الاضافة لم تثبت الألف في الأب لانك تقول رأيت أباك فاذا أفردت قلت هذا أب صالح وانما كانت لا أبالك كما قال الشاعر

أبالموت الذي لا بدَّ أني * ملاقٍ لا أباكِ تخوّفيني

واعل عبادة عمرو بن عبيد تنبى بعبادة عامة عبادهم واما قولهم ان للقرآن قلبا وسناما ولسانا وشفتين وانه يقدس ويشفع ويمحل فان هذا كله قد يجوز ان يكون مثلا ويجوز ان يجعله الله كذلك اذا كان جسما والله على ذلك قادر وهو له غير معجز ومنه غير مستحيل وكل فعل لا يكون عيبا ولا ظلما ولا محالا ولا كذبا ولا خطأ في التدبير فهو جائز والتعجب منه غير جائز

(فصل منه) وما أكثر من يعجب في المسائل ويؤلف الكتب على

وقال آخر وقد مات شماخٌ ومات مُزَرِّدٌ ● وأيُّ كريمٍ لا أباكَ يُخَلَّدُ

وقوله أأنْ رَوَى مُرَقِّشُ مُرَقِّشٌ رجل ورَوَى استقى لاهله يقال فلان راوية أهله اذا كان يستقي لاهله والتي على البعير والحمار مزادة فاذا كبرت وعظمت وكانت من ثلاثة آدمة فهي المثلثة وأصغرمنها السطيحة وأصغرهن الطبيع وقوله واصطاف أعنزه يريد افتعلت من الصيف أي أصابت البقل فيه والتلعة ما ارتفع من الأرض في مستقر المسيل اذا تجافى السيل عن متنه وجمعه تلاع وقوله ذو سمعت به يريد الذي وكذلك تفعل طيئ تجعل ذو في معنى الذي قال زيد الخيل لبني فزارة وذكر عامر بن الطفيل فقال ● اني أرى في عامر ذو ترونَ ● وقال عارق الطائي

فان لم يغيِّر بعضَ ما قد فعلتمُ ● لأنتحينْ للعظم ذو أنا عارقُهْ

يريد الذي ومن ظرفاء المحدثين اليمانية مَن يعملُ هذا اعتمادًا الايثار لغة قومه قال الحسن بن هانئ الحكمي حُبُّ المدامة ذو سمعتَ به ● لم يُبقِ فيَّ لغيرها فضلا

وقال حبيب بن أوس الطائي

أنا ذو عرفت فان عَرَتْكَ جهالةٌ ● فأنا المقيمُ قيامةَ العُذّالِ

وقال الحسن بن وهب الحارثي

عللاني بذكرها عللاني ● واسقياني أولا فلا تسقياني

أنا ذو لم يزل يهونُ على النّد ● مانِ ان عزّ جانبُ الندمانِ

ويكونُ العزيزَ في ساعة الرَّو ● ع بصِدقِ الطعانِ يومَ الطعانِ

❁ عاد الحديثُ الى ذكر الخوارج قال أبو العباس وكان في جملة الخوارج لدُدٌ واحتجاجٌ على كثرة خطبائهم وشعرائهم ونفاذ بصيرتهم وتوطين أنفسهم على الموت فمنهم الذي طُعِنَ فأنفذه الرمح فجعل يسعى فيه الى قاتله وهو يقول وعجلتُ اليك رَبِّ لترضى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما وصفهم قال سيماهم التحليق يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم علامتهم رجل مُخْدَجُ اليد وفي حديث عبد الله بن عمرو رجل يقال له عمرو ذو الخويصرة أو الخُنَيصرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نظر الى رجل ساجد الى أن صلى النبي عليه السلام فقال ألا رجلٌ يقتله فحسر أبو بكر عن ذراعه وانتضى السيف وصمد نحوه ثم رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أأقتل

قد رما يسنح له في وهمه وعلى قدر ما يتصور له في حاله تلك لا يعمل على أصله ولا يشعر بالذي انبنى عليه ذلك الأصل وان كان ممن يعمل على أصل واغما صار علماؤنا الى ما صار وا اليه لانهم لا يقفون من القول في خلق القرآن على جواب مهذب ومذهب مصفى وعلى قول مفروغ منه وعلى جوابات بأعيانها فقد رددوا فيها النظر وامتحنوها بأغلظ المحن وقلبوها وتبطنوا معانيها بأبلغ التفكير وتعرفوا كل ما فيها واعتصروا جميع قواها وسهلوا سبلها وذللوا العناد عنها

رجلا يقول لا اله الا الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجل يفعل ففعل عمر مثل ذلك فلما كان في الثالثة قصد له علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قتل لكان أول فتنة وآخرها ويروى عن أبي مريم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ذكر المخدج عند النبي عليه السلام فقال أبو مريم والله ان كان معنا في المسجد كان فقيرا وكان يحضر طعام علي اذا وضعه للمسلمين ولقد كسوته برنسا لي فلما خرج القوم الى حروراء قلت والله لانظرن الى عسكرهم فجعلت أتخللهم حتى صرت الى ابن الكواء وشبث بن ربعي ورسل علي تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي فضرب دابته بالسيف فحمل الرجل سرجه وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلت أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد فرأيت المخدج وكان مني قريبا فقلت أكنت مع القوم فقال أخذت سلاحي أريدهم فاذا بجماعة من الصبيان قد عرضوا الي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي فلما كان يوم النهر قال علي اطلبوا المخدج فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا وحتى قال رجل لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم فقال علي والله ما كذبت ولا كذبت فجاء رجل فقال قد أصبناه يا أمير المؤمنين فخر علي ساجدا وكان اذا أتاه ما يسر به من الفتوح سجد وقال لو أعلم شيأ أفضل منه لفعلته ثم قال سيماه أن يده كالثدي عليها شعرات كشارب السنور ايتوني بيده المخدجة فأتوه بها فنصبها ويروى عن أبي الجلد أنه نظر الى نافع بن الازرق الحنفي والى نظره وتوغله وتعمقه فقال اني لاجد لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا للخوارج فاحذر أن تكون منهم قال وكان نافع بن الازرق يتتبع عبد الله بن العباس فيسأله وله عنه مسائل من القرآن وغيره قد رجع اليه في تفسيرها فقبله وانتحله ثم غلبت عليه الشقوة ونحن ذاكرون منها صدرا ان شاء الله حدثت أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي النسابة عن أسامة بن زيد عن عكرمة قال رأيت عبد الله بن العباس وعنده نافع بن الازرق وهو يسأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه والليل وما وسق فقال ابن عباس وما جمع فقال أتعرف ذلك العرب قال ابن عباس أما سمعت قول الراجز

انّ لنا قلائصا حقائقا * مستوسقات لو يجدن سائقا

هذا قول ابن عباس وهو الحق الذي لا يقدح فيه قادح ويعرض الغول فيحتاج المبتدئ الى أن

احتقارا منهم لمن خالفهم واتكالا على طول السلامة منهم وثقة بطول الظفر بهم ومن تمام أمر صاحب الحق ان لا يتكل على عجز الخصم وان لا يعجب بظهوره على من لا حظ له في العلم وعلى العلماء ان يخافوا دول العلم كما يخاف الملوك دول الملوك وقد رأيت البكرية والجبرية والفضلية والشمرية وانهم لأحقر عند المعتزلة من جعل وما زالوا يستقون من علمائهم ويستمدون من كبرائهم ويدرسون كتبهم ويأخذون ألفاظهم في جميع أمورهم حتى رأيت شيبهم

يزداد فى التفسير قوله حقائقها غابنى الحقة من الابل وهى التى قد استحقت أن يحمل عليها على فعيلة مثل حقيقة ولذلك جمعها على حقائق ويقال استوسق القوم اذا اجتمعوا وروى أبو عبيدة فى هذا الاسناد وروى ذلك غيره وسمعناه من غير وجه أنه سأله عن قوله عز وجل قد جعل ربك تحتك سريا فقال ابن عباس هو الجدول فسأله عن الشاهد فأنشده

سلما ترى الدالج منها أزورا ＊ اذا يعج فى السرى هرهرا

السلم الدلو الذى له عروة واحدة وهو دلو السقائين وهو الذى ذكره طرفة فقال

لها مرفقان أفتلان كأنما ＊ أمرا بسلمى دالج متشدد

والدالج الذى يمشى بالدلو بين البئر والحوض وأصحاب الحديث ينشدون ترى الدالى منه أزورا وهذا خطأ لا وجه له وروى أبو عبيدة وغيره أن نافعا سأل ابن عباس عن قوله عتل بعد ذلك زنيم ما الزنيم قال هو الدعى الملزق أما سمعت قول حسان بن ثابت

زنيم تداعاه الرجال زيادة ＊ كما زيد فى عرض الاديم الاكارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزنمة التى بحلق الشاة كما يقولون لمن دخل فى قوم ليس منهم زعنفة (الام زعنفة بالكسر) والجمع زعانف والزعنفة الجناح من أجنحة السمك (قال أبو الحسن الاخفش كذا قال زعنفة والناس كلهم يقولون زعنفة بكسر الزاى وهو الوجه) ويروى عن غير أبى عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمه والتفت الساق بالساق قال الشدة بالشدة فسأله عن الشاهد فأنشده

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها ＊ وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

قال أبو العباس وقرأت على عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير قصيدة جرير التى يهجو فيها آل المهلب ابن أبى صفرة ويمدح هلال بن أحوز المازنى ويذكر الوقعة التى كانت لهم عليهم بالسند فى سلطان يزيد بن عبد الملك بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه

أقول لها من ليلة ليس طولها ＊ كطول الليالى ليت صبحك نورا

أخاف على نفس ابن أحوز انه ＊ جلا حمما فوق الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذى رويت فى شعر جرير

ونابتتهم يدعون انهم اكفاء ويجمع بينهم فى البلاء والنابتة اليوم فى التشبيه مع الرافضة وهم دائبون فى التألم من المعتزلة عددهم كثير ونصبهم شديد والعوام معهم والحشو يطيعهم الآن معتف أمراء السلطان وميلهم اليه وخوفهم منه والعاقبة للمتقين

(فصل من صدر كتابه فى الرد على النصارى)

الحمد لله الذى من علينا بتوحيده وجعلنا ممن ينفى شبهة خلقه وسياسة عباده وجعلنا لا نفرق بين أحد من رسله ولا نجحد كتابا أوجب

حذاراً على نفس ابن أحوزانه * جلا كلَّ وجه من مَعَدّ فأسفرا

وقوله عدي يعني عدي بن أرطاةَ الفزاري قتله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسط وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله)

جَعَلْتَ لِقَبْرٍ للخيار ومالك * وقبر عديّ في المقابر أقبرا

(ويروى للخيار وواسط الخيار موضع بعمان فيه قبر الخيار بن سَبْرةَ المُجاشعيّ وواسط بها قبر عديّ ابن أرطاةَ الفزاري)

وأطفأْتَ نيرانَ المَزونِ وأهلها * وقد حاولوها فتنةً أن تُسعَّرا

(المَزونُ عُمانُ بالفارسية)

فلم تُبقِ منهم رايةً يَعرفونها * ولم تُبقِ من آل المُهلَّب عسكرا

ألا ربَّ سامي الطَّرْفِ من آل مازنٍ * اذا شمَّرتْ عن ساقها الحربُ شمَّرا

فهذا نظير ذلك والمَزونُ عُمانُ قال الكُميتُ

فأما الأزْدُ أزْدُ أبي سعيدٍ * فأكرهُ أن أُسمّيها المَزونا

وقال آخر يعني الحرب

فان شمَّرتْ لك عن ساقها * فوَيْهاً حُذَيْفَ ولا تَسأمِ

(تقول وَيْهاً لزيدٍ اذا زجرتَه عن الشئ وأغريتَه به وواهاً له اذا تعجبتَ منه وحذيفَ يريد حذيفة فرخم) ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال أرأيتَ نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم مع ما خوَّله الله وأعطاه كيف عُنيَ بالهُدْهُد على قلته وضُؤولته فقال له ابن عباس انه احتاج الى الماء والهدهد قُنَّاءُ الارضُ له كالزُّجاجة يَرى باطنها من ظاهرها فسأل عنه لذلك قال ابن الازرق قِفْ يا وَقّافُ كيف يُبصِرُ ما تحت الارض والفخُّ يُغطّى له بمقدار اصبع من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه فقال ابن عباس ويحك يا ابن الازرق أما علمتَ أنه اذا جاء القَدَرُ عَشِيَ البَصَرُ وما سأله عنه الم ذلك الكتاب فقال ابن عباس تأويله هذا القرآن هكذا جاء ولا أحفظ عليه شاهداً عن ابن عباس وأنا أحسبه أنه لم يقبله الا بشاهد وتقديره عند النحويين اذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وُعِدوا كتاباً هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه فلما جاءهم ما عَرَفوا كَفَروا به يعني بذلك اليهود وقال يعرفونه كما يَعرِفون أبناءهم فمعناه هذا الكتاب الذي كنتم تَتَوَقَّعونه وبيت خُفاف ابن نَدْبةَ على ذلك يصح معناه وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخي خنساءَ مُرَّةَ وفَزارةَ فعَمَدا بناحية لَدَرْيَدُ وهاشم المُرِّيانِ عَمْداً مُعاويةَ فاستطرد له

علينا الاقرار به ولا نضيف اليه ما ليس منه انه حميد مجيد فقال لما يريد أما بعد فقد قرأت كتابكم وفهمت ما ذكرتم فيه من مسائل النصارى قبلكم وما دخل على قلوب أحدائكم وضعفائكم من اللبس والذي خفتموه على جواباتهم من العجز وما سألتم من اقرارهم بالمسائل ومن حسن معونتهم بالجواب وذكرتم انهم قالوا ان الدليل على ان كتابنا باطل وأمرنا فاسد أننا ندعي عليهم ما لا يعرفونه فيما بينهم ولا يعرفونه من أسلافهم لانا نزعم ان الله جل وعز

أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وحمل الآخر على معاوية فطعنه متمكنا وكان صميم الخيل فلما تنادوا وقتل معاوية قال خفاف ابن ندبة وهي أمه وكانت حبشية وأبوه عمير أحد بني سليم بن منصور قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فطعنه فقتله فقال خفاف ابن ندبة

ان تك خيلي قد أصيب صميمها • فعمدا على عيني تيممت مالكا
وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا
أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

يريد انا ذلك الذي سمعت به هذا تأويل هذا وقوله يأطر متنه أي يثني يقال أطرت القوس آطرها أطرا وهي مأطورة وعلوى فرسه ومما سأله عنه قوله عز وجل لهم أجر غير ممنون فقال ابن عباس غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب فقال قد عرفه أخو بني يشكر حيث يقول

وترى خلفهن من سرعة الرجـ * ـع منينا كأنه أهباء

قال أبو العباس منين يعني الغبار وذلك أنها تقطعه قطعا وراءها والمنين الضعيف المؤذن بانقطاع أنشدني التوزي عن أبي زيد

يا ريها ان سلمت يميني • وسلم الساقي الذي يليني * ولم تخني عقد المنين

يريد الحبل الضعيف فهذا هو المعروف ويقال منين وممنون كقتيل ومقتول وجريح ومجروح وذكر التوزي في كتاب الاضداد أن المنين يكون القوي يجعله فعيلا من المنة والمعروف هو الأول وقال غير ابن عباس لهم أجر غير ممنون لا يمن عليهم فيكدر عندهم ويروى من غير وجه أن ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر ابن عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس الا تنشدنا شيئا من شعرك فانشده

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر • غداة غد أم رائح فمهجر
بحاجة نفس لم تقل في جوابها • فتبلغ عذرا والمقالة تعذر
تهيم الى نعم فلا الشمل جامع • ولا الحبل موصول ولا القلب مقصر

قال في كتابه على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وانهم زعموا انهم لم يدينوا قط بان مريم اله في سرهم ولا ادعوا ذلك قط في علانيتهم وانهم زعموا انا ادعينا عليهم مالا يعرفون كما ادعينا على اليهود مالا يعرفون حين نطق كتابنا وشهد نبينا ان اليهود قالوا ان عزير بن الله وان يد الله مغلولة وان الله فقير وهم أغنياء وهذا مالا يتكلم به انسان ولا يعرف في شيء من الاديان ولو كانوا

ولا

ولا قرب نعم ان دنت لك نافع * ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر
وأخرى أتت من دون نعم ومثلها * نهى ذا النهى لو يرعوي أو يفكر
اذا زرت نعما لم يزل ذو قرابة * لها كلما لاقيته يتنمر
عزيز عليه أن ألم ببابها * يسر لي الشحناء والبغض مظهر
ألكني اليها بالسلام فانه * يشهر المامي بها وينكر
بآية ما قالت غداة لقيتها * بمدفع أكنان أهذا المشهر
قفي فانظري يا أسم هل تعرفينه * أهذا المغيري الذي كان يذكر
أهذا الذي أطريت نعتا فلم أكن * وعيشك أنساه الى يوم أقبر
فقالت نعم لاشك غير لونه * سرى الليل يحيي نصه والتهجر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا * عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشي فيخصر

حتى أتى آخرها وهي ثمانون بيتا فقال له ابن الازرق لله أنت يا ابن عباس أنضرب اليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتعرض ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفها فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفها فقال ابن الازرق أما أنشدك

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ما هكذا قال انما قال فيضحى وأما بالعشي فيخصر قال أو تحفظ الذي قال قال والله ما سمعتها الا ساعتي هذه ولو شئت أن أردها لرددتها قال فارددها فأنشده اياها وروى الزبير بن أن نافعا قال له ما رأيت أروى منك قط فقال له ابن عباس ما رأيت أروى من عمر ولا أعلم من علي وقوله فيضحى يقول يظهر للشمس ويخصر يقول في البردين فاذا ذكر العشي فقد دل على عقيب العشي قال الله تبارك وتعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى والضح الشمس وليس من ضحيت يقال جاء فلان بالضح والريح يراد به الكثرة قال علقمة

أغر أبرزه للضح راقبه * مقلد قضب الريحان مفغوم

له فغمة أي رائحة طيبة يعني ابريقا فيه شراب وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توجه الى تبوك جاء أبو خيثمة وكانت له امرأتان وقد أعدت كل واحدة منهما من طيب ثمر بستانه

يقولون في عزير ما نحلتموه وادعيتموه لما جحدوه من دينهم ولما أنكروا ان يكون من قولهم ولما كانوا بانكار نبوة عزير أحق منا بانكار نبوة المسيح ولما كان علينا منهم بأس بعد عقد الذمة وأخذ الجزية وذكرتم انهم قالوا ومما يدل على غلطكم في الاخبار وأخذكم العلم عن غير الثقات ان كتابكم ينطق ان فرعون قال لهامان ابن لي صرحا وهامان لم يكن الا في زمن الفرس وبعد زمن فرعون بدهر طويل وان ذلك معروف عند أصحاب الكتب مشهور عند أهل العلم

ومَهَّدَتْ له فى ظل فقال أَظلٌّ ممدود وتمرة طيبة وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله فى الضح والريح ما هذا بخير فركب ناقته ومضى فى اثره وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر تخلفوا أبو خيثمة أحدهم فجعل لا يُذْكَرُ له أحدٌ منهم الا قال دعوه فان يُرِدِ الله به خيرا يُلحِقْهُ بكم فقيل ذات يوم يا رسول الله نرى رجلا يرفعه الآل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كُنْ أبا خيثمةَ فكان هو واذا انبسطت الشمس فهو الضحى مقصور فاذا امتد النهار و بينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضحاءُ ممدود مفتوح الاول وذكرت الرواة أن الحجاج أُتِيَ بامرأة من الخوارج و بحضرته يزيد بن أبى مسلم مولاه وكان يستسِرّ برأى الخوارج فكلَّمَ الحجاج المرأة فأعرضت عنه فقال لها يزيد بن أبى مسلم الأمير وَيْلَكِ يكلمكِ فقالت بل الويل والله لك يا فاسقُ الرديّ والرديّ عند الخوارج هو الذى يعلم الحق من قولهم ويكتمه وذكروا أن عبد الملك بن مروان أُتِيَ برجل منهم فَبَحَثَهُ فرأى منه ما شاء فهما وعلما ثم بحثه فرأى ما شاء أَرَبًا ودَهْيًا فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه فرآه مُسْتَبْصِرًا مُحَقِّقًا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتُغْنِكَ الاولى عن الثانية وقد قلتَ فسمعتُ فاسمَعْ أَقُلْ قال له قل فجعل يَبْسُطُ له من قول الخوارج ويُزَيِّنُ له من مذهبهم بلسان طَلِقٍ وألفاظ بَيِّنَة ومَعانٍ قَريبة فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خُلِقَتْ لهم وأنى أَوْلَى بالجهاد منهم ثم رجعتُ الى ما ثَبَّتَ الله علىَّ من الحجة وقَرَّرَ فى قلبى من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومَكَّنَ لى فيها وأراك لستَ تُجيب بالقول والله لأَقتُلَنَّكَ ان لم تُطِعْ فانا فى ذلك اذ دُخِلَ علىّ بابنى مروان (قال أبو العباس) كان مروان أخا يزيد لامه أُمُّهُمَا عاتكةُ بنت يزيد بن معاوية وكان أَبِيًّا عَزِيزَ النفس قد دُخِلَ به فى هذا الوقت على عبد الملك باكيا لضرب المؤدب اياه فشق ذلك على عبد الملك فاقبل عليه الخارجى فقال له دَعْهُ يَبْكِ فانه أَرْحَبُ لِشِدْقه وأَصَحُّ لدماغه وأَذْهَبُ لصوته وأَحْرَى أن لا تأبَى عليه عينُهُ اذا حضرته طاعةُ ربه فاستدعى عَبْرَتَها فأعجبَ ذلك من قوله عبدَ الملك فقال له متعجبا أما يَشْغَلُكَ ما أنت فيه ويُعَرِّضُه عن هذا فقال ما ينبغى أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قول الحق شىءٌ فامر عبدُ الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال بعدُ يعتذر اليه لولا أن تُفْسِدَ بألفاظك أكثرَ رعيتى ما حبستُك ثم قال عبد الملك من شَكَّكَنِى ووَهَّمَنِى حتى مالت بى عصمةُ الله فغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِيَ مَنْ بعدى وكان عبدُ

الملك

واعما اتخذ صرحا ليكون اذا علاه أشرف على الله وفرعون لا يخلو من ان يكون جاحدا لله تعالى أو مقرا به فان كان دينه عند نفسه وأهل مملكته نفى الله وجحده فما وجه اتخاذ الصرح وطلب الاشراف وليس هناك شئ ولا اله وان كان مقرا بالله عارفا به فلا يخلو من ان يكون مشبها أو نافيا للتشبيه فان كان ممن ينفى الطول والعرض والعمق والحدود والجهات فما وجه طلبه له فى مكان بعينه وهو عنده بكل مكان وان كان مشبها فقد علم انه ليس فى طاقة بنى آدم ان يبنوا بنيانا

الملك من الرأي والعلم بموضع وتزعم الرواة أن رجلا من أهل الكتاب وفد على معاوية وكان موصوفا بقراءة الكتب فقال له معاوية أتجدني في شيء من كتب الله قال أي والله لو كنت في أمة لوضعت يدي عليك من بينهم قال فكيف تجدني قال أجدك أول من يحول الخلافة ملكا والخشنة لينا ثم ان ربك من بعدها الغفور رحيم قال معاوية فسري عني ثم قال لا تقبل هذا مني ولكن من نفسك فاختبر هذا الخبر قال ثم يكون ماذا قال ثم يكون منك رجل شراب للخمر سفاك للدماء يحتجن الاموال ويصطنع الرجال ويجنب الخيول ويبيح حرمة الرسول قال ثم ماذا قال ثم تكون فتنة تتشعب باقوام حتى يفضي الامر بها الى رجل أعرف نعته يبيع الآخرة الدائمة بحظ من الدنيا المخسوس فيجتمع عليه من آلك وليس منك لا يزال لعدوه قاهرا وعلى من ناواه ظاهرا ويكون له قرين مبين لعين قال أفتعرفه ان رأيته قال شد ما فأراه من بالشام من بني أمية فقال ما أراه هونا فوجه به الى المدينة مع ثقات من رسله فاذا عبد الملك يسعى مؤتزرا في يده طائر فقال للرسل هاهو ذا ثم صاح به الي أبو من قال أبو الوليد قال يا أبا الوليد ان بشرتك ببشارة تسرك ما تجعل لي قال وما مقدارها من السرور حتى نعلم مقدارها من الجعل قال أن تملك الارض قال مالي من مال ولكن أرأيتك ان تكلفت لك جعلا أأنال ذلك قبل وقته قال لا قال فان حرمته أتؤخره عن وقته قال لا قال فحسبك ما سمعت فذكروا أن معاوية كان يكرم عبد الملك ليجعلها يدا عنده يجازيه بها في مخلفيه في وقته وكان عبد الملك من أكثر الناس علما وأبرعهم أدبا وأحسنهم في شبيبته ديانة فقتل عمرو بن سعيد وتسمى بالخلافة فسلم عليه بها أول تسليمة والمصحف في حجره فأطبقه وقال هذا فراق بيني وبينك قال أبو العباس وحدثني ابن عائشة عن حماد بن سلمة في اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صديق وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف فأسلم فقال له عبد الملك يوما وهو في عنفوان نسكه وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عقبة المري من مرة غطفان يريد المدينة ألا ترى خيل عدو الله قاصدة لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يوسف جيشك والله الى حرم رسول الله أعظم من جيشه فنفض عبد الملك ثوبه ثم قال معاذ الله قال له يوسف ما قلت شاكا ولا مرتابا واني لأجدك بجميع أوصافك قال له عبد الملك ثم ماذا قال ثم يتداولها رهطك قال الى متى قال الى أن تخرج الرايات السود من خراسان قال وحدثت عن ابن جعدبة قال

أو يرفعوا صرحا يخرق سبع سموات بأعماقهن والاجزاء التي بينهن حتى يحاذي العرش ثم يعلوه وفرعون وان كان كافرا فلم يكن مجنونا ولا كان الى نقص العقل من بين الملوك منسوبا على ان الحكم قد يقوم بعقول الملوك بالفضيلة على عقول الرعية وذكرتم انهم قالوا تزعمون ان الله تعالى ذكر يحيى بن زكريا يخبر انه لم يجعل له من قبل سميا وانهم يجدون في كتبهم رفعها لا يختلف فيه خاصتهم وعامتهم انه كان من قبل يحيى بن زكريا غير واحد يقال له يحيى منهم يوحنا بن فرح

كنت عند أمير المؤمنين المنصور في اليوم الذي أتاه فيه خروج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن قال فغمه ذلك حتى امتنع من الغداء في وقته وطال عليه فكره فقلت يا أمير المؤمنين أحدثك حديثا كنت مع مروان بن محمد وقد قصده بن عبد الله بن علي فانا كذلك اذ نظر الى الاعلام السود من بعد فقال ماهذه الخرق المجللة قلت هذه أعلام القوم قال فمن تحتها قلت عبد الله بن علي ابن عبد الله بن العباس قال وأيهم عبد الله فقلت الفتى المعروق الطويل الخفيف العارضين الذي رأيته في وليمة كذا يأكل فيجيد فسألتني عنه فنسبته لك فقلت ان هذا الفتى لتلقامة قال قد عرفته والله لوددت أن علي بن أبي طالب مكانه قال فقال لي المنصور آلله لسمعت هذا من مروان بن محمد قلت والله لقد سمعته منه قال يا غلام هات الغداء ❁ قال أبو العباس وكان أهل النخيلة جماعة بعد أهل النهروان ممن فارق عبد الله بن وهب وممن لجأ الى راية أبي أيوب وممن كان أقام بالكوفة فقال لا أقاتل عليا ولا أقاتل معه فتواصوا فيما بينهم وتعاضدوا وتأسفوا على خذلانهم أصحابهم فقام منهم قائم يقال له المستورد من بني سعد بن زيد مناة فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا بالعدل تخفق راياته معلنا مقالته مبلغا عن ربه ناصحا لامته حتى قبضه الله مخيرا مختارا ثم قام الصديق فصدق عن نبيه وقاتل من ارتد عن دين ربه وذكر أن الله عز وجل قرن الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل احداهما طعن على الاخرى لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله اليه موفورا ثم قام الفاروق ففرق بين الحق والباطل مسويا بين الناس في اعطائه لا مؤثرا لاقاربه ولا محكما في دين ربه وها أنتم تعلمون ما حدث والله يقول وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما فكل أجاب وبايع فوجه اليهم علي بن أبي طالب عبد الله ابن العباس داعيا فأبوا فسار اليهم فقال له عفيف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تخرج في هذه الساعة فانها ساعة نحس لعدوك عليك فقال له علي توكلت على الله وحده وعصيت رأي كل متكهن أنت تزعم أنك تعرف وقت الظفر من وقت الخذلان اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم ثم سار اليهم فطحنهم جميعا لم يفلت منهم الا خمسة منهم المستورد وابن جوين الطائي وفروة بن شريك الاشجعي وهم الذين ذكرهم الحسن البصري فقال دعاهم الى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا

وزعمتم انهم قالوا لكم انكم ذكرتم ان الله قال في كتابه لنبيكم وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وانما عنى بقوله أهل الذكر أهل التوراة وأصحاب الكتب يقولون ان الله قد بعث من النساء نبيات منهم مريم بنت عمران وبعث منهن حنة وساري ورفقي وذكرتم انهم قالوا زعمتم ان عيسى تكلم في المهد ونحن على تقسيدعناله وتقريبنا لأمره وافراطنا بزعمكم فيه على كثرة عددنا وتفاوت بلادنا واختلافنا فيما بيننا لا نعرف ذلك

فسار اليهم أبو حسن فطحنهم طحنا وفيهم يقول عمران بن حطان

انى أدين بما دان الشراة به * يوم النخيلة عند الجوسق الخرب

وقال الحميرى يعارض هذا المذهب

انى أدين بما دان الوصى به * يوم النخيلة من قتل المحلينا

وبالذى دان يوم النهر دنت به * وشاركت كفه كفى بصفينا

تلك الدماء معا يارب فى عنقى * ومثلها فاسقنى آمين آمينا

وكان أصحاب النخيلة قالوا لابن عباس اذ كان على على حق لم يشكك فيه وحكم مضطرا فما باله حيث ظفر لم يسب فقال لهم ابن عباس قد سمعتم الجواب فى التحكيم فأما قولكم فى السباء أفكنتم سابين أمكم عائشة فوضعوا أصابعهم فى آذانهم وقالوا أمسك عنا غرب لسانك يا ابن عباس فانه طلق ذلق غواص على موضع الحجة ثم خرج المستورد بعد ذلك بمدة على المغيرة بن شعبة وهو والى الكوفة فوجه اليه معقل بن قيس الرياحى فدعاه المستورد الى المبارزة وقال له علام يقتل الناس بينى وبينك فقال له معقل النصف سألت فأقسم عليه أصحابه فقال ما كنت لآبى عليه فخرج اليه فاختلفا ضربتين فخر كل واحد منهما ميتا وكان المستورد كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يوصى بها وهى محفوظة عنه كان يقول اذا أفضيت بسرى الى صديقى فأفشاه لم ألمه لأنى كنت أولى بحفظه وكان يقول لا تفش الى أحد سرا وان كان مخلصا الا على جهة المشاورة وكان يقول كن أحرص على حفظ سر صاحبك منك على حقن دمك وكان يقول أول ما يدل عليه عائب الناس معرفته بالعيوب ولا يعيب الا معيب وكان يقول المال غير باق عليك فاشتر من الحمد ما يبقى عليك وكان يقول بذل المال فى حقه استدعاء للمزيد من الجواد وكان يكثر أن يقول لو ملكت الارض بحذافيرها ثم دعيت الى أن أستفيد بها خطيئة ما فعلت قال وخرجت الخوارج واتصل خروجها وانما نذكر منهم من كان ذا خبر طريف واتصلت به حكم من كلام وأشعار وأول من خرج بعد قتل على عليه السلام حوثرة الاسدى فانه كان متنحيا بالبندنيجين فكتب الى حابس الطائى يسأله أن يتولى أمر الخوارج حتى يسير اليه بجمعه فيتعاضدا على مجاهدة معاوية فأجابه فرجعا الى موضع أصحاب النخيلة ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن على صلوات الله عليه بعد

ولا ندعيه وكيف ندعيه ولم نسمعه عن سلف ولا ادعاه منا مدع ثم هذه اليهود لا تعرف ذلك وتزعم انها لم تسمع به الا منكم ولا تعرفه المجوس ولا الصابئون ولا عباد المدرة من الهند وغيرهم ولا الترك والخزر ولا بلغنا ذلك عن أحد من الأمم السالفة والقرون الماضية ولا فى الانجيل ولا فى ذكر صفات المسيح فى الكتب والبشارات به على ألسنة الرسل ومثل هذا لا يجوز ان يجهله الولى والعدو وغير الولى وغير العدو ولا يضرب به مثل ولا يروح به الناس ثم يجمع

أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقيس بن سعد بن عبادة ثم خرج الحسن يريد المدينة فوجّه اليه معاوية وقد تجاوز فى طريقه يسأله أن يكون المتولى لحاربتهم فقال الحسن والله لقد كففت عنك لحقن دماء المسلمين وما أحسب ذلك يسعنى أفأقاتل عنك قوما أنت والله أولى بالقتال منهم فلما رجع الجواب اليه وجّه اليهم جيشا أكثرهم من أهل الكوفة ثم قال لابيه أبى حوثرة اكفنى أمر ابنك فصار اليه أبوه فدعاه الى الرجوع فأبى فأداره فصمم فقال له يا بنى أجبنك بابنك فلعلك تراه فحنّ اليه فقال يا أبت انا والله الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعوب الرمح أشوق منى الى ابنى فرجع الى معاوية فأخبره فقال يا أبا حوثرة عتا هذا جدا فلما انظر حوثرة الى أهل الكوفة قال يا أعداء الله أنتم بالامس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه واليوم تقاتلون مع معاوية لتشدّوا سلطانه فخرج اليه أبوه فدعاه الى البراز فقال يا أبت لك فى غيرى مندوحة ولى فى غيرك عنك مذهب ثم حمل على القوم وهو يقول

اكرّ على هذى الجموع حوثره * فعن قليل ما تنال المغفره

فحمل عليه رجل من طيئ فقتله فرأى أثر السجود قد لوّح جبهته فندم على قتله ثم انهزم القوم جميعا وأنا أحسب أن قول القائل

وأجرأ من رأيت بظهر غيب * على عيب الرجال ذووا العيوب

انما أخذه من كلام المستورد قال رجل للمستورد أريد أن أرى رجلا عيّابا قال التمسه بفضل معايب فيه وقال العباس بن الأحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره

تعتّبت تطلب ما أستحق * به الهجر منك ولا تقدر

وماذا يضرك من شهرتى * اذا كان سرّك لا يشهر

أمنّى تخاف انتشار الحديث * وحظى فى ستره أوفر

ولو لم تكن فى بقيا عليك * نظرت لنفسى كما تنظر

ويروى من حديث محمد بن كعب القرظى قال قال عمار بن ياسر خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات العشيرة فلما قفلنا نزلنا منزلا فخرجت أنا وعلى بن أبى طالب صلوات الله عليه ننظر الى قوم يعملون فنعسنا فنمنا فسفت علينا الريح التراب فما نبهنا الا كلام رسول الله

النصارى على رده مع حبهم لتقوية أمره ولم يكونوا ليضادوهم فيما يرجع عليهم نفعه وكيف لم يكذبوكم فى احيائه الموتى ومشيه على الماء وابراء الاكمه والأبرص بل لم يكونوا ليتفقوا على اظهار خلاف دينهم وانكار أعظم حجة كانت لصاحبهم ومثل هذا لا ينكتم ولا ينفذ ممن يخالف دينهم والكلام فى المهد أعجب من كل عجب وأغرب من كل غريب وأبدع من كل بديع لان احياء الموتى والمشى على الماء واقامة المقعد وابراء الاعمى وابراء الاكمه قد

صلى

صلى الله عليه وسلم فقال لعلي يا أبا تراب لما عليه من التراب أتعلم من أشقى الناس فقال خبرني يا رسول الله فقال أشقى الناس اثنان أحمر ثمود الذي عقر الناقة وأشقاها الذي يخضب هذه ووضع يده على لحيته من هذا ووضع يده على قرنه ويروى عن عياض بن خليفة الخزاعي قال تلقاني علي صلوات الله عليه في الغلس فقال لي من أنت قلت عياض بن خليفة الخزاعي فقال ظننتك أشقاها الذي يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه ويروى أنه كان يقول كثيرا قال أبو العباس أحسبه عند الضجر بأصحابه ما يمنع أشقاها أن يخضب هذه من هذا ويروى عن رجل من ثقيف أنه قال خرج الناس يعلفون دوابهم بالمدائن وأراد علي المسير إلى الشام فوجه معقل بن قيس الرياحي ليرجعهم إليه وكان ابن عم لي في آخر من خرج فأتيت الحسن بن علي عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين إلى معقل بن قيس في الترفيه عن ابن عمي فإنه في آخر من خرج فقال تغد وعلينا والكتاب مختوم إن شاء الله تعالى فبت ليلتي ثم أصبحت والناس يقولون قتل أمير المؤمنين الليلة فأتيت الحسن وإذا به في دار علي عليه السلام فقال لولا ما حدث لقضينا حاجتك ثم قال حدثني أبي عليه السلام البارحة في هذا المسجد فقال يا بني أني صليت ما رزق الله ثم نمت نومة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوت إليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلة رغبتهم في الجهاد فقال ادع الله أن يريحك منهم فدعوت الله قال الحسن ثم خرج إلى الصلاة فكان ما قد علمت وحدثت من غير وجه أن عليا لما ضرب ثم دخل منزله اعترته غشية ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال أوصيكما بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيء فاتكما منها اعملا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا فقال أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فإني أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع أمرا دونهما ثم أقبل عليهما فقال أوصيكما به خيرا فإنه شقيقكما وابن أبيكما وأنتما تعلمان أن أباكما كان يحبه فأحباه فلما قضى علي كرم الله وجهه قالت أم العريان

وكنا قبل مهلكه زمانا ٭ نرى نجوى رسول الله فينا

قتلتم خير من ركب المطايا ٭ وأكرمهم ومن ركب السفينا

ألا أبلغ معاوية بن حرب ٭ فلا قرت عيون الشامتينا

أتت به الأنبياء وعرفه الرسل ودار في أسماعهم ولم يتكلم صبي قط ولا مولود في المهد وكيف ضاعت هذه الآية وسقطت حجة هذه العلامة من بين كل علامة وبعد فكل أعجوبة يأتي بها الرجال والمعروفون بالبيان والمنسوبون إلى صواب الرأي تكون الحيلة في الظن إليها أقرب وخوف الخدعة عليها أغلب والصبي المولود عاجز في الفطرة ممتنع من كل حيلة وهذا لا يحتاج فيه إلى نظر ولا ليشبهه من شاهده بدخل (فصل منه) وسنقول في جميع ما أورد علينا من

وروى أن عبد الرحمن بن مُلجَم بات تلك الليلة عند الاشعث بن قيس بن معدى كرب وأن حُجر ابن عدى سمع الاشعث يقول له فضحك الصبح فلما قالوا قُتل أمير المؤمنين قال حجر بن عدى للاشعث أنت قتلته يا أعور وروى أن الذى سمع ذلك أخو الاشعث عفيف بن قيس وانه قال لأخيه عن أمرك كان هذا يا أعور ۞ واخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مستطرف أو كلام من خطبة معروفة مختارة ۞

خرج قُريب بن مُرّة الازدى وزحّاف الطائى وكانا مجتهدين بالبصرة فى أيام زياد واختلف الناس فى أمورهما أيهما كان الرئيس فاعترضا الناس فلقيا شيخا ناسكا من بنى ضُبيعة بن ربيعة بن نزار فقتلاه وكان يقال له رؤبة الضُبعى وتنادى الناس فخرج رجل من بنى قُطيعة من الازد وفى يده السيف فناداه الناس من ظهور البيوت الحرورية انجُ بنفسك فنادوه لسنا حرورية نحن الشُرَط فوقف فقتلوه وبلغ أبا بلال خبرهما فقال قُريب لا قرّبه الله من الخير وزحّاف لا عفا الله عنه ركباها عشواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ثم جعلا لا يمران بقبيلة الا قتلا من وجدا حتى مرّا ببنى على بن سُود من الازد وكانوا رماة وكان فيهم مائة يجيدون الرمى فرموهم رميا شديدا فصاحوا يا بنى على البُقيا لا رماء بيننا فقال رجل من بنى على

لا شئَ للقوم سوى السهام * مشحوذة فى غلس الظلام

فعرّد عنهم الخوارج وخافوا الطلب فاشتقوا مقبرة بنى يشكر حتى نفذوا الى مُزينة ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرها فجاءهم غاوون وخرجت اليهم بنو طاحية بن سُود وقبائل مُزينة وغيرها فاستقتل الخوارج فقُتلوا عن آخرهم ثم غدا الناس الى زياد فقال ألا ينهى كلّ قوم سفهاءهم يا معشر الازد لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلتُ انكم أرّثتموها فكانت القبائل اذا أحسّت بخارجية فيهم شدّتهم وأتت بهم زيادا فكان هذا أحد ما يذكر من صحة تدبيره وله أخرى فى الخوارج أخرجوا معهم امرأة فظفر بها فقتلها ثم عرّاها فلم تخرج النساء بعد على زياد وكنّ اذا دُعين الى الخروج قلن لولا التعرية لسارعنا ولما قتل مصعب بن الزبير بنت النعمان بن بشير الانصارية امرأة المختار وليس هذا من أخبار الخوارج أنكره الخوارج غاية الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمرا عظيما لانه أتى ما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سائر نساء

المشركين

مسائلكم وفيما لا يقع اليكم من مسائلهم بالشواهد الظاهرة والحجج القوية والادلة الاضطرارية ثم نسئلهم بعد جوابنا اياهم عن وجوه يعرفون بها انتقاض قولهم وانتشار مذهبهم وتهافت دينهم ونحن نعوذ بالله من التكلف وانتحال مالا نحسن ونسئله القصد فى القول والعمل وان يكون ذلك لوجهه ولنصرة دينه انه قريب مجيب وأنا مبتدئ فى ذكر الاسباب التى لها صارت النصارى أحب الى العوام من المجوس وأسلم صدورا عندهم من اليهود

المشركين والخواص منهن أخبار فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة

انّ من أعظم الكبائر عندي * قتل حسناء غادة عُطبول
قُتلت باطلا على غير ذنب * ان لله درّها من قتيل
كُتب القتل والقتال علينا * وعلى المحصنات جرّ الذيول

۞ قال وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لاحداهما كُحيلة والاخرى قَطام فجعل أصحاب ابن عامر يعيّرونهم ويصيحون بهم يا أصحاب كحيلة وقطام يعرّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والردع ويقول قائلهم لا تقف ما ليس لك به علم ويروى عن ابن عباس في هذه الآية والذين لا يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما قال أعياد المشركين وقال ابن مسعود الزور والغناء فقيل لابن عباس أوما هذا في الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا ۞ عاد الحديث الى أمر الخوارج وكان من المجتهدات من الخوارج ولو قلت من المجتهدين وأنت تعني امرأة كان أفصح لانك تريد رجالا ونساء هي احداهم كما قال الله عز وجل وصدّقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين وقال جل ثناؤه الا عجوزا في الغابرين منهم البلجاء وهي امرأة من بني حرام ابن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم من رهط سجاح التي كانت تنبّأت وسنذكر خبرها في موضعه ان شاء الله وكان مرداس بن حُدَير أبو بلال وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة تعظّمه الخوارج وكان مجتهدا كثير الصواب في لفظه فلقيه غيلان بن خرشة الضبّي فقال يا أبا بلال اني سمعت الامير البارحة عُبيد الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ فمضى اليها أبو بلال فقال لها ان الله قد وسّع على المؤمنين في التقيّة فاستتري فان هذا المُسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك قالت ان يأخذني فهو أشقى بي فأما أنا فما أحبّ أن يُعنَت انسانٌ بسببي فوجه اليها عبيدُ الله بن زياد فأتي بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق فمرّ أبو بلال والناسُ مجتمعون فقال ما هذا فقالوا البلجاء فعرّج اليها فنظر ثم عضّ على لحيته وقال لنفسه لهذه أطيبُ نفسا عن بقية الدنيا منك يا مرداسُ ثم ان عبيد الله تتبع الخوارج فحبسهم وحبس مرداسا فرأى صاحبُ السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه فقال له اني أرى لك مذهبا حسنا واني لأحبّ أن أُوليك معروفا أفرأيتَ

وأقرب مودة وأقل غائلة وأصغر كفرا وأهون عذابا ولذلك أسباب كثيرة ووجوه واضحة يعرفها من نظر ويجهلها من لم ينظر أول ذلك أن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب في شدة التمكن وثبات الحقد وانما يعادي الانسان من يعرف ويميل على من يرى ويناقض من يشاكل ويبدو له عيوب من يخالط وعلى قدر الحب والقرب يكون البغض والبعد ولذلك كانت حروب الجيران وبني الأعمام من سائر

ان تركتني تنصرف ليلا الى بيتك أتدلج الى قال نعم فكان يفعل ذلك به ولج عبيد الله في حبس
الخوارج وقتلهم فكلم في بعض الخوارج فلج وأبى وقال أقمع النفاق قبل أن ينجم لكلام هؤلاء
أسرع الى القلوب من النار الى اليراع فلما كان ذات يوم قتل رجل من الخوارج رجلا من
الشرط فقال ابن زياد ما أدري ما أصنع بهؤلاء كلما أمرت رجلا بقتل رجل منهم فتكوا بقاتله
لأقتلن من في حبسي منهم فأخرج السجان مرداسا الى منزله كما كان يفعل وأتى مرداسا الخبر فلما
كان السحر تهيأ للرجوع فقال له أهله اتق الله في نفسك فانك ان رجعت قتلت فقال اني ما كنت
لألقى الله غادرا فرجع الى السجان فقال اني قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال أعلمت
ورجعت ويروى أن مرداسا أمر باعرابي يهنأ بعيراله فهرج البعير فسقط مرداس مغشيا عليه
فظن الاعرابي انه قد صرع فقرأ في أذنه فلما أفاق قال له الاعرابي قرأت في أذنك فقال له مرداس
ليس بي ما خفته علي ولكني رأيت بعيرك هرج من القطران فذكرت به قطران جهنم فأصابني
ما رأيت فقال لا جرم والله لا فارقتك أبدا وكان مرداس قد شهد صفين مع علي بن أبي طالب صلوات
الله عليه وأنكر التحكيم وشهد النهر ونجا فيمن نجا فلما خرج من حبس ابن زياد ورأى جد ابن زياد
في طلب الشراة عزم على الخروج فقال لأصحابه انه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري
علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفصل والله ان الصبر على هذا لعظيم وان تجريد السيف
واخافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل الا من قاتلنا فاجتمع اليه أصحابه
زهاء ثلاثين رجلا منهم حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فارادوا أن يولوا أمرهم حريثا
فأبى فولوا أمرهم مرداسا فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الانصاري وكان له صديقا
فقال له أين تريد قال أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة فقال له أعلم بكم
أحد قال لا قال فارجع قال أوتخاف علي مكروها قال نعم وأن يؤتى بك قال فلا تخف فاني لا أجرد
سيفا ولا أخيف أحدا ولا أقاتل الا من قاتلني ثم مضى حتى نزل آسك وهو ما بين رامهرمز وأرجان
فمر به مال يحمل لابن زياد وقد قارب أصحابه الاربعين فحط ذلك المال فاخذ منه عطاءه وأعطيات
أصحابه ورد الباقي على الرسل وقال قولوا لصاحبكم انما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فعلام
ندع الباقي فقال انهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم ولأبي بلال أشعار في الخروج

الناس وسائر العرب
أطول وعداوتهم أشد
فلما صار المهاجرون لليهود
جيرانا وقد كانت الانصار
متقدمة الجوار مشاركة
في الدار حسدتهم اليهود
على نعمة الدين والاجتماع
بعد الافتراق والتواصل
بعد التقاطع وشبهوا
على الغوام واستمالوا
الضعفة ومالؤا الاعداء
والحسدة ثم جاوزوا
الطعن وادخال الشبهة
الى المناجزة والمنابذة
بالعداوة فجمعوا كيدهم
وبذلوا أنفسهم وأموالهم
في قتالهم واخراجهم من
ديارهم وطال ذلك
واستفاض فيهم وظهر
وترادف لذلك الغيظ

اخترت منها قوله

أَبَعْدَ ابن وهب ذي النزاهة والتُّقى * ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أُحِبُّ بقاءً أو أُرَجّي سلامةً * وقد قتلوا زيدَ بنَ حِصْنٍ ومالكا

فيا ربِّ سلِّم نيّتي وبصيرتي * وهَبْ لي التُّقى حتى أُلاقي أولئكا

قوله وقد قتلوا ولم يذكر أحدا فإنما فعل ذلك لعلم الناس أنه يعني مخالفيه وإنما يحتاج المضمر الى ذكر قبله ليُعرَف فلو قال رجل ضربته لم يجز لأنه لم يذكر أحدا قبل ذكره الهاء ولو رأيت قوما يلتمسون الهلال فقال قوم هذا هو لم يحتج الى تقدمة الذكر لأن المطلوب معلوم وعلى هذا قال عَلْقَمةُ بن عَبَدَةَ في افتتاح قصيدته هل ما علمتَ وما استُودِعتَ مكتومُ * أم حبلُها إذ نأتك اليومَ مصرومُ لأنه قد عُلِم أنه يريد حبيبته وقوله حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى ويروى أن رجلا من أصحاب ابن زياد قال خرجنا في جيش نريد خراسان فمررنا بآسَكَ فإذا نحن بهم ستة وثلاثين رجلا فصاح بنا أبو بلال أقاصدون لقتالنا أنتم وكنت أنا وأخي قد دخلنا زَرْبا فوقف أخي ببابه فقال السلام عليكم فقال مرداس وعليكم السلام فقال لأخي أجئتم لقتالنا فقال له لا إنما نريد خُراسانَ قال فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنفسد في الارض ولا لنُرَوِّع أحدا ولكن هَرَبا من الظلم ولسنا نقاتل الا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء الا أعطياتنا ثم قال أنُدِبَ الينا أحدٌ قلنا نعم أَسْلَمُ بن زُرْعَةَ الكلابي قال فمتى تُرَوْنَهُ يصل الينا قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بلال حسبنا الله ونعم الوكيل وجهز عُبَيْدُ الله أسلمَ بن زُرْعَةَ في أسرع وقت ووجهه اليهم في ألفين وقد تَتامَّ أصحابُ مرداس أربعين رجلا فلما صار اليهم أسلم صاح به أبو بلال اتق الله يا أسلم فإنا لا نريد قتالا ولا نحتجن فيئا فما الذي تريد قال أريد أن أردكم الى ابن زياد قال مرداس إذًا يقتُلَنا قال وإن قتلكم قال تُشْرَكُه في دمائنا قال اني أدين بأنه مُحِقٌّ وأنكم مبطلون فصاح به حُرَيْثُ بن حَجَل أهو محق وهو يطيع الفَجَرة وهو أحدهم ويَقتل بالظِّنّة ويَخُصّ بالفيء ويجور في الحكم أما علمتَ أنه قتل بابن سُعادَ أربعةً بُرآءَ وأنا أحد قتلته ولقد وضعتُ في بطنه دراهم كانت معه ثم حملوا عليه حَمْلَةَ رجل واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال وكان مَعْبَدٌ أحد الخوارج قد كاد يأخذه فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا وقال ويلك أتمضي في ألفين فتنهزم لحملة أربعين وكان أَسْلَمُ يقول لأن

وتضاعف البغض وتمكن الحقد وكانت النصارى أبعد ديارهم من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومهاجره لا يتكلفون طعنا ولا يثيرون كيدا ولا يجمعون على حرب فكان هذا أول أسباب ما غلظ القلوب على اليهود ولينها على النصارى ثم كان من أمر المهاجرين الى الحبشة واعتقادهم على تلك الجهة ما حببهم الى عوام المسلمين وكلما لانت القلوب لقوم غلظت على أعدائهم وبقدر ما نقص من بغض النصارى زاد في بغض اليهود ومن شأن الناس حب من اصطنع اليهم خيرا أو جرى على يديه وأمر آخر وهو من أمتن أسبابهم وأقوى أمورهم وهو تأويل آية غلطت فيها العامة حتى نازعت الخاصة وحفظتها

يُذَمّني ابن زياد حيًّا أحبُّ الى من أن يَحمَدني ميتا وكان اذا خرج الى السوق أو مرَّ بصبيان صاحوا به أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يا معبدُ خذه حتى شكا ذلك الى ابن زياد فأمر ابن زياد الشُّرَط أن يكفُّوا الناس عنه ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من بني تيم اللات بن ثعلبة في كلمة له

فلما أصبحوا صلَّوا وقاموا * الى الجُرد العتاق مسوَّمينا
فلما استجمعوا حملوا عليهم * فظلَّ ذوو الجعائل يقتلونا
بقية يومهم حتى أتاهم * سواد الليل فيه يراوغونا
يقول بصيرهم لما أتاهم * بأنَّ القوم ولَّوا هاربينا
أألفا مؤمن فيما زعمتم * ويهزمهم بآسك أربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم * ولكنَّ الخوارج مؤمنونا
هم الفئة القليلة غير شك * على الفئة الكثيرة ينصرونا

ثم ندب لهم عبيدُ الله بن زياد الناس فاختار عبَّاد بن اخضر وليس بابن أخضر هو عباد بن علقمة المازني وكان أخضر زوج أمه فغلب عليه فوجهه في أربعة آلاف فنهد لهم ويزعم أهل العلم ان القوم قد كانوا تنحَّوا عن درابجرد من أرض فارس فصار اليهم عباد وكان التقاؤهم في يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج اليَّ يا عباد فاني أريد أن أحاورك فخرج اليه فقال ما الذي تبغي قال ان آخذ بأقفائكم فأردكم الى الامير عبيد الله بن زياد قال أو غير ذلك قال وما هو قال أن ترجع فانا لا نُخيف سبيلا ولا نَذعَر مسلما ولا نحارب الا من حاربنا ولا نجبي الا ما حمينا فقال له عبَّاد الامر ما قلت لك فقال له حريث بن حجل أتحاول ان تردَّ فئة من المسلمين الى جبار عنيد قال لهم أنتم أولى بالضلال منه وما من ذاك بُدٌّ وقدم القعقاع بن عطية الباهلي من خراسان يريد الحج فلما رأى الجمعين قال ما هذا قالوا الشراة فحمل عليهم ونشبت الحرب فأُخذ القعقاع أسيرا فأُتي به أبو بلال فقال ما أنت قال لست من أعدائك وانما قدمت للحج فجهلت وغررت فأطلقه فرجع الى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانية وهو يقول

أقاتلهم وليس عليَّ بعث * نشاطا ليس هذا بالنشاط
أكرُّ على الحرورية مُهري * لأحملهم على وضح الصراط

النصارى واحتجت واستمالت قلوب الرعاع والسفلة وهو قول الله تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى الى قوله وذلك جزاء المحسنين وفي نفس الآية أعظم الدليل على ان الله تعالى لم يعن لا النصارى ولا أشباههم الملكانية واليعقوبية وانما عنى ضرب بحيرا وضرب الرهبان الذين كان يخدمهم سلمان وبين حمل قوله الذين قالوا انا نصارى على الغلط منهم في الأسماء وبين أن تجري عليهم لأنهم نصارى فرق كما ذكر اليهود أنه جاء الاسلام وملوك العرب رجلان غساني ولخمي وهما نصرانيان وقد كانت

فحمل

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسى وكهمس بن طلق الصريمى فأسراه فقتلاه ولم يأتيا به أبا بلال فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلى وتصلوا قالوا لك ذاك فرمى القوم أجمعون أسلحتهم وعمدوا للصلاة فأسرع عباد ومن معه والحرورية مبطئون فهم من بين راكع وقائم وساجد فى الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا وأتى برأس أبى بلال وتروى الشراة أن مرداسا أبا بلال لما عقد على أصحابه وعزم على الخروج رفع يديه وقال اللهم ان كان ما نحن فيه حقا فأرنا آية فرجف البيت وقال آخرون فارتفع السقف فروى أهل العلم أن رجلا من الخوارج ذكر ذلك لأبى العالية الرياحى يعجبه من الآية ويرغبه فى مذهب القوم فقال أبو العالية كاد الخسف ينزل بهم ثم أدركتهم نظرة الله فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فصلبت رؤسهم وفيهم داود ابن شبث وكان ناسكا وفيهم حبيبة النضرى من قيس وكان مجتهدا فيروى عن عمران بن حطان أنه قال قال لى حبيبة لما عزمت على الخروج فكرت فى بناتى فقلت ذات ليلة لأمسكن عن تفقدهن حتى أنظر فلما كان فى جوف الليل استسقت بنية لى فقالت يا أبت اسقنى فلم أجبها فأعادت فقامت أخية لها أسن منها فسقتها فعلمت ان الله عز وجل غير مضيعهن فأتممت عزمى وكان فى القوم كهمس وكان من أبر الناس بأمه فقال لها يا أمه لولا مكانك لخرجت فقالت يا بنى قد وهبتك لله ففى ذلك يقول عيسى بن فاتك الحبطى

ألا فى الله لا فى الناس شالت * بداود واخوته الجذوع
مضوا قتلا وتمزيقا وصلبا * تحوم عليهم طير وقوع
اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

وقال عمران بن حطان

يا عين بكى لمرداس ومصرعه * يا رب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما أبكى لمرزئتى * فى منزل موحش من بعد ايناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه * ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

العرب تدين لهما وتؤدى الاتاوة اليهما فكان تعظيم قلوبهم لهما راجع الى تعظيم دينهما وكانت تهامة وان كانت لقاحا لا تدين ولا تؤدى الاتاوة ولا تدين للملوك لانها كانت لا تمتنع من تعظيم ما عظم الناس وتصغير ما صغروا ونصرانية النعمان وملوك غسان مشهورة فى العرب معروفة عند أهل النسب ولولا ذلك لدللت عليها بالاشعار المعروفة والأخبار الصحيحة وقد كانت تتجر الى الشام وتتغذر جالها الى ملوك الروم ولها رحلة فى الشتاء والصيف فى تجارة مرة الى اليمن ومرة قبل الشام ومصيفها بالطائف فكانوا أصحاب نعمة وذلك مشهور مذكور فى القرآن وعند أهل المعرفة وقد كانت

اما شربت بكاس دار أولها * على القرون فذاقوا جرعة الكاس

فكل من لم يذقها شارب عجلا * منها بانفاس ورد بعد أنفاس

ثم ان عباد بن أخضر المازنى لبث دهرا فى المصر محمودا موصوفا بما كان منه فلم يزل على ذلك حتى اتهم به جماعة من الخوارج أن يفتكوا به فذمر بعضهم بعضا على ذلك فجلسوا له فى يوم جمعة وقد أقبل على بغلته وابنه رديفه فقام اليه رجل منهم فقال أسألك عن مسئلة قال قل قال أرأيت رجلا قتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان ألولى ذلك المقتول أن يقتله به ان قدر عليه قال بل يرفعه الى السلطان قال ان السلطان لا يعدى عليه لمكانه منه وعظيم جاهه عنده قال أخاف عليه ان قتله به قتله به السلطان قال دع ما تخافه من ناحية السلطان أتلحقه تبعة فيما بينه وبين الله قال لا قال فحكم هو وأصحابه وخبطوه بأسيافهم ورمى عباد ابنه فنجا وتنادى الناس قتل عباد فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطرق وكان مقتل عباد فى سكة بنى مازن عند مسجد بنى كليب فجاء معبد بن أخضر اخو عباد وهو معبد بن علقمة وأخضر زوج أمهما فى جماعة من بنى مازن فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا فأحجم الناس وتقدم المازنيون فحاربوا الخوارج حتى قتلوهم جميعا لم يفلت منهم أحد الا عبيدة بن هلال فانه خرق خصا ونفذ منه ففى ذلك يقول الفرزدق

لقد أدرك الأوتار غير ذميمة * اذا ذم طلاب الترات الأخاضر

هم جردوا الأسياف يوم ابن أخضر * فنالوا التى ما فوقها نال ثائر

أقادوا به أسد الها فى اقتصامها * اذا برزت نحو الحروب بصائر

ثم ذكر بنى كليب لانه قتل بحضرة مسجدهم ولم ينصروه فقال فى كلمته هذه

كفعل كليب اذ أخلت بجارها * ونصر اللئيم معتم وهو حاضر

وما لكليب حين تذكر أول * وما لكليب حين تذكر آخر

وقال معبد بن أخضر سأحمى دماء الأخضر بين انه * أبى الناس الا أن يقولوا ابن أخضرا

وكان مقتل عباد وعبيد الله بن زياد بالكوفة وخليفته على البصرة عبيد الله بن أبى بكرة فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحدا يعرف بهذا الرأى الا حبسه وجد فى طلبه ممن تغيب منهم فجعل عبيد الله بن أبى بكرة يتتبعهم فيأخذهم فاذا شفع اليه فى أحد منهم كفله الى أن يقدم ابن زياد حتى

ثم هاجر الى الحبشة وتأتى باب النجاشى وافدة فيحبيهم بالجزيل ويعرف لهم الاقدار ولم يكن يعرف ذلك كسرى ولا انأنس بهم وقيصر والنجاشى نصرانيان فكان ذلك أيضا للنصارى دون اليهود والآخر من الناس تبع للأول فى تعظيم من عظم وتصغير من صغر وأخرى وهى أن العرب كانت النصرانية فيها فاشية وعليها غالبة الا مضر فلم تغلب عليها يهودية ولا مجوسية ولم تفش فيها النصرانية الا من كان قوم منهم نزلوا الحيرة يسمون العباد فانهم كانوا نصارى وهم مغمورون مع نبذ يسير فى بعض القبائل ولم تعرف مضر الا دين العرب ثم الاسلام وغلبت النصرانية على ملوك

أُتي بعروة بن أُدَيَّة فاطلقه وقال انا كفيلك فلما قدم عبيد الله بن زياد أخذ من في السجن منهم فقتلهم جميعا وطلب الكفلاء بمن كفلوا به منهم فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجيّ ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله ثم قال لعبيد الله بن أبي بكرة هات عروة بن أُدَيَّة قال لا أقدر عليه قال اذا والله أقتلك فانك كفيله فلم يزل يطلبه حتى دُلَّ عليه في سَرَب العلاء بن سُوَيَّة المنقري فكتب بذلك الى عبيد الله بن زياد فقرأ عليه الكاتب انا أصبناه في شَرَب فتهانف به عبيد الله بن زياد وكان كثير المحاورة عاشقا الكلام الجيد مستحسنا الصواب منه لا يزال يبحث عن عُذره فاذا سمع الكلمة الجيدة عرّج عليها ويروى انه قال في عقب مقتل الحسين بن علي عليه السلام لزينب بنت علي رحمها الله تعالى وكانت أسنّ من حمل اليه منهن وقد كلمته فأفصحت وأبلغت وأخذت من الحجة حاجتها فقال لها ان تكوني بلغت من الحجة حاجتك فقد كان أبوك خطيبا شاعرا فقالت ما للنساء والشعر وكان مع هذا ألكن يرتضخ لغة فارسية وقال لرجل مرة واتهمه برأي الخوارج أهروري منذ اليوم ۞ رجع الحديث فقال للكاتب صحّفت والله ولؤمت انما هو في سَرَب العلاء بن سُوَيَّة ولوددت أنه كان ممن يشرب النبيذ فلما أقيم عروة بن أُدَيَّة بين يديه حاوره وقد اختلف الناس في خبره وأصحه عندنا انه قال له جهّزت أخاك عليّ فقال والله لقد كنت به ضنينا وكان لي عزا ولقد أردت له ما أريد لنفسي فعزم عزما فمضى عليه وما أحب لنفسي الا المقام وترك الخروج قال له أفأنت على رأيه قال كلنا نعبد ربا واحدا قال أما لأمثّلن بك قال اختر لنفسك من القصاص ما شئت فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ثم قال كيف ترى قال أفسدت عليَّ دنياي وأفسدت عليك آخرتك ثم أمر به فقُتل ثم صُلب على باب داره ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جوابا مضى ذكره

قوله فتهانف حقيقته تضاحك به ضحك هزء وقال ابن أبي ربيعة المخزومي

ولقد قالت لجارات لها * وتعرّت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني * عمركن الله أم لا يقتصد
فتهانفن وقد قلن لها * حسن في كل عين من تود
حسد حُمّلنه من أجلها * وقديما كان في الناس الحسد

وكان عبيد الله لا يلبث الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن

العرب وقبائلها على لخم وغسان والحارث بن كعب بنجران وقضاعة وطي في قبائل كثيرة وأحياء معروفة ثم ظهرت في ربيعة فغلبت على تغلب وعبد القيس واحياء بكر ثم في آل ذي الجدين خاصة وجاء الاسلام وليست اليهودية بغالبة على قبيلة الا ما كان من ناس من اليمانية ونبذ يسير من جميع اياد وربيعة ومعظم اليهودية انما كان بيثرب وحمير وتيماء ووادي القرى في ولد هارون دون العرب وعطف قلوب دهما العرب على النصارى الملك الذي كان فيهم والقرابة التي كانت لهم ثم رأت عوامنا أن فيها ملكا قائما وان فيهم عربا كثيرة وان بنات الروم ولدن لملوك الاسلام

أحد منهم وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما ولي بعد، فخرجوا عليه فأما زياد فكان يقتل المُعلن ويستصلح المُسِرّ ولا يجرّد السيف حتى تزول التهمة ووجّه يوماً بجُعَينة بن كبيش الاعرجي الى رجل من بني سعد يرى رأي الخوارج فجاء بجُعَينة فأخذه فقال اني أريد أن أُحدث وُضوآ للصلاة فدعني أدخل الى منزلي قال ومن لي بخروجك قال الله عز وجل فتركه فدخل فأحدث وضوآ ثم خرج فأتى به جعينةُ زياداً فلما مَثَل بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ثم قال فعدت عني فأنكرتُ ذلك فذكر الرجل ربه فحمده ووحده ثم ذكر النبي عليه السلام ثم ذكر أبا بكر وعمر بخير ولم يذكر عثمان ثم أقبل على زياد فقال انك قد قلت قولا فصدقه بفعلك وكان من قولك ومن قعد عنا لم نهجه فقعدتُ فأمر له بصلة وكسوة وحُملان فخرج الرجلُ من عند زياد وتلقاه الناس يسألونه فقال ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرّا ولا نفعا لنفسه ولا موتا ولا حياة ولا نشوراً فرزق الله منه ما ترون وكان زياد يبعث الى الجماعة منهم فيقول ما أحسبُ الذي يمنعكم من اتياني الا الرُّجلة فيقولون أجل فيحملهم ويقول اغشوني الآن واسمُروا عندي فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال قاتل الله زياداً جمع لهم كما تجمعُ الذرّةُ وحاطهم كما تحوطُ الأُمُّ البرّة وأصلح العراق بأهل العراق وترك أهل الشام في شامهم وجبى العراق مائة ألف ألف وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألف قال أبو العباس وبلغ زياداً عن رجل يُكنى أبا الخير من أهل البأس والنجدة انه يرى رأي الخوارج فدعاه فولاه جنديسابور وما يليها ورزقه أربعةَ آلاف درهم في كل شهر وجعل عُمالتَه في كل سنة مائة ألف فكان أبو الخير يقول ما رأيت شيأ خيرا من لزوم الطاعة والتقلب بين أظهر الجماعة فلم يزل واليا حتى أنكر منه زياد شيأ فتنمّر لزياد فحبسه فلم يخرج من حبسه حتى مات وقال الرُّهَينُ وكان رجلا من مُراد وكان لا يرى القعود عن الحرب وكان في الدهاء والمعرفة والشعر والفقه بقول الخوارج بمنزلة عمرانَ بن حطّانَ وكان عمرانُ بن حطانَ في وقته شاعر قَعَد الصُّفرية ورئيسهم ومفتيهم وللرُّهَين المُرادي ولعمران بن حطان مسائلُ كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار وفي السير والسنن وفي الغريب والشعر ونذكر منها طرفها ان شاء الله قال المرادي

يا نفسِ قد طال في الدنيا مُراوغتي * لا تأمنَنَّ لصرفِ الدهرِ تنغيصا

وان في النصارى متكلمين واطباء ومنجمين فصاروا بذلك عندهم عقلاء وفلاسفة حكماء ولم يروا ذلك في اليهود وانما اختلفت أحوال اليهود والنصارى في ذلك لان اليهود ترى أن النظر في الفلسفة كفر والكلام في الدين بدعة وانه مجلبة لكل شبهة وانه لا علم الا ما كان في التوراة وكتب الأنبياء وان الايمان بالطب وتصديق المنجمين من أسباب الزندقة والخروج الى الدهرية والخلاف على الاسلاف وأهل القدوة حتى انهم ليبهرجون المشهور بذلك ويحرمون كلام سالك سبيل أولئك ولو علمت العوام أن النصارى والروم ليست لهم حكمة ولا بيان ولا بعد روية الا حكمة الكف من

انى لبائع ما يفنى لباقية * ان لم يعقنى رجاء العيش تربصا
وأسأل الله بيع النفس محتسبا * حتى ألاقى فى الفردوس حرقوصا

(قال الاخفش حرقوص ذو الثدية)

وابن المنيح ومرداسا واخوته * اذ فارقوا زهرة الدنيا مخاميصا

قال أبو العباس وهذه كلمة له وله أشعار كثيرة فى مذاهبهم وكان زياد ولى شيبان بن عبد الله الاشعرى صاحب مقبرة بنى شيبان باب عثمان وما يليه فجد فى طلب الخوارج وأخافهم وكانوا كثروا فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلة وهو متكئ بباب داره رجلان من الخوارج فضرباه بأسيافهما فقتلاه وخرج بنون له للاغاثة فقتلوا ثم قتلهما الناس فأتى زياد بعد ذلك برجل من الخوارج فقال اقتلوه متكئا كما قتل شيبان متكئا فصاح الخارجى يا عدلاه يهزأ به فأما قول جرير

ومنا فتى الفتيان والباس معقل * ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحى ورياح ابن يربوع وجرير من كليب بن يربوع وقوله ومنا الذى لاقى بدجلة معقلا يريد المستورد التيمى وهو من تيم بن عبد مناة بن أد وتميم ابن مر بن أد وأما قول ابن الرقيات

والذى نغص ابن دومة ما تو * حى الشياطين والسيوف ظماء
فأباح العراق يضربهم بالسيف صلتا وفى الضراب غلاء

فانما يريد بابن دومة المختار بن أبى عبيد الثقفى والذى نغصه مصعب بن الزبير وكان المختار لا يوقف له على مذهب كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا فى ظاهره وقوله ما توحى الشياطين فان المختار كان يدعى أنه يلهم ضربا من السجاعة لامور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس هذا من عند الله عز وجل فمن ذلك قوله ذات يوم لتنزلن من السماء نار دهماء فلتحرقن دار أسماء فذكر ذلك لاسماء بن خارجة فقال أقد سجع بى أبو اسحق هو والله محرق دارى فتركه والدار وهرب من الكوفة وقال فى بعض سجعه أما والذى شرع الاديان وجنب الاوثان وكره العصيان لاقتلن أزد عمان وجل قيس عيلان وتميما أولياء الشيطان حاشا النجيب ظبيان فكان ظبيان النجيب يقول لم أزل فى عمر المختار أتقلب آمنا ويروى ان المختار بن أبى عبيد حيث كان واليا لابن الزبير على الكوفة اتهمه ابن الزبير فولى رجلا من قريش الكوفة فلما أطل قال

الخرط والحبر والتصوير وحياكة البريون لاخرجتهم من حدود الأدباء ولمحتهم من ديوان الفلاسفة والحكماء لان كتاب المنطق والكون والفساد وكتاب العدوى وغير ذلك لارسطاطاليس وليس برومى ولا نصرانى وكتاب المجسطى لبطليموس وليس برومى ولا نصرانى وكتاب اقليدس لاقليدس وليس برومى ولا نصرانى وكتاب الطب لجالينوس ولم يكن روميا ولا نصرانيا وكذلك كتب ديمقراط وبقراط وافلاطون وفلان وفلان وهؤلاء اناس من أمة قد بادوا وبقيت آثار عقولهم وهم اليونانيون ودينهم غير دينهم وأدبهم غير أدبهم أولئك علماء وهؤلاء صناع أخذوا كتبهم لقرب

لجماعة من أهلها اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا أين تريد والله لئن دخلت الكوفة ليقتلنك المختار فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير ان صاحبك جاءنا فلما قاربنا رجع فما أدرى ما الذى رده فغضب ابن الزبير على القرشي وعجزه ورده الى الكوفة فلما شارفها قال المختار اخرجوا الى هذا المغرور فردوه فخرجوا اليه فقالوا انه والله قاتلك فرجع وكتب المختار الى ابن الزبير عذل كتابه الاول فلام القرشي فلما كان فى الثالثة فطن ابن الزبير وعلم بذلك المختار وكان ابن الزبير قد حبس محمد بن الحنفية مع خمسة عشر رجلا من بنى هاشم فقال اتبايعن أو لاحرقنكم فأبوا بيعته وكان السجن الذى حبسهم فيه يدعى سجن عارم ففى ذلك يقول كثير

تخبر من لاقيت انك عائذ * بل العائذ المظلوم فى سجن عارم
ومن يلق هذا الشيخ بالخيف من منى * من الناس يعلم أنه غير ظالم
سمى النبى المصطفى وابن عمه * وفكاك أغلال وقاضى مغارم

وكان عبد الله بن الزبير يدعى العائذ لانه عاذ بالبيت ففى ذلك يقول ابن الرقيات يذكر مصعبا

بلد تأمن الحمامة فيه * حيث عاذ الخليفة المظلوم

وكان عبد الله يدعى المحل لاحلاله القتال فى الحرم وفى ذلك يقول رجل فى رملة بنت الزبير

ألا من لقلب معنى غزل * بذكر المحلة أخت المحل

وكان عبد الله بن الزبير يظهر البغض لابن الحنفية الى بغض أهله وكان يحسده على أيده ويقال ان عليا استطال درعا فقال لينقص منها كذا وكذا حلقة فقبض محمد بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذى حده أبوه فكان ابن الزبير اذا حدث بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكل فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه من المختار بن أبى عبيد الثقفى خليفة الوصى محمد بن على أمير المؤمنين الى عبد الله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه وكان قبل ذلك فى وقت اظهاره طاعة ابن الزبير يدس الى الشيعة ويعلمهم موالاته اياهم ويخبرهم أنه على رأيهم ومذاهبهم وأنه سيظهر ذلك عما قليل ثم وجه جماعة تسير الليل وتكمن النهار حتى كسروا سجن عارم واستخرجوا منه بنى هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الاشتر يسأله

الخروج

الجوار وتدانى الدار فمنها ما أضافوه الى أنفسهم ومنها ما حولوه الى ملتهم الا ما كان من مشهور كتبهم ومعروف حكمهم فانهم حين لم يقدروا على تغيير أسمائها زعموا ان اليونانيين قبيل من قبائل الروم ففخروا بأديانهم على اليهود واستطالوا بها على العرب وبذخوا بها على الهند حتى زعموا أن حكماءنا اتباع حكمائهم وان فلاسفتنا احتذوا على مثالهم فهذا هو دينهم هذا ودينهم رحمك الله يضاهى الزندقة ويناسب فى بعض وجوهه قول الدهرية وهم من أسباب كل حيرة وشبهة والدليل على ذلك انا لم نر أهل ملة قط أكثر زندقة من النصارى ولا أكثر متهما أو مقتولا منهم وكذلك شأن

الخروجَ الى الطلب بدم الحسين بن على رضى الله عنهما فأبى عليه ابراهيمُ الا أن يستأذن محمدَ بن على بن أبى طالب فكتب اليه يستأذنه فعلم محمد أن المختار لا عقد له فكتب محمد الى ابراهيم بن الاشتر انه ما يسوءنى أن يأخذ الله بحقنا على يَدَىْ مَنْ يشاءُ من خلقه فخرج معه ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يُشَيِّعُهُ ماشيا فقال له ابراهيم اركب يا أبا اسحق فقال انى أحب أن تَغْبَرَّ قدماىَ فى نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم فشيعه فرسخين ودفع الى قوم من خاصته حماما بِيضًا ضخامًا وقال ان رأيتم الامر لنا فدعوها وان رأيتم الامر علينا فارسلوها وقال للناس ان استقمتم فبنصر الله وان حِصْتُمْ حَيْصةً فانى أجد فى محكم الكتاب وفى اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غِضابٍ تأتى فى صُوَرِ الحَمام دُوَيْنَ السحاب فلما صار ابن الاشتر بخازَرَ بها عُبَيْدُ الله بن زياد قال مَنْ صاحبُ الجيش قيل له ابن الاشتر قال أليس الغلامَ الذى كان يُطيرُ الحمامَ بالكوفة قالوا بلى قال ليس بشئ وعلى مَيْمنة ابن زياد حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَكونىُّ من كندةَ ويقال السَّكونىُّ والسُّكونىُّ والسَّدوسىُّ والسُّدوسىُّ كذا كان أبو عبيدة يقول (قال أبو الحسن السَّكونىُّ أكثر) وعلى ميسرته عُمَيْرُ بن الحُباب فارس الاسلام فقال حُصَيْنُ بن نمير لابن زياد ان عمير بن الحُباب غير ناسٍ قَتْلَى المَرْج وانى لا أَثِقُ لك به فقال ابن زياد أنت لى عدوّ قال حصين ستعلم قال ابن الحباب فلما كان فى الليلة التى نريد أن نواقع ابن الاشتر فى صبحها خرجت اليه وكان لى صديقا ومعى رجل من قومى فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروى ومُلاءةٌ وهو مُتَّشِحٌ السيف يجوسُ عسكره فيأمر فيه ويَنْهَى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت الىّ ولكن قال مَنْ هذا فقلت عمير بن الحباب فقال مرحبا بأبى المُغَلِّسِ كن بهذا الموضع حتى أعود اليك فقلت لصاحبى أرأيت أشجعَ من هذا قطُّ يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوه ولا يدرى من هو فلا يلتفت اليه ثم عاد الىّ وهو فى أربعة آلاف فقال ما الخبر فقلت القوم كثير والرأى أن تُناجزهم فانه لا صبر بهذه العصابة القليلة على مُطاوَلة هذا الجمع الكثير فقال نُصبِحُ ان شاء الله ثم نحاكمهم الى ظُبات السيوف وأطراف القنا فقلت انا مُنْخَزِلٌ عنك بثلث الناس غدا فلما التقوا كانت على أصحاب ابراهيم فى أول النهار وأرسل أصحاب المختار الطير فتصايح الناس الملائكة فتراجعوا ونكَّسَ عميرُ بن الحباب رايتَهُ ونادى يالثاراتِ المَرْجِ وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه واقتتل

كل من نظر فى الأمور الغامضة بالعقول الضعيفة ألا ترى ان أكثر من قتل فى الزندقة ممن كان ينتحل الاسلام ويظهره هم الذين آباؤهم وأمهاتهم نصارى على انك لو عددت اليوم أهل الظنة ومواضع التهمة لم تجد أكثرهم الا كذلك ومما عظمهم فى قلوب العوام وحببهم الى الطغام أن منهم كتاب السلاطين وفراشى الملوك واطباء الاشراف والعطارين والصيارفة ولا تجد اليهودى الا صباغا أو دباغا أو حجاما أو قصابا أو شعابا فلما رأت العوام اليهود والنصارى كذلك توهمت أن دين اليهود فى الأديان كصناعتهم فى الصناعات وان كفرهم أقذر الكفر اذ كانوا هم أقذر الأمم وانما صارت النصارى أقل مسانحة من اليهود على شدة مسانحة النصارى لان الاسرائيلى لا يزوج الا الاسرائيلى وكل مناكحهم مردودة فيهم

الناس حتى اختلط الظلام وأسرع القتلُ فى أصحاب عبيد الله بن زياد ثم انكشفوا ووُضِعَ السيف فيهم حتى أُفْنُوا فقال ابن الاشتر لقد ضربتُ رجلا على شاطئ هذا النهر فرجع الىّ سيفى ومنه رائحةُ المسك ورأيتُ اقداما وبُرْأَةً فصرعته فذهبت يداه قِبَلَ المشرق ورجلاه قِبَلَ المغرب فانظروه فأتوه بالنيران فاذا هو عبيد الله بن زياد وقد كان عند المختار كرسىٌّ قديمُ العهد فغَشَّاه بالديباج وقال هذا الكرسىّ من ذخائر أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه فضعوه فى بَرَاكاء الحرب وقاتلوا عليه فان محله فيكم محلُّ السكينة فى بنى اسرائيل ويقال انه اشترى ذلك الكرسى بدرهمين من نجار وقوله فى براكاء القتال يقال بَراكاءُ وبَرُوكاءُ وهو موضع اصطدام القوم قال الشاعر

وليس يُنْقِذُك منه الا * بَراكاءُ القتال أو الفرارُ

(هذا باب اللام التى للاستغاثة والتى للاضافة)

اذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول يالَلرجال ويالَلقوم ويالَزيدٍ اذا كنتَ تدعوهم وانما فتحتها لتفصل بين المدعو والمدعو له ووجب أن تفتحها لان أصل اللام الخافضة انما كان الفتح فكُسِرَتْ مع المُظْهَرِ ليُفْصَلَ بينها وبين لام التوكيد تقول انّ هذا لَزَيْدٌ اذا أردت انّ هذا زيد وتقول انَّ هذا لِزيدٍ اذا أردت انه فى ملكه ولو فتحت لالتبستَا فان وقعت اللامُ على مضمر فتحتها على أصلها فقلت ان هذا لَكَ وان هذا لَأَنْتَ اذا أردت لام التوكيد لانه ليس ههنا لَبْسٌ وذلك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتها على الاصل والاستغاثةُ تَرُدُّها الى أصلها من أجل اللبس والمدعوّ له فى بابه فاللام معه مكسورة تقول يالَلرجالِ للماء ويالَلرجالِ لِلعَجَبِ ويالَزيدٍ لِلخَطْبِ الجَليل قال الشاعر

يالَلرجالِ ليوم الأَرْبعاءِ أَمَا * يَنْفَكُّ يَبْعَثُ لى بعد النُّهَى طَرَبا

وقال آخر

تَكَنَّفَنى الوُشاةُ فَأَزْعجونى * فيالَلناسِ للواشى المُطاعِ

وفى الحديث لما طَعَنَ العِلْجُ أو العبدُ عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه صاح يالَلَّهِ يالَلْمسلمين وتقول يالَلْعَجَبِ اذا كنت تدعو اليه ويالِلْغَيْرِ العَجَبِ كأنك قلت يالَلناسِ للعجب ويُنْشَدُ هذا البيتُ

يالَعنةُ الله والاقوامِ كلِّهِم * والصالحينَ على سِمْعانَ من جار

فيالِلغير اللعنة كأنه قال ياقوم لعنةُ الله والاقوامِ كلِّهم وزعم سيبويه أن هذه اللام التى للاستغاثة

ومقصورة عليهم وكانت الغرائب لاتشويهم وبخؤولة الاجناس لاتضرب ولاتضرب فيهم لم ينجبوا فى عقل ولا أمر ولاملح وانك لتعرف ذلك فى الخيل والابل والحمير والحمام ونحن رحمك الله تعالى لم نخالف العوام فى كثرة أموال النصارى وأن فيهم ملكا وتمارا أن ماءهم أنظف وأن صناعتهم أحسن وانما خالفنا فى فرق ما بين الكفرين والفرقتين فى شدة المعاندة واللجاجة والارصاد لأهل الاسلام بكل مكيدة مع لؤم الأصول وخبث الاعراق فأما الملك والصناعة والهيئة فقد علمنا أنهم اتخذوا البراذين الشهرية والخيل العتاق واتخذوا الجوقات وضربوا بالصوالجة وتحذفوا المدينى ولبسوا الملحم والمطبقة واتخذوا الشاكرية وتسموا بالحسن والحسين والعباس والفضل وعلى واكتنوا بذلك أجمع ولم

دليلٌ بمنزلة الالف التى تُبيَّنُ بالهاء فى الوقف اذا أردتَ أن تُسمِعَ بعيدا فاذا ناديت للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك ياقوماه على غير الندبة ولكن للاستغاثة ومدّ الصوت والقولُ كما قال محلّهما عند العرب محلٌّ واحد فان وصلتَ حذفتَ الهاء لانها زيدت فى الوقف لخفاء الالف كما تُزاد لبيان الحركة فاذا وصلتَ أغنى ما بعدها عنها تقول ياقوما تعالوا ويا زيدا الا تفعل ولا يجوز أن تقول يالَزَيدٍ وهو مقبِلٌ عليك وكذلك لا يجوز أن تقول يا زيداه وهو معك انما يقال ذلك للبعيد أو يُنَبَّهُ به النائمُ فان قلت يالَزَيدٍ ولِعمرٍو كسرتَ اللام فى عمرو وهو مدعوٌّ لانك انما فتحتَ اللام فى زيد لتفصل بين المدعوّ والمدعوّ اليه فلما عطفتَ على زيد استغنيت عن الفصل لانك اذا عطفتَ عليه شيأ صار فى مثل حاله ونظيرُ ذلك الحكايةُ يقول الرجل رأيتُ زيدا فتقول مَنْ زيدًا وانما حكيتَ قوله ليَعلَمَ أنك انما تستفهمُه عن الذى ذَكَرَ بعينه ولا تسأله عن زيد غيره والموضع موضع رفع لانه ابتداء وخبر فان قلت ومَنْ زيدٌ أو فمَن زيدٌ لم يكن الا رفعا لانك عطفتَ على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا ونظير هذا الذى ذكرتُ لك فى اللام قول الشاعر

يَبْكِيكَ ناءٍ بعيدُ الدار مُغتَرِبٌ * يالَلكُهولِ ولِلشُّبّانِ لِلعجَبِ

فقد أحكمتُ لك كلّ ما فى هذا الباب ۞ ثم نعود الى ذكر الخوارج قال وذُكِرَ لعُبَيدِ الله بن زياد رجل من بنى سَدوس يقال له خالدُ بن عَبّادٍ أو ابن عُبادةَ وكان من نُسّاكهم فوَجَّهَ اليه فأخذه فأتاه رجل من آل ثَور فكَذَّبَ عنه وقال هو صِهْرِى وهو فى ضِمْنِى فخَلّى عنه فلم يزل الرجل يتفقّده حتى تَغَيَّبَ فأتى ابن زياد فأخبره فبعثَ الى خالد بن عباد فأُخِذَ فقال عبيد الله بن زياد أين كنتَ فى غيبتك هذه قال كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجَورِ فيتبرؤن منهم قال دُلَّنى عليهم قال اذنْ يَسعَدوا وتَشقى ولم أكن لأُرَوِّعَهم قال فما تقول فى أبى بكر وعمر قال خيرا قال فما تقول فى أمير المؤمنين عثمان أتتولاه وأمير المؤمنين معاوية قال ان كانا وليَّين لله فلستُ أعاديهما فأراغه مرات فلم يرجع فعزم على قتله فأمر باخراجه الى رَحَبةٍ تعرف برحبة الزَّينَبِيّ فجعل الشُّرَطُ يتفادَوْنَ من قتله ويَروغون عنه توقّيا لانه كان شاسفا عليه أثر العبادة حتى أتى المُثَلَّمُ بن مَسروح الباهلىُّ وكان من الشُّرَط فتقدم فقتله فائتمر به الخوارج ليقتلوه وكان مُغرَمًا باللِّقاح يتتبعها فيشتريها من مَظانّها وهم فى تفقّده فدسّوا اليه رجلا فى هيئة الفتيان عليه رَدعُ

يبق الآن يتسموا بمحمد ويكتنوا بأبى القاسم فرغب اليهم المسلمون وترك كثير منهم عقد الزنانير وعقدها آخرون دون ثيابهم وامتنع كثير من كبرائهم من اعطاء الجزية وأنفوا مع اقتدارهم من دفعها وسبوا من سبهم وضربوا من ضربهم وما لهم لا يفعلون ذلك وأكثر منه وقضاتنا وعامتهم يرون أن دم الجاثليق والمطران والأسقف وفاء بدم جعفر وعلى والعباس وحمزة ويرون أن النصرانى اذا قذف أم النبى صلى الله عليه وسلم بالغواية أنه ليس عليه الا التعزير والتأديب ثم يحتجون أنهم انما قالوا ذلك لان أم النبى صلى الله عليه وسلم لم تكن مسلمة فسبحان الله العظيم ما أعجب هذا القول وأبين انتشاره ومن حكم النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يساوونا فى المجالس ومن قوله وان سبوكم

زعفران فلقيه بالمربد وهو يسأل عن لقحة صفي فقال له الفتى ان كنت تبلغ فعندي ما يغنيك عن غيره فامض معي فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه حتى أتى به بني سعد فدخل دارا وقال له ادخل على فرسك فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب وثارت به الخوارج فاعتوره حريث بن حجل وكهمس بن طلق الصريمي فقتلاه وجعلا دراهم كانت معه في بطنه ودفناه في ناحية الدار وحكا آثار الدم وخليا فرسه في الليل فأصيب من الغد في المربد وتحسس عنه الباهليون فلم يروا له أثرا فاتهموا به بني سدوس فاستعدوا عليهم السلطان وجعل السدوسيون يحلفون فتحامل ابن زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربع ديات وقال ما أدري ما أصنع بهؤلاء الخوارج كلما أمرت بقتل رجل منهم اغتالوا قاتله فلم يعلم بمكانه حتى خرج مرداس فلما واقفهم ابن زرعة الكلابي صاح بهم حريث بن حجل أههنا من باهلة أحد قالوا نعم قال يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله وجعلت دراهم كانت معه في بطنه وهو في موضع كذا مدفون فلما انهزموا صاروا الى الدار فأصابوا أشلاءه والدراهم ففي ذلك يقول أبو الاسود الدؤلي

آليت لا أغدو الى رب لقحة * أساومه حتى يعود المثلم

ثم خرجت خوارج لا ذكر لهم كلهم قتل حتى انتهى الامر الى الأزارقة ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب الاباضية وهم أصحاب عبد الله بن اباض والصفرية واختلفوا في تسميتهم فقال قوم سموا بابن صفار وقال آخرون وأكثر المتكلمين عليه هم قوم نهكتهم العبادة فاصفرت وجوههم ومنهم البيهسية وهم أصحاب أبي بيهس ومنهم الازارقة وهم أصحاب نافع بن الأزرق الحنفي وكانوا قبل على رأي واحد لا يختلفون الا في الشيء الشاذ من الفروع كما قال صخر بن عروة اني كرهت قتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقرابته فأما الآن فلا يسعني الا الخروج وكان اعتزل عبد الله بن وهب يوم النهر فقتلته الخوارج بامتناعه من قتال علي فكان أول أمرهم الذي نستأنفه أن جماعة من الخوارج منهم نجدة بن عامر الحنفي عزموا على أن يقصدوا مكة لما توجه مسلم بن عقبة يريد المدينة لوقعة الحرة فقالوا هذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حرم الله منه ونمتحن ابن الزبير فان كان على رأينا بايعناه فمضوا لذلك فكان أول أمرهم أن أبا الوازع الراسبي وكان من مجتهدي الخوارج كان يذمر نفسه ويلومها على القعود

فاضربوهم وان ضربوكم فاقتلوهم وهم اذا قذفوا أم النبي عليه السلام بالفاحشة لم يكن لهم عند أمته الا التعزير والتأديب وزعموا أن افتراءهم على النبي صلى الله عليه وسلم ليس بنكث للعهد ولا بنقض للعقد وقد أمر النبي عليه السلام أن يعطونا الضريبة عن يد منا طالبة في قبولنا منهم وعقدنا لذمتهم دون اراقة دمهم وقد حكم الله تعالى عليهم بالذلة والمسكنة وما ينبغي للجاهل أن يعلم أن الائمة الراشدين والسلف المتقدمين لم يشترطوا عند أخذ الجزية وعقد الذمة عدم الافتراء على النبي صلى الله عليه وسلم وأمته الا لأن ذلك عندهم أعظم في العيون وأجل في الصدور من أن يحتاجوا الى تخليده في الكتب والى اظهار ذكره بالشرط وتثبيته بالبينات بل لو فعلوا ذلك لكان فيه الوهن عليهم

وكان شاعرا وكان يفعل ذلك بأصحابه فأتى نافع بن الازرق وهو فى جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان وكان ذا لسان عضب واحتجاج وصبر على المنازعة فأتاه أبو الوازع فقال يا نافع لقد أعطيت لسانا صارما وقلبا كليلا فلوددت أن صرامة لسانك كانت لقلبك وكلال قلبك كان للسانك أتحض على الحق وتقعد عنه وتقبح الباطل وتقيم عليه فقال الى أن تجمع من أصحابك من تنكى به عدوك فقال أبو الوازع

لسانك لا تنكى به القوم انما * تنال بكفيك النجاة من الكرب

فجاهد أناسا حاربوا الله واصطبر * عسى الله أن يخزى غوى بنى حرب

ثم قال والله لا ألومك ونفسى ألوم ولأغدون غدوة لا أنثنى بعدها أبدا ثم مضى فاشترى سيفا وأتى صيقلا كان يذم الخوارج ويدل على عوراتهم فشاوره فى السيف فحمده فقال اشحذه فشحذه حتى اذا رضيه حكم وخبط به الصيقل وحمل على الناس فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بنى يشكر فدفع عليه رجل حائط السترة فكرهت ذلك بنو يشكر خوفا أن تجعل الخوارج قبره مهاجرا فلما رأى ذلك نافع وأصحابه جدوا وخرج فى ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخطى من تيم اللات بن ثعلبة ومقتله بعد خروج الازارقة فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحرم من جيش مسلم بن عقبة فلما صاروا الى ابن الزبير عرفوه أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عقبة وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتى رأى يزيد بن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير ثم تناظروا فيما بينهم فقالوا ندخل الى هذا الرجل فننظر ما عنده فان قدم أبا بكر وعمر وبرئ من عثمان وعلى وكفر أباه وطلحة بايعناه وان تكن الاخرى ظهر لنا ما عنده فتشاغلنا بما يجدى علينا فدخلوا على ابن الزبير وهو متبذل وأصحابه متفرقون عنه فقالوا انا جئناك لتخبرنا رأيك فان كنت على الصواب بايعناك وان كنت على غيره دعوناك الى الحق ما تقول فى الشيخين قال خيرا قالوا فما تقول فى عثمان الذى أحمى الحمى وآوى الطريد وأظهر لاهل مصر شيئا وكتب بخلافه وأوطأ آل أبى معيط رقاب الناس وآثرهم بفئ المسلمين وفى الذى بعده الذى حكم فى دين الله الرجال وأقام على ذلك غير تائب ولا نادم وفى أبيك وصاحبه وقد بايعا عليا وهو امام عادل مرضى لم يظهر منه كفر ثم نكثا بعرض من أعراض الدنيا وأخرجا عائشة

والمطمعة فيهم واظنوا أنهم فى القدر الذى يحتاج فيه الى هذا وشبهه وانما يتواثق الناس فى شروطهم ويفسرون فى عهودهم ما يمكن فيه الشبهة أو يقع فيه الغلط أو يعيا عنه الحاكم وينساه الشاهد ويتعلق به الخصم فأما الواضح الجلى والظاهر الذى لا يخيل غيره فما وجه اشتراطه والتشاغل بذكره وأما ما احتاجوا الى ذكره فى الشروط وكان مما يجوز أن يظهر فى العهد فقد فعلوه وهو كالذلة والصغارة واعطاء الجزية ومقامة الكنائس وأن لا يعينوا بعض المسلمين على بعض وأشباه ذلك فأما أن يقولوا لمن هو أذل من الذليل وأقل من القليل وهو الطالب الراغب فى أخذ فديته والانعام عليه بقبض جزيته وحقن دمه نعاهدك على أن لا تفترى على أمة رسول رب العالمين وخاتم النبيين وسيد الأولين

تقاتل وقد أمرها الله وصواحبها أن يقرن في بيوتهن وكان لك في ذلك ما يدعوك الى التوبة فان
أنت قلت كما نقول فلك الزلفة عند الله والنصر على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق وان أبيت الا
نصر رأيك الاول وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان والتولي في السنين الست التي
أحلت دمه ونقضت أحكامه وأفسدت امامته خذلك الله وانتصر منك بأيدينا فقال ابن الزبير
ان الله أمر وله العزة والقدرة في مخاطبة أكفر الكافرين وأعتى العتاة بأرأف من هذا القول
فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تؤذوا الاحياء بسب الموتى فنهى عن سب أبي جهل من أجل عكرمة ابنه
وأبو جهل عدو الله وعدو الرسول والمقيم على الشرك والجاد في المحاربة والمتبغض الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة والمحارب له بعدها وكفى بالشرك ذنبا وقد كان يغنيكم عن هذا
القول الذي سميتم فيه طلحة وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غمار الناس
وان لم يكونا منهم لم تحفظوني بسب أبي وصاحبه وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه
وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال
جل ثناؤه وقولوا للناس حسنا وهذا الذي دعوتم اليه أمر له ما بعده وليس يقنعكم الا التوقيف
والتصريح ولعمري ان ذلك لأحرى بقطع الحجج وأوضح لمنهاج الحق وأولى بأن يعرف كل صاحبه
من عدوه فروحوا الي من عشيتكم هذه أكشف لكم ما أنا عليه ان شاء الله فلما كان العشي
راحوا اليه فخرج اليهم وقد لبس سلاحه فلما رأى ذلك نجدة قال هذا خروج منابذ لكم فجلس
على رفع من الارض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم ذكر أبا بكر وعمر
أحسن ذكر ثم ذكر عثمان في السنين الاوائل من خلافته ثم وصلهن بالسنين التي أنكروا سيرته
فيها فجعلها كالماضية وخبر أنه آوى الحكم بن أبي العاص باذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الحمى وما كان فيه من الصلاح وأن القوم استعتبوه من أمور وكان له ان يفعلها أولا مصيبا
ثم أعتبهم بعد محسنا وان أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه بعد أن ضمن لهم العتبى ثم كتب
لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به وقد أمر بقبول اليمين
ممن ليس له مثل سابقته مع ما اجتمع له من صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه من الامامة

والآخرين فهذا ما لا يجوز
في تدبير أوساط الناس
فكيف بالجلة والعلية
وائمة الخليقة ومصابيح
الدجى ومنار الهدى مع
انفة العرب وشأو
السلطان وغلبة الدولة
وعز الاسلام وظهور الحجة
والوعد بالنصرة على أن
هذه الأمة لم تبتل باليهود
ولا المجوس ولا الصابئين
كما ابتلت بالنصارى
وذلك أنهم يتبعون
المتناقض من أحاديثنا
والضعيف بالاسناد من
رواياتنا والمتشابه من آي
كتابنا ثم يخلون بضعفائنا
ويسألون عنها عوامنا
مع ما قد يعلمون من
مسائل الملحدين والزنادقة
الملاعين وحتى مع ذلك
ربما تبروا الى علمائنا
وأهل الاقدار منا
ويشغبون على القوي
ويلبسون على الضعيف
ومن البلاء ان كل انسان
من المسلمين يرى أنه
متكلم وأنه ليس أحد أحق
بمحاجة الملحدين من أحد
وبعد فلولا متكلموا

وان بيعة الرضوان تحت الشجرة انما كانت بسببه وعثمان الرجل الذى لزمته يمين لو حلف عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ولم يحلف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض فعثمان أمير المؤمنين كصاحبه وأنا ولى وليه وعدو عدوه وأبى وصاحبه صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله يقول عن الله تعالى يوم أحد لما قطعت اصبع طلحة سبقته الى الجنة وقال أوجب طلحة وكان الصديق اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله أو جله لطلحة والزبير حوارى رسول الله وصفوته وقد ذكر أنهما فى الجنة وقال جل وعز لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وما أخبرنا بعد أنه سخط عليهم فان يكن ما سعوا فيه حقا فأهل ذلك هم وان يكن زلة ففى عفو الله تمحيصها وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم صلى الله عليه وسلم ومهما ذكرتموهما به فقد بدأتم بأمكم عائشة رضى الله عنها فان أبى آب أن تكون له أما نبذ اسم الايمان عنه قال الله جل ذكره وقوله الحق النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشأم بعد ان كان حصين بن نمير قد حصر ابن الزبير انه أتاهم موت يزيد بن معاوية فتوادع الناس وكان أهل الشأم ضجروا من المقام على ابن الزبير وحنقت الخوارج فى قتالهم ففى ذلك يقول رجل من قضاعة

يا صاحبى ارتحلا ثم املسا * لا تحبسا لدى الحصين محبسا * ان لدى الاركان ناسا بؤسا

(قال الاخفش حفظى بأسا أبؤسا)

وبارقات يختلسن الانفسا * اذا الفتى حكم يوما كلسا

قوله ثم املسا يريد تخلصا تخلصا سهلا وكلس أى حمل وجد ولما امتحن ابن الزبير الخوارج فى القول وأظهر انه منهم قال رجل يقال له قيس بن همام من رهط الفرزدق

يا ابن الزبير أتهوى عصبة قتلوا * ظلما أباك ولما تنزع الشكك

ضحوا بعثمان يوم النحر ضاحية * ما أعظم الحرمة العظمى التى انتهكوا

فقال ابن الزبير لو شايعتنى الترك والديلم على قتال أهل الشأم لشايعتها الشكك جمع شكة وهى السلاح قال الشاعر

ومدجج يسعى بشكته * محمرة عيناه كالكلب

النصارى واطباؤهم ومنجموهم ماصار الى أغنيائنا وظرفائنا ومجاننا وأخذنا فاشئ من كتب المنانية والديصانية والمرقونية والفلانية ولما عرفوا غير كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولكانت تلك الكتب مستورة عند أهلها ومخلاة فى أيدى ورثتها فكل سخنة عين رأيناها فى احداثنا وأغبيائنا فمن قبلهم كان أولها وأنت اذا سمعت كلامهم فى العفو والصفح وذكرهم للسياحة وزرايتهم على كل من أكل اللحمان ورغبتهم فى أكل الحبوب وترك الحيوان وترهبهم فى النكاح وتركهم لطلب الولد ومديحهم للجاثليق والمطران والاسقف والرهبان بترك النكاح وطلب النسل وتعظيمهم الرؤساء علمت أن بين دينهم وبين الزندقة نسبا وأنهم يحنون الى ذلك المذهب والعجب ان كل جاثليق لا ينكح ولا

فتفرقت الخوارج عن ابن الزبير لما تولى عثمان فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة وكان رجاء النميرى هو الذى كان جمعهم للمدافعة عن الحرم فكان فيمن صار الى البصرة نافع بن الازرق الحنفى وبنو الماحوز السليطيون ورئيسهم حسان بن بحزج فلما صاروا الى البصرة نظروا فى أمورهم فأمّروا عليهم نافعا ويروى أن أبا الجلد اليشكرى قال لنافع يوما يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب وان أشدها حرا الباب الذى أعدّ للخوارج فان قدرت أن لا تكون منهم فافعل فأجمع القوم على الخروج فمضى بهم نافع الى الأهواز فى سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يهيجون أحدا ويناظرهم الناس وكان سبب خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيد بايع أهل البصرة عبيد الله بن زياد وكان فى السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج وضعف أمر ابن زياد فكلم فيهم فأطلقهم فأفسدوا البيعة عليه وفشوا فى الناس يدعون الى محاربة السلطان ويظهرون ماهم عليه حتى اضطرب على عبيد الله أمره فتحول عن دار الامارة الى الأزد ونشأت الحرب بسببه بين الازد وربيعة وبين بنى تميم فاعتزلهم الخوارج الا نفرا منهم من بنى تميم معهم عبس بن طلق الصريمى أخو كهمس فانهم أعانوا قومهم فكان عبس الطعان فى سعد والرباب فى القلب بحذاء الازد وكان حارثة بن بدر اليربوعى فى حنظلة بحذاء بكر بن وائل وفى ذلك يقول حارثة بن بدر للأحنف وهو صخر بن قيس

سيكفيك عبس أخو كهمس * مواقفة الازد بالمربد

وتكفيك عمرو على رسلها * لكيز بن أفصى وما عددوا

لكيز هو عبد القيس

وتكفيك بكرا اذا أقبلت * بضرب يشيب له الأمرد

فلما قتل مسعود بن عمرو المعنى وتكاف الناس أقام نافع بن الازرق بموضعه بالاهواز ولم يعد الى البصرة وطردوا عمال السلطان عنها وجبوا الفئ ولم يزالوا على رأى واحد يتولون أهل النهروان ومن داناهم ومن خرج معه حتى جاء مولى لبنى هاشم الى نافع فقال له ان أطفال المشركين فى النار وان من خالفنا مشرك فدماء هؤلاء الاطفال لنا حلال قال له نافع كفرت وأدللت بنفسك قال له ان لم آتك بهذا من كتاب الله فاقتلنى قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم فشهد نافع انهم جميعا فى النار ورأى قتلهم وقال الدار دار كفر الا من أظهر ايمانه ولا يحل أكل ذبائحهم

يطلب الولد وكذلك كل مطران وكل أسقف وكذلك كل أصحاب الصوامع من اليعقوبية والمقيمين فى الديورات والبيوت من النسطورية وكل راهب فى الارض وراهبة مع كثرة الرهبان والرواهب ومع تشبه أكثر القسيسين بهم فى ذلك ومع ما فيهم من كثرة الغزاة وما يكون فيهم مما يكون فى الناس من المرأة العاقر والرجل العقيم على أن من تزوج منهم امرأة لم يقدر على الاستبدال بها ولا على أن يتزوج أخرى معها ولا على التسرى عليها وهم مع هذا قد طبقوا الأرض وملؤا الآفاق وغلبوا الأمم بالعدد وبكثرة الولد وذلك مما زاد فى مصائبنا وعظمت به محنتنا ومما زاد فيهم وأنمى عددهم أنهم يأخذون من سائر الأمم ولا يعطونهم لان كل دين جاء بعد دين أخذ منه الكثير وأعطاه القليل

ولا تناكحهم ولا توارثهم ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحنه وهم ككفار العرب لا نقبل منهم الا الاسلام أو السيف والقعد بمنزلتهم والتقية لا تحل فان الله تعالى يقول اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقول الله عز وجل الا أن تتقوا منهم تقاة وبقوله عز وجل وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه فالقعد منا والجهاد اذا أمكن أفضل لقوله جل وعز وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ثم مضى نجدة بأصحابه الى اليمامة وتفرقوا فى البلدان فلما تتابع نافع فى رأيه وخالف أصحابه وكان أبو طالوت سالم بن مطر بالخضارم فى جماعة قد بايعوه فلما انخزل نجدة خلعوا أبا طالوت وصاروا الى نجدة فبايعوه ووافى نجدة وأصحابه قوما من الخوارج بالعرمة والعرمة كالسكر وجمعها عرم وفى القرآن المجيد فأرسلنا عليهم سيل العرم وقال النابغة الجعدى

من سبأ الحاضرين مأرب اذ * يبنون من سيله العرما

فقال لهم أصحاب نجدة ان نافعا قد كفر القعد ورأى الاستعراض وقتل الاطفال فانصرفوا مع نجدة فلما صار باليمامة كتب الى نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان عهدى بك وأنت لليتيم كالاب الرحيم وللضعيف كالاخ البر لا تأخذك فى الله لومة لائم ولا ترى معونة ظالم كذلك كنت أنت وأصحابك أما تذكر قولك لولا أنى أعلم أن للامام العادل مثل أجر جميع رعيته ما توليت أمر رجلين من المسلمين فلما شريت نفسك فى طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبت من الحق فصه وركبت مره تجرد لك الشيطان ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك فاستمالك واستهواك واستغواك وأغواك فغويت فأكفرت الذين عذرهم الله فى كتابه من قعد المسلمين وضعفتهم فقال جل ثناؤه وقوله الحق ووعده الصدق ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ثم سماهم أحسن الاسماء فقال ما على المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم وقال الله عز ذكره ولا تزر وازرة وزر أخرى وقال فى القعد خيرا وفضل الله من جاهد عليهم ولا يدفع منزلة أكثر الناس عملا منزلة من هو دونه أوما سمعت قوله عز وجل لا يستوى القاعدون من المؤمنين

(فصل منه) ومما يدل على قلة رحمتهم وفساد قلوبهم انهم أصحاب الخصاء من بين جميع الأمم والخصاء أشد المثلة وأعظم ما ركبه انسان ثم يفعلون ذلك باطفال لا ذنب لهم ولا دفع عندهم ولا نعرف قوما يعرفون بخصا الناس حيث ما كانوا الا ببلاد الروم والحبشة وهم فى غيرهما قليل وأقل قليل على أنهم لم يتعلموا الا منهم ولا كان السبب فى ذلك غيرهم ثم خصوا أبناءهم وأسلموهم فى بيعهم وليس الخصا الا فى دين الصابئين فان العابد ربما خصا نفسه ولا يستحل خصاء ابنه فلو تمت اراداتهم فى خصا أولادهم فى ترك النكاح وطلب النسل كما حكيت لك قبل هذا لانقطع النسل وذهب الدين وفنى الخلق والنصرانى وان كان أنظف ثوبا وأحسن صناعة وأقل مساخة فان باطنه ألأم وأقذر

غير أولي الضرر فجعلهم الله من المؤمنين وفضّل عليهم المجاهدين بأعمالهم ورأيت ألا تؤدّى الامانة الى من خالفك والله يأمر أن تؤدّى الامانات الى أهلها فاتّق الله وانظر لنفسك واتق يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيأ فان الله عز ذكره بالمرصاد وحُكمه العدل وقوله الفصل والسلام فكتب اليه نافع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكّرني وتنصح لي وتزجرني وتصف ما كنتُ عليه من الحق وما كنتُ أوثره من الصواب وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلني من الذين يستمعون القولَ فيتبعون أحسنَهُ وعبتَ علي ما دنتُ به من اكفار القَعَد وقتل الاطفال واستحلال الامانة فسأفسر لك لمَ ذلك ان شاء الله أما هؤلاء القعدُ فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون الى الهرب سبيلا ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا وهؤلاء قد فقّهوا في الدين وقرؤا القرآن والطريق لهم نهجٌ واضح وقد عرفتَ ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم اذ قالوا كنا مستضعفين في الأرض فقيل لهم ألم تكنْ أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها وقال فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وقال وجاء المعذّرونَ من الأعراب ليؤذن لهم فخبّر بتعذيرهم وأنهم كذبوا اللهَ ورسولَهُ وقال سيصيب الذين كفروا منهم عذابٌ أليم فانظر الى أسمائهم وسماتهم وأما أمر الاطفال فان نبيّ الله نوحا عليه السلام كان أعلمَ بالله يا نجدة مني ومنك فقال ربِّ لا تذرْ على الأرض من الكافرين ديّارًا انك ان تذرْهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرًا كفّارًا فسماهم بالكفر وهم أطفال وقبل أن يولدوا فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله يقول أكفّارُكُم خيرٌ من أولئكم أم لكم براءةٌ في الزُّبُر وهؤلاء كمشركي العرب لا نقبل منهم جزيةً وليس بيننا وبينهم الا السيفُ أو الاسلامُ وأما استحلال أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحلّ لنا أموالهم كما أحل لنا دماءهم فدماؤهم حلال طلقٌ وأموالهم فيء للمسلمين فاتّقِ الله وراجعْ نفسكْ فانه لا عذر لك الا بالتوبة ولن يسعكْ خذلاننا والقعود عنا وتركُكَ ما نهجناه لك من طريقتنا ومقالتنا والسلام على مَنْ أقرّ بالحق وعمل به وكتب نافع الى عبد الله بن الزبير يدعوه الى أمره أما بعد فاني أُحذّركَ من الله يوم تجدُ كلُّ نفس ما عَمِلَتْ من خير مُحضَرًا وما عملتْ من سوءٍ تَوَدُّ لو أن بينها وبينه أمَدًا بعيدا ويحذركم الله نفسه فاتق الله ربك ولا تتولّ الظالمين فان الله يقول لا يتخذ

وأسمج لانه أقلف ولا يغتسل من الجنابة ويأكل لحم الخنزير وامرأته جنب لا تطهر من الحيض ولا من النفاس ويغشاها في الطمث وهي مع ذلك غير مختونة وهم مع شرار طبائعهم وغلبة شهواتهم ليس في دينهم مزاجر كنار الأبد في الآخرة وكالحدود والقود والقصاص في الدنيا فكيف يجانب ما يفسده ويؤثر ما يصلحه من كانت حاله كذلك وهل يصلح الدنيا من هو كما قلنا وهل يهيج على الفساد الا من وصفنا ولو جهدت بكل جهدك وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم في الالهية وكيف تقدر على ذلك وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولا ثم ان خلوت بأخيه لأمه وأبيه وهو نسطوري مثله فسألته عن قولهم في المسيح

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ وقد حضرت
عثمان يوم قتل فلعمرى لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين
وانهم لمهتدون لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ولقد علمت أن أباك وطلحة وعليا كانوا
أشد الناس عليه وكانوا فى أمره من بين قاتل وخاذل وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان وكيف
ولاية قاتل متعمد ومقتول فى دين واحد ولقد ملك على بعده فنفى الشبهات وأقام الحدود وأجرى
الاحكام مجاريها وأعطى الامور حقائقها فيما عليه وله فبايعه أبوك وطلحة ثم خلعاه ظالمين له
وان القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس ان يكن على فى وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان
مؤمنا أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ولئن كان كافرا كما زعمتم وفى الحكم جائرا لقد
بؤتم بغضب من الله لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدوا ولسيرته عائبا فكيف توليته بعد
موته فاتق الله فانه يقول ومن يتولهم منكم فانه منهم وكتب نافع الى من بالبصرة من المحكمة
بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون والله انكم
لتعلمون أن الشريعة واحدة والدين واحد ففيم المقام بين أظهر الكفار ترون الظلم ليلا ونهارا
وقد ندبكم الله الى الجهاد فقال وقاتلوا المشركين كافة ولم يجعل لكم فى التخلف عذرا فى حال من
الحال فقال انفروا خفافا وثقالا وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لا يجدون ما ينفقون ومن
كانت اقامته لعلة ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير
أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله فلا تغتروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غرارة مكارة لذتها
نافدة ونعمتها بائدة حفت بالشهوات اغترارا وأظهرت حبرة وأضمرت عبرة فليس آكل منها أكلة
تسره ولا شارب شربة تؤنقه الا دنا بها درجة الى أجله وتباعد بها مسافة من أمله وانما جعلها الله
دارا لمن تزود منها الى النعيم المقيم والعيش السليم فلن يرضى بها حازم دارا ولا حليم بها قرارا فاتقوا
الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى فورد كتابه عليهم وفى القوم
يومئذ أبو بيهس هيصم بن جابر الضبعى وعبد الله بن اباض المرى من بنى مرة بن عبيد فأقبل
أبو بيهس على ابن اباض فقال ان نافعا غلا فكفر وانك قصرت فكفرت تزعم ان من خالفنا
ليس بمشرك وانما هم كفار النعم لتمسكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول وتزعم أن مناكحهم

لأباك بخلاف قول أخيه وضده وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان على انهم يزعمون أن الدين لا يخرج فى القياس ولا يقوم على السائل ولا يثبت فى الامتحان وانما هو بالتسليم لما فى الكتب والتقليد للاسلاف ولعمرى من كان دينه دينهم لجب عليه أن يعتذر بمثل عذرهم وزعموا أن كل من اعتقد خلاف النصرانية من المجوس والصابئين والزنادقة فهو معذور مالم يتعمد الباطل ويعاند الحق فاذا صاروا الى اليهود قضوا عليهم بالمعاندة وأخرجوهم من طريق الغلط والشبهة

(فصل منه) فأما مسألتهم فى كلام عيسى فى المهد فهى أن النصارى مع حبهم لتقوية أمره لا يثبتونه وقولهم انا

ومَوارِيثهم والاقامةَ فيهم حلٌّ طلقٌ وأنا أقول ان أعداءنا كأعداء رسول الله صلى الله عليه وسلم تحل لنا الاقامةُ فيهم كما فعل المسلمون فى اقامتهم بمكة وأحكامُ المشركين تجرى فيها وأزعم أن مَناكحهم ومواريثهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وان حكمهم عند الله حكمُ المشركين فصاروا فى هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع فى البراءة والاستعراض واستحلال الامانة وقتل الاطفال وقول أبى بيهس الذى ذكرناه وقول عبد الله بن اباض وهو أقرب الاقاويل الى السُّنَّة من أقاويل الضُّلَّال والصُّفرِيَّةُ والنَّجْدِيَّةُ فى ذلك الوقت يقولون بقول ابن اباض وقد قال ابن اباض ما ذكرنا من مقالته وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى لا أُحرِّمُ مناكحتهم ومَواريثهم لان معهم التوحيدَ والاقرارَ بالكتاب والرسول عليه السلام فأرى معهم دَعْوَةَ المسلمين تجمعهم وأراهم كُفَّارَ النِّعَمِ وقالت الصفرية ألْيَنَ من هذا القول فى أمر القَعَدِ حتى صار عامتهم قَعَدًا واختلفوا فيهم وقد ذكرنا ذلك فقال قوم سُمُّوا صُفْرِيَّةً لانهم أصحابُ ابن صَفَّارٍ وقال قوم انما سُمُّوا بصُفْرةِ عَلَتْهُمْ وتصديقُ ذلك قولُ ابن عاصمٍ الليثىِّ وكان يَرَى رأى الخوارجِ فتركه وصار مُرْجِئًا

فارقتُ نجدةَ والذين تَزَرَّقوا * وابنَ الزبير وشيعةَ الكذّاب
والصُّفْرَ الاذانَ الذين تخيَّروا * دينا بلا ثقةٍ ولا بكتاب

خَفَّفَ الهمزة من الآذان ولولا ذلك لانكسر الشِّعْرُ وقال أبو بيهس الدارُ دارُ كفرٍ والاستعراضُ فيها جائز وان أُصيبَ من الاطفال فلا حَرَجَ الى ههنا انتهت المقالة ۞ وتفرقت الخوارج على الأضرب الأربعة التى ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يعترض الناس ويقتل الاطفال فاذا أُجيبَ الى المقالة جَبَا الخراجَ وفَشَا عُمَّالُهُ فى السواد فارتاع لذلك أهلُ البصرة فاجتمعوا الى الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا ليس بيننا وبين العدو الا ليلتان وسيرتهم ما ترى فقال الاحنفُ ان فعلهم فى مصركم ان ظفروا به كفعلهم فى سوادكم فجِدُّوا فى جهاد عدوكم فاجتمع اليه عشرةُ آلاف فأتى عبدَ الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المُطَّلِبِ وهو بَبَّةُ فسأله أن يُؤَمِّرَ عليهم فاختار لهم ابن عُبَيْسِ بن كُرَيْزٍ وكان دَيِّنًا شجاعا فأمَّره عليهم وشَيَّعَهُ فلما نفذ من جسر البصرة أقبل على الناس فقال انى ما خرجت لامتياز ذهب ولا فضة وانى لاحارب قوما ان ظفرتُ بهم فما وراءهم الا

سيوفهم

تقولناه ورويناه عن غير الثقاة وان الدليل على أن عيسى لم يتكلم فى المهد أن اليهود لا يعرفونه وكذلك المجوس وكذلك الهند والخزر والديلم فنقول فى جواب مسألتهم عند انكارهم كلام المسيح فى المهد مولودا يقال لهم انكم حين سويتم المسألة وموهتموها ونظمتم ألفاظها ظننتم انكم قد نجحتم وبلغتم غايتكم ولعمرى ائن حسن ظاهرها وراع الاسماع مخرجها انها لقبيحة المفتش سيئة المغزى ولعمرى لو كانت اليهود تقر لكم باحياء الأربعة الذين تزعمون واقامة المقعد الذى تدعون واطعام الجمع الكثير من الارغفة اليسيرة وتصيير الماء جدا والمشى على الماء أنكرت الكلام فى المهد من بين جميع آياته وبراهينه لكان لكم فى ذلك مقال والى الطعن سبيل فأما وهم يجحدون ذلك أجمع

سيوفهم ورماحهم فمن كان شأنه الجهاد فلينهض ومن أحب الحياة فليرجع فرجع نفر يسير ومضى الباقون معه فلما صاروا بدولاب خرج اليهم نافع فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وكثرت الجراح والقتل وتضاربوا بالسيوف والعمد فقتل فى المعركة ابن عبيس ونافع بن الازرق وكان ابن عبيس تقدم الى أصحابه فقال ان أصبت فأميركم الربيع بن عمرو الاجذم الغدانى فلما أصيب ابن عبيس أخذ الربيع الراية وكان نافع قد استخلف عبيد الله بن بشير بن الماحوز السليطى فكان الرئيسان من بنى يربوع رئيس المسلمين من بنى غدانة بن يربوع ورئيس الخوارج من بنى سليط بن يربوع فاقتتلوا قتالا شديدا وادعى قتل نافع سلامة الباهلى وقال لما قتلته وكنت على برذون ورد اذا برجل على فرس وأنا واقف فى خمس قيس ينادى يا صاحب الورد هلم الى المبارزة فوقفت فى خمس بنى تميم فاذا به يعرضها على وجعلت أتنقل من خمس الى خمس وليس يزايلنى فصرت الى رحلى ثم رجعت فرآنى فدعانى الى المبارزة فلما أكثر خرجت اليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته فنزلت لسلبه وأخذ رأسه فاذا امرأة قد رأتنى حين قتلت نافعا فخرجت لتثأر به فلم يزل الربيع الاجذم يقاتلهم نيفا وعشرين يوما حتى قال يوما أنا مقتول لامحالة قالوا وكيف قال لانى رأيت البارحة كأن يدى التى أصيبت بكابل انحطت من السماء فاستشلتنى فلما كان الغد قاتل الى الليل ثم غاداهم فقتل فتدافع أهل البصرة الراية حتى خافوا العطب اذ لم يكن لهم رئيس ثم أجمعوا على الحجاج بن باب الحميرى فأباها فقيل له ألا ترى أن رؤساء العرب بالحضرة وقد اختاروك من بينهم فقال مشؤومة ما يأخذها أحد الا قتل ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارج بدولاب والخوارج أعد بالآلات والدروع والجواشن فالتقى الحجاج بن باب وعمران بن الحرث الراسبى وذلك بعد ان اقتتلوا زهاء شهر فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه

الله أيد عمرانا وطهره * وكان عمران يدعو الله فى السحر

يدعوه سرا واعلانا ليرزقه * شهادة بيدى ملحادة غدر

ولى صحابته عن حر ملحمة * وشد عمران كالضرغامة الهصر

قول الربيع استشلتنى أى أخذتنى اليها واستنقذتنى يقال استشلاه واشتلاه وفى الحديث ان السارق اذا قطع سبقته يده الى النار فان تاب استشلاها قال رؤبة * ان سليمان اشتلانا ابن على *

فمرة يضحكون ومرة يغتاظون ويقولون انه صاحب رقى ونيرنجات ومداوى مجانين ومتطبب وصاحب حيل وصاحب خدع وقراءة كتب وكان اسنامسكينا ومقبولا مرحوما ولقد كان قبل ذلك صياد سمك وصاحب شبث وكذلك أصحابه وأنه خرج على مواطأة منهم له وأنه لم يكن له شدة وأخسهم قولا وألأمهم مذهبا من زعم أنه ابن يوسف النجار وأنه قد كان واطأ ذلك المقعد قبل اقامته بسنين حتى اذا شهره بالقعدة وعرف موضعه فى الزمنى مر به فى جمع من الناس كأنه يريده فشكا اليه الزمانة وقلة الحيلة وشدة الحاجة فقال ناولنى يدك فناوله يده فاجتذبه فأقامه فكان تحمد الطول القعود حتى استمر بعد ذلك وأنه لم يحى ميتا قط وانما كان داوى رجلا يقال له لاعار اذ اغمى عليه يوما وليلة وكانت أمه ضعيفة العقل

وقول الناس أشليت كلبى أى أغريته بالصيد خطأ انما يقال آسدته وأشليته دعوته وقولها

يبدى ملحادة مفعال من الالحاد كما تقول رجل معطاء يا فتى ومحسان ومكرام وأدخلت الهاء

للمبالغة كما تدخل فى راوية وعلامة ونسابة وغدر فعل من الغدر ولفعل باب تذكره فى عقب هذه

القصة اذا فرغنا من خبر هذه الوقعة والضرغامة من أسماء الاسد والهصر الذى يهصر كل شئ

أى يثنيه قال امرؤ القيس

فلما تنازعنا الحديث وأسمحت * هصرت بغصن ذى شماريخ ميال

ولذكرنا الصفرية والازارقة والبيهسية والاباضية تفسير لم نسب الى ابن الازرق بالازارقة والى

أبى بيهس بالكنية المضاف اليها ونسب الى صفر ولم ينسب الى واحدهم ونسب الى ابن اباض فجعل

النسب الى أبيه وهذا نذكره بعد باب فعل ۞ ومما قيل من الشعر فى يوم دولاب قول قطرى

لعمرك انى فى الحياة لزاهد * وفى العيش مالم ألق أم حكيم

من الخفرات البيض لم ير مثلها * شفاء لذى بث ولا لسقيم

لعمرك انى يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم

ولو شهدتنى يوم دولاب أبصرت * طعان فتى فى الحرب غير ذميم

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

وكان لعبد القيس أول جدها * وأحلافها من يحصب وسليم

وظلت شيوخ الازد فى حومة الوغى * تعوم وظلنا فى الجلاد نعوم

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا * يمج دما من فائظ وكليم

وضاربة خدا كريما على فتى * أغر نجيب الامهات كريم

أصيب بدولاب ولم تك موطنا * له أرض دولاب ودير حميم

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا * تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم * بجنات عدن عنده ونعيم

قوله ولو شهدتنى يوم دولاب فلم يصرف دولاب فانما ذاك لانه أراد البلدة ودولاب أعجمى معرب

وكل ما كان من أسماء الاعجمية نكرة بغير الالف واللام فاذا دخلته الالف واللام فقد صار

قليلة المعرفة فرجع فاذا هى تصرخ وتبكى فدخل اليها ليسكتها ويعزيها وجس عرقه فرأى فيه علامة الحياة فداواه حتى أقامه فكانت اقلة معرفتها الا تشك أنه قد مات ولفرحها بحياته تثنى عليه بذلك وتحدث به فكيف تستشهدون قوما هذا قولهم فى صاحبكم حين قالوا كيف يجوز أن يتكلم صبى فى المهد مولودا فيجهله الأولياء والأعداء ولو كانت المجوس تقر لعيسى بعلامة واحدة وبأدنى أعجوبة لكان لكم أن تنكروا علينا بهم وتستعينوا بانكارهم فأما وحال عيسى فى جميع أمره عند المجوس كحال زرادشت فى جميع أمره عند النصارى فما اعتلالهم بهم وتعلقهم فى انكارهم وأما قولكم فكيف لم يعرف الهند والخزر والترك ذلك فمتى أقرت الهند لموسى بأعجوبة واحدة فضلا عن عيسى ومتى أقرت لنبى بآية أو روت له سيرة حتى

مُعَرَّبًا وصار على قياس الاسماء العربية لا يمنعه من الصرف الا ما يمنع العربيَّ فدولاب فُوعالٌ مثل طُومار وسُولاف وكلُّ شيء لا يختصُّ واحدًا من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجل لان هذا الاسم يلحق كلَّ ما كان على بنيته وكذلك جَمَلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك فان وقع الاسمُ في كلام العجم معرفةً فلا سبيل الى ادخال الالف واللام عليه لانه معرفة فلا معنى لتعريف آخر فيه فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب وقوله غداة طفت علماءِ بكر بن وائل وهو يريد على الماء فان العرب اذا التقت في مثل هذا الموضع لامان استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف لان ما بقي دليلٌ على ما حذف يقولون علماء بنو فلان كما قال الفرزدق

وما سُبِقَ القيسيُّ من ضَعفِ حيلةٍ * ولكن طَفَتْ عَلْماءِ قُلْفَةُ خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك بنو لقرب مخرج النون من اللام وذلك قولك فلان من بَلْحرث وبَلْعَنبر وبَلْهُجيم وقال آخر من الخوارج

يرى مَن جاء ينظر من دُجَيْلٍ * شيوخَ الأزد طافيةً لحاها

وقال رجل منهم

شمتَ ابنُ بدرٍ والحوادثُ جمَّةٌ * والجائرونَ بنافعِ بنِ الأزرقِ
والموتُ حتمٌ لا محالةَ واقعٌ * مَنْ لا يُصبِّحْهُ نهارًا يَطرُقِ
فلئنْ أميرُ المؤمنين أصابه * ريبُ المنونِ فمَن يصبه يَغلَقِ

نصب بعدانْ لان حرف الجزاء للفعل فانما أراد فلئن أصاب أميرَ المؤمنين فلما حذف هذا الفعل وأضمر ذكر أصابه ليدل عليه ومثله قول النمر بن تولب

لا تجزعي ان مُنفسًا أهلكتُه * واذا هلكتُ فعند ذلك فاجزعي

وقال ذو الرُّمَّة

اذا ابنَ أبي موسى بلالًا بلغتِه * فقام بفأسٍ بين وِصْلَيْكِ جازرُ

لان اذا لا يليها الا الفعل وهي به أولى

(هذا باب فُعَل)

اعلم ان كل اسم على مثال فُعَل فهو مصروف في المعرفة والنكرة اذا كان اسمًا أصليًا أو نعتًا فالاسماء نحو صُرَد ونُغَر وجُعَل وكذلك ان كان جمعًا نحو ظُلَم وغُرَف وان سميت بشيء من هذا رجلا انصرف في المعرفة والنكرة وأما النعت فنحو رجل حُطَم كما قال * قد لفَّها الليلُ بسوَّاقٍ حُطَمْ *

تستشهدوا الهند على كلام عيسى في المهد ومتى كانت الترك والديلم والخزر والتتر والطيلسان مذكورة في شيء من هذا الجنس محتجا بها على هذا الضرب فان سألونا عن أنفسهم فقالوا ما لنا لا نعرف ذلك ولم يبلغنا عن أحد بتة اجتنابهم بعد اسقاط تكثيرهم وتشنيعهم وتزوير شهودهم فجوابنا انهم انما قبلوا دينهم عن أربعة أنفس اثنان منهم من الحواريين بزعمهم يوحنا ومتى واثنان من المستجيبة وهما مارقس ولوقش وهؤلاء الأربعة لا يؤمن عليهم الغلط ولا النسيان ولا تعمد الكذب ولا التواطؤ على الأمور والاصطلاح على اقتسام الرياسة وتسليم كل واحد منهم لصاحبه حصته التي شرطها له فان قالوا انهم كانوا أفضل من أن يتعمدوا كذبا وأحفظ من أن ينسوا شيئا وأعلى من أن يغلطوا في دين الله

وكذلك مال لُبَدٌ وهو الكثير من قوله جل جلاله أهلكتُ مالاً لُبَداً فان كان الاسم على فُعَلَ معدولا عن فاعل لم ينصرف اذا كان اسم رجل في المعرفة وينصرف في النكرة وذلك نحو عُمَر وقُثَم لانه معدول عن عامر وهو الاسم الجاري على الفعل فهذا انما معرفته قبل نكرته فاذا أردت به مذهب المعرفة جاز أن تبنيه في النداء من كل فعل لان المنادى مشارا اليه وذلك قولك يا فُسَقُ ويا خُبَثُ تريد يا فاسق ويا خبيث وانما قالت بيدى ملحادة غُدَرِ في غير النداء للضرورة فنقلته معرفة من النداء ثم جعلته نكرة لخروجه عن الاشارة فنعتّ به ملحادة كما قال الحُطَيْئة

أُجَوِّلُ ما أُجَوِّلُ ثم آوى * الى بيتٍ قَعيدتُهُ لَكاعِ

وهذا لا يقع الا في النداء ولكن الشاعر نقله نكرة ونقله معرفة على حدّ ما كان له في النداء فيُلْحَق قولها غُدَرُ بقوله رجل حُطَم ومال لُبَد وما أشبهه وفَعالِ في المؤنث بمنزلة فُعَلَ في المذكر ولو سميت رجلا حُطَمًا لصرفته من قولك هذا سائق حُطَمٌ لانه قد وقع نكرة غير معدول فهو في النعوت بمنزلة صُرَدٍ في الاسماء

(هذا باب النَسَب الى المضاف)

اعلم انك اذا نسبتَ الى عَلَمٍ مضاف فالوجه أن تنسب الى الاسم الاول وذلك قولك في عبد القَيْس عَبْدِيٌّ وكذلك في عبد الله بن دارم فان كان الاسم الثانى أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع في النسب التباسُ من اسم باسم وذلك قولك في النسب الى عَبْدِ مَنافٍ مَنافِيٌّ والى أبى بَكْرِ بن كلاب بَكْرِيٌّ وقد يجوز وهو قليل أن تبنى له من الاسمين اسما على مثال الاربعة لينتظم النسبُ وذلك قولك في النسب الى عبد الدار بن قُصَيٍّ عَبْدَرِيٌّ وفي النسب الى عبد القيس عَبْقَسِيٌّ فان كان المضاف غير عَلَمٍ فالنسب الى الثانى على كل حال وذلك قولك في النسب الى ابن الزبير زُبَيْرِيٌّ لان ابن الزبير انما صار معرفة بالزبير وكذلك النسب الى ابن رَأْلانَ رَأْلانِيٌّ فلذلك قالوا في النسب الى ابن الأَزْرَقِ أَزْرَقِيٌّ والى أبى بَيْهَسٍ بَيْهَسِيٌّ فأما قولهم صُفْرِيٌّ فانما أرادوا الصُفْرَ الالوان فنسبوا الى الجماعة وحَقُّ الجماعة اذا نُسِبَ اليها أن يقع النسب الى واحدها كقولك مُهَلَّبِيٌّ ومِسْمَعِيٌّ ولكن جعلوا صُفْرًا اسما للجماعة ثم نسبوا اليه ولم يقولوا أَصْفَرِيٌّ فينسب الى واحدها وانما كان ذلك لانهم جعلوا الصُفْرَ اسما للجماعة كما تسمى القبيلةُ بالاسم الواحد ألا ترى أن النسب الى الأَنْصارِ

تعالى أو يضيعوا عهدا قلنا ان اختلاف رواياتهم في الانجيل وتضادها في كتبهم واختلافهم في نفس المسيح مع اختلاف شرائعهم دليل على صحة قولنا فيهم بالكبر لتعديه طوره وجهله لقدره وانتحاله ما لا يجوز الا لربه وقال النبي صلى الله عليه وسلم العظمة رداء الله فمن نازعه رداءه قصمه

(فصل منه) والنبيل لا يتنبل كما ان الفصيح لا يتفصح لان النبيل يكفيه نبله عن التنبل والفصيح تغنيه فصاحته عن التفصح ولم يتزيد أحد قط الا لنقص يجده في نفسه ولا تطاول متطاول الا لوهن قد أحس به قوته والكبر من جميع الناس قبيح مسخوط الا انه عند الناس من عظماء الاعراب وأشباه الاعراب أجود وهو لهم أسرع لجفائهم وبعدهم من الجماعة ولقلة مخالطتهم لأهل الفقه والدعة والأدب والصنعة

أنصاريٌّ لانه كان علما للقبيلة وكذلك مدائنيٌّ وتقول في النسب الى الأبناء من بني سعد أبناويٌّ لانه اسم للجماعة وأما قولهم الأزارقة فهذا باب من النسب آخر وهو أن يسمّى كلُّ واحد منهم باسم الاب اذا كانوا اليه ينسبون ونظيره المهالبة والمسامعة والمناذرة ويقولون جاء في النُّمَيرون والأشعرون جَعَلَ كل واحد منهم نُمَيرا وأشعر فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرت لك وقد تُنسب الجماعةُ الى الواحد على رأي أو دين فيكون له مثل نسب الولادة كما قالوا أزرقيٌّ لمن كان على رأي ابن الازرق كما تقول تميميٌّ وقيسيٌّ لمن ولده تميم وقيس ومن قرأ سلام على الياسين فانما يريد الياس عليه السلام ومن كان على دينه كما قال * قدني من نصر الخُبَيبين قدى * يريد أبا خُبَيب ومن معه وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية اذا كان مجازُهما واحدا في أكثر الامر على لفظ أحدهما فمن ذلك قولهم العُمَران لابي بكر وعُمَر رضي الله عنهما ومن ذلك قولهم الخُبَيبان لعبد الله ومُصعَب وقد مضى تفسيره

عاد القول في الخوارج

قال والازارقة لا تُكفِّر أحدا من أهل مقالتها في دار الهجرة الا القاتل رجلا مسلما فانهم يقولون المسلمُ حجة الله والقاتلُ قصد لقطع الحجة ويروى أن نافعا مرَّ بمالك بن مِسمَع في الحرب التي كانت بين الأزد وربيعة وبني تميم ونافعٌ متقلدٌ سيفا فقام اليه مالك فضرب بيده الى حمالة سيفه وقال ألا تنصرُنا في حربنا هذه فقال لا يحلُّ لي قال فما بالُ مؤمني بني تميم ينصرون كفارهم في هذه الحرب فأمسك عنه وخرج بعد ذلك بأيام الى الأهواز فلما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ممن بحاز من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بقيَّةُ القتالَ وأقام حارثةُ بن بدر الغُداني بازاء الخوارج يناوشهم على غير ولاية وكان يقول ما عُذرُنا عند اخواننا من أهل البصرة ان وصل اليهم الخوارجُ ونحن دونهم فكتب أهل البصرة الى ابن الزبير يخبرونه بقعوديَّة ويسألونه أن يُوَلّي واليا فكتب الى أنس بن مالك أن يصلي بالناس فصلى بهم أربعين يوما وكتب الى عمر بن عُبَيد الله بن مَعمَر فولاه البصرة فلقيه الكتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق فرجع فأقام بالبصرة وولّى أخاه عثمانَ محاربةَ الأزارقة فخرج اليهم في اثني عشر ألفا ولقيه حارثةُ فيمن كان معه وعبيدُ الله بن الماحوز في الخوارج بسوق الأهواز فلما عبَروا اليهم دُجَيلا نهض اليهم الخوارجُ وذلك قُبَيلَ الظهر فقال عثمانُ بن عبيد الله لحارثةَ بن بدر أما الخوارج الا ما أرى فقال له حارثةُ حسبُك بهم ولا . فقال لا جرم والله لا أتغدى حتى أناجزَهم فقال له حارثةُ ان

(فصل منه) ولم نر الكبر يسوغ عندهم ويستحسن الا في ثلاثة مواضع من ذلك أن يكون المتكبر صعبا بدويا وذا غطرسة وحشيا ولا يكون حضريا ولا مدريا فيحمل ذلك منه على جهة الصعوبة ومذهب الجاهلية وعلى الهمجية والاعرابية أو يكون ذلك على جهة الانتقام والمعارضة والمكافأة والمقابلة أو على ان لا يكون تكبره الا على الملوك والجبابرة والفراعنة وأشباه الفراعنة وصاحب هذا خارج من هذه الخصال مجانب لهذه الخلال ان أصاب صديقا تعظم عليه وان أتاه ضعيف تغافل عنه وان أتاه ضعيف من عليه وان صادف حلما اعتل به وينبغي أن يكون خضوعه لمن فوقه على حسب تكبره على من دونه ومن صفة اللئيم أن يظلم الضعيف ويظلم

هؤلاء لا يقاتلون بالتعسف فابق على نفسك وجندك فقال أبيتم أهل العراق الا جبنا وأنت يا حارثة ما علمك بالحرب أنت والله بغير هذا أعلم يعرض له بالشراب فغضب حارثة فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى ان غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا وانهزم الناس وأخذ حارثة الراية وصاح بالناس أنا حارثة بن بدر فثاب اليه قومه فعبر بهم دجيلا وبلغ قتل عثمان البصرة وخاف الناس الخوارج خوفا شديدا وعزل ابن الزبير عمر بن عبيد الله وولى الحرث بن عبد الله بن أبى ربيعة المعروف بالقباع أحد بنى مخزوم وهو أخو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى الشاعر فقدم البصرة فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الولاية والمدد فأراد أن يوليه فقال له رجل من بكر بن وائل ان حارثة ليس بذلك انما هو صاحب شراب وفيه يقول رجل من قومه

ألم تر أن حارثة بن بدر * يصلى وهو أكفر من حمار

ألم تر أن للفتيان حظا * وحظك فى البغايا والقمار

فكتب اليه القباع تكفى حربهم ان شاء الله فاقام حارثة يدافعهم فقال شاعر من بنى تميم يذكر عثمان بن عبيد الله بن معمر ومسلم بن عبيس وحارثة بن بدر

مضى ابن عبيس صابرا غير عاجز * وأعقبنا هذا الحجازى عثمان

فأرعد من قبل اللقاء ابن معمر * وأبرق والبرق اليمانى خوان

فضحت قريشا غثها وسمينها * وقيل بنو تيم بن مرة عزلان

فلولا ابن بدر للعراقين لم يقم * بما قام فيه للعراقين انسان

اذا قيل من حامى الحقيقة أومأت * اليه معد بالأنوف وقحطان

قوله فأرعد زعم الأصمعى أنه خطأ وأن الكميت أخطأ فى قوله

أرعد وأبرق يا يزيد * فما وعيدك لى بضائر

وزعم أن هذا البيت الذى يروى لمهلهل مصنوع محدث وهو قوله

أنبضوا معجس القسى وأبرقنا * كما توعد الفحول الفحولا

وانه لا يقال الا رعد وبرق اذا أوعد وتهدد وهو يرعد ويبرق وكذا يقال رعدت السماء وبرقت وأرعدنا نحن وأبرقنا اذا دخلنا فى الرعد والبرق قال الشاعر * فقل لأبى قابوس ما شئت فارعد *

نفسه للقوى ويقتل الصريع ويجهز على الجريح ويطلب الهارب ويهرب من الطالب ولا يطلب من الطوائل الا ما لا خطر فيه ولا يتكبر الا حيث لا يرجع معرته عليه ولا يقفو التقية ولا المروءة ولا يعمل على حقيقة ومن أراد أن يسمع قوله ساء خلقه اذ كان لا يحفل ببغض الناس له ووحشة قلوبهم منه واحتيالهم فى مباعدته وقلة مساعدته وليس يأمن اللئيم على اتيان جميع ما اشتمل عليه اسم اللؤم الا حاسدا فاذا رأيته يعق أباه ويحسد أخاه ويظلم الضعيف ويستخف بالأديب فلا تبعده من الخيانة اذ كانت الخيانة لؤما ولا من الكذب اذ كان الكذب لؤما ولا من النميمة اذ كانت النميمة لؤما ولا تأمنه على الكفر فانه ألأم اللؤم وأقبح الغدر ومن رأيته منصرفا عن بعض

وروى غيرُ الأصمعي أرْعَدَ وأبرَقَ على ضَعْف وقوله والبرق اليماني خوّان يريد والبرقُ اليماني يَخونُ وأجود النسب الى اليمن يَمَنِيٌّ ويجوز يَمانٍ بتخفيف الياء وهو حسن وهو في أكثر الكلام تكون الالف عوضا من احدى اليائين ويجوز يمانيٌّ فاعلم تكونُ الالف زائدةً وتُشَدَّدُ الياء قال العباس بن عبد المُطَّلب

ضربناهُمُ ضَرْبَ الاحامسِ غُدْوةً * بكل يمانيّ اذا هُزَّ صَمَّما

ثم ان حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهر تيرى فعبرت اليه الخوارج فهرب وأصحابه يركُضُ حتى أتى دجيلا فجلس في سفينة واتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه والخوارجُ وراءه وقد توسَّطَ حارثةُ فصاح به يا حارثَ ليس مثلي ضُيِّعَ فقال للملاح قرِّب فَقَرَّبَ الى جُرُفٍ ولا فُرْضةَ هناك فطفر بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم جميعا وأقام ابن الماحوز يجبي كُوَرَ الاهواز ثلاثة أشهر ثم وَجَّهَ الزبيرَ بن عليّ نحو البصرة فضجّ الناسُ الى الأحنف فأتى القُباعَ فقال أصلح اللهُ الامير ان هذا العدوّ قد غلبنا على سوادنا وفَيْئنا فلم يبق الا ان يَحْصُرَنا في بلدنا حتى نموت هزلًا قال فسمّوا رجلا فقال الاحنف الرأيُ لا يُخْيِلُ ما أرى لها الا المُهلَّبَ بن أبي صُفرةَ فقال أوَهذا رأيُ جميعِ أهل البصرة اجتمعوا الى في غدٍ وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ وعَقَدَ الجِسْرَ لِيَعْبُرَ الى ناحية البصرة فخرج أكثر أهلِ البصرة اليه وقد اجتمع للخوارج أهلُ الاهواز وكُوَرِها رغبةً ورهبةً فأتاه البصريون في السُّفُنِ وعلى الدواب ورَجّالةً فاسْوَدَّتْ بهم الارضُ فقال الزبير لما رآهم أبى قومُنا الا كفرا فقطعوا الجسر وأقام الخوارج بالفرات بإزائهم واجتمع الناس عند القُباع وخافوا الخوارجَ خوفا شديدا وكانوا ثلاثَ فِرَقٍ فَسَمَّى قومٌ المهلبَ وسَمَّى قومٌ مالكَ بن مِسْمَعٍ وسمى قوم زيادَ بن عمرو بن الاشرف العَتَكيَّ فصرفهم ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذاك وعاد اليه مَنْ أشار بهما وقالوا قد رجعنا عن رأينا ما نَرَى لها الا المهلبَ فَوَجَّهَ الحرثُ اليه فأتاه فقال له يا أبا سعيد قد ترى ما رَهِقَنا من هذا العدوِّ وقد اجتمع أهلُ مِصْرِكَ عليك وقال الاحنف يا أبا سعيد انا والله ما آثرناك بها ولكنا لم نَرَ مَنْ يقوم مقامك فقال له الحرث وأومأ الى الاحنف ان هذا الشيخ لم يُسَمِّكَ الا ايثارا للدين وكل من في مصرك مادٌّ عينَه اليك راجٍ أن يكشف الله عز وجل هذه الغُمَّةَ بك فقال المهلب لا حول ولا قوة

اللؤم تاركا لبعض القبيح فإياك أن توجه ذلك منه على التجنب له والرغبة عنه والايثار لخلافه ولكن على أنه لا يشتهيه أو لا يقدر عليه أو يخاف من مرارة العاقبة أمرا يعفي على حلاوة العاجل لان اللؤم كله أصل واحد وان تفرقت فروعه وجنس واحد وان اختلفت صوره والفعل محمول على غلبته تابع لسمته والشكل ذاهب على شكله منقطع الى أصله صائر اليه وان أبطأ عنه ونازع اليه وان حيل دونه وكذلك تناسب الكرم وحنين بعضه الى بعض ولم تر العيون ولا سمعت الآذان ولا توهمت العقول عملا اجتباه ذو عقل أو اختاره ذو علم بأوبأ ولا أفسد لعرض ولا أوجب لسخط الله ولا أدعى الى مقت الناس ولا أبعد من الفلاح ولا أظهر نفورا عن التوبة ولا أقل دركا عند الحقيقة ولا أنقص

الا بالله انى عند نفسى لدون ما وصفتم ولست آبى ما دعوتم اليه على شروط أشترطها قال الاحنف قل قال على أن أنتخب من أحببت قال ذلك لك قال ولى امرة كل بلد أغلب عليه قال وذلك لك قال ولى فى كل بلد أظفر به قال الاحنف ليس ذلك لك ولا لنا انما هو فى المسلمين فان سلبتهم اياه كنت عليهم كعدوهم ولكن لك ان تعطى أصحابك من فى كل بلد تغلب عليه ما شئت وتنفق على محاربة عدوك فما فضل عنكم كان للمسلمين فقال المهلب فمن لى بذلك قال الاحنف نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك قال فقد قبلت فكتبوا بذلك كتابا ووضع على يدى الصلت بن حريث بن جابر الحنفى وانتخب المهلب من جميع الاخماس فبلغت نخبته اثنى عشر ألفا ونظروا ما فى بيت المال فلم يكن الا مائتى ألف درهم فعجزت فبعث المهلب الى التجار ان تجارتكم مذ حول قد كسدت عليكم بانقطاع مواد الاهواز وفارس عنكم فهلم فبايعونى واخرجوا معى أوفكم ان شاء الله حقوقكم فتابعوه فأخذ من المال ما يصلح به عسكره واتخذ لاصحابه الخفاتين والرانات المحشوة بالصوف ثم نهض وأكثر أصحابه رجالة حتى اذا صار بحذاء القوم أمر بسفن فأحضرت وأصلحت فما ارتفع النهار حتى فرغ منها ثم أمر الناس بالعبور الى الفرات وأمر عليهم ابنه المغيرة فخرج الناس فلما قاربوا الشاطئ خاضت اليهم الخوارج فحاربهم المغيرة ونضحهم بالسهام حتى تنحوا فصار هو وأصحابه على الشاطئ فحاربوهم فكشفوهم وشغلوهم حتى عقد المهلب الجسر وعبر والخوارج منهزمون فنهى الناس عن اتباعهم ففى ذلك يقول شاعر من الأزد

ان العراق وأهله لم يخبروا * مثل المهلب فى الحروب فسلموا

أمضى وأيمن فى اللقاء نقيبة * وأقل تهليلا اذا ما أحجموا

التهليل التكذيب والانهزام وأبلى مع المغيرة يومئذ عطية بن عمرو العنبرى وكان من فرسان بنى تميم وشجعانهم فقال عطية

يدعى رجال للعطاء وانما * يدعى عطية للطعان الأجرد

وقال الشاعر

وما فارس الا عطية فوقه * اذا الحرب أبدت عن نواجذها الفما

بهم هزم الله الأزارق بعدما * أباحوا من المصرين حلا ومحرما

فأقام المهلب أربعين يوما يجبى الخراج بكورة دجلة والخوارج بنهر تيرى والزبير بن على منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز فقضى المهلب التجار وأعطى أصحابه فأسرع اليه الناس

الطبيعة ولا أمنع من العلم ولا أشد خلافا على الحلم من التكبر فى غير موضعه والتنبل فى غير كنهه وما ظنك بشئ العجب شقيقه والبذخ صديقه والنفج أليفه والصلف عقيده والبذاخ متزيد والنفاج كذاب والمتكبر ظالم والمعجب صغير النفس واذا اجتمعت هذه الخلال وانتظمت هذه الخصال فى قلب طال خرابه واستغلق بابه وشر العيوب ما كان مضمنا بعيوب وشر الذنوب ما كان علة الذنوب والكبر أول ذنب كان فى السموات والأرض وأعظم جرم كان من الجن والانس وأشهر تعصب كان فى الثقلين وعنه لج ابليس فى الطغيان وعتا على رب العالمين وخطأ ربه فى التدبير وتلقى قوله بالرد ومن أجله استوجب السخطة وأخرج من الجنة وقيل له ما يكون لك أن تتكبر فيها ولا فراطه فى التعظيم خرج الى غاية

رغبة في مجاهدة الخوارج ولما في الغنائم والتجارات فكان فيمن أتاه محمد بن واسع الازدي
وعبد الله بن رياح ومعاوية بن قرة المزني وكان يقول يعني معاوية لو جاء الديلم من ههنا
والحرورية من ههنا لحاربت الحرورية وأبو عمران الجوني وكان يقول كان كعب يقول قتيل
الحرورية يفضل قتيل غيرهم بعشرة أنوار ثم نهض المهلب اليهم الى نهر تيري فتنحوا عنه الى
الاهواز وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج
فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فاذا حشوة ما بين قصار وصباغ وداعر وحداد فخطب المهلب
الناس فذكر من هناك وقال للناس أمثل هؤلاء يغلبونكم على فيئكم فلم يزل مقيما حتى فهمهم
وأحكم أمره وقوى أصحابه وكثرت الفرسان في عسكره وتتام اليه زهاء عشرين ألفا ثم مضى يؤم
سوق الاهواز فاستخلف أخاه المعارك بن أبي صفرة على نهر تيرى وفي مقدمته المغيرة بن المهلب حتى
قاربهم المغيرة فناوشوه فانكشف عنه بعض أصحابه وثبت المغيرة بقية يومه وليلته يوقد النيران
ثم غاداهم القتال فاذا القوم قد أوقدوا النيران في ثقلة متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز فدخلها
المغيرة وقد جاءت أوائل خيل المهلب فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحرث بن عبد الله بن
أبي ربيعة كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فانا منذ خرجنا نؤم هذا العدو في نعم من
الله متصلة علينا ونقمة من الله متتابعة عليهم نقدم ويحجمون ونحل ويرتحلون الى ان حللنا
سوق الاهواز والحمد لله رب العالمين الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم فكتب اليه
الحرث هنيئا لك أخا الازد الشرف في الدنيا والذخر في الآخرة ان شاء الله فقال المهلب لاصحابه
ما أجفى أهل الحجاز أما ترونه يعرف اسمي واسم أبي وكنيتي وكان المهلب يبث الاحراس في الامن
كما يبثهم في الخوف ويذكي العيون في الامصار كما يذكيها في الصحاري ويأمر أصحابه بالتحرز
ويخوفهم البيات وان بعد منهم العدو ويقول احذروا أن تكادوا كما تكيدون ولا تقولوا هزمنا
وغلبنا فان القوم خائفون وجلون والضرورة تفتح باب الحيلة ثم قام فيهم خطيبا فقال يا أيها الناس
انكم قد عرفتم مذهب هؤلاء الخوارج وأنهم ان قدروا عليكم فتنوكم في دينكم وسفكوا دماءكم
فقاتلوهم على ما قاتل عليه أولهم علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فقد لقيهم قبلكم الصابر
المحتسب مسلم بن عبيس والعجل المفرط عثمان بن عبيد الله والمعصي المخالف حارثة بن بدر فقتلوا

القسوة والشدة قسوته
اعتزم على الاصرار
وتتابع في غاية الافساد
ودعا الى كل قبيح وزين كل
شر وعن معصية أخرج
آدم من الجنة وشهر في
كل افق وأمة ومن أجله
نصبت العداوة لذريته
وتفرغ من كل شيء الا من
اهلاك نسله فعادى من
لا يرجوه ولا يخافه
ولا يضاهيه في نسب ولا
يشاكله في صناعة ومن
ذلك قتل الناس بعضهم
بعضا وظلم القوي
الضعيف ومن أجله أهلك
الله الأمم بالمسخ والرجف
وبالخسف وبالطوفان
وبالريح العقيم وأدخلهم
النار وأقنطهم من
الخروج والكبر هو الذي
زين لابليس ترك السجود
وأوهمه شر الالفة
وصور له الامتعاض
وحبب اليه المخالفة
وآنسه بالوحدة والوحشة
وهون عليه سخط الرب
وسهل عليه عقاب الأبد
ووعده الظفر ومناه
السلامة ولقنه الاحتجاج

جميعا وقتلوا فالقوهم بجد وحد فانما هم مهنتكم وعبيدكم وعار عليكم ونقص فى أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حريمكم ثم سار يريدهم وهم بمناذر الصغرى فوجه عبيد الله ابن بشير بن الماحوز رئيس الخوارج رجلا يقال له واقد مولى لآل أبى صفرة من سبى الجاهلية فى خمسين رجلا فيهم صالح بن مخراق الى نهر تيرى وبها المعارك بن أبى صفرة فقتلوه وصلبوه فنمى الخبر الى المهلب فوجه ابنه المغيرة فدخل نهر تيرى وقد خرج واقد منها فاستنزله ودفنه وسكن الناس واستخلف بها ورجع الى أبيه وقد حل بسولاف والخوارج بها فواقعهم وجعل على بنى تميم الحريش بن هلال فخرج رجل من أصحاب المهلب يقال له عبد الرحمن الاسكاف فجعل يحض الناس وهو على فرس له صفراء فجعل يأتى الميمنة والميسرة والقلب فيحض الناس ويهون أمر الخوارج ويختال بين الصفين فقال رجل من الخوارج لاصحابه يامعشر المهاجرين هل لكم فى فتكة فيها أريحية فحمل جماعة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارسا ثم كبا به فرسه فقاتلهم راجلا قائما وباركا ثم كثرت به الجراحات فذبب بسيفه وجعل يحثو التراب فى وجوههم والمهلب غير حاضر ثم قتل رحمه الله وحضر المهلب فأخبر فقال للحريش وعطية العنبرى أأسلمتما سيد أهل العسكر لم تعيناه ولم تستنقذاه حسدا له لانه رجل من الموالى ووبخهما وحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ومال الخوارج باجمعهم على العسكر فانهزم الناس وقتلوا سبعين رجلا وثبت المهلب وأبلى المغيرة يومئذ وعرف مكانه ويقال حاص المهلب يومئذ حيصة وتقول الأزد بل كان يرد المنهزمة ويحمى أدبارهم فقال رجل من بنى منقر ابن عبيد بن الحرث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم

بسولاف أضعت دماء قومى * وطرت على مواشكة درور

قوله مواشكة يريد سريعة ويقال نحن على وشك رحيل ويقال ذميل مواشك اذا كان سريعا قال ذو الرمة

اذا مارمينا رمية فى مفازة * عراقيبها بالشيظمى المواشك

ودرور فعول من در الشئ اذا تتابع وقال رجل من بنى تميم آخر

تبعنا الأعور الكذاب طوعا * يزجى كل أربعة حمارا

فيالهفى على تركى عطائى * معاينة وأطلبه ضمارا

بالباطل وزين له قول الزور وزهده فى جوار الملائكة وجمع له خلال السوء ونظم له خلال الشر لانه حسد والحسد ظلم وكذب والكذب ذل وخدع والخديعة لؤم وحلف على الزور وذلك فجور وخطأ ربه وتخطئة الله جهل وأخطأ فى جلى القياس وذلك غى ولج والحجاج ضعف وفرق بين التكبر والتبدى وجمع بين الرغبة عن صنيع الملائكة وبين الدخول فى اعمال السفلة واحتج بان النار خير من الطين ومنافع العالم نتيج أربعة أركان نار يابسة حارة وماء بارد سيال وأرض باردة يابسة وهوى حار رطب ليس منها شئ مع مزاوجته لخلافه الا وهو محيى مبق على أن النار نقمة الله من بين جميع الأصناف وهى أسرعهن اتلافا لما صار فيها والمحقهن لما دنا منها هذا كله ثمرة الكبر ونتاج التيه

اذا الرحمن يسّرلي قفولاً * فحرّق في قرى سولاف نارا

قوله الاعور الكذاب يعني المهلب ويقال عارت عينه بسهم كان أصابها وقال الكذاب لان المهلب كان فقيها وكان يعلم ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله كل كذب يُكتب كذباً الا ثلاثة الكذب في الصلح بين الرجلين وكذب الرجل لامرأته يعدها وكذب الرجل في الحرب بتوعد وبتهدد وجاء عنه صلى الله عليه وسلم انما أنت رجل فخذّل عنا فانما الحرب خدعة وقال عليه السلام في حرب الخندق لسعد بن عُبادة وسعد بن مُعاذ وهما سيدا الحيين الخزرج والأوس ائتيا بني قُريظة فان كانوا على العهد فأعلنا بذلك وان كانوا قد نقضوا ما بيننا فالحنا الي لحنا أعرفه ولا تفتّا في أعضاد المسلمين فرجعا بغدر القوم فقالا يا رسول الله عضل والقارة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أبشروا فان الأمر ما تحبون (قال الأخفش سألت المبرّد عن قولهما عضل والقارة فقال هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد انهم في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) قال أبو العباس فكان المهلب ربما صنع الحديث ليشدّ به من أمر المسلمين ويضعّف من أمر الخوارج فكان حي من الأزد يقال لهم الندب اذا رأوا المهلب رائحا اليهم قالوا قد راح المهلب ليكذب وفيه يقول رجل منهم

أنت الفتى كل الفتى * لو كنت تصدق ما تقول

فبات المهلب في ألفين فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار في أربعة آلاف فخطب أصحابه فقال والله ما بكم من قلة وما ذهب عنكم الا أهل الجبن والضعف والطمع والطبع فان يمسسكم قرح فقد مسّ القوم قرح مثله فسيروا الى عدوكم على بركة الله فقام اليه الحريش بن هلال فقال أنشدك الله أيها الأمير أن لا تقاتلهم الا ان يقاتلوك فان بالقوم جراحا وقد أثخنتهم هذه الجولة فقبل منه ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر الخوارج فلم ير منهم أحدا يتحرك فقال له الحريش ارتحل عن هذا الموضع فارتحل فعبر دجيلا وصار الى عاقول لا يؤتى الا من وجه واحد فأقام به واستراح الناس ثلاثا وقال ابن قيس الرقيات

ألا طرقت من آل بيبة طارقه * على أنها معشوقة الدل عاشقه

تبيت وأرض السوس بيني وبينها * وسولاف رستاق حمته الأزارقه

والتكبر شر من القسوة كما ان القسوة شر المعاصي والتواضع خير الرحمة كما ان الرحمة خير الطاعات والكبر معنى ينتظم به جماع الشر والتواضع معنى ينتظم فيه جماع الخير والتواضع عقيب الكبر والرحمة عقيب القسوة فاذا كان الطاعة قدر من الثواب فلتركها وعقيبها ولما يوازيها ويكايلها مثل ذلك القدر من العقاب ومواضع الطاعة من طبقات الرضا لموضع تركها من طبقات السخط اذ كانت الطاعة واجبة والترك معصية والكبر من أسباب القسوة ولو كان الكبر لا يعتري الا الشريف والجميل أو الجواد أو الوفي أو الصدوق كان أهون لأمره وأقل لشينه أو كان يعرض لأهل الخير كان لا يغلط فيه الا أهل الفضل ولكنا نجده في السفلة كما نجده في العلية ونجده في القبيح كما نجده في الحسن وفي

اذا نحن شِسْنا صادفتنا عصابةٌ * حَرورية أُضحتْ من الدين مارقه

أجازتْ الينا العسكرين كليهما * فباتَتْ لنادون الحلاقِ مُعانقة

وقد ذكرنا الضمار ومعناه الغائبُ وأصله من قولك أضمرتُ الشئ أى أخفيتُهُ عنك ويقال مالٌ عَيْنٌ للحاضر ومال ضمارٌ للغائب قال الأعشى

ومَنْ لاتَضيعُ له ذِمةٌ * فيجعلها بعد عَيْنٍ ضمارا

وقال أيضا

تَرانا اذا أَضْمَرَتْكَ البلا * دُنُجْفَى وتُقْطَعُ منا الرحِمْ

والفعل من هذا أَضْمَرَ يُضْمِرُ والمفعول به مُضْمَرٌ والفاعل مُضْمِرٌ والضمار اسم الفعل فى معنى الاضمار وأسماء الافعال تَشْرَكُ المصادر فى معانيها تقول أعطيته عَطاءً فيَشْرَكُ العطاءُ الاعطاءَ فى معناه ويسمى به المفعول وتقول كلمته تكليما وكلاما فى معناه والمصدر يُنْعَتُ به الفاعل فى قولك رجل عَدْلٌ ورجل كَرَمٌ ورجل نَوْمٌ ويوم غَمٌّ وغَمِيمٌ وينعت به المفعول فى قولك رجل رِضًا وهذا درهم ضَرْبُ الامير وجاء فى الخَلْقُ تَعْنِي المخلوقين وقال رجل من الخوارج فى ذلك اليوم

وكائن تَرَكْنا يوم سولافَ منهمُ * أَسارَى وقَتْلَى فى الجحيم مَصيرُها

قوله وكائن معناه كَمْ وأصله كاف التشبيه دخلت على أىّ فصارتا بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا وكذا درهما انما هى ذا دخلت عليها الكافُ والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فاذا قال له كذا كذا درهما فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين فاذا قال كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده ولكن كثرت كأىّ فخففت والتثقيل الاصل قال الله تعالى وكأىّ من قرية أمليتُ لها وهى ظالمة وكأىّ من نبى قاتل معه ربِّيُّونَ كثير وقد قرئ بالتخفيف كما قال الشاعر

وكائن رددنا عنكم من مُدَجَّجٍ * يجيء أَمامَ الالف يَرْدِى مُقَنَّعا

وقال آخر

وكائن تَرى يوم الغُمَيْصاء من فتى * أُصيبَ ولم يُجْرَحْ وقد كان جارِحا

قال أبو العباس وهذا أكثر على ألسنتهم لطلب التخفيف وذلك الاصل وبعض العرب يقلب فيقول كَيْءٍ يا فتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال قال الشاعر

وكَيْءٍ فى بنى دُودانَ منهم * غداةَ الرَّوْعِ معروفا كَمِيٌّ

الذميم كما نجده فى الجميل وفى الدنى الناقص كما نجده فى الوفى الكامل وفى الجبان كما نجده فى الشجاع وفى الكذوب كما نجده فى الصدوق وفى العبد كما نجده فى الحر وفى الذمى ذى الجزية والصغار والذلة كما نجده فى قابض جزيته والمسلط على اذلاله ولو كان فى الكبر خير لما كان فى دهر الجاهلية أظهر منه فى دهر الاسلام ولما كان فى العبد أفشا منه فى الحر ولما كان فى السند أعم منه فى الروم والفرس وليس الذى كان فيه عن آل ساسان وأنوشروان وجميع ولد ازدشير بن بابك من الكبر فى شئ تلك سياسة للعوام وتفخيم لأمر السلطان وتشديد للملك ولم يكن فى الخلفاء أشد نخوة من الوليد بن عبد الملك وكان أجهلهم وألحنهم وما كان فى ولاة العراق أعظم كبرا من يوسف بن عمر وما كان أشجعهم ولا أبصرهم

فاقام

فأقام المهلب فى ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخوارج بسلّى وسلّبرى (قال الاخفش
سلّى وسلّبرى بفتح السين فيهما موضعان بالأهواز وسِلّى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا
ينشد هذا البيت كأنّ غديرهم بجنوب سلّى * نعامٌ قاق فى بلد قفار)
فنزل قريبا منهم فقال ابن الماحوز لأصحابه ما تنتظرون بعدوّكم وقد هزمتموهم بالامس وكسرتم
حدّهم فقال له واقدٌ مولى أبى صفرة يا أمير المؤمنين انما تفرّق عنهم أهل الضعف والجبن وبقى
أهل النجدة والقوة فان أصبتهم لم يكن ظفرا هنيئا لانى أراهم لا يصابون حتى يُصيبوا فان غلبوا
ذهب الدين فقال أصحابه نافق واقدٌ فقال ابن الماحوز لا تعجلوا على أخيكم فانه انما قال هذا نظرا
لكم ثم توجّه الزبير بن على الى عسكر المهلب لينظر ما حالهم فأتاهم فى مائتين فحزرهم ورجع
وأمر المهلب أصحابه بالتحارس حتى اذا أصبح ركب اليهم على تعبية صحيحة فالتقوا بسلى وسلبرى
فتصافّوا فخرج من الخوارج مائة فارس فركزوا رماحهم بين الصفين واتّكأوا عليها وأخرج
اليهم المهلب عدادهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يرعون الا الصلاة حتى أمسوا فرجع كل قوم الى
معسكرهم ففعلوا هذا ثلاثة أيام ثم ان الخوارج تطاردوا لهم فى اليوم الثالث فحمل عليهم هؤلاء
الفرسان يجولون ساعة ثم ان رجلا من الخوارج حمل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلب
فطعنه فحمل الخوارج بأجمعهم كما صنعوا يوم سولاف فضعضعوا الناس وفُقد المهلب وثبت
المغيرة فى جمع أكثرهم أهل عمان ثم نجم المهلب فى مائة فارس وقد انغمست كفّاه فى الدم وعلى
رأسه قلنسوة مربعة فوق المغفر محشوّة قزّا وقد تمزقت وان حشوها ليتطاير وهو يلهث وذلك فى
وقت الظهر فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل فى الفريقين فلما كان الغد غاداهم وقد
كان وجّه بالامس رجلا من طاحية بن سود بن مالك بن فهم بن الازد يردّ المنهزمين فمرّ به عامر بن مسمع
فردّه فقال ان الامير أذن لى فبعث الى المهلب فأعلمه فقال دعه فلا حاجة لى فى مثله من أهل الجبن
والضعف وقد تفرّق أكثر الناس فغاداهم المهلب فى ثلاثة آلاف وقال لأصحابه ما بكم من قلّة
أيعجز أحدكم أن يرمى برمحه ثم يتقدم فيأخذه ففعل ذلك رجل من كندة يقال له عيّاش وقال
المهلب لأصحابه أعدّوا مخالى فيها حجارة وارموا بها فى وقت الغفلة فانها تصدّ الفارس وتصرع
الراجل ففعلوا ثم أمر مناديا ينادى فى أصحابه يأمرهم بالجدّ والصبر ويطمعهم فى العدوّ ففعل

ولا أتمهم قواما ولا أحسنهم
كلاما ولم يدع الربوبية
ملك قط الا فرعون ولم
يك مقدما فى موكبه ولا فى
شرف حسبه ولا فى نبل
منظره وكمال خلقه ولا فى
سعة سلطانه وشرف
رعيته وكرم ناحيته ولا كان
فوق الملوك الأعاظم
والجلة الأكابر بل دون
كثير منهم فى الحسب
وشرف الملك وكرم الرعية
ومنعة السلطان
والسطوة على الملوك ولو
كان الكبر فضيلة وفى التيه
رقة لما رغب عنه بنو
هاشم ولكان عبد المطلب
أولى الناس منه بالغاية
وأحقهم بأقصى النهاية
ولو كان محمود العاجل
ومرجوّ الآجل وكان من
أسباب السادة أو من
حقوق الرياسة لبدر اليه
سيد بنى تميم وهو الأحنف
ابن قيس ولشمخ عليه سيد
بكر بن وائل وهو مالك
ولا استولى عليه سيد
الازد وهو المهلب ولقد
ذكر أبو عمرو بن العلاء جميع
عيوب السادة وما كان

حتى مر ببنى العدوية من بنى مالك بن حنظلة فضربوه فدعا المهلب بسيدهم وهو معاوية بن عمرو فجعل يركله برجله وهذا معروف فى الازد فقال أصلح الله الامير أعفنى من أم كيسان والركبة تسميها الازد أم كيسان ثم حمل المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فجهد الخوارج فنادى مناديهم الا ان المهلب قد قتل فركب المهلب برذونا قصيرا أشهب وأقبل يركض بين الصفين وان احدى يديه لفى القباء وما يشعر بها وهو يصيح أنا المهلب فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل وكلّ الناس مع العصر فصاح المهلب بابنه المغيرة تقدّم ففعل وصاح بذكوان مولاه قدّم رايتك ففعل فقال له رجل من ولده انك تغرر بنفسك فذمره ثم صاح يا بنى تميم أآمركم فتعصوننى فتقدم وتقدم الناس واجتلدوا أشد جلاد حتى اذا كان مع المساء قتل ابن الماحوز وانصرف الخوارج ولم يشعر المهلب بقتله فقال لاصحابه ابغونى رجلا جلدا يطوف فى القتلى فأشاروا عليه برجل من جرم وقالوا انا ما نرى رجلا قط أشد منه فطوّف ومعه النيران فجعل اذا مر بجريح من الخوارج قال كافر ورب الكعبة فأجهز عليه واذا مر بجريح من المسلمين أمر بسقيه وحمله وأقام المهلب فى عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى اذا كان نصف الليل وجّه رجلا من اليحمد (قال الاخفش اليحمد من الازد والخليل من بطن منهم يقال لهم الفراهيد والفرهود فى الاصل الحمل فان نسبت الى الحى قلت فراهيدىّ وان نسبت الى الحملان قلت فرهودىّ لاغير) فى عشرة فصاروا الى عسكر الخوارج فاذا القوم قد تحملوا الى أرّجان فرجع الى المهلب فأعلمه فقال أنا لهم الساعة أشدّ خوفا فاحذروا البيات قال أبو العباس ويروى عن شعبة بن الحجاج أن المهلب قال لاصحابه يوما ان هؤلاء الخوارج قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فان كان ذلك فاجعلوا شعاركم حم لا ينصرون فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بها ويروى أنه كان شعار أصحاب على بن أبى طالب صلوات الله عليه فلما أصبح المهلب غدا على القتلى فأصاب ابن الماحوز فيهم ففى ذلك يقول رجل من الخوارج

بسلّى وسلّبرى مصارع فتية * كرام وجرحى لم توسّد خدودها

وقال آخر بسلى وسلبرى مصارع فتية * كرام وعقرى من كميت ومن ورد

وقال رجل من موالى المهلب لقد صرعت يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلا فأصبت أصل

اذنه

فيهم من الخلال المذمومة حيث قال ما رأينا شيأ يمنع من السودد الا وقد وجدناه فى سيد وجدنا البخل يمنع من السودد وكان أبو سفيان بن حرب بخيلا والعهار يمنع من السودد وكان عامر بن الطفيل سيدا وكان عاهرا والظلم يمنع من السودد وكان حذيفة بن بدر ظلوما وكان سيد غطفان والحمق يمنع من السودد وكان عيينة بن حصن محمقا وكان سيدا والاملاق يمنع من السودد وكان عتبة بن ربيعة مملقا وقلة العدد تمنع من السودد وكان شبل بن معبد سيدا ولم يكن من عشيرته بالبصرة رجلان والحداثة تمنع من السودد وساد أبو جهل وما طر شاربه ودخل دار الندوة واستوت لحيته فذكر الظلم والحمق والبخل والفقر والعهر وذكر العيوب ولم يذكر الكبر لان هذه الاخلاق وان كانت داء فان فى فضول احلامهم

أذنه فصرعه ثم أخذ الحجر فضرب به آخر على هامته فصرعه ثم صرع به ثالثا وقال رجل من الخوارج

أتانا بأحجار ليقتلنا بها * وهل تقتل الأبطال ويحك بالحجر

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسلبرى وقتل ابن الماحوز

ويوم سلى وسلبرى أحاط بهم * منا صواعق ما تبقي ولا تذر

حتى تركنا عبيد الله منجدلا * كما تجدل جذع مال منقعر

قال أبو العباس تقول العرب صاعقة وصواعق وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع والمنقعر المنقلع من أصله قال الله أصدق القائلين كأنهم أعجاز نخل منقعر ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أمتاه فصاح به المهلب لا كثر الله منك المسلمين فضحك الخارجي وقال

أمك خير لك مني صاحبا * تسقيك محضا وتعل رائبا

وكان المغيرة بن المهلب إذا نظر إلى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس على قربوس سرجه وحمل من تحتها فبراها بسيفه وأثر في أصحابها حتى تخرمت الميمنة من أجله وكان أشد ما تكون الحرب أشد ما يكون تبسما فكان المهلب يقول ما شهد معي حربا قط إلا رأيت البشرى في وجهه وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم

فإن تك قتلى يوم سلى تتابعت * فكم غادرت أسيافنا من قماقم

غداة نكر المشرفية فيهم * بسولاف يوم المأزق المتلاحم

المأزق هو يوم تضايق الحرب والمتلاحم نعت له والمشرفية السيوف نسبت إلى المشارف من أرض الشام وهو الموضع الملقب مؤتة الذي قتل به جعفر بن أبي طالب وأصحابه (قال الأخفش كان المبرد لا يهمز موتة ولم أسمعها من علمائنا إلا بالهمز) قال أبو العباس فكتب المهلب إلى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القباع بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فإنا لقينا الأزارقة المارقة بحد وجد فكانت في الناس جولة ثم ثاب أهل الحفاظ والصبر بنيات صادقة وأبدان شداد وسيوف حداد فأعقب الله خير عاقبة وجاوز بالنعمة مقدار الأمل فصاروا دريئة رماحنا وضرائب سيوفنا وقتل الله أميرهم ابن الماحوز وأرجو أن يكون آخر هذه النعمة كأولها

وفي سائر أمورهم ما يداوي به ذلك الداء ويعالج به ذلك السقم وليس الداء الممكن كالداء المعضل وليس الباب المغلق كالمبهم والأخلاق التي يمكن معها السودد مثل الكبر والكذب والسخف مثل الجهل بالسياسة وخرجت خارجة بخراسان فقيل لقتيبة ابن مسلم لو وجهت إليهم وكيع بن أبي سود لكفاهم فقال وكيع رجل عظيم الكبر في أنفه خنزوانة وفي رأسه نعرة وإنما أنف في أسلوب ومن عظم كبره اشتد عجبه ومن أعجب برأيه لم يشاور كفيا ولم يؤامر نصيحا ومن تبجح بالانفراد وفخر بالاستبداد كان من الظفر بعيدا ومن الخذلان قريبا والخطأ مع الجماعة خير من الصواب مع الفرقة وإن كانت الجماعة لا تخطئ والفرقة لا تصيب ومن تكبر على عدوه حقره وإذا حقره تهاون بأمره ومن تهاون بخصمه ووثق

والسلام فكتب اليه القُباعُ قد قرأت كتابك يا أخا الأزدِ فرأيتك قد وهبَ الله لك شرف الدنيا
وعِزَّها وذَخَرَ لك ثواب الآخرة ان شاء الله وأجرَها ورأيتك أوثق حُصونِ المسلمين وهادَّ أركانِ
المشركين وأخا السياسةِ وذا الرياسةِ فاستدِم الله بشكره يُتمِم عليك نعمَهُ والسلام وكتب اليه
أهل البصرة يهنؤنه ولم يكتب اليه الاحنف ولكن قال أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على
ما فارقتك عليه فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الاحنف فلما لم يره قال لاصحابه
أما كتب الينا فقال له الرسول حمّلني اليك رسالة وأبلغه فقال هذه أحبُّ اليَّ من هذه الكتب
واجتمعت الخوارج بأرَّجان فبايعوا الزبير بن علي وهو من بني سَليط بن يَربوع من رهط ابن
الماحوز فرأى فيهم انكسارا شديدا وضعفا بيّنا فقال لهم اجتمِعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على
محمد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليهم فقال ان البلاء للمؤمنين تمحيصٌ وأجر وهو على الكافرين
عقوبة وخزيٌ وان يُصَبْ منكم أمير المؤمنين فما صار اليه خيرٌ مما خلف وقد أصبتم منهم مسلم بن
عُبَيسٍ وربيعا الأجذمَ والحجاج بن باب وحارثةَ بن بدر وأشجَيتُمُ المهلبَ وقتلتم أخاه المُعارِكَ والله
يقول لاخوانكم من المؤمنين ان يَمسَسكُم قَرحٌ فقد مَسَّ القومَ قَرحٌ مثله وتلك الايام نداولها بين
الناس فيوم سِلَّى كان لكم بلاء وتمحيصا ويوم سُولافَ كان لهم عقوبةً ونكالا فلا تُغلَبُنَّ على الشكر
في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستخلَفون في الارض والعاقبة للمتقين ثم تحمَّلَ لمحاربة
المهلب فنفحهم المهلبُ نفحةً فرجعوا فأكمَنَ للمهلب في غَمضٍ من غُموض الارض يقرُبُ من
عسكره مائة فارس ليغتالوه فسار المهلب يوما يطوف بعسكره ويتفقد سوادَه فوقف على جبل
فقال ان من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكمَنَت في سفحِ هذا الجبل كَمينا فبعث عشرة
فوارس فاطلعوا على المائة فلما علموا انهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونجَوا وكسَفَت الشمسُ
فصاحوا بهم يا أعداء الله لو قامت القيامة لجَدَدنا في جهادكم ثم يئس الزبير من ناحية المهلب
فضرب الى ناحية أصبهان ثم كَرَّ راجعا الى أرَّجان وقد جمع جموعا وكان المهلب يقول كأني بالزبير
وقد جمع جموعا فلا تَرهبوهم فتَخبُثَ قلوبُكم ولا تُغفِلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاؤه من ارجان
فألفوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهورا بينا ففي ذلك يقول رجل من بني
تميم أحسبه من بني رِياح بن يَربوع

بفضل قوته قل احتراسه
ومن قل احتراسه كثر
عثاره وما رأيت عظيم
الكبر صاحب حرب الا كان
منكوبا ومهزوما
ومخدوعا ولا يشعر حتى
يكون عدوه عنده وخصمه
فيما يغلب عليه أسمع من
فرس وأبصر من عقاب
وأهدى من قطاة وأحذر
من عقعق وأشد اقداما
من الأسد وأوثب من
فهد وأحقد من جمل
وأروغ من ثعلب وأغدر
من ذئب وأسخى من
لافظة وأشح من صبي
وأجمع من ذرة وأحرس
من كلب وأصبر من ضب
فان النفس انما تسمح
بالعناية على قدر الحاجة
وتتحفظ على قدر الخوف
وتطلب على قدر الطمع
وتطمع على قدر السبب
(فصل منه) وأقول
بعد هذا كله ان الناس
قد ظلموا أهل الحلم والعزم
حين زعموا أن الذي يسهل
عليهم الاحتمال معرفة
الناس بقدرتهم على
الانتقام فكيف

سَقَى اللهُ المهلبَ كلَّ غيثٍ * من الوسْميّ ينتحرُ انتحارا

فما وهنَ المهلبُ يومَ جاءت * عوابسُ خيلهم تبغي الغوارا

وقال المهلب يومئذ ما وقعتُ في أمر ضيق من الحرب الا رأيت أمامي رجالا من بني الهجيم ابن عمرو بن تميم يجالدون وكأنّ لحاهم أذنابُ العقاعق وكانوا صبروا معه في غير موطن وقال رجل من بني تميم من بني عبشمس بن سعد ألا يا من لصبٍّ مستهامٍ * قريحِ القلبِ قد صحبَ المزونا

لحا ان على المهلب ما لقينا * اذا ما راح مسرورا بطينا

يجرّ السابريّ ونحن شعثٌ * كأنّ جلودنا كسيت طحينا

المزونُ عمانُ وهو اسم من أسمائها قال الكميتُ

فأما الأزدُ أزدُ أبي سعيد * فأكره أن أسميها المزونا

وقال جرير وأطفأتَ نيرانَ المزونِ وأهلها * وقد حاولوها فتنةً أن تُسعّرا

وحمل يومئذ الحريشُ بن هلال على قيس الاكاف وكان قيس من أنجد فرسان الخوارج فطعنه فدقّ صلبهُ وقال قيسَ الاكافِ غداةَ الروعِ يعلمني * ثبتَ المقام اذا لاقيتُ أقراني

وقد كان قتلُ المهلب يوم سلى وسليرى صار والى البصرة فذكر وا أن المهلب أصيب فهمّ أهل البصرة بالنقلة الى البادية حتى ورد كتابه بظفره فأقام الناسُ وتراجع من كان ذهب منهم فعند ذلك يقول الاحنفُ بن قيس البصرةُ بصرةُ المهلب وقدم رجل من كندةَ يقال له فلان ابن أرقم فنعى ابن عم له وقال رأيت رجلا من الخوارج وقد مكّن رمحه من صلبه فقدم المنعي فقيل له ذلك فقال صدق ابن أرقم لما أحسستُ برمحه بين كتفيّ صحتُ البقيّةَ فرفعه عني وتلا بقيةُ الله خيرٌ لكم ان كنتم مؤمنين ووجّه المهلب بعقب هذه الوقعة رجلا من الأزد برأس عبيد الله بن بشير بن الماحوز الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباع فلما صار بكرُبج دينار لقيه حبيبُ وعبد الملك وعلي بنو بشير بن الماحوز فقالوا له ما الخبر ولا يعرفهم فقال قتل الله المارقَ ابنَ الماحوز وهذا رأسُهُ معي فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس فلما ولي الحجاجُ دخل عليه عليُّ بن بشير وكان وسيما جسيما فقال من هذا فخُبّر فقتله ووهب ابنه الازهر وابنتهُ لاهل الأزديّ المقتول وكانت زينب بنت بشير لهم مُواصلةً فوهبوهما لها فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية

والمذكور بالحلم والمشهور بالاحتمال يقيض له من السفهاء ويؤتى له من أهل البذاء ما لا يقوم له صبر ولا ينهض به عزم بل على قدر حلمه يتعرض له وعلى قدر عزمه يمتحن صبره ولأن الذي سهل عليه الحلم ومكنه من العزم معرفة الناس بقدرته على الانتقام واقتداره على شفاء الغيظ فان منعه لنفسه ومجاذبته لطبعه مع الغيظ الشديد والقدرة الظاهرة أشد عليه في المزاولة وأبلغ في المشقة والمكابدة من صبر الشكل على أذى شكله واحتمال المظلوم عن مثله وان خاف الطمس وتوقع العيب

(فصل منه) ومن بعد هذا فمن شأن الايام أن يظلم المرء أكثر محاسنه ما كان تادما فاذا عاد متبوعا عادت عليه من محاسن غيره باضعاف ما منعته من محاسن نفسه حتى تضاف اليه ومن شوارد الأفعال ومن شواذ

الحرث البقاع حتى عزل الحرث وولي مصعب بن الزبير فكتب اليه أن اقدم علي واستخلف ابنك المغيرة ففعل فجمع الناس فقال لهم انى قد استخلفت عليكم المغيرة وهو أبو صغيركم رقة ورحمة وابن كبيركم طاعة وبرا وتبجيلا وأخو مثله مواساة ومناصحة فلتحسن له طاعتكم وليلن له جانبكم فوالله ما أردت صوابا قط الا سبقتني اليه ثم مضى الى مصعب وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكتب اليه انك لم تكن كابيك فانك كاف لما وليتك فشمر واتزر وجد واجتهد ثم شخص المصعب الى المذار فقتل أحمر بن شميط ثم أتى الكوفة فقتل المختار بن أبي عبيد وقال للمهلب أشر علي برجل أجعله بيني وبين عبد الملك فقال أذكرك واحدا من ثلاثة محمد بن عمير بن عطارد الدارمي أو زياد ابن عمرو بن الاشرف العتكي أو داود بن قحذم فقال أو تكفيني قال أكفيك ان شاء الله فولاه الموصل فشخص المهلب اليها وصار مصعب الى البصرة فسأل من يستكفي أمر الخوارج ويفده الى أخيه فشاور الناس فقال قوم ول عبيد الله بن أبي بكرة وقال قوم ول عمر بن عبيد الله بن معمر وقال قوم ليس لهم الا المهلب فاردده اليهم وبلغت المشورة الخوارج فأداروا الأمر بينهم فقال قطري بن الفجاءة المازني ان جاءكم عبيد الله بن أبي بكرة أتاكم سيد سمح جواد كريم مضيع لعسكره وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاع بطل فارس جاد يقاتل لدينه وملكه وبطبيعة لم أر مثلها لاحد فقد شهدته في وقائع فما نودي في القوم لحرب الا كان أول فارس يطلع حتى يشد على قرنه فيضربه وان رد المهلب فهو من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر يمده اذا أرسلتموه ويرسله اذا مددتموه ولا يبدؤكم الا أن تبدؤه الا أن يرى فرصة فينتهزها فهو الليث المبر والثعلب الرواغ والبلاء المقيم فولى عليهم عمر بن عبيد الله وولاه فارس والخوارج بأرجان وعليهم الزبير بن علي السليطي فشخص اليهم فقاتلهم وألح عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم باصبهان فلما بلغ المهلب أن مصعبا ولى عمر بن عبيد الله قال رماهم بفارس العرب وفتاها فجمعوا له وأعدوا واستعدوا ثم أتوا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالك بن حسان الازدي ان المهلب كان يذكي العيون ويخاف البيات ويرتقب الغفلة وهو على أبعد من هذه المسافة منهم فقال له عمر اسكت خلع الله قلبك أتراك تموت قبل أجلك فأقام هنالك فلما كان ذات ليلة بيتته الخوارج فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يظفروا منه بشئ

المكارم ان كان سيدا ومن غريب الامثال ان كان منطيقا ومن خيار القصائد ان كان شاعرا مما لا أمارات لها ولا سمات عليها فكم من يد بيضاء وصنيعة غراء ضلت فلم يقم بها ناشد وخفيت فلم يظهرها شاكر والذى ضاع التابع قبل أن يكون متبوعا أكثر مما حفظ والذى كتم أكثر مما ذكر وما ظنك بشئ مذكوره يهب السيادة ومشكوره يهب الرياسة على قلة الشكر وكثرة الكفر وقد يكون الرجل تام النفس ناقص الاداة فلا يستبان فضله ولا يعظم قدره كالمفرج الذى لا عشيرة له والاتاوى الذى لا قوم له وقد يعظم المفرج الذى لا ولاء له ولا عقد جوار ولا عهد حلف اذا برع فى الفقه وبلغ فى الزهد باكثر من تعظيم السيد لجهة تعظيم الديان كان طاعة السلطان غير طاعة السادة والسلطان انما يملك أبدان الناس وهم

فأقبل على مالك بن حسان فقال كيف رأيت قال قد سلّم الله عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها فقال أما انكم لو ناصحتموني مناصحتكم المهلب لرجوت أن أنفي هذا العدو ولكنكم تقولون قرشيٌّ حجازي بعيدُ الدار خيرُه لغيرنا فتقاتلون معي تعذيرًا ثم زحف الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالا شديدا حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناس عليها حتى سقطت فأقام حتى أصلحها ثم عبروا وتقدم ابنه عبيدُ الله بن عمر وأمُّه من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب فقاتلهم حتى قُتل فقال قطريٌّ لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم عمر بقتل ابنه حتى أفضى الى القوم وكان مع ابنه النعمانُ بن عبّاد فصاح به يا نعمانُ أين ابني فقال احتسبْه فقد استشهد رحمه الله صابرا مُقبلا غير مُدبر فقال انا لله وانا اليه راجعون ثم حمل على الناس حملة لم يُرَ مثلها وحمل أصحابه بحملته فقتلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج وحمل على قطريّ فضربه على جبينه ففلقه وانهزمت الخوارجُ وانتهبها فلما استقروا قال لهم قطريٌّ أما أشرت عليكم بالانصراف فجعلوا وُجوههم حتى خرجوا من فارس وتلقاهم في ذلك الوقت الغزُّ بن مهزم العبديُّ فسألوه عن خبره وأرادوا قتله فأقبل على قطري فقال اني مؤمن مهاجر فسأله عن أقاويلهم فأجاب اليها فخلوا عنه ففي ذلك يقول في كلمة له

وشدّوا وثاقي ثم ألجوا خصومتي * الى قطريّ ذي الجبين المفلّق

وحاججتهم في دينهم وحججتهم * وما دينهم غير الهوى والتخلّق

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (قال الأخفش تكانفوا أعان بعضُهم بعضا واجتمعوا وصار بعضهم في كنَف بعض) وعادوا الى ناحية أرّجان فسار اليهم عمر وكتب الى مُصعب أما بعد فاني قد لقيت الأزارقة فرزق الله عُبيدَ الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادة ورزقنا عليهم الظفر فتفرقوا شذَرَ مذَر وبلغتني عنهم عودةٌ فيمّمتُهم وبالله أستعين وعليه أتوكل فسار اليهم ومعه عطية بن عمرو ومُجّاعةُ بن سعيد فالتقوا فألحّ عليهم حتى أخرجهم وانفرد من أصحابه فعمد له أربعة عشر رجلا منهم من مذكوريهم وشُجعانهم وفي يده عمود فجعل لا يضرب رجلا منهم ضربة الا صرعه فركض اليه قطريٌّ على فرس طمِر وعمر على مُهر فاستعلاه قطريٌّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه فبصُر به مُجّاعةُ فأسرع اليه فصاحت الخوارج بقطري يا أبا نعامة ان عدوّ الله قد رهقك فانحط قطريٌّ

الخيار في عقولهم وكذلك الموالي والعبيد وطاعة الناس للسيد وطاعة الديان طاعة محبة ودينونة والقلوب أطوع لهما من الابدان الا أن يكون السلطان مرضيا فان كان كذلك فهو أعظم خطرا من السيد وأوجه عند الله من ذلك الديان وربما ساد الاتاوي لانه عزي على حال والمفرج لا يسود أبدا لانه عجمي لا حلف له ولا عقد جوار ولا ولاء معروف ولا نسب ثابت وليس التسويد الا في العرب والعجم لا تطيع الا الملوك والذي أحوج العرب في الجاهلية الى تسويد الرجال وطاعة الأكابر بعدهم من الملوك والحكام والقضاة وأصحاب الأرباع والمسالح والعمال فكان السيد في منعهم من غيرهم ومنع غيرهم منهم ونوب بعضهم على بعض في كثير من معاني السلطان

(فصل من رسالته الى أبي الفرج الكاتب في

عن قَرَبوسه فطعنه مُجّاعةُ وعلى قطرى درعان فهتكهما وأسرع السِنانُ فى رأس قطرى فَكَشَطَ عنه جلدةً ونجا وارتحلَ القوم الى اَصْفَهانَ فأقاموا برهةً ثم رجعوا الى الاهواز وقد ارتحل عمر ابن عبيدالله الى اِصْطَخْرَ فأمر مُجّاعةَ تَجْبِيَ الخراجِ أسبوعا فقال كم جَبَيْتَ قال تسعمائة ألف فقال هى لك فقال يزيد بن الحَكَم الثقفى لمجاعةُ

ودعاكَ دعوةَ مُرْهَقٍ فأجبتَه * عُمَرُوقد نسى الحياةَ وضاعا

فَرَدَدتَ عاديةَ الكتيبةِ عن فَتًى * قد كاد يُتْرَكُ لَحْمُهُ أوزاعا

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الزبير ووَلِيَ حمزةُ بن عبدالله بن الزبير فوَجَّهَ المهلبَ اليهم فحاربهم فأخرجهم عن الاهواز ثم رُدَّ مُصْعَبُ والمهلبُ بالبصرة والخوارجُ بأطراف أصبهان والوالى عليها عَتَّابُ ابن وَرْقاء الرياحيُّ فأقام الخوارج هناك شيأ يَجْبُونَ القُرى ثم اقبلوا الى الاهواز من ناحية فارس فكتب مُصْعَبُ الى عمر بن عبيدالله ما أنصفتَنا أقمتَ بفارس تجبي الخراج ومثلُ هذا العدوّ يحاربك والله لو قاتلتَ ثم هربتَ لكان أعذرَ لك وخرج مصعب من البصرة يريدهم وأقبل عمر ابن عبيدالله يريدهم فتنحى الخوارج الى السُّوسِ ثم أتوا المدائن فقتلوا أحْمَرَ طيئ وكان شجاعا وكان من فُرْسانِ عبيدالله بن الحُرّ ففى ذلك يقول الشاعر

تركتم فتى الفتيان أحْمَرَ طيئٍ * بساباطَ لم يَعْطِفْ عليه خليلُ

ثم خرجوا الى المدائن الى الكوفة فلما خالطوا سوادها وواليها الحرثُ بن عبدالله القُباعُ فتثاقل عن الخروج وكان جبانا فذمَّه ابراهيم بن الاشتر ولامه الناس فخرج متحاملا حتى أتى النُّخَيلة ففى ذلك يقول الشاعر ان القُباعَ سارَ سَيْرًا نُكْرا * يسيرُ يوما ويُقيمُ شهرا

وجعل يَعِدُ الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يَعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلة ثم أرادوا قتلها فقالت أتقتلون مَن يُنَشَّأُ فى الحلية وهو فى الخصام غيرُ مبين فقال قائلٌ منهم دعوها فقال قد فُتِنْتَ ثم قدَّموها فقتلوها ثم قرَبوا أخرى وهم بحذاء القُباع والجسر معقودٌ بينهما فقطعه القباع وهو فى ستة آلاف والمرأة تستغيث به وتقول علامَ تقتلونني فوالله ما فَسَقْتُ ولا كفرتُ ولا ارتَدَدْتُ والناس يتفلتون الى الخوارج والقباع يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقطع الجسر فأقام بين دَباها ودَبيرى خمسة أيام والخوارج بقربه وهو يقول

المودة والخلطة﴾ أطال الله بقاءك وأعزك وأكرمك وأتم نعمه عليك زعم أبقاك الله كثير ممن يقرض الشعر ويروى معانيه ويتكلف الأدب ويجتبيه أنه قد يمدح المرجو المأمون والمفتى المزور بان يكون مخدوعا وعمى الطرف مغفلا وسليم الصدر للراغبين وحسن الظن بالطالبين قليل الفطنة لأبواب الاعتذار ماجزا عن الغلص الى معانى الاعتدال قليل الحذق برد الشفعاء شديد الخوف من مباسم الشعراء حصورا عند الاحتجاج للمنع سلس القياد اذا بهته نبهته للبذل واحتجوا بقول الشاعر

أيت الخليفة فاخدعه بمسئلة

ان الخليفة للسؤال ينخدع

فانتحال المأمول الغفلة التى تعترى الكرام وخداع الجواد لخدع الطالبين ومخاريق المستميحين باب من التكرم ومن استدعاء الراغب

الناس فى كل يوم اذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم واصبروا فان أول الحرب التراى ثم اشراعُ الرماح ثم السلة فثكلت رجلاً أمه فر من الزحف فقال بعضهم لما أكثر عليهم أما الصفة فقد سمعناها فبقى يقع الفعل وقال الراجز ان القباع سار سيرا ملسا * بين دباها ودبيرى خمسا

فأخذ الخوارج حاجتهم وكان شأن القباع التحصن منهم ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث عتاب بن ورقاء الى الزبير بن على أنا ابن عمك ولست أراك تقصد فى انصرافك من كل حرب غيرى فبعث اليه الزبير ان أدنى الفاسقين وأبعدهم من الحق سواء واغا سمى الحرث بن عبد الله القباع لانه ولى البصرة فغير على الناس مكاييلهم فنظر الى مكيال صغير فى مرآة العين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال ان مكيالكم هذا لقباع والقباع الذى يخفى أو يخفى ما فيه يقال انقبع الرجل اذا استتر ويقال القنفذ القبع وذلك أنه يخنس رأسه وأقام الخوارج يغادون عتاب بن ورقاء القتال ويراوحونه حتى طال عليهم المقام ولم يظفروا منه بكبير فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا والاعرون بقرية بين أصفهان والأهواز الا استباحوها وقتلوا من فيها وشاور المصعب الناس فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارج مشورته فقال لهم قطرى ان جاءكم عتاب بن ورقاء فهو فاتك يطلع فى أول المقنب ولا يظفر بكبير وان جاءكم عمر بن عبيد الله ففارس يقدم فاماله واما عليه وان جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البلاء اللازم والمكروه الدائم وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يشخص هو لحرب عبد الملك فلما أحس به الزبير بن على خرج الى الرى وبها يزيد بن الحرث بن رويم فحاربه ثم حصره فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظفر للخوارج فقتل يزيد بن رويم ونادى يومئذ ابنه حوشبا ففر عنه وعن أمه لطيفة وكان على بن أبى طالب عليه السلام دخل على الحرث بن رويم يعود ابنه يزيد فقال له عندى جارية لطيفة الخدمة أبعث بها اليك فسماها يزيد لطيفة فقتلت معه يومئذ فى ذلك يقول الشاعر

مواقفنا فى كل يوم كريهة * أسر وأشفى من مواقف حوشب
دعاه يزيد والرماح شوارع * فلم يستجب بل راغ تراوغ ثعلب
ولو كان شهم النفس أو ذا حفيظة * رأى ما رأى فى الموت عيسى بن مصعب

والتعرض للمجتدى والتلطف لاستخراج الأموال والاحتيال لحل عقد الأشحاء وتهييج طبائع الكرام وأنا أزعم أيدك الله تعالى ان اقرار المسئول بما يحل من ذلك نولك واضماره لؤم حتى تصح القيمة ويعتدل الوزن وأنا أعوذ بالله من تذكر يناسب الاقتضاء ومن اقتضاء يضارع الالحاح ومن حرص يعود الى الحرمان ومن رسالة ظاهرها زهد وباطنها رغبة فان أسقط الكلام وأوغده وأبعده من السعادة وأنكده ما أظهر النزاهة وأضمر الحرص وتجلى للعيون بحسن القناعة واستشنع ذلة الافتقار وأشنع من ذلك وأقبح منه وأخس أن يظن صاحبه أن معناه خفى وهو ظاهر وتأويله بعيد الغور وهو قريب القعر فنسأل الله تعالى السلامة فانها أصل النعمة عليكم ونحمده على اتصال نعمتنا بنعمتكم وما ألهمنا الله تعالى من وصف محاسنكم والحمد لله الذى جعل الحمد مستفتح كتابه وآخر دعوى أهل جنته ولو ان رجلا اجتهد فى عبادة ربه واستفرغ مجهوده فى

وقد مر خبر عيسى بن مصعب مستقصى وقال آخر

نجى حليلته وأسلم شيخه * نصب الأسنة حوشب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبلال بن أبي بردة يعيره بأمه وبلال مشدود عند يوسف بن عمر يا ابن حوراء فقال بلال وكان جلدا ان الأمة تسمى حوراء وجيداء ولطيفة وزعم الكلبي أن بلالا كان جلدا حيث ابتلي قال الكلبي ويعجبني أن أرى الأسير جلدا قال وقال خالد بن صفوان له بحضرة يوسف الحمد لله الذي أزال سلطانك وهد ركنك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال له بلال انما طال لسانك يا خالد لثلاث معك هن على الأمر عليك مقبل وهو عني مدبر وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت في طينتك وأنا في هذا البلد غريب وانما جرى الى هذا لانه يقال ان أصل آل الأهتم من الحيرة وأنهم أشابة دخلت في بني منقر من الروم ثم انحط الزبير بن علي على أصبهان فحصر بها عتاب بن ورقاء الرياحي سبعة أشهر وعتاب يحاربه في بعضهن فلما طال به الحصار قال لأصحابه ما تنتظرون والله ما تؤتون من قلة وانكم لفرسان عشائركم ولقد حاربتموهم مرارا فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار الا أن تفنى ذخائركم فيموت أحدكم فيدفنه أخوه ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه فقاتلوا القوم وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشي الى قرنه فلما أصبح الغد صلى بهم الصبح ثم خرج الى الخوارج وهم غارون وقد نصب لواء لجارية له يقال لها ياسمين فقال من أراد البقاء فليلحق بلواء ياسمين ومن أراد الجهاد فليخرج معي فخرج في ألفين وسبعمائة فارس فلم يشعر بهم الخوارج حتى غشوهم فقاتلوهم بجد لم ير الخوارج منهم مثله فعقروا منهم خلقا وقتلوا الزبير بن علي وانهزمت الخوارج فلم يتبعهم عتاب ففي ذلك يقول الشاعر

ويوم يحيى تلافيته * ولولاك لاصطلم العسكر

قال أبو العباس نفسر قوله ولولاك في آخر هذا الخبر ان شاء الله وقال رجل من بني ضبة في تلك الوقعة

خرجت من المدينة مستميتا * ولم أك في كتيبة ياسمينا
أليس من الفضائل أن قومي * غدوا مستلئمين مجاهدينا

وتزعم الرواة أنهم في أيام حصارهم كانوا يتواقفون ويحمل بعضهم على بعض وربما كانت مواقفة بغير حرب وربما اشتدت الحرب بينهم وكان رجل من أصحاب عتاب يقال له شريح

ويكنى

طاعة سيده ايجب له الاخلاص في الدعاء لمن أنعم عليه وأحسن اليه لكان حريا بذلك أن يدرك أقصى غاية الكرم في العاجل وأرفع درجات الكرامة في الآجل وعلى اني لا أعرف معنى أجمع لخصال الشكر ولا أدل على جماع الفضل من سخاوة النفس بأداء الواجب ونحن وان لم نكن أعطينا الاخلاص جميع حقه فان المرء مع من أحب وله ما احتسب ولا أعلم شيأ أزيد في السيئة من استصغارها ولا أحبط للحسنة من العجب بها ومما يستديم الخطأ التقصير واهمال النفس وترك التوقف وقلة المحاسبة وبعد العهد بالتثبت وبهما رجعنا اليه من ضعف في عزم وهان ما انفقد من مناقل الحلم فانا لا نجمع بين التقصير والانكار ونعوذ بالله ان نقصر في ثناء على محسن أو دعاء لمنعم ولئن اعتذرنا لأنفسنا بصدق المودة وبجميل الذكر فما بعد لكم من تحقق الآمال والنهوض بالأثقال أكثر على انكم لم تحملونا الا الخف وقد حملنا كم الثقل ولم تسألونا الجزاء على احسانكم وقد

ويُكْنَى أبا هريرة اذا تحاجزَ القوم مع المَساء نادى بالخوارج وبالزُّبَيْرِ بن على

يا ابنَ أبي الماحوزِ والأشرارِ * كيف تَرَوْنَ يا كلابَ النارِ

شَدَّ أبي هريرةَ الهَرّارِ * يَهُرُّكُمْ بالليلِ والنهارِ

ألم تَرَوْا جَيًّا على المِضمارِ * تُمْسِي من الرحمن في جِوارِ

فغاظهم ذلك منه فكَمَنَ له عُبَيْدةُ بن هلال فضربه واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قُتِلَ فكانوا اذا تَواقَفوا نادَوْهُم ما فَعَلَ الهَرّارُ فيقولون ما به من بأس حتى أَبَلَّ من علّته فخرج اليهم فصاح يا أعداء الله أترون بي بأسا فصاحوا به قد كنا نُرَى أنك لَحِقْتَ بأمِّك الهاوية فى النار الحامية ❁ قال أبو العباس نفسر أشياء من العربية تحتاج الى الشرح من ذلك قوله ولولاك ومنه قوله ألم تروا جَيًّا ومنه قوله يهركم بالليل والنهار أما قوله لولاك فان سيبويه يزعم أن لولا تخفض المضمر ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقال اذا قلتَ لولاك فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة وضمير النصب كضمير الخفض فتقول انك تقول لنفسك لولايَ ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رماني وأعطاني قال يزيد بن الحَكَمِ الثقفيُّ

وكَمْ مَوْطِنٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى * بأَجْرامِهِ من قُلَّةِ النِّيقِ مُنْهَوِي

النيق أعلى الجبل وجِرْمُ الانسان خَلْقُهُ فيقال له الضمير فى موضع ظاهره فكيف يكون مختلفا وان كان هذا جائزا فلِمَ لا يكون فى الفعل وما أشبهه نحو انَّ وما كان معها فى الباب وزعم الاخفشُ سعيدٌ أن الضمير مرفوع ولكن وافق ضمير الخفض كما يستوى الخفض والنصب فيقال فهل هذا فى غير هذا الموضع قال أبو العباس والذى أقوله أن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنتَ كما قال الله عز وجل لولا أنتم لكنا مؤمنين ومن خالفنا يزعم أن الذى قلناه أَجْوَدُ ويَدَّعِي الوجه الآخر فيُجيزه على بُعْدِه وأما جَيٌّ فالاجود فيها أن تقول * ألم تروا جَيَّ على المضمار * فلا تُنَوِّنَ لانها مدينة والاسم أعجمى والمؤنث اذا سمى باسم أعجمى على ثلاثة أحرف لم ينصرف اذا كان مؤنثا وان كان أوسطه ساكنا نحو جُورَ وحِمْصَ وما كان مثل ذلك ولو كان اسما المذكر لانصرف فان صرفته جعلته اسما البلد وان لم تصرفه جعلته اسما البلدة أو المدينة ألا ترى أنك تصرف نُوحا ولوطا وهما أعجميان وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلها متحرك لانك تصرف

سألناكم الجزاء على ما سألناكم ولم تكلفونا ما يجب لكم وكلفنا كم ما لا يجب ومن افراط الجهل أن تتذكر حقنا فى تصديق ذلك الظن وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عظمت نعمة الله على أحد الا عظمت عليه مؤنة الناس وأنا أسأل الله الذى ألزمكم المؤن الثقال ووصل بكم آمال الرجال وامتحنكم بالصبر على تجرع المرار وكلفكم مفارقة المحبوب من الأموال أن يسهلها عليكم ويحببها اليكم حتى يكون شغفكم بالاحسان الداعى اليه وصبابتكم بالمعروف الحامل عليه وحتى يكون حب التفضل والمحبة لاعتياد المنن الغاية التى تستدعى المدبر والنهاية التى تعذر المقصر وحتى تكرهوا على الخير من أخطأ حظه وتفتحوا باب الطلب لمن قصر به العجز ثم اعلم أصلحك الله تعالى ان الذى وجدنى العبرة وجرت عليه التجربة واتسق به النظم وقام عليه وزن الحكم واطرد منه القياس وأثبته الفحص وشهدت له العقول أن من أول أسباب الخلطة والدواعى الى المحبة ما يوجه على

قَدَمًا لو سميتَ به رجلا فالاعجمى بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحدٌ وأما قوله يهركم فان كل ما كان من المضاعف على ثلاثة أحرف وكان متعديا فان المضارع منه على يَفْعُلُ نحو شَدَّهُ يَشُدُّهُ وزَرَّهُ يَزُرُّهُ وردّه يَرُدُّهُ وحَلَّهُ يَحُلُّهُ وجاء منه حرفان على يَفْعِلُ ويَفْعُلُ فيهما جيدٌ هَرَّهُ يَهِرُّهُ اذا كرهه ويَهُرُّهُ أجود وعَلَّهُ بالحنّاء يَعِلُّهُ ويَعُلُّهُ أجود ومن قال حَبَبْتُهُ قال يَحِبُّهُ لا غير وقرأ أبو رجاء العُطاردىُّ فاتبعونى يَحِبَّكُمُ اللهُ وذلك أن بنى تميم تَدَّغِمُ فى موضع الجزم وتُحَرِّكُ أواخره لالتقاء الساكنين ۞ رجع الحديث ثم ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عُبَيْدَةَ بن هلال فقال أدُلُّكم على مَنْ هو خير لكم منى مَنْ يُطاعِنُ فى قُبُلٍ ويَحْمِى فى دُبُرٍ عليكم قَطَرِيَّ بن الفُجاءة المازنىَّ فبايعوه فوقف بهم فقالوا يا أمير المؤمنين امْضِ بنا الى فارسَ فقال ان بفارسَ عمر بن عبيد الله بن مَعْمَر ولكن نصير الى الاهواز فان خرج مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها فأتوا الاهواز ثم تَرَفَّعوا عنها الى ايذَجَ وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجُمَيْرَا فقال لاصحابه ان قَطَرِيًّا قد أطَلَّ علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها فَبَعَثَ الى المهلب فقال اكفنا هذا العدو فخرج اليهم المهلب فلما أحس به قطرىٌّ تَيَمَّمَ نحو كِرْمانَ فأقام المهلب بالاهواز ثم كَرَّ قَطَرِىٌّ عليه وقد استعد فكان الخوارجُ فى جميع حالاتهم أحسن عُدَّةً ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحَصانة الجُنَن فحاربهم المهلبُ فنفاهم الى رامَهُرْمُزَ وكان الحرثُ بن عَميرة الهَمْدانىُّ قد صار الى المهلب مُراغِمًا لعَتّاب بن وَرْقاء يقال انه لم يُرْضِه عن قتله الزبيرَ بن علىّ وكان الحرثُ بن عَميرةَ هو الذى تَوَلَّى قتله وحاصَ اليه أصحابُه ففى ذلك يقول أعشى هَمْدانَ

ان المَكارم أكْمَلَتْ أسبابها * لابن الليوثِ الغُرِّ من قحطان
للفارس الحامى الحقيقةَ مُعْلِما * زادِ الرفاقِ الى قُرَى نَجْرانِ
الحرث بن عَميرةَ الليثِ الذى * يَحْمِى العراقَ الى قُرَى كِرْمانِ
وَدَّ الازارقُ لو يُصابُ بطَعْنةٍ * ويموتُ من فُرْسانهم مائتان

(ويروى زادِ الرفاقِ وفارسِ الفُرْسانِ) وتأويله أن الرُفْقةَ اذا صحبها أغناها عن التزود كما قال جرير وأراد ابنٌ له سَفَرًا وفى ذلك السفر يحيى بن أبى حفصة فقال لابيه زَوِّدْنى فقال جرير

أزادًا سوى يحيى تُريدُ وصاحِبًا * ألَا انَّ يحيى نِعْمَ زادُ المسافرِ

بعض الناس من القبول عند أول وهلة وقلة انقباض النفوس مع أول المخالطة ثم اتفاق الأسباب التى تقع بالموافقة عند أول المجالسة وتلاقى النفوس بالمشاكلة عند أول المخالطة والأدب أدبان أدب خلق وأدب رواية ولا تكمل أمور صاحب الأدب الا بهما ولا يجتمع له أسباب التمام الا من أجلهما ولا يعدق الرؤساء ولا يثنى به الخنصر فى الادباء حتى يكون عقله المتأمر عليهما والسايس له

(فصل منها) فان تمت بعد ذلك أسباب الملاقاة تمت المصافاة وحسن الألف الى سكنه والشأن قبل ذلك مما يسبق الى القلب ويخف على النفس ولذلك احترس الحازم المستعدى عليه من السابق الى قلب الحاكم عليه ولذلك التمسوا الرفق والتوفيق والايجاز وحسن الاختصار وانخفاض الصوت وان يخرج الظالم كلامه مخرج لفظ المظلوم حتى يترك اللحن بحجته بعد وتخلف الداهية كثيرا من أدبه وبغض من محاسن

فما تُنْكِرُ الكُومَاءُ ضَرْبَةَ سَيْفِهِ * اذا أرْمَلوا أو خَفَّ ما فى الغرائر

وقوله ويموت من فرسانهم يكون على وجهين مرفوعا ومنصوبا فالرفع على العطف ويدخل فى التمنى والنصب على الشرط والخروج من العطف وفى مصحف ابن مسعود ودُّوا لو تُدْهِنُ فيُدْهِنوا والقراءة فيدهنون على العطف وفى الكلام ودَّ لو تأتيه فتُحَدِّثُهُ وان شئت نصبت الثانى وخرج مصعب بن الزبير الى باجُمَيْراءَ ثم أتى الخوارجَ خبر مقتله بمَسْكِنَ ولم يأت المهلبَ وأصحابه فتواقفوا يوما على الخندق فناداهم الخوارجُ ما تقولون فى المصعب قالوا امامُ هُدًى قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ضالٌّ مُضِلٌّ فلما كان بعد يومين أتى المهلبَ قَتْلُ مُصْعَبٍ وأن أهل الشأم اجتمعوا على عبد الملك وورد عليه كتاب عبد الملك بولايته فلما تواقفوا ناداهم الخوارجُ ما تقولون فى مصعب قالوا لا نخبركم قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا امامُ هُدًى قالوا يا أعداء الله بالامس ضالٌّ مُضِلٌّ واليوم امامُ هُدًى يا عَبِيدَ الدنيا عليكم لعنةُ الله ووَلِيَ خالدُ بن عبد الله بن أَسِيدٍ فقَدِمَ فدخل البصرة فأراد عزل المهلب فأُشير عليه بأن لا يفعل وقيل له انما أَمِنَ أهل هذا المصر بأنَّ المهلب بالاهواز وعُمَرَ بن عبيد الله بفارسَ فقد تَنَحَّى عُمَرُ وان نَحَّيْتَ المهلبَ لم تأمن على البصرة فأبى الا عَزْلَهُ فقدم المهلب البصرة وخرج خالد الى الاهواز فأخذه فلما صار بكُرَيْجِ دينارٍ لقيه قطريٌّ فمنعه حَطَّ أثقاله وحاربه ثلاثين يوما ثم أقام قطرى بازائه وخَنْدَقَ على نفسه فقال المهلب ان قطريا ليس بأحق بالخندق منك فعبر دجيلا الى شِقِّ نهر تِيرَى واتبعه قطريٌّ فصار الى مدينة نهر تيرى فبنى سُورَها وخندق عليها فقال المهلبُ لخالدٍ خَنْدِقْ على نفسك فانى لا آمَنُ عليه البَيَاتَ فقال يا أبا سعيد الامر أعجل من ذلك فقال المهلبُ لبعض ولده انى أرى أمرا ضائعا ثم قال لزياد بن عمرو خَنْدِقْ علينا فخندق المهلب وأَمَرَ بسُفُنِهِ ففُرِّغَتْ وأبى خالدٌ أن يفرغ سُفُنَهُ فقال المهلب لفَيْرُوزِ حُصَيْنٍ صِرْ معنا فقال يا أبا سعيد الحَزْمُ ما تقول غير أنى أكره أن أفارق أصحابى قال فكُنْ بقربنا قال أما هذه فنعم وقد كان عبدُ الملك كتب الى بِشْرِ بن مروان يأمره أن يُمِدَّ خالدا بجيش كثيف أميره عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث ففعل فقَدِمَ عليه عبد الرحمن فأقام قَطَرِيٌّ يغاديهم القتال ويُراوحهم أربعين يوما فقال المهلب لِمَوْلًى لابى عُيَيْنَةَ انْتَبِذْ الى ذلك الناوس فبِتْ عليه فى كل ليلة فمتى أحسست خبرا من الخوارج أو حركة أو صهيلَ خيلٍ فاعجل

منطقه الا ما المواساة خصمه فى ضعف الحيلة والتشبه به فى قلة الفطنة نعم ومتى يكتب كتاب سعاية ومحل واغراق فيلحن فى اعرابه ويتعفف فى ألفاظه ويجتنب القصد ويهرب من اللفظ المعجب ليخفى مكان حدته ويستر موضع رفقه حتى لا يحترس منه الخصم ولا يتحفظ منه صاحب الحكم بعد أن لا يضر بعين معناه ولا يقصر فى الافصاح عن تفسير مغزاه وهذا هو الذى يكون العى فيه أبين وذو الغباوة أفطن والردئ أجود والانوك أحزم والمضيع أحكم اذ كان غرضه الذى اياه يرمى وغايته التى اليها يجرى الانتفاع بالمعنى المتخير دون المباهاة باللفظ وانما كان غايته ايصال المعنى الى القلب دون نصيب السمع من اللفظ المونق والمعنى المتخير بل ربما لم يرض باللفظ السليم حتى يسقمه ليقع العجز موقع القوة ويعرض العى فى محل البلاغة اذ كان حق ذلك المكان اللفظ المدون والمعنى المغفل هذا اذا كان صاحب القصة ومؤلف لفظ المحل

الينا فجاءه ليلة فقال قد تحركت القوم فجلس المهلب بباب الخندق وأعد قطري سفنا فيها حطب فأشعلها نارا وأرسلها على سفن خالد وخرج في أدبارها حتى خالطهم فجعل لا يمر برجل الا قتله ولا بدابة الا عقرها ولا بفسطاط الا هتكه فأمر المهلب يزيد فخرج في مائة فارس فقاتل وأبلى يومئذ وخرج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبلى بلاء حسنا وخرج فيروز حصين في مواليه فلم يزل يرميهم بالنشاب هو ومن معه فأثر أثرا جميلا فصرع يزيد بن المهلب يومئذ وصرع عبد الرحمن فحامى عنهما أصحابهما حتى ركبا وسقط فيروز حصين في الخندق فأخذ بيده رجل من الازد فاستنقذه فوهب له فيروز حصين عشرة آلاف درهم وأصبح عسكر خالد كأنه حرة سوداء فجعل لا يرى الا قتيلا أو صريعا فقال للمهلب يا أبا سعيد كدنا نفتضح فقال خندق على نفسك فان لا تفعل عادوا اليك فقال اكفني أمر الخندق فجمع له الأخماس فلم يبق شريف الا عمل فيه فصاح بهم الخوارج والله لولا هذا الساحر المزوني لكان الله قد دمر عليكم وكانت الخوارج تسمي المهلب الساحر لانهم كانوا يدبرون الأمر فيجدونه قد سبق الى نقض تدبيرهم فقال أعشى همدان لابن الأشعث في كلمة طويلة

ويوم أهوازك لا تنسه * ليس الثنا والذكر بالداثر

وقد ذكرنا في قصر الممدود من أن مد المقصور لا يجوز ما يغني عن اعادته ۞ ونذكر فيروز حصين لما مر من ذكره كان فيروز حصين رجلا جيد البيت في العجم كريم المحتد مشهور الآباء فلما أسلم والى حصينا وهو حصين بن عبد الله العنبري من بني العنبر بن تميم بن مر ثم من ولد طريف بن تميم وكان فيروز حصين شجاعا جوادا نبيل الصورة جهير الصوت وتروي الرواة أن رجلا من العرب كانت أمه فتاة فقاول بني عم له فسبوه بالعجمية ومر فيروز حصين فقال هذا خالي فمن منكم له خال مثله وظن أن فيروز لم يسمعها وسمعها فيروز فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجارية ووهب له عشرة آلاف درهم ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقف ابن الأشعث برستقاباذ نادى منادي الحجاج من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم ففصل فيروز من الصف فصاح بالناس من عرفني فقد اكتفى ومن لم يعرفني فأنا فيروز حصين وقد عرفتم مالي ووفائي من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف فقال الحجاج والله لقد تركني أكثر التلفت واني لبين خاصتي فأتي به الحجاج فقال له أأنت الجاعل في رأس أميرك مائة ألف قال قد فعلت فقال والله لأمهدنك

والسعاية ممن يتصرف قلمه ويطلق لسانه ويلتزق في مذاهبه ويكون في وسعه وصل لان يحط نفسه في طبقة الذل وهو عزيز ويحل العي وهو بليغ ويتحول في هيئة المظلوم وهو ظالم ويمكنه تصوير الباطل في صورة الحق وسترا لعيوب بزخرف القول واذا شاء طفا واذا شاء رسب واذا شاء أخرجه عقلا صحيحا وما أكثر من لا يحسن الا الجيد فان طلب الردي جاوزه كما انه ما أكثر من لا يستطيع الا الردي فان طلب الجيد قصر عنه وليس كل بليغ يكون بتلك الطباع وميسر الاداة وموسعا عليه في تصريف اللسان ومعونا عليه في تحويل القلم وما أكثر من البصراء من يحكي العميان ويحول لسانه الى صورة لفظ الفأفاء بما لا يبلغه الفأفاء ولا يحسنه التمتام وقد تجد من هو أبسط لسانا وأبلغ قلما لا يستطيع مجاوزة ما يشركه والخروج عما قصر عنه

(فصل منها) ولولا الحدود المحصلة والاقسام المعتدلة لكانت الأمور سدى والتدابير مهملة ولكانت صورة الحكيم

ثم لأحلفنك أين المالُ قال عندي فهل الى الحياة من سبيل قال لا قال فأخرجني الى الناس حتى أجمع لك المال فلعل قلب ذي يرقّ عليّ ففعل الحجاج فخرج فيروز فأحلّ الناس من ودائعه وأعتق رقيقه وتصدّق بماله ثم رُدَّ الى الحجاج فقال شأنك الآن فاصنع ما شئت فَشُدَّ في القصب الفارسي ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ ثم نُضِحَ بالخل والملح فما تأوّه حتى مات ۞ ومضى قطري الى كَرْمان فانصرف خالد الى البصرة فأقام قطري بكرمان أشهرا ثم قصد فارس وخرج خالد الى الاهواز وندب الناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلب فقال خالد ذهب المهلب بحظ هذا المصر اني قد وليت أخي قتال الازارقة فولّى أخاه عبد العزيز واستخلف المهلبَ على الاهواز في ثلثمائة ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفا والخوارج بدَرَابْجِرْدَ فجعل عبدُ العزيز يقول في طريقه يزعُمُ أهلُ البصرة أن هذا الامر لا يتمّ الا بالمهلب فسيعلمون قال صعْبُ بن زيد فلما خرج عبدُ العزيز عن الاهواز جاءني كُرْدُوسٌ حاجبُ المهلبِ فقال أجِبِ الامير فجئت الى المهلب وهو في سطح وعليه ثياب هَرَوِيَّةٌ فقال يا صعْبُ أنا ضائع كأني أنظر الى هزيمة عبد العزيز وأخشى أن توافيني الازارقة ولا جند معي فابعث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به اليّ فوجهت رجلا يقال له عِمْران بن فلان فقلت اصْحَبْ عسكر عبد العزيز واكتب اليّ بخبر يوم يوم فجعلت أورده على المهلب فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة فقال له الناس هذا يوم صالح فينبغي أن تتركنا أيها الامير حتى نطمئن ثم نأخذ أُهْبَتَنا فقال كَلَّا الا الامرُ قريب فنزل الناسُ على غير أمره فلم يَسْتَتِمَّ النزولُ حتى ورد عليهم سعدُ الطلائعِ في خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدةً فاتبعهم فقال له الناس لا تتبعهم فانا على غير تعبية فأبى فلم يزل في آثارهم حتى اقتحموا عقبةً فاقتحمها وراءهم والناسُ ينهونَه ويأبَى وكان قد جعل على بني تميم عَبْسَ بن طَلْقٍ الصريميَّ الملقبَ عَبْسَ الطعانِ وعلى بكرِ بن وائلٍ مقاتلَ بن مِسْمَعٍ القيسيَّ وعلى شُرْطته رجلا من بني ضُبيعةَ بن ربيعةَ بن نزار فنزلوا عن العقبة ونزل خلفهم وكان لهم في بطن العقبة كَمِينٌ فلما صاروا وراءهم خرج عليهم الكَمِينُ وعطف سعدُ الطلائعِ فترجّل عبسُ بن طلْقٍ فقُتِلَ وقُتِلَ مقاتلُ بن مِسْمَعٍ وقُتِلَ الضُّبَيْعِيُّ صاحبُ الشرطة وانحاز عبد العزيز واتبعهم الخوارجُ على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا وكان عبد العزيز قد خرج معه بأم حفص ابنة المنذر بن الجارود امرأته فسبوا

بادية ولا اختلطت السائلة بالعالية

(فصل منها) وأنا أقول بعد هذا كله لو لم أضمر لكم محبة قديمة ولم أضر بكم بشفيع من المشاكلة ولا بسبب الأديب الى الأديب ولم يكن على قبول ولا على حلاوة عند المحصول ولم أكن الا رجلا من عرض المعارف ومن جمهور الاتباع لكان في احسانكم الينا وانعامكم علينا دليل على انا قد أخلصنا المحبة وأصفينا لكم المودة واذا عرفتم ذلك بالدليل النير الذي أنتم سببه والبرهان الواضح الذي اليكم مرجعه لم يكن لنا عند الناس الا توقع ثمرة الحب ونتيجة جميل الرأي وانتظار ما عليه مجازاة القلوب وبقدر الانعام تجود النفوس بالمودة وبقدر المودة تنطلق الألسن بالمدحة وهذه الوسيلة أكثر الوسائل وأقواها في نفسي اني لم أصل سببي بمحروم ومغمر ولا بمغل غفل ولا بضيق العطن حديث الغنى ولا بزمر المروءة مستنبط الثرى بل وصلته وصلة لحمال أثقال ومقارع أبطال وبمن ولد في اليسر وربي فيه وجرى منه على عرق ونزع اليه

النساء يومئذ وأخذوا أسرى لا تحصى فقذفوهم في قادٍ بعد أن شدوهم وثاقاً ثم سدوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه وقال رجل حضر ذلك اليوم رأيت عبد العزيز وان ثلاثين رجلا ليضربونه بأسيافهم وما تحيك في جسده يقال ما أحاك فيه السيف وما يحيك فيه وما حك ذا الامر في صدري وما حكى في صدري وما احتكى في صدري ويقال حاك الرجل في مشيته يحيك اذا تبختر ونودى على السبي يومئذ فغولى بأم حفص فبلغ بها رجل سبعين ألفا وذلك الرجل من مجوس كانوا أسلموا ولحقوا بالخوارج ففرض لكل واحد منهم خمسمائة فكاد يأخذها فشق ذلك على قطرى وقال ما ينبغى لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفا ان هذه فتنة فوثب اليها أبو الحديد العبدى فقتلها فأتى به قطرى فقال يا أبا الحديد مهيم فقال يا أمير المؤمنين رأيت المؤمنين قد تزايدوا فى هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنة فقال قطرى قد أصبت وأحسنت فقال رجل من الخوارج

كفانا فتنة عظمت وجلت * بحمد الله سيف أبى الحديد

أهاب المسلمون بها وقالوا * على فرط الهوى هل من مزيد

فزاد أبو الحديد بنصل سيف * رقيق الحد فعل فتى رشيد

قوله أهاب يريد أعلن يقال أهبت به اذا دعوته مثل صوت قال الشاعر

أهاب بأحزان الفؤاد مهيب * وماتت نفوس للهوى وقلوب

وقوله مهيم حرف استفهام معناه ما الخبر وما الامر فهو دال على ذلك محذوف الخبر وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى بعبد الرحمن بن عوف ردع خلوق فقال مهيم فقال تزوجت يا رسول الله فقال أولم ولو بشاة وكان تزوج على نواة وأصحاب الحديث يروونه على نواة من ذهب قيمتها خمسة دراهم وهذا خطأ وغلط العرب تقول نواة فتعنى بها خمسة دراهم كما تقول النش لعشرين درهما والأوقية لاربعين درهما فانما هو اسم لهذا المعنى وكان العلاء بن مطرف السعدى ابن عم عمرو القنا وكان يحب أن يلقاه فى تلك الحروب مبارزة فلحقه عمرو القنا وهو منهزم فضحك عمرو وقال متمثلا

تمنانى ليلقانى لقيط * أعام لك ابن صعصعة بن سعد

ثم صاح به انج أبا المصدى وكان عمرو القنا يكنى أيضا أبا المصدى وهذا البيت الذى تمثل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصعق الكلابى يقوله يعنى لقيط بن زرارة وكان يطلبه وقوله أعام لك

يريد

(فصل منها) ولا خير فى سمين لا يحتمل هزال أخيه وصحيح لا يجبر كسر صاحبه **(فصل منها)** وقد تنقسم المودة الى ثلاث منازل منها ما يكون على اهتزاز الأريحية وطبع الحرية ومنها ما يكون على قدر فرط وسائل الفاقة ومنها ما يحسن موقعه على قدر طباع الحرص وجشع النفس وأرفعها منازل حب المشغوف شكر النعمة وهو الذى يدوم شكره ويبقى على الأيام وده والثانى هو الذى انما استدحبه على قدر موقع المال من قلب الحريص الجشع واللئيم الطمع فهذا الذى لا يشكر وان شكر لم يشكر الا ليستزيد ولم يمدح الا ليستمد وعلى أنه لا يأتى الحمد الا زحفا ولا يفعله الا تكلفا وأنا أسأل الله الذى قسم له أفضل الحظوظ فى الانعام أن يقسم لنا أفضل الحظوظ فى الشكر وما فاية قولنا هذا ومدار أمرنا الا على طاعة توجب الدعاء وحرية توجب الثناء شاكرين كنا أو منعمين وراجين كنا أو مرجوين ومن صرف الله حاجته الى الكرام وعدل به عن

يريد يا عامر فرخّم واغا يريد الحىّ تعجبا أى لكم أعجب من غنيه للقانى فدعا بنى عامر بن صعصعة وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مناة ابن تميم لا ابن معاوية وأنهم ناقلة فى قيس ولذلك تمنعت بنو سعد من محاربتهم مع بنى تميم يوم جبلة ولذلك أنذرهم كرب بن صفوان وهذا البيت وضعه سيبويه فى باب النداء الذى معناه معنى التعجب وشبيه به قول الصلتان العبدى

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُه * جريرٌ ولكن فى كليبٍ تواضعُ

على معنى قوله فلله درّه شاعرا وكان العلاء بن مطرف قد حمل معه امرأتين له احداهما من بنى ضبة يقال لها أم جميل والاخرى بنت عمه وهى فلانة بنت عقيل فطلق الضبية وتخلص بهما يومئذ وحمل الضبية أولا ففى ذلك يقول

ألستُ كريما اذ أقولُ لفتيتى * قفوا فاحملوا قبل بنت عقيل
ولو لم يكن عودى نضاراً لاصبحت * تجرّ على المتنين أمّ جميل

قال الصعب بن يزيد بعثنى المهلب لآتيه بالخبر فصرت الى قنطرة أربك على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم فلم أحسس خبرا فسرت مهجّرا الى أن أمسيت فلما أظلمنا سمعت كلام رجل عرفته من الجهاضم فقلت ما وراءك فقال الشر قلت فأين عبد العزيز قال أمامك فلما كان من آخر الليل اذا أنا بزهاء خمسين فارسا معهم لواء فقلت من هذا فقالوا هذا لواء عبد العزيز فتقدمت اليه فسلمت وقلت أصلح الله الامير لا يكبرنّ عليك ما كان فانك كنت فى شرّ جند وأخبثه قال لى أو كنت معنا قلت لا ولكن كأنى شاهد أمرك قال كأنك كنت معنا قلت أرسلنى المهلب لآتيه بخبرك ثم تركته وأقبلت الى المهلب فقال لى ما وراءك قلت ما يسرك قد هزم وفلّ جيشه فقال ويحك وما يسرنى من هزيمة رجل من قريش وفلّ جيش من المسلمين قلت قد كان ذلك ساءك أو سرك فوجه رجلا الى خالد يخبره قال الرجل فلما أخبرت خالدا قال كذبت ولؤمت ودخل رجل من قريش فكذبنى وقال لى خالد والله هممت أن أضرب عنقك قلت أصلح الله الامير ان كنت كاذبا فاقتلنى وان كنت صادقا فأعطنى مطرف هذا المتكلف فقال خالد لبئسما أخطرت به دمك فما برحت حتى دخل بعض الفلّ وقدم عبد العزيز سوق الاهواز فأكرمه

الئام فلا يعدن نفسه فى الراغبين ولا فى الطالبين المؤملين لان من لم يجرع مرارة المطال ولم يعد للرحيل التسويف ويقطع عنقه بطول الانتظار ويحمل مكروه ذل السؤال ويحمل على طمع بخنه يأس كان خارجا من حدود المؤملين ومن استولى على طمعه الثقة بالانجاز وعلى طلبته اليقين بسرعة الظفر وعلى ظفره الجزيل من الأفضال وعلى افضاله العلم بقلة التثريب وبالسلامة من التنقيص بالتماس الشكر وبالغدو وبالرواح وبالخضوع اذا دخل والاستكانة اذا جلس ثم مع ذلك لم يكن ما أنعم به عليه ثوابا للسالف يد ولا تعويضا من كد النعمة كانت محضة خالصة ومهذبة صافية وهى نعمتكم التى ابتدأتمونا بها ولا تكون النعمة سابغة ولا الايدى شاملة ولا الستر كثيفا ذيالا وكثير العرض مطبقا ودون الفقر حاجزا وعلى الغنى ملصقا حتى يخرج من عندكم ثم يحتسب الى شاكر

(فصل منها) وأنتم قوم تقدمتم بابتناء المكارم فى حال المهلة وأخذتم

المهلبُ وكساه وقدم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا وقال له تَحَسَّسْ عن الاخبار فان أحسست بخبر الازارقة قريبا منك فانصرف الى البصرة فلم يزل حَبيبٌ مقيما والازارقة تُدنو منه حتى بلغوا قنطرة أَرْبُكَ فانصرف الى البصرة على نهر تِيرَى فلما دخلها أُعْلِمَ خالدٌ فغضب عليه واستتر حبيب فى بنى هلال بن عامر بن صعصعة فتزوج هنالك فى استتاره الهلاليَّةَ أم عَبَّاد بن حبيب وقال الشاعر لخالد يُفَيِّلُ رأيه أى يخطئه

بَعَثْتَ غلاما من قريش فَرُوقَةً * وتترك ذا الرأى الاصيل المُهَلَّبا

أَبَى الذَّمَّ واختار الوَفاءَ وأُحْكِمَتْ * قُواه وقد ساسَ الامور وجَرَّبا

وقال الحرث بن خالد المخزومى فَرَّ عبدُ العزيز لما رأى الابـ * ـطالَ بالسَّفْح نازلوا قَطَرِيَّا

ويروى فر عبدُ العزيز اذ راءَ عيسى * وابن داود نازِلًا قطريا

عاهَدَ اللهَ انْ نَجا مِلْمَنايا * لَيَعودَنَّ بعدها حُرْمِيَّا

يسكُنُ الخَلَّ والصِفاحَ فَغَرَّا * نَ وسَلْعا وتارةً نَجْدِيَّا

حيث لا يَشْهدُ القتالَ ولا يسـ * ـمع يوما لِكَرِّ خَيْلٍ دَوِيَّا

قوله اذ راءَ عيسى الاصل رأى ولكنه قلب فقدم الالف وأخر الهمزة كما قال كُثَيِّرٌ

وكُلُّ خليل راءنى فهو قائلٌ * من اجلك هذا هامةُ اليوم أو غَدِ

والقلب كثير فى كلام العرب وسنذكر منه شيأ فى موضعه ان شاء اللهَ وقوله مِلْمَنايا يريد من المنايا ولكنه حَذَفَ النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فحذف أحدهما ومن كلام العرب أن يحذفوا النون اذ لقيت لام المعرفة ظاهرةً فيقولون فى بنى الحرث وبنى العنبر وما أشبه ذلك بَلْحرث وبَلْعنبر وبَلْهُجَيْم كما يقولون عَلْماءِ بنو فلان فيحذفون احدى اللامين وقوله ليعودن بعدها حرميا العرب تَنْسُبُ الى الحرم فيقولون حِرْمِيٌّ وحُرْمِيٌّ على قولهم حُرْمةُ البيت وحِرْمةُ البيت وقال النابغة الذُّبيانىّ

من قول حِرْمِيَّةٍ قالت وقد رَحلوا * هل فى مُخِفِّيكُمُ مَنْ يشترى أَدَما

والخَلُّ ههنا موضع وأصله الطريق فى الرمل وكتب خالد الى عبد الملك بعُذْر عبد العزيز وقال للهلب ماتُرَى عبدَ الملك صانعا بى قال يعزلك قال أَتُراه قاطعا رَحِمى قال نعم أَتَتْهُ هزيمةُ أُمَيَّةَ أخيك

لأنفسكم فيها بالثقة على مقاديرما مكنتم الأواخي ومددتم الاطناب وثبتم القواعد ولذلك قال الأول
عزمت على اقامة ذى صباح
لأمر ما يسود من يسود
وأبو الفرج أعزه الله فتى العسكرين وأديب المصرين جمع أريحية الشباب ونجابة الكهول ومجد السادة وبهاء القادة وأخلاق الأدباء ورشاقة عقول الكتاب والتغلغل الى دقائق الصواب والحلاوة فى الصدور والمهابة فى العيون والتقدم فى الصناعة والسبق عند المحاورة شقيق أبيه وشبه جده حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة لم يتأخر عنهما الا فيما لا يجوز أن يتقدمهما فيه ولم يقصر عن شأوهما الا بقدر ما قصرا من سنهما وهم وان قصروا عن مدى آبائهم وعن غايات أوائلهم فلم يقصروا عن جلة الرؤساء وأهل السوابق من الكبراء واست ترى تاليهم الا سابقا ومصليهم الا للغاية مجاوزا ليس فيهم سكيت ولا مبهور ولا منقطع قد نقحت اعراقهم من الاقراف والهجنة ومن الشوب ولؤم العجلة

من البحرين وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس قال أبو العباس فكتب عبد الملك الى خالد أما بعد فانى كنت حددت لك حداً فى أمر المهلب فلما ملكت أمرك نبذت طاعتى واستبددت برأيك فوليت المهلب الجباية ووليت أخاك حرب الازارقة فقبح الله هذا رأيا أتبعث غلاماً غراً لم يجرب الحروب وتترك سيداً شجاعاً مدبراً حازماً قد مارس الحروب تشغله بالجباية أما لو كافأتك على قدر ذنبك لأتاك من نكيرى مالا بقية لك معه ولكن تذكرت رحمك فلفتتنى عنك وقد جعلت عقوبتك عزلك وولى بشر بن مروان وهو بالكوفة وكتب اليه أما بعد فانك أخو أمير المؤمنين يجمعك واياه مروان بن الحكم وان خالداً لا يجتمع له مع أمير المؤمنين دون أمية فانظر المهلب فوله حرب الازارقة فانه سيد بطل مجرب فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل فشق عليه ما أمره فى المهلب وقال والله لاقتلنه فقال له موسى بن نصير ان للمهلب حفاظاً وبلاء ووفاء وخرج بشر بن مروان يريد البصرة فكتب موسى وعكرمة الى المهلب أن يتلقاه لقاء لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل فسلم عليه فى غمار الناس فلما جلس بشر مجلسه قال ما فعل أميركم المهلب قالوا قد تلقاك أيها الامير وهو شاك فهم بشر أن يولى حرب الازارقة عمر بن عبيد الله فقال له أسماء بن خارجة انما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك فقال له عكرمة بن ربعى اكتب الى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلب فكتب اليه يعلمه علة المهلب وأن بالبصرة من يغنى غناءه ووجه بالكتاب مع وفد أوفدهم اليه رئيسهم عبد الله بن حكيم المجاشعى فلما اقرأ الكتاب خلا بعبد الله بن حكيم فقال ان لك ديناً ورأياً وحزماً فمن لقتال هؤلاء الازارقة قال المهلب قال انه عليل قال ليست علته بمانعته قال عبد الملك أراد بشر أن يفعل ما فعل خالد فكتب يعزم عليه أن يولى المهلب فوجه اليه قال المهلب أنا عليل ولا يمكننى الاختلاف فأمر بشر بحمل الدواوين اليه فجعل ينتخب فاعترض بشر عليه فاقتطع أكثر نخبته ثم عزم أن لا يقيم بعد ثالثة وقد أخذت الخوارج الأهواز وخلفوها وراء ظهورهم وصاروا بالفرات فخرج اليهم المهلب حتى صار الى شهارطاق فأتاه شيخ من بنى تميم فقال أصلح الله الامير ان سنى ما ترى فهبنى لعيالى قال على أن تقول للامير اذا خطب فحثكم على الجهاد كيف تحثنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافنا وأهل النجدة منا ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك قال لا شىء وأعطى المهلب رجلا ألف درهم على أن يأتى بشراً

ومتى عاينت أبا الفرج وكاله ورأيت ديباجته وجماله علمت أنه لم يكن فى ضرائبهم وقديم نخلهم خارجى النسب ولا مجهول المركب ولا بهيم مصمت ولا كثير الاوضاح مغرب بل لا ترى الا كل أغر محجل وكل ضخم المخرج هيكل انى لست أخبر عن الموتى ولا استشهد بالغيب ولا استدل بالمختلف فيه ولا الغامض الذى تعظم المؤونة فى تعرفه والشاهد لقولى يلوح فى وجوههم والبرهان على دعواى فى شمائلهم والأخبار مستفيضة والشهود متعاونة وأنت حين ترى عتق تلك الديباجة ورونق ذلك المنظر علمت أن التالد هو قياد هذا الطارف اما أنا فلم أر لأبى الفرج أدام الله كرامته ذاماً ولا شانئاً ولا عائباً ولا هاجياً بل لم أجد مادحاً قط الا ومن سمع سابق الى تلك المعانى ولا رأيت واصفاً له قط الا وكل من حضر يهش له ويرتاح لقوله قال الطرماح

هل المجد الا السودد المعود الندى
ورب الجدى والصدر عند الواطن

ولكن هل المجد الا كرم الارومة والحسب وبعد

فيقول له أيها الامير أعن المهلب بالشرطة والمقاتلة ففعل الرجل ذلك فقال له بشر ما أنت وذاك
قال نصيحة للأمير والمسلمين ولا أعود الى مثلها فأمده بالشرطة والمقاتلة وكتب بشر الى خليفته
بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مخنف على ثمانية آلاف من كل ربع ألفين ويوجه به مددا
الى المهلب فلما أتاه الكتاب بعث الى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فعقد له واختار له من كل ربع
ألفين فكان على ربع أهل المدينة بشر بن جرير البجلي وعلى ربع تميم وهمدان عبد الرحمن بن
سعيد بن قيس الهمداني وعلى ربع كندة وربيعة محمد بن اسحق بن الاشعث الكندي وعلى مذحج
وأسد زحر بن قيس المذحجي فقدموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مخنف فقال له قد عرفت رأيي
فيك وثقتي بك فكن عند ظني انظر هذا المزوني فخالفه في أمره وأفسد عليه رأيه فخرج عبد الرحمن
ابن مخنف وهو يقول ما أعجب ما طمع مني فيه هذا الغلام يأمرني أن أصغر شيخا من مشايخ
أهلي وسيدا من ساداتهم فلحق بالمهلب فلما أحس الازارقة بدنوه منهم انكشفوا عن الفرات
فاتبعهم المهلب الى سوق الاهواز فنفاهم عنها ثم تبعهم الى رام هرمز فهزمهم منها فدخلوا فارس
وأبلى يزيد ابنه في وقائعه هذه بلاء حسنا تقدم فيه وهو ابن احدى وعشرين سنة فلما صار القوم
بفارس وجه اليهم ابنه المغيرة فقال له عبد الرحمن بن صبح أيها الامير ليس برأي قتل هذه الاكلب
ولئن والله قتلتهم لتقعدن في بيتك ولكن طاولهم وكل بهم فقال ليس هذا من الوفاء فلم يلبث برام
هرمز الا شهرا حتى أتاه موت بشر فاضطرب الجند على ابن مخنف فوجه الى محمد بن اسحق بن
الاشعث وابن زحر واستحلفهما أن لا يبرحا فحلفا له ولم يفيا فجعل الجند من أهل الكوفة يتسللون
حتى اجتمعوا بسوق الأهواز وأراد أهل البصرة الانسلال من المهلب فخطبهم فقال انكم لستم
كأهل الكوفة انما تذبون عن مصركم وأموالكم وحرمكم فأقام منهم قوم وتسلل منهم ناس كثير
وكان خالد بن عبد الله خليفة بشر بن مروان فوجه مولى له بكتاب منه الى من بالاهواز يحلف فيه
بالله مجتهدا لئن لم يرجعوا الى مراكزهم وانصرفوا عصاة لا يظفر بأحد منهم الا قتله فجاء مولاه
فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله فقال اني لا أرى وجوها ما القبول من شأنها
فقال له ابن زحر أيها العبد اقرأ ما في الكتاب وانصرف الى صاحبك فانك لا تدري ما في أنفسنا
وجعلوا يستحثونه في قراءته ثم قصدوا واقصدوا الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا الى خليفة بشر يسألونه

الهمة وكثرة الأدب
والثبات على العهد اذا
زلت الاقدام وتوكيد
العقد اذا انحلت معاقد
الكرام والا التواضع عند
حدوث النعمة واحتمال
كل العثرة والنقد في الكتابة
والاشراف على الصناعة
والكتاب وهي القطب
الذي عليه مدار علم ما في
العالم وآداب الملوك
وتخليص الألفاظ والغوص
على المعاني السديدة
والتخلص الى اظهار ما في
الضمائر بأسهل القول
والتمييز بين الحجة والشبهة
وبين المفرد والمشترك
وبين المقصور والمبسوط
وبين ما يحتمل التأويل
مما لا يحتمله وبين السليم
والمعتل فبارك الله لهم
فيما أعطاهم ورزقهم
الشكر على ما خولهم
وجعل ذلك موصولا
بالسلامة وبما حظهم
من السعادة انه سميع
قريب فعال لما يريد

(فصل من صدر كتابه في استحقاق الامامة)

بعون الله تعالى نقول
واليه نقصد واياه ندعو
وعلى الله قصد السبيل
اعلم أن الشيعة رجلان
زيدي ورافضي وبقيتهم
نزر كما جاء لا زمام لهم وفي
الأخبار عنهما غنى عمن
سواهما قالت علماء

أن يأذن لهم في الدخول فأبى فدخلوها بغير اذن فلم يزل المهلب ومن معه من قواده وابن مخنف في
عدد قليل فلم ينشبوا أن ولي الحجاج العراق فدخل الكوفة قبل البصرة وذلك في سنة خمس
وسبعين فخطبهم وتهددهم وقد ذكرنا الخطبة متقدما ثم نزل فقال لوجوه أهلها ما كانت الولاة تفعل
بالعصاة فقالوا كانت تضرب وتحبس فقال الحجاج ولكن ليس لهم عندي الا السيف ان المسلمين
لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ولو ساغت المعصية لاهلها ما قوتل عدو ولا جبي فيء ولا
عز دين ثم جلس لتوجيه الناس فقال قد أجلتكم ثلاثا وأقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب ابن
مخنف بعدها ولا من أهل الثغور الا قتلته ثم قال لصاحب حرسه وصاحب شرطه اذا مضت ثلاثة
أيام فاتخذا سيوفكما عصيا فجاءه عمير بن ضابئ البرجمي بابنه فقال أصلح الله الامير ان هذا أنفع
لكم مني هو أشد بني تميم أيدا وأجمعهم سلاحا وأربطهم جأشا وأنا شيخ كبير عليل واستشهد
جلساءه فقال الحجاج ان عذرك لواضح وان ضعفك لبين ولكني أكره أن يجترئ بك الناس علي
وبعد فأنت ابن ضابئ صاحب عثمان ثم أمر به فقتل فاحتمل الناس وان أحدهم ليتبع بزاده
وسلاحه ففي ذلك يقول ابن الزبير الاسدي

أقول لعبد الله يوم لقيته * أرى الامر أمسى منصبا متشعبا
تخير فاما أن تزور ابن ضابئ * عميرا واما أن تزور المهلبا
هما خطتا خسف نجاؤك منهما * ركوبك حوليا من الثلج أشهبا
فما ان أرى الحجاج يغمد سيفه * يد الدهر حتى يترك الطفل أشيبا
فأضحى ولو كانت خراسان دونه * رآها مكان السوق أو هي أقربا

وهرب سوار بن المضرب السعدي من الحجاج وقال

أقاتلي الحجاج ان لم أزر له * دراب وأترك عند هند فؤاديا

وقدمت هذه الابيات وخرج الناس عن الكوفة وأتى الحجاج البصرة فكان عليهم أشد الحاحا
وقد كان أتاهم خبره بالكوفة فتحمل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر وكان شيخا
كبيرا أعور وكان يجعل على عينه العوراء صوفة فكان يلقب ذا الكرسفة فقال أصلح الله
الامير ان بي فتقا وقد عذرني بشر وقد رددت العطاء فقال انك عندي لصادق ثم أمر به فضربت

الزيدية وجدنا الفضل في
الفعل دون غيره ووجدنا
الفعل كله على أربعة
أقسام أولها القدم في
الاسلام حيث لا رغبة
ولا رهبة الا من الله تعالى
واليه ثم الزهد في الدنيا
فان أزهد الناس في الدنيا
أرغبهم في الآخرة وآمنهم
على نفيس المال وعقائل
النساء واراقة الدماء ثم
الفقه الذي به يعرف
الناس مصالح دنياهم
ومراشد دينهم ثم المشي
بالسيف كفاحا في الذب
عن الاسلام وتأسيس
الدين وقتل عدوه واحياء
وليه فليس وراء بذل
المهجة واستفراغ
القوة غاية يطلبها طالب
ويرتجيها راغب ولم نجد
فعلا خامسا فنذكره فمتى
رأينا هذه الخصال مجتمعة
في رجل دون الناس كلهم
وجب علينا تفضيله
عليهم وتقديمه دونهم
وذلك انا سألنا العلماء
والفقهاء وأصحاب
الأخبار وحمال الآثار
عن أول الناس اسلاما
فقال فريق منهم علي وقال
فريق منهم أبو بكر
وقال آخرون زيد بن
حارثة وقال قوم خباب
ولم نجد كل واحد من
هذه الفرق قاطعا لعذر
صاحبه ولا ناقلا له عن

عنقه ففى ذلك يقول كعب الأشقرى أو الفرزدق

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربة * تقرقر منها بطن كل عريف

ويروى عن ابن منبه قال انا لنتغدى معه يوما اذ جاء رجل من سليم برجل يقوده فقال أصلح الله الامير ان هذا عاص فقال له الرجل أنشدك الله أيها الامير فى دمى فوالله ما قبضت ديوانا قط ولا شهدت عسكرا وانى لحائك أخذت من تحت الحف فقال اضربوا عنقه فلما أحس بالسيف سجد فلحقه السيف وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج فقال مالى أراكم صفرت أيديكم واصفرت وجوهكم وحد نظركم من قتل رجل واحد ان العاصى يجمع خلالا يخل بمركزه ويعصى أميره ويغر المسلمين وهو أجيرلهم وانما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالى مخير فيه ان شاء قتل وان شاء عفا ثم كتب الحجاج الى المهلب أما بعد فانه بشر رحمه الله استكره نفسه عليك وأراك غناءه عنك وأنا أريك حاجتى اليك فأرنى الجد فى قتال عدوك ومن خفته على المعصية ممن قبلك فاقتله فانى قاتل من قبلى ومن كان عندى من ولى من هرب عنك فاعلمنى مكانه فانى أرى أن آخذ الولى بالولى والسمى بالسمى فكتب اليه المهلب ليس قبلى الا مطيع وان الناس اذا خافوا العقوبة كبروا الذنب واذا أمنوا العقوبة صغروا الذنب واذا يئسوا من العفو أكفرهم ذلك فهب لى هؤلاء الذين سميتهم عصاة فانما هم فرسان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدو ونادم على ذنبه فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال اليوم قوتل هذا العدو ولما رأى ذلك قطرى قال انهضوا بنا نريد السردان فنتحصن فيها فقال عبيدة بن هلال أو نأتى سابور وخرج المهلب فى آثارهم فأتى أرجان وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسردان وليست بمدينة ولكن جبال محدقة منيعة فلم يصب بها أحدا فخرج نحوهم فعسكر بكازرون واستعدوا القتاله وخندق على نفسه ثم وجه الى عبد الرحمن بن مخنف خندق على نفسك فوجه اليه خنادقنا سيوفنا فوجه اليه المهلب انى لا آمن عليك البيات فقال ابنه جعفر ذاك أهون علينا من ضرطة جمل فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال لم يصيبوا الرأى ولم يأخذوا بالوثيقة فلما أصبح القوم غادوه الحرب فبعث الى ابن مخنف يستمده فأمده بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا فجاؤا وعليهم أقبية بيض جدد فقاتلوا يومئذ حتى عرف مكانهم وحار بهم المهلب وأبلى بنوه يومئذ كبلاء

مذهبه وان كانت الرواية فى تقدم على أكثر واللفظ به أظهر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجهم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول على ومن قائل يقول الزبير ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول أبو دجانة ومن قائل يقول محمد بن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء بن مالك على أن لعلى رضى الله عنه من قتل الاقران والفرسان والاكفاء ما ليس لهم فلا أقل من أن يكون فى طبقتهم وان نحن سألناهم عن الفقهاء قالوا على وعمر وابن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب على أن عليا كان أفقههم لانه كان يسئل ولا يسأل ويفتى ولا يستفتى ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله فى طبقتهم وكاحدهم وان نحن سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على وأبو الدرداء ومعاذ وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على أن عليا أزهدهم لانه شاركهم فى خشونة الملبس

الكوفيين

الكوفيين أو أشد ثم نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مخراق وهو ينتخب قوما من جلة العسكر حتى بلغوا أربعمائة فقال لابنه المغيرة ما يعد هؤلاء الا للبيات وانكشف الخوارج والامر للمهلب عليهم وقد كثر فيهم القتل والجراح وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العصاة ويوجه الرجال فكان يحبسهم نهارا ويفتح الحبس ليلا فيتسلل الناس الى ناحية المهلب وكان الحجاج لا يعلم فاذا رأى اسراعهم تمثل

ان لها السائق عشنزرا * اذا ونين ونية تغشمرا

العشنزر الصلب والتغشمر ركوب الرأس والمتغشمر الجاد على ما خيلت وكتب الى المهلب من قبل الوقعة أما بعد فانه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو واني وليتك وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي واخترتك وأنت من أهل عمان ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا والا أشرعت اليك صدر الرمح فشاور بنيه فقالوا انه أمير فلا تغلظ عليه في الجواب فكتب اليه المهلب ورد على كتابك تزعم أني أقبلت على جباية الخراج وتركت قتال العدو ومن عجز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجز وزعمت أنك وليتني وأنت ترى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي وعباد بن حصين الحبطي ولو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغنائهما وبطشهما واخترتني وأنا رجل من الأزد ولعمري ان شرا من الأزد لقبيلة تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن وزعمت أني ان لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت الي صدر الرمح فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن والسلام ثم كانت الوقعة فلما انصرف الخوارج قال المهلب لابنه المغيرة اني أخاف البيات على بني تميم فانهض اليهم فكن فيهم فأتاهم المغيرة فقال له الحريش بن هلال يا أبا حاتم أيخاف الامير أن يؤتى من ناحيتنا قل له فليبت آمنا فانا كافوه ما قبلنا ان شاء الله فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرة الى أبيه سرى صالح بن مخراق في القوم الذين أعدهم الى ناحية بني تميم ومعه عبيدة بن هلال وهو يقول

اني لمذك للشراة نارها * ومانع ممن أتاها دارها * وغاسل بالطعن عنها عارها *

فوجد بني تميم أيقاظا متحارسين فخرج اليهم الحريش بن هلال وهو يقول

لقد وجدتم وقرا أنجادا * لا كشفا ميلا ولا أوغادا

وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبلغ بالحقير وخلاف النفس عن الفضول ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ورقع سراويله بأدم وقطع ما فضل من كمه عن أطراف أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع أن زهده هو أفضل من زهدهم لانه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن يعد في طبقتهم ولم نجدهم ذكروا لابي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب عن الاسلام بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء وأهل القدم في الاسلام ولم نجدهم ذكروا لابن عفراء والزبير وأبي دجانة والبراء ابن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة عمر وابن مسعود وأبي بن كعب كما ذكروا عليا في طبقتهم ولا ذكروا أبا بكر وزيدا وخبابا في طبقة معاذ وأبي الدرداء

هيهات لا تلفوننا رقادا * لا بل اذا اصبح بنا آسادا

ثم حمل على القوم فرجعوا عنه فاتبعهم وصاح بهم الى اين يا كلاب النار فقالوا انما أعدت النار لك ولأصحابك فقال الحريش كل مملوك لي حر ان لم تدخلوا النار ان دخلها المجوسي فيما بين سفوان وخراسان قوله وجدتم وقراجع وقوروا النجد ضد البليد وهو المتيقظ الذي لا كسل عنده ولا فتور والأميل فيه قولان قالوا الذي لا يستقر على الدابة وقالوا هو الذي لا سيف معه والأكشف الذي لا ترس معه والأجم الذي لا رمح معه والحاسر الذي لا درع عليه والأعزل الذي لا يتقوم على ظهر الدابة والوغد الضعيف ثم قال بعضهم لبعض نأتي عسكر ابن مخنف فانه لا خندق عليهم وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلب وقد زعموا أنا أهون عليهم من ضرطة جمل فأتوهم فلم يشعر ابن مخنف وأصحابه بهم الا وقد خالطوهم في عسكرهم وكان ابن مخنف شريفا يقول رجل من غامد لرجل يعاتبه ويضرب بابن مخنف المثل

تروح وتغدو كل يوم معظما * كأنك فينا مخنف وابن مخنف

فترجل عبد الرحمن بن مخنف فجالدهم فقتل وقتل معه سبعون من القراء فيهم نفر من أصحاب علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود وبلغ الخبر المهلب وجعفر بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلب فجاءهم مغيثا فقاتلهم حتى ارتث وصرع ووجه المهلب اليهم ابنه حبيبا فكشفهم ثم جاء المهلب حتى صلى على ابن مخنف وأصحابه رحمهم الله وصار جنده في جند المهلب فضمهم الى ابنه حبيب فعيرهم البصريون فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن

تركت أصحابنا تدمى نحورهم * وجئت تسعى الينا خضخفة الجمل

قوله خضخفة الجمل يريد ضرطة الجمل يقال خضف البعير وأنشدني الرياشي لاعرابي يذم رجلا اتخذ وليمة

انا وجدنا خلفا بئس الخلف * أغلق عنا بابه ثم حلف

لا يدخل البواب الا من عرف * عبدا اذا ما ناء بالحمل خضف

يقال ناء بحمله اذا حمله في ثقل وتكلف وفي القرآن ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح وقد مضى تفسير هذا (وتقول العرب حبج الرجل وحبق وخضف وردم كل ذلك اذا ضرط) فلامهم المهلب وقال بئسما قلتم والله ما فروا ولا جبنوا ولكنهم خالفوا

أميرهم

وأبي وعمار وبلال وعثمان ابن مظعون كما ذكروا عليا في طبقتهم فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه ومتفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وأهل هذه الطبقات الذين هم الغايات علمنا أنه أفضل وان كل واحد منهم وان كان قد أخذ من كل خير بنصيب فانه لن يبلغ مبلغ من قد اجتمع له الخير وصنوفه فهذا دليل هذه الطبقة من الزيدية على تفضيل علي رضوان الله عليه وتقديمه على غيره وزعموا أن عليا كان أولاهم بالخلافة الا أنهم كانوا على غيره أقل فسادا واضطرابا وأقل طعنا وخلافا وذلك أن العرب وقريشا كانوا في أمره على طبقات من رجل قد قتل علي أباه وابنه أو أخاه أو ابن عمه أو حميمه أو صفيه أو سيده أو فارسه فهو بين مضطغن قد دام على حقده ينتظر الفرصة ويترقب الدائرة قد كشف قناعه وأبدى عداوته ومن رجل قد زمل غيظه وأكمن ضغنه يرى أن سترهما في نفسه ومداراة عدوه أبلغ في التدبير وأقرب من الظفر فانما يحتز به أدنى علة تحدث وأول تأويل يعرض أو فتنة تهيج فهو

أميرهم أفلا تذكرون فراركم يوم دُولابَ وفراركم بدارس عن عثمان وفراركم عنى ووجّه الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثّه فى مُناجزة القوم وكتب اليه انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم فقال المهلبُ لأصحابه حرّكوهم فخرج فرسان من أصحابه اليهم فخرج اليهم من الخوارج جمعٌ فاقتتلوا الى الليل فقال لهم الخوارج ويلكم أما تملّون فقالوا لا حتى تملّوا قالوا فمن أنتم قالوا تميم قالت الخوارجُ ونحن بنو تميم فلما أمسَوا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج اليهم عشرة من الخوارج فاحتفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها فكلما قُتِل رجل جاء رجل من أصحابه فاجترّه ووقف مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارجُ ارجعوا فقالوا بل ارجعوا أنتم فقالوا ويلكم من أنتم فقالوا تميم قالوا ونحن تميم فرجع البراءُ بن قبيصة الى الحجاج فقال له مَهْ قال رأيت قوما لا يُعين عليهم الا اللهُ وكتب اليه المهلبُ انى منتظر بهم احدى ثلاث موتٌ ذريعٌ أو جوع مُضرٌّ أو اختلاف من أهوائهم وكان المهلبُ لا يتّكلُ فى الحراسة على أحد كان يتولى ذلك بنفسه ويستعين بولده وبمن يحُلّ محلّهم فى الثقة عنده وقال أبو حَرْملة العبدىُّ يهجو المهلب

عدمتُكَ يا مهلّبُ من أمير ❊ أما تَنْدَى يمينُكَ للفقير

بدُولابٍ أضعتَ دماءَ قوم ❊ وطِرْتَ على مُواشِكةٍ دَرور

فقال المهلب ويحكْ والله انى لأَقيكُمْ بنفسى وولدى قال جعلنى الله فداءَ الأمير فذاك الذى نكرَهُ منك ما كلّنا يحب الموت قال ويحكْ وهل عنه محيصٌ قال لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تُقَدِّمُ عليه اقداما قال المهلب أما سمعت قول الكَلْحبة اليربوعى

فقلتُ لكأسٍ ألجِميها فانما ❊ نزلنا الكثيبَ من زرودَ لنَفْزَعا

قال بلى والله قد سمعته ولكن قولى أحبُّ الىّ منه

فلما وقفتم غدوةً وعدوُّكم ❊ الى مهجتى ولّيتُ أعداءكم ظهرى

وطِرْتُ ولم أحفِلْ مقالةَ عاجز ❊ يُساقى المنايا بالرُّدَيْنيّة السُّمْر

فقال المهلب بئس حَشْوُ الكَتيبة والله أنتَ فان شئتَ أذنتُ لك فانصرفتَ الى أهلك فقال بل أقيم معك أيها الأمير فوهبَ له المهلبُ وأعطاه فقال يمدحه

يرى حقا عليه أبو سعيد ❊ جِلادَ القومِ فى أُولى النفير

وصد الفرقة ويترقب الفتنة حتى يصول صولة الأسد ويروغ روغان الثعلب فيشفى غليله ويبرد ناره واذا كان العدو كذلك كان غير مأمون عليه سرف الغضب وان يهوله الشيطان الوثوب ويزين له الطلب لانه قد عرف مأتاه وكيف يختله من طريق هواه فاذا كان القلب كذلك اشتد تحفظه ولم يقوا احتراسه وكان يعرض هلكه على جناح تغرير لانه منقسم الرأى متفرق النفس قد اعتلج على قلبه غيظ الثار على قرب عهده باخلاق الجاهلية وعادة العرب من الثار وتذكر الأحقاد والأمر القديم وشدة التصميم ومن رجل حميته حداثته وأنف أن يلى عليه أصغر منه ومن رجل عرف شدته فى أمره وقلة اعتقاده فى دينه وخشونة مذهبه ومن رجل كره أن يكون الملك والنبوة يثبتان فى نصاب واحد ويتبيان فى مغرس واحد لان ذلك أقطع لاطماع قريش أن يعود الملك دولة فى قبائلها ومن قريش خاصة فى بنى عبد مناف الأقرب فالأقرب والأدنى فالأدنى لان الرحم كلما كانت امس

اذا نادى الشراةُ أبا سعيد * مشى في رفْلِ محكمة القتير

الرفل الذيل وقال المهلب ما يسرني أن في عسكري ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب فيقال له أما الامير بيهس ليس بشجاع فيقول أجل ولكنه سديد الرأي محكم العقل وذو الرأي حذر سؤول فأنا آمن أن يغفل فلو كان مكانه ألف شجاع قلت انهم ينشامون حتى يحتاج اليهم ومطرت السماء ليلة مطرا شديدا وهم بسابور وبين المهلب وبين الشراة عقبة فقال المهلب من يكفينا هذه العقبة الليلة فلم يقم أحد فلبس المهلب سلاحه وقام الى العقبة واتبعه ابنه المغيرة فقال رجل من أصحابه يقال له عبد الله دعانا الأمير الى ضبط العقبة والحظ في ذلك لنا فلم نطعه فلبس سلاحه واتبعه جماعة من أهل العسكر فصاروا اليه فاذا المهلب والمغيرة لا ثالث لهما فقالوا انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك ان شاء الله فلما أصبحوا اذا بالشراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عمان على فرس فجعل يحمل وفرسه يزاق وتلقاه مدرك بن المهلب في جماعة معه حتى ردهم فلما كان يوم النحر والمهلب على المنبر يخطب الناس اذا الشراة قد تألبوا فقال المهلب سبحان الله أفي مثل هذا اليوم يا مغيرة اكفنيهم فخرج اليهم المغيرة بن المهلب وأمامه سعد بن نجد القردوسي وكان سعد شجاعا متقدما في شجاعته وكان المهلب اذا ظن برجل أن نفسه قد أعجبته قال له لو كنت سعد بن نجد القردوسي ما عدا (وقردوس من الأزد) فخرج أمام المغيرة وتبع المغيرة جماعة من فرسان المهلب فالتقوا وأمام الخوارج غلام جامع السلاح مديد القامة كريه الوجه شديد الحملة صحيح الفروسية فأقبل يحمل على الناس وهو يقول

نحن صبحناكم غداة النحر * بالخيل أمثال الوشيج تجري

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسي من الازد فتجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله والتقى الناس فصرع يومئذ المغيرة فحامى عليه سعد بن نجد وذبيان السختياني وجماعة من الفرسان حتى ركب وانكشف الناس عند سقطة المغيرة حتى صاروا الى أبيه المهلب فقالوا قتل المغيرة ثم أتاه ذبيان السختياني فأخبره بسلامته فأعتق كل مملوك كان بحضرته ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه في مناجزة القوم وكتب اليه أما بعد فانك جبيت الخراج بالعلل وتحصنت بالخنادق وطاولت القوم وأنت أعز ناصرا وأكثر عددا وما أظن بك مع هذا معصية ولا جبنا

والجوار أقرب والصناعة أشكل كان الحسد أشد والغيظ أفرط فكان أقرب الأمور الى محبتهم اخراج الخلافة من ذلك المعدن ترفيها عن أنفسهم من ألم الغيظ وكذا الحسد

(فصل منها) وضرب من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا انتظام لهم ولا اختيار عندهم وأعراب أجلاف وأشباه الأعراب يفترقون لا تدفع صولتهم اذا هاجوا ولا يؤمن تهيجهم اذا سكنوا ان أخصبوا طغوا في البلاد وان أجدبوا آثروا العناد وهم موكلون ببغض القادة وأهل الثراء والنعمة يتمنون له الغلبة ويشمتون بالعثرة ويسرون بالجولة ويترقبون الدائرة فلما كان الناس عند علي وأبي بكر على الطبقات التي ذكرنا والمراتب التي رتبنا أشفق على أن يظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب فدعاه النظر للدين الى الكف عن الاظهار والتجافي عن الأمر فاغتفر المجهول ضنا بالدين وايثار الآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحته وأصالة رأيه

ولكنك

ولكنك اتخذت أكلا وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجزهم والا أنكرتني والسلام فقال المهلب للجراح يا أبا عقبة والله ما تركت حيلة الا احتلتها ولا مكيدة الا أعملتها وما العجب من ابطاء النصر وتراخي الظفر ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ثم ناهضهم ثلاثة أيام يغاديهم القتال ولا يزالون كذلك الى العصر وينصرف أصحابه وبهم قرح وبالخوارج قرح وقتل فقال له قد أعذرت فكتب المهلب الى الحجاج أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم على أنك لا تظن بي معصية ولا جبنا وقد عاتبتني معاتبة الجبان وأوعدتني وعيد العاصي فاسأل الجراح والسلام فقال الحجاج للجراح كيف رأيت أخاك قال والله ما رأيت أيها الأمير مثله قط ولا ظننت أن أحدا يبقى على مثل ما هو عليه ولقد شهدت أصحابه أياما ثلاثة يغدون الى الحرب ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطاعنون بالرماح ويتجالدون بالسيوف ويتخابطون بالعمد ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيأ رواح قوم تلك عادتهم وتجارتهم فقال الحجاج لشد ما مدحته أبا عقبة قال الحق أولى وكانت ركب الناس قديما من الخشب فكان الرجل يضرب ركابه فينقطع فاذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمد فأمر المهلب فضربت الركب من الحديد وهو أول من أمر بطبعها ففي ذلك يقول عمران بن عصام العنزي

ضربوا الدراهم في امارتهم * وضربت للحدثان والحرب

حلقا ترى منها مرافقهم * كمناكب الجمالة الجرب

وكتب الحجاج الى عتاب بن ورقاء الرياحي من بني رياح بن يربوع بن حنظلة وهو والي أصبهان يأمره بالمسير الى المهلب وأن يضم اليه جند عبد الرحمن بن مخنف فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة فالمهلب أمير الجماعة فيه وأنت على أهل الكوفة فاذا دخلتم بلدا فتحه لاهل الكوفة فأنت أمير الجماعة والمهلب على أهل البصرة فقدم عتاب في احدى جمادين من سنة ست وسبعين على المهلب وهو بسابور وهي من فتوح أهل البصرة فكان المهلب أمير الناس وعتاب على أصحاب ابن مخنف والخوارج في أيديهم كرمان وهم بازاء المهلب بفارس يحاربونه من جميع النواحي فوجه الحجاج الى المهلب رجلين يستحثانه مناجزة القوم أحدهما يقال له زياد ابن عبد الرحمن من بني عامر بن صعصعة والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج فضم زيادا الى ابنه

وعلم أن هلكتهم لا تقوم بازاء فرق ما بين حاله وحال أبي بكر في مصلحتهم وقد علم بعد ذلك أن مسيلمة قد أطبق عليه أهل اليمامة ومن حولها من أهل البادية وهم القوم الذين يصطلى بنارهم ولا يطمع في ضعفهم وقلة عددهم فكان الصواب ما رآه علي من الكف عن تحريك الهرج اذ أبصر أسباب الفتن شارعة وشوا كل الفساد بادية ولو هرج القوم هرجة وحدثت بينهم فرقة كان حرب بوارهم أغلب من الطمع في سلامتهم وقد كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وفضلاء أصحابه يعرفون من ذلك الآراء شبيها بما يعرفه علي فعلموا أن أول احكام الدين المبادرة الى اقامة امام المسلمين لئلا يكونوا نشرا ولئلا يجعلوا للمفسدين علة وسببا فكان أبو بكر أصلح الناس لها بعد علي فأصاب في قيامه والمسلمون في اقامته وعلي في تسويغه والرضاء بولايته منة على الاسلام وأهله فلما قمع الله تعالى أهل الردة بسيف النقمة وأباد النفاق وقتل مسيلمة وأسر طليحة ومات أصحاب الأوتاد ونفيت الضغائن راح

حبيب وضم الثقفي الى يزيد ابنه وقال لهما خذا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادوا الخوارج فاقتتلوا أشد قتال فقتل زياد بن عبد الرحمن وفقد الثقفي ثم باكروهم في اليوم الثاني وقد وجد الثقفي فدعا به المهلب ودعا بالغداء فجعل النبل يقع قريبا منهم والثقفي يعجب من أمر المهلب فقال الصلتان العبدي

ألا يا اصبحاني قبل عوق العوائق • وقبل اخترام القوم مثل العقائق
غداة حبيب في الحديد يقودنا * نخوض المنايا في ظلال الخوافق
حرون اذا ما الحرب طار شرارها * وهاج عجاج الحرب فوق البوارق
فمن مبلغ الحجاج أن أمينه * زيادا أطاحته رماح الازارق

قوله وقبل اخترام القوم مثل العقائق يعني السيوف والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة برق أي كأنه لمعة برق ويقال انعق البرق اذا تبسم والعقيقة مواضع يقال فلان بعقيقة الصبي أي بالشعر الذي ولد به لم يحلقه ويقال عققت الشئ أي قطعته ومن ذا فلان يعق أبويه وكذا عققت عن الصبي اذا ذبحت عنه وقال أعرابي

ألم تعلمي يا دار بلجاء أنني * اذا أجدبت أو كان خصبا جنابها
أحب بلاد الله ما بين مشرف * الي وسلمى أن يصوب سحابها
بلاد بها عق الشباب تميمتي * وأول أرض مس جلدي ترابها

فلم يزل عتاب بن ورقاء مع المهلب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب فكتب الحجاج الى عتاب يأمره بالمصير اليه ليوجهه الى شبيب وكتب الى المهلب بأن يرزق الجند فرزق المهلب أهل البصرة وأبى أن يرزق أهل الكوفة فقال له عتاب ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة فأبى فجرت بينهما غلظة فقال عتاب قد كان يبلغني انك شجاع فرأيتك جبانا وكان يبلغني انك جواد فرأيتك بخيلا فقال له المهلب يا ابن اللخناء فقال له عتاب لكنك معم مخول فغضبت بكر بن وائل للمهلب للحلف ووثب نعيم بن هبيرة بن أبي مصقلة على عتاب فشتمه وقد كان المهلب كارها للحلف فلما رأى نصرة بكر بن وائل له سره الحلف واغتبط به ولم يزل يؤكده فغضبت تميم البصرة لعتاب وغضبت أزد الكوفة للمهلب فلما رأى ذلك المغيرة بن المهلب مشى بين أبيه وبين عتاب فقال لعتاب يا أبا ورقاء ان الامير يصير لك الى كل ما تحب وسأل أباه ان يرزق أهل الكوفة فأجابه فصلح الامر

فكانت

الحق الى أهله وعاد الأمر الى صاحبه قالوا وقد يكون الرجل أفضل الناس ويلي عليه من هو دونه في الفضل حتى يكلفه الله طاعته وتقديمه اما للمصلحة والاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا واما للتغليظ في المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر والملائكة أفضل من آدم ولأن جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعة وكما ملك الله طالوت على بني اسرائيل وفيهم يومئذ داود نبي صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذي أخبر الله عنه في القرآن بقوله تعالى ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا الى آخر الآية

(فصل من صدر رسالة في استنجاز الوعد) قد شاع الخبر وسار المثل بقولهم اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه فان كان الوجه انما وقع على الوجه الذي فيه الناظر والسامع والشام والذائق اذا كان حسنا جميلا وعتيقا

فكانت تميم قاطبة وعتّابُ بن ورقاء يحمدون المغيرة بن المهلب وقال عتاب انى لاعرف فضله على أبيه وقال رجل من الازد من بنى اياد بن سود

ألا أبلغ بنى ورقاء عنا * فلولا أننا كنا غضابا

على الشيخ المهلب اذ جفانا * للاقت خيلكم منا ضرابا

وكان المهلب يقول لبنيه لا تبدؤهم بقتال حتى يبدؤكم فيبغوا عليكم فانهم اذا بغوا نصرتم عليهم فشخص عتّابُ بن ورقاء الى الحجاج فى سنة سبع وسبعين فوجهه الى شبيب فقتله شبيبٌ وأقام المهلب على حربهم فلما انقضى من مُقامه ثمانية عشر شهرا اختلفوا وكان سبب اختلافهم أن رجلا حدادا من الازارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها أصحابُ المهلب فرفع ذلك الى المهلب فقال أنا أكفيكموه ان شاء الله فوجّه رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر قطرى فقال ألق هذا الكتاب فى عسكر قطرى واحذر على نفسك وكان الحداد يقال له أبزى فمضى الرسول وكان فى الكتاب أما بعد فان نصالك قد وصلت الى وقد وجهتُ اليك بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتابُ والدراهمُ الى قطرى فدعا بأبزى فقال ما هذا الكتابُ قال لا أدرى قال فهذه الدراهم قال ما أعلمُ علمها فأمر به فقُتل فجاءه عبدُ ربّه الصغير مولى بنى قيس ابن ثعلبة فقال له أقتلت رجلا على غير ثقة ولا تبيّن فقال له ما حالُ هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرُها كذبا ويجوز أن يكون حقا فقال له قطرى قتلُ رجلٍ فى صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما رآه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكّر له عبدُ ربّه فى جماعة ولم يفارقوه فبلغ ذلك المهلبَ فدسّ اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيتَ قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل انما سجدتُ لك ففعل النصرانى فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الا لك فقال له رجلٌ من الخوارج قد عبدَكَ من دون الله وتلا انكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدُوا عيسى بن مريم فما ضرّ ذلك عيسى شيئا فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فأنكر ذلك عليه وقال أقتلتَ ذميّا فاختلفت الكلمة فبلغ ذلك المهلبَ فوجّه اليهم رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدُهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة

بها فوجهك الذى لا يحيل على أحد كماله ولا يخطى حواله وان كان ذكر الوجه انما يقع على حسن وجه المطلب وجماله على جهة الرغبة وان كان ذلك على طريق المثل وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ والفرع المأخوذ من الأصل فوجه المطالب اليك أفضل الوجوه وأسناها وأصوبها وأرضاها وهو المنهج الفسيح والمتجر الربيح وجماله ظاهر ونفعه حاضر وخيره غامر الا ان الله تعالى قرنه مع ذلك باليمن وسهله باليسر وحببه بالبشر الحسن ودعا اليه بلين الحجاب وأظهر فى أسمائكم وأسماء آبائكم وفى كناكم وكنى اخوانكم من برهان الفال الحسن ونفى الطيرة السيئة ما جمع لكم به صنوف الأمل وضرب اليكم وجوه المطالب فاجتمع فيكم تمام القوام وبراعة الجمال والبشرة عند اللقاء ولين الخطاب والكنف للخلطاء وقلة البذخ بالمرتبة الرفيعة والزيادة فى الانصاف عند النعمة الحادثة تجعل الناس وعدكم من أكرم الوعد وعقدكم من أوثق العقد واطماعكم من أصح الانجاز واعلموا انكم

ماتقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فمن من أهل الجنة وأما الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الاختلاف فخرج قطري الى حدود اصطخر فأقام شهرا والقوم في اختلافهم ثم أقبل فقال لهم صالح بن مخراق يا قوم انكم قد أقررتم أعين عدوكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا الى سلامة القلوب واجتماع الكلمة وخرج عمرو القنا فنادى يا أيها المحلون هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ثم قال

ألم تر أنا منذ ثلاثون ليلة * قريب وأعداء الكتاب على خفض

فتهايج القوم وأسرع بعضهم الى بعض فأبلى يومئذ المغيرة بن المهلب وصار في وسط الازارقة فجعلت الرماح تحطه وترفعه واعتورت رأسه السيوف وعليه ساعد حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيأ واستنقذه فرسان من الازد بعد ان صرع وكان الذي صرعه عبيدة بن هلال وهو يقول

أنا ابن خير قومه هلال * شيخ على دين أبي بلال * وذاك ديني آخر الليالي

فقال رجل للمغيرة كنا نعجب كيف تصرع والآن نعجب كيف تصو وقال المهلب لبنيه ان سرحكم لغار ولست آمنهم عليه أفوكلتم به أحدا قالوا لا فلم يستتم الكلام حتى أتاه آت فقال ان صالح ابن مخراق قد أغار على السرح فشق ذلك على المهلب وقال كل أمر لا أليه بنفسي فهو ضائع وتذمر عليهم فقال له بشر بن المغيرة أرح نفسك فان كنت انما تريد مثلك فوالله لا يعدل أحدنا شسع نعلك فقال خذوا عليهم الطريق فثار بشر بن المغيرة ومدرك والمفضل ابنا المهلب فسبق بشر الى الطريق فاذا رجل أسود من الازارقة يشل السرح أي يطرده وهو يقول

نحن قعناكم بشل السرح * وقد نكأنا القرح بعد القرح

الشل الطرد ويقال نكأت القرحة مهموز ونكيت العدو غير مهموز من النكاية ونكأت القرحة نكأ قال ابن هرمة ولا أراها تزال ظالمة * تحدث لي قرحة وتنكؤها

ولحقه المفضل ومدرك فصاحا برجل من طيئ اكفنا الاسود فاعتوره الطائي وبشر بن المغيرة فقتلاه وأسرا رجلا من الازارقة فقال له المهلب ممن الرجل قال رجل من همدان قال انك لشين همدان وخلى سبيله وكان عياش الكندي شجاعا بئيسا فأبلى يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك

تؤيسون في مواضع اليأس وتطمعون في مواضع الضمان وان الامور عندكم موزونة معدلة والاسباب مقدرة محصلة هذا مع الصولة والتصميم في موضع التصميم والتقية أحزم والصفح اذا كان الصفح أكرم والرحمة لمن استرحم والعقاب لمن صمم ثم المعرفة تفرق ما بين اعتزام الغمر واعتزام المستبصر وفصل ما بين اعتزام الشجاع والبطل وبين اقدام الجاهل المتهور وقد علم الناس بما شاهدوه منكم وعاينوه من تدبير وعرفوه من تصرف حالكم اني لم أتزيد لكم ولم أتكلف فيكم ما ليس عندكم وخير المديح ما وافق حال الممدوح وأصدق الصفات ما شاكل مذهب الموصوف وشهد له أهل العيان الظاهر والخبر المتظاهر ومتى خالف هذه القضية وجانب الحقيقة ضار المادح ولم ينفع الممدوح هذا الى الثبات على العهد واحكام العقد مع الوفاء العجيب والرأي المصيب وتمام ذلك وكماله وسناه ذلك وبهاؤه كثرة الشهود لكم واجماع الناس على ذلك فيكم ومن قبل لنفسه

فقال المهلب لا وألّت نفسُ الجبان بعد عياش وقال المهلب ما رأيت كهؤلاء كلما يُنقص منهم يَزيدُ فيهم ووجه الحجاجُ الى المهلب رجلين أحدهما من كَلْب والآخر من سُلَيم يستحثانه بالقتال فقال المهلبُ متمثلا

ومُستَعجِبٍ عما يرى من أناتنا * ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يَتَرمرَمِ

الشعر لأوس بن حَجَر وقوله زبنته يقول دفعته ولم يترمرم أي لم يتحرك يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم وقال ليزيد حركهم فحركهم فتهايجوا وذلك في قرية من قرى اصطَخْرَ فحمل رجل من الخوارج على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فشَكَّ فخِذَه بالسرج فقال المهلب للسُّلَمِيّ والكلبي كيف نقاتل قوما هذا طَعْنُهم وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرُّقَادُ وهو من فرسان المهلب وهو أحد بني مالك بن رَبيعة على فرس له أَدْهَمَ وبه نيف وعشرون جراحةً وقد وضع عليها القطن فلما حَمَلَ يَزيدُ وَلَّى الجمعُ وحماهم فارسان فقال يزيد لقيس الخُشَنِيّ مَوْلَى العَتِيكِ مَنْ لهذين قال أنا فحَمَلَ عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الخشني فصرعه وحمل عليه الآخر فعانقه فسقطا جميعا الى الارض فصاح قيس الخشني اقتلونا جميعا فحملت خيل هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فاذا معانقُه امرأة فقام قيس مستحييا فقال له يزيد أما أنت فبارَزْتَها على أنها رجل فقال أرأيتَ لو قُتِلْتُ أما كان يقال قتلَتْهُ امرأة وأَبْلَى يومئذ ابن المُنْجِبِ السدوسيُّ فقال له غلام له يقال له خِلاجٌ والله لو ددنا أنا فضَضْنا عسكرهم حتى أصير الى مُستقرهم فأستَلِبَ مما هناك جاريتين فقال له مولاه وكيف غنيت اثنتين قال لاعطينّ احداهما وآخذ الاخرى فقال ابن المُنْجِبِ

أخِلاجُ انك لن تعانق طَفْلةً * شَرِقًا بها الجاديُّ كالتمثال

حتى تُلاقيَ في الكتيبة مُعْلِمًا * عَمْرَو القَنا وعَبيدةَ بن هلال

وتَرَى المُقَطَّرَ في الكتيبة مُقْدِمًا * في عُصْبة قُسُطٍ وامعِ الضُّلّالِ

أو أن يُعلِّمكَ المهلبُ غزوةً * وتَرَى جِبالا قد دَنَتْ لجِبال

قوله طَفْلة يقول ناعمة واذا كسرتَ الطاء فقلت طِفْلة فهي الصغيرة والجاديُّ الزعفران والكتيبة الجيش وانما سمي الجيشُ كتيبةً لانضمام أهله بعضهم الى بعض وبهذا سمي الكتابُ ومنه قولهم كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ وكَتَبْتُ القِربةَ اذا خرزتَ ذلك الموضع منها والمُعْلِمُ الذى قد شَهَرَ نفسه بعلامة اما بعمامة صَبِيغٍ واما بشُهْرة واما بغير ذلك وكان حمزة بن عبد المطلب رضوانُ الله عليه

مدحه الا يعرف به كان كمادح نفسه ومن أثاب الكذابين على كذبهم كان شريكهم في اثمهم وشقيقهم في سخفهم بل كان المحتمل لكبره المحتمل لوزره اذا كان المثيب عليه والداعي اليه معاذ الله أن نقول الامعر وفا غير مجهول ونصف الا صحيحا غير مدخول أو نكون ممن يتودد بالملق ويتقحم على أهل الاقدار شرها الى مال أو حرصا على تقريب وأبعد الله الحرص وأخزى الشره والطمع فان شد شاك أو توقف مرتاب فليعترض العامة وليتصفح ما عند الخاصة حتى يتبين الصبح وقالوا في تأديب الولاة وتقديم تدبير الكفاة اذا أبردتم البريد فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم فكيف اذا قارن حسن الوجه وحسن الاسم وكرم الضريبة وشرف العرق وأعيان الأعراق الكريمة والأخلاق الشريفة اذا اجتمعت هذا الاجتماع واقترنت هذا الاقتران كانت أتم للنعمة وأبدع للفضيلة وكانت الوسيلة اليها أسهل والمأخذ نحوها أقرب والأسباب أمتن فاذا انتظمت فهذا

مُعلَمًا يوم بدر بريشة نعامة في صدره وكان أبو دُجانة وهو سماك بن خَرَشَة الانصاري يوم أحد لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأخذ سيفي هذا بحقه قالوا وما حقه يا رسول الله قال أن يُضرَب به في العدو حتى ينحني فقال أبو دجانة أنا فدفعه اليه فلبس مُشهَّرة كان أعلم بها وكان قومه يعلمون لما بلوا منه أنه اذا لبس تلك المشهرة لم يبق في نفسه غاية ففعل وخرج يمشي بين الصفين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها المِشية يُبغضها الله عز وجل الا في مثل هذا الموضع ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع عليا صلوات الله عليه يقول لفاطمة ورمى اليها بسيفه فقال هاك حميدًا فاغسلي عنه الدم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنتَ صدقتَ القتالَ اليوم لقد صَدَقه معك سماك بن خَرَشة وسهل بن حُنيف والحرث بن الصِّمّة وفي بعض الحديث وقيس ابن الربيع وكل هؤلاء من الانصار ۞ عاد الحديث الى ذكر الخوارج وعمرو القَنا من بني سعد ابن زيد مناة بن تميم وعَبيدة بن هلال من بني يشكر بن بكر بن وائل والذي طعن صاحبَ المهلب في فخذه فشكها مع السرج من بني تميم قال ولا أدري أعمرو هو أم غيره والمقعطر من عبد القيس وقوله قسطوا أي جاروا يقال قَسَطَ يَقسِط فهو قاسط اذا جار قال الله جل ثناؤه وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا ويقال أقسَطَ يُقسِط فهو مُقسِط اذا عدل قال الله تعالى ان الله يحب المُقسطين وكان بدر بن الهُذيل شجاعا وكان لحّانة فكان اذا أحس بالخوارج نادى يا خيل الله اركبي وله يقول القائل

واذا طَلَبتَ الى المهلب حاجةً • عَرَضَت توابعُ دونه وعَبيدُ
العبدُ كُردوسٌ وعبدٌ مثلُه * وعلاجُ باب الأحمر بن شديدُ

كردوس رجل من الازد وكان حاجب المهلب وقوله وعلاج باب الاحمر بن شديد العرب تسمي العجم الحمراء وقد مضى تفسير ذا وقوله توابع أراد به الرجال لجاز في الشعر وانما رده الى أصله للضرورة وما كان من النعوت على فاعل فجمعه فاعلون لئلا يلتبس بجمع فاعلة التي هي نعت وقد قلنا في هذا ولِمَ قالوا فوارس وهالك في الهوالك وكان بشر بن المغيرة أبلى يومئذ بلاء حسنا عُرِف مكانُه فيه وكانت بينه وبين بني المهلب جفوة فقال لهم يا بني عم اني قد قصّرت عن شكاة العاتب وجاوزت شكاة المستعتِب حتى كأني لا موصولٌ ولا محرومٌ فاجعلوا لي فُرجةً أعش بها وهبوني امرأً رجوتم نصره

او

السلك وجمعها هذا النظم كان الذي يبرد البريد أولى بها من البريد وكان مقوم البلاد أحق بها من حاشية الكفاة اذ التأميل لا يجمع وجه الصواب ولا يحصي مخارج الأسباب ولا يظهر برهانه ويقوم سلطانه حتى يصيب المعدن وان يكون موضع الرغبة معدنا الا بعد اشتماله على ترادف خصال الشرف وبعد ان تتوافى اليه معاني الكرم بالاعراق الكريمة والعادات الحسنة عن حادث يشهد لقادم وطارف يدل على تالد فاذا كان الأمل يخبر بالحسب فالحسب ثاقب والمجد راسخ وان كان الشأن في صناعة الكلام وفي القدم والرياسة وفي خلف يأثره عن سالف وآخر يتلقاه عن أول قبلكم ما لا يذهب عنه جاحد ولا يستطيع جحده معاند

(فصل منها) وأسماؤكم وكناكم بين فرج ونجح وبين سلامة وفضل ووجوهكم وفق أسمائكم وأخلاقكم وفق أعراقكم فلم يضرب التفاوت فيكم بنصيب وبعد هذا فاني أستغفر الله تعالى من تفريطي في حقوقكم واستوهبه طول رقدتي

أوخفتم اسانه فرجعوا له ووصلوه وكلموا فيه المهلب فوصله وولّى الحجاج كَرْدَمَ فارسَ فوجهه الحجاج اليها والحرب قائمة فقال رجل من أصحاب المهلب

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَما * كَرْدَمةَ العَيْرِ أَحسَّ الضَيْغَما

الضَيغمُ الاسدُ والكردمةُ النفور فكتب المهلب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عن اصطخرَ ودَرَابجِرْدَ لأرزاق الجند ففعل وكان قَطَريٌّ هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره وأراد مثل ذلك بمدينة فَسَا فاشتراها منه آزاذمَرْدُ بن الهِرْبِذ بمائة ألف درهم فلم يهدمها فواقعه المهلبُ فهزمه ونفاه الى كرمان واتبعه ابنه المغيرة وقد كان دفع اليه سيفا وجَّه به الحجاجُ الى المهلب وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة بعد ما تقلده به فرجع به المغيرةُ اليه وقد دَمَّاه فَسُرَّ المهلبُ بذلك وقال ما يسرني أن أكون كنتُ دفعته الى غيرك من ولدى اكفنى جبايةَ خراج هاتين الكُورتين وضم اليه الرُّقادَ فجعلا يجبيان ولا يعطيان الجندَ شيأ ففي ذلك يقول رجل منهم وأحسبه من بنى تميم فى كلمة له

ولو علم ابن يوسف ما نُلاقى * من الآفات والكُرَبِ الشِداد

لفاضتْ عينُه جَزَعا علينا * وأصلحَ ما استطاع من الفساد

ألا قُل للامير جُزيتَ خيرا * أرِحْنا من مُغيرةَ والرُقاد

فما رزقا الجنودَ بها قفيزا * وقد ساستْ مَطامير الحَصاد

يقال ساسَ الطعامُ وأساس اذا وقع فيه السوس ودادَ وأدادَ من الدود وروى أبو زيد دِيدَ فهو مَدودٌ فى هذا المعنى فحاربهم المهلب بالسيرَجان حتى نفاهم عنها الى جِيرُفْتَ واتَّبعهم فنزل قريبا منهم واختلفت كلمتهم وكان سببُ ذلك أن عَبيدةَ بن هلال اليشكُريَّ اتُّهمَ بامرأة رجل حداد رأوه مرارا يدخل منزله بغير اذن فأتَوا قطريا فذكروا ذلك له فقال لهم ان عَبيدةَ من الدين بحيث علمتم ومن الجهاد بحيث رأيتم فقالوا انا لا نُقارُّه على الفاحشة فقال انصرفوا ثم بعثَ الى عبيدة فأخبره وقال انا لا نُقارُّ على الفاحشة فقال بَهَتونى يا أمير المؤمنين فما ترَى قال انى جامعٌ بينك وبينهم فلا تخضعْ خضوعَ المُذنِب ولا تتطاولْ تطاولَ البرىء فجمعَ بينهم فتكلموا فقام عبيدة فقال بسم الله الرحمن الرحيم ان الذين جاؤا بالافكِ عُصْبةٌ منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم

عما فرضته لكم ولا ضير ان كان هذا الذى قلنا على اخلاص وصحة عهد وعلى صدق سيرة وثبات عقد ينبوا السيف وهو حسام ويكبو الطرف وهو جواد وينسى الذكور ويغفل الفطن ونعوذ بالله تعالى من العمى بعد البصيرة والحيرة بعد لزوم الجادة كان أبو الفضل أعزه الله على ما قد بلغك من التبرع من الوعد وسرعة الانجاز وتمام الضمان وعلى الله تمام النعمة والعافية وكان أيده الله فى حاجتى كما وصف زيد الخيل نفسه حين يقول وموعدتى حق كأن قد فعلتها

متى ما أعد شيأ فانى لعازم

وتقول العرب من أشبه أباه فما ظلم تقول لم يضع الشبه الا فى موضعه لانه لا شاهد أصدق على غيب نسبه وخفى نجله من الشبه القائم فيه الظاهر عليه وقد تقبلت أبقى الله شبهك خلقه وخلقه وفعله وعزمه ومن الشهامة والنفس التامة ومرجع الافعال الى الطبائع ومدار الطبائع على جودة اليقين وقوة المنة وبه ما تتم العزيمة وتنفذ البصيرة هذا مع ما قسم الله لك من المحبة ومنحك من المقة

الآيات فبكرا وقاموا اليه فاعتنقوه وقالوا استغفر لنا ففعل فقال لهم عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة والله لقد خدعكم فبايع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يجدوا على عبيدة فى اقامة الحد ثبتا وكان قطرى قد استعمل رجلا من الدهاقين فظهرت له أموال كثيرة فأتوا قطريا فقالوا ان عمر بن الخطاب لم يكن يقار عماله على مثل هذا فقال قطرى انى استعملته وله ضياع وتجارات فاوغر ذلك صدورهم وبلغ ذلك المهلب فقال ان اختلافهم أشد عليهم منى وقالوا لقطرى ألا تخرج بنا الى عدونا فقال لا ثم خرج فقالوا قد كذب وارتدفاتبعوه يوما فأحس بالشر فدخل دار امع جماعة من أصحابه فصاحوا به يا دابة اخرج الينا فخرج اليهم فقال رجعتم بعدى كفارا فقالوا أو لست دابة قال الله عز وجل وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها ولكنك قد كفرت بقولك انا قد رجعنا كفارا فتب الى الله عز وجل فشاور عبيدة فقال ان تبت لم يقبلوا منك ولكن قل انما استفهمت فقلت أرجعتم بعدى كفارا فقال ذلك لهم فقبلوه منه فرجع الى منزله وعزم أن يبايع المقعطر العبدى فكرهها القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم ابغ لنا غير المقعطر فقال قطرى أرى طول العهد قد غيركم وأنتم بصدد عدوكم فاتقوا الله واقبلوا على شأنكم واستعدوا للقاء القوم فقال له صالح بن مخراق ان الناس قبلنا ساموا عثمان ابن عفان أن يعزل عنهم سعيد بن العاصى ففعل ويجب على الامام أن يعفى الرعية مما كرهت فأبى قطرى أن يعزله فقال له القوم انا خلعناك وولينا عبد ربه الصغير فانفصل الى عبد ربه أكثر من الشطر وجلهم الموالى والعجم وكان هناك منهم ثمانية آلاف وهم القراء ثم ندم صالح بن مخراق فقال لقطرى هذه نفخة من نفخات الشيطان فأعفنا من المقعطر وسر بنا الى عدوك فأبى قطرى الا المقعطر فحمل فتى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأجره الرمح فقتله ومعنى أجره الرمح طعنه وترك الرمح فيه قال عنترة

وآخر منهم أجررت رمحى * وفى البجلى معبلة وقيع

فنشبت الحرب بينهم فتهايجوا ثم انحاز كل قوم الى صاحبهم فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالا شديدا فأجلت الحرب عن ألفى قتيل فلما كان الغد باكروهم القتال فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجم العرب من المدينة وأقام عبد ربه بها وصار قطرى خارجا من مدينة جيرفت بازائهم فقال

وسلك من المذمة والله لو لم يكن فيكم من خصال الحرية وخلال النفوس الأبية الا انكم لا تدينون بالنفاق ولا تعدون بالكذب ولا تستعملون المواربة فى موضع الاستنابة وحيث تجب الثقة ولا يكون حظ الأحرار بالمواعيد صرفا ولا تتكلون على ملامة الطالب ولا عجز الراغب اذا استنفدت أيامه وعجزت نفقته وماتت أسبابه بل تعجلون لهم الراحة عند تعذر الأمور اليكم بالاياس وتحققون اطماعهم عند امكان الامور اليكم بالانجاح

(فصل منها) وانك والله أيها الكريم المأمول والمستعطف المسؤل لا تزرع المحبة الا وتحصد الشكر ولا تكثر المودات الا اذا كثر الناس الأموال ولا يشبع لك طلب الأحدوثة وجمال الحال فى العشيرة الا بتجرع مرار المكروه ولن تنهض بأعباء المكارم التى توجبها النعمة وتفرضها المرتبة حتى تستشعر التفكر فى التخلص الى اغنائهم والقيام بحسن ظنهم وحتى ترحمهم من طول الانتظار وترق عليهم من موت الأمل واحياء القنوط

له عبيدة يا أمير المؤمنين انى لم آمن هذه العبيد عليك الا أن تخندق على باب المدينة وجعل يناوشهم وارتحل المهلب فكان منهم على ليلة ورسول الحجاج معه يستحثه فقال له أصلح الله الامير عاجلهم قبل أن يصطلحوا فقال المهلب انهم لن يصطلحوا ولكن دعهم فانهم سيصيرون الى حال لا يفلحون معها ثم دس رجلا من أصحابه فقال ائت عسكر قطرى فقل انى لم أزل أرى قطريا يصيب الرأى حتى نزل منزله هذا فبان خطؤه أنقيم بين المهلب وعبد ربه يغاديه هذا القتال ويراوحه هذا فنمى الكلام الى قطرى فقال صدق تنحوا بنا عن هذا الموضع فان اتبعنا المهلب قاتلناه وان أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون فقال له الصلت بن مرة يا أمير المؤمنين ان كنت تريد الله فاقدم على القوم وان كنت تريد الدنيا فاعلم أصحابك حتى يستأمنوا وأنشأ الصلت يقول

قل للمحلين قد قرت عيونكم * بفرقة القوم والبغضاء والهرب
كنا أناسا على دين ففرقنا * طول الجدال وخلط الجد باللعب
ما كان أغنى رجالا ضل سعيهم * عن الجدال وأغناهم عن الخطب
انى لأهونكم فى الارض مضطربا * مالى سوى فرسى والرمح من نشب

ثم قال أصبح المهلب يرجو منا ما كنا نطمع فيه منه فارتحل قطرى وبلغ ذلك المهلب فقال لهريم ابن عدى بن أبى طحمة المجاشعى انى لا آمن ان يكون قطرى كاذبا بترك موضعه فاذهب فتعرف الخبر فمضى هريم فى اثنى عشر فارسا فلم ير فى العسكر الا عبدا وعلجا فسألهما عن قطرى وأصحابه فقالا مضوا يرتادون غير هذا المنزل فرجع هريم الى المهلب فأخبره فارتحل المهلب حتى نزل خندق قطرى فجعل يقاتلهم أحيانا بالغداة وأحيانا بالعشى ففى ذلك يقول رجل من سدوس يقال له المعنق وكان فارسا

ليت الحرائر بالعراق شهدننا * ورأيننا بالسفح ذى الأجبال
فنكحن أهل الجزء من فرساننا * والضاربين جماجم الأبطال

ووجه المهلب يزيد الى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزل قطرى وأنه مقيم على عبد ربه ويسأله أن يوجه فى أثر قطرى رجلا جلدا فى جيش فسر ذلك الحجاج سرورا أظهره ثم كتب الى المهلب يستحثه مع عبيد بن موهب وفى الكتاب أما بعد فانك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلى فترجع بعذرك وذلك أنك تمسك حتى تبرأ الجراح وتنسى القتلى ويجم الناس ثم تلقاهم فتحتمل

وحتى تتغلغل ذلك بالحيل اللطيفة والعناية الشديدة الشريفة وحتى تتوخى الساعات وتنتهز الفرص فى الحالات وتتخير من الألفاظ أرقها مسلكا وأحسنها قبولا وأجودها وقوعا

(فصل من صدر رسالته فى تفضيل النطق على الصمت) أمتع الله بك وأبقى نعمه عندك وجعلك ممن اذا عرف الحق انقاد له واذا رأى الباطل أنكره وتزحزح عنه قد قرأت كتابك فيما وصفت من فضيلة الصمت وشرحت من مناقب السكوت ولخصت من وضوح أسبابهما وأحمدت من منفعة عاقبتهما وجريت فى مجرى فنون الأقاويل فيهما وذكرت أنك وجدت الصمت أفضل من الكلام فى مواطن كثيرة وان كان صوابا وألفيت السكوت أحمد من المنطق فى مواضع جمة وان كان حقا وزعمت أن اللسان من مسالك الخناء الجالب على صاحبه البلاء وقلت ان حفظ اللسان أمثل من التورط فى الكلام وسميت الغبى عاقلا والصامت حليما والساكت لبيبا والمطرق مفكرا وسميت البليغ

منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ولو كنت تلقاهم بذلك الجد لكان الداء قد حُسِمَ والقَرْنُ قد قُصِمَ ولعمري ما أنتَ والقومُ سواءٌ لان من ورائك رجالا وأمامك أموالا وليس القوم الا ما معهم ولا يُدْرَكُ الوَجِيفُ بالدَّبِيبِ ولا الظَّفَرُ بالتعذير فقال المهلب لاصحابه ان الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة قطرى بن الفُجاءة وصالح بن مِخْراق وعَبيدة بن هلال وسَعْدِ الطَّلائع وانما بين أيديكم عبد رَبِّه في خُشارٍ من خُشار الشيطان تقتلونهم ان شاء الله فكانوا يَتَعادَوْنَ القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم الى بعض فقال عبيد بن مَوْهَب للمهلب قد بانَ عُذْرُكَ وأنا مخبر الاميرَ فكتب المهلب اليه أما بعد فانى لم أعط رسلك على قول الحق أجرًا ولم أحتج منهم مع المشاهدة الى تَلْقِينٍ ذكرتَ أنى أُجِمُّ القوم ولا بد من راحة يستريح فيها الغالبُ ويحتال فيها المغلوب وذكرتَ أن فى ذلك الجَمامِ ما يُنْسِى القتلى وتبرأ منه الجراح وهيهات أن يُنْسَى ما بيننا وبينهم تأبَى ذلك قَتْلَى لم تُجَنَّ وقروح لم تَتَقَرَّفْ ونحن والقومُ على حالةٍ وهم يَرْقُبونَ منا حالات ان طمعوا حاربوا وان مَلُّوا وقفوا وان يئسوا انصرفوا وعلينا أن نقاتلهم اذا قاتلوا ونتحرز اذا وقفوا ونطلب اذا هربوا فان تركتنى والرأى كان القَرْنُ مقصومًا والداءُ باذن الله محسوما وان أعجلتنى لم أُطِعْكَ ولم أَعْصِ وجعلتُ وجهى الى بابك أنا وأعوذ بالله من سَخَطِ الله ومقت الناس ولما اشتد الحصارُ على عبد ربه قال لاصحابه لا تفتقروا الى من ذهب عنكم من الرجال فان المسلم لا يفتقر مع الاسلام الى غيره والمسلم اذا صح توحيده عَزَّ بربه وقد أراحكم الله من غِلْظة قطريّ وعَجَلةِ صالح بن مخراق ونَخْوتِه واختلاط عَبيدةَ بن هلال ووَكَلَكُمْ الى بصائركم فالقوا عدوكم بصبر ونية وانتقلوا عن منزلكم هذا مَنْ قُتِلَ منكم قُتِلَ شهيدًا ومَنْ سَلِمَ من القتل فهو المحروم وقدم فى هذا الوقت على المهلب عُبَيْدُ بن أبى ربيعة بن أبى الصَّلْتِ الثقفى يستحثه بالقتال ومعه أمينان فقال له خالفتَ وصيةَ الأمير وآثرتَ المدافعةَ والمطاولةَ فقال له المهلب ما تركتُ جهدًا فلما كان العشىُّ خرج الأزارقةُ وقد حملوا حُرَمَهُمْ وأموالهم وخِفَّ متاعهم لينتقلوا فقال المهلب لاصحابه الزموا مَصافَّكُمْ وأشرعوا رماحكم ودَعُوهم والذهابَ فقال له عبيد هذا العَمْرِي أيسرُ عليك فقال للناس رُدُّوهم عن وجههم وقال لبنيه تفرقوا فى الناس وقال لعبيد بن أبى ربيعة كن مع يزيد

مكثارا والخطيب مهدارا والفصيح مفرطا والمنطيق مطنبا وقلت انك لم تندم على الصمت قط وان كان منك عيا وانك ندمت على الكلام مرارا وان كان صوابا واحتججت فى ذلك بقول كسرى أنوشروان واعتصامك فيها بأسمار من أقاويل الشعراء والمتسق من كلام الأدباء وافراطهم فى مذمة الكلام واطنابهم فى محمدة السكوت وأتيت حفظك الله على جميع ما ذكرت من ذلك ووصفت ولخصت وشرحت وأطنبت فيها وفرطت بالفهم وتصفحتها بالعلم وبحثت بالحزم ووعيت بالعزم فوجدتها كلام امرئ قد أعجب برأيه وارتطم فى هواه وظن أنه قد نسج فيها كلاما وألف ألفاظا ونسق له معانى على نحو ما أخذه ومقصده أن لا يلقى له ناقضا فى دهره بعد أن أبرمها ولا يجد فيها مناويا فى عصره بعد ان أحكمها وان حجته قد لزمت جميع الأنام ودحضت حجة قاطبة أهل الأديان لما شرح فيها من البرهان وأوضح من البيان وحتى كان القول من القائل نقصا ورفع الوصف من الواصف

نفذه

نخذه بالمحاربة أشدَّ الأخذ وقال لأحد الأمينين كن مع المغيرة ولا ترخص له في الفتور فاقتتلوا قتالا شديدا حتى عُقِرَتِ الدواب وصُرِعَ الفُرسانُ وقُتِلَتِ الرجالُ فجعلت الخوارج تقاتل على القدح يؤخذ منها والسوطِ والعِلْقِ الخسيسِ أشدَّ قتال وسقط رمح لرجل من مُرادٍ من الخوارج فقاتلوا عليه حتى كثرَ الجراحُ والقتل وذلك مع المغرب والمرادي يقول

اللّيلُ ليلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ • وسالَ بالقوم الشُّراةِ السَّيْلُ * ان جازَ للأعداء فينا قَوْلُ

فلما عظم الخَطْبُ فيه بعث المهلب الى المغيرة خَلِّ عن الرمح عليهم لعنهم الله فخلوا لهم عنه ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جِيرُفْتَ ودخلها المهلبُ وأمر بجمع ما كان لهم فيها من المتاع وما خلفوه من دقيق وخَتَمَ عليه هو والثقفيُّ والأمينان ثم اتبعهم فاذاهم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الا القوي يأتي الرجل بالدلو قد شَدَّها في طرف رمحه فيستقي بها وهنالك قرية فيها أهلها فغاداهم القتالَ وضَمَّ الثقفيَّ الى يزيد وأحدَ الأمينَيْنِ الى المغيرة واقتتل القومُ الى نصف النهار فقال المهلب لابي عَلْقمةَ العبدي وكان شجاعا ماتيا أَمْدِدْ بخيل اليَحْمَد وقل لهم فليعيرونا جماجمهم ساعة فقال له ان جماجمهم ليست بفَخَّار فتُعارَ وليست أعناقُهم كَرادِيَ فتنبتَ (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعْذاقِ النخل كَرادِيُ وهو فارسيٌّ أُعْرِبَ) وقال لحَبيب بن أَوْسٍ كُرَّ على القوم فلم يفعل وقال

يقول لى الامير بغير علم * تَقَدَّمْ حين جَدَّ به المِراسُ

فمالى ان أطعتُكَ من حياةٍ * ومالى غيرَ هذا الرأسِ راسُ

نصب غيرَ لانه استثناء مُقَدَّمٌ وقد مضى تفسيره وقال لمَعْن بن المغيرة بن أبي صُفْرةَ احْمِلْ فقال لا الا أن تزوجني أمَّ مالك بنت المهلب ففعل فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم وقال

ليتَ مَنْ يشتري الغَداةَ بمالٍ * هُلْكَهُ اليومَ عندنا فيَرانا

نَصِلُ الكَرَّ عند ذاك بطَعْنٍ * ان للموت عندنا ألوانا

ثم جال الناسُ جَوْلةً عند حَمْلةٍ حَمَلَها عليهم الخوارجُ فالتفت عند ذلك المهلب الى المغيرة فقال ما فعل الامينُ الذي كان معك قال قُتِلَ وكان الثقفيُّ قد هرب وقال ليزيد ما فعل عُبَيْدُ بن أبي ربيعة قال لم أره منذ كانت الجولة فقال الامينُ الآخر للمغيرة أنت قتلتَ صاحبي فلما كان العشيُّ رجع الثقفي فقال رجل من بني عامر بن صَعْصَعَةَ

تغلبا وكان في موضع لا ينازعه فيه أحد وقلما يجد من يخاصمه ولا يلقى أبدا من يناضله وصار فلجا بحجته أوحديا في لهجته اذ كان محله محل الوحدة والانس بالخلوة وكان مثله في ذلك مثل من تخاص الى الحاكم وحده فلج بحجته واني سأوضح لك ذلك بالبرهان القاطع والبيان الساطع وأشرح فيه من الحجج ما يظهر ومن الحق ما يقهر بقدر ما أتت عليه معرفتي وبلغته قوتي وملكته طاقتي بما لا يستطيع أحد رده ولا يمكنه انكاره وجحده ولا قوة الا بالله وبه أستعين وعليه أتوكل واليه أنيب اني وجدت فضيلة الكلام باهرة ومنقبة المنطق ظاهرة في خلال كثيرة وخصال معروفة منها انك لا تؤدي شكر الله ولا تقدر على اظهاره الا بالكلام ومنها انك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والابانة عن مآربك الا باللسان وهذان في العاجل والآجل مع أشياء كثيرة لو يحوها الانسان لوجدها في المعقول موجودة وفي المحصول معلومة وعند الحقائق مشتهرة وفي التدبير ظاهرة ولم أجد

مازلتَ بالنقى تخطب بيننا * وتغمّنا بوصية الحجّاج

حتى اذا ما الموتُ أقبل زاخراً * وتمّا الناس مرقاً بغير مزاج

وليتَ بالنقى غير مناظر * تنساب بين أحزة وفجاج

ليست مقارعة الكماة لدى الوغى * شربَ المدامة فى اناء زجاج

قوله بين أحزة هو جمع حزيز وهو متن ينقاد من الارض ويغلظ والفجاجُ الطرق واحدها فجّ
وقال المهلب للامين الآخر ينبغى أن تتوجه مع ابى حبيب فى ألف رجل حتى تبيّتوا عسكرهم
فقال ماتريد أيها الامير الا أن تقتلنى كما قتلت صاحبى قال ذاك اليك وضحك المهلبُ ولم تكن
للقوم خنادق فكان كلٌّ حذراً من صاحبه غير أن الطعام والعُدّة مع المهلب وهم فى زهاء ثلاثين
ألفا فلما أصبح أشرفَ على واد فاذا هو برجل معه رمح مكسور وقد خضبه بالدماء وهو ينشد

جزانى دوائى ذو الخمار وصنعتى * اذا بات أطواء بنىّ الاصاغر

أخادعهم عنه ليُغبَق دونهم * وأعلم غير الظن أنى مُغاوِرُ

كأنى وأبدان السلاح عشيةً * يمرّ بنا فى بطن فيحانَ طائر

فدعاه المهلب فقال أتميمىٌّ أنت قال نعم قال أحنظلىّ قال نعم قال أيربوعى قال نعم قال أثعلبى قال نعم
قال أمن آل نويرة قال نعم أنا من ولد مالك بن نويرة فقال سبحان الله أيها الامير أيكون مثلى فى عسكرك
لا تعرفه قال عرفتك بالشعر قوله ذو الخمار يعنى فرسا وكان ذو الخمار فرس مالك بن نويرة قال جرير
يهجو الفرزدق

بيربوع فخرتُ وآل سعد * فلا مجدى بلغتَ ولا افتخارى

بيربوع فوارسُ كلّ يوم * يوارى شمسه رهجُ الغبار

عتيبةُ والاحيمرُ وابن عمرو * وعتّاب وفارسُ ذى الخمار

قوله أطواء يقال رجل طوىّ البطن أى منطوٍ يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم
جياع وذلك قوله * أخادعهم عنه ليغبق دونهم * والغبوق شرب آخر النهار وهذا شئ
تفتخر به العرب قال الاسعر الجعفى

لكن قعيدةُ بيتنا مجفوّةٌ * بادٍ جناجن صدرها ولها غنى

تقفى بعيشة أهلها وثّابةً * أو جرشعٌ عتد المراكل والشوى

الصمت فضلا على الكلام
مما يحتمله القياس لانك
تصف الصمت بالكلام
ولا تصف الكلام به ولو كان
الصمت أفضل والسكوت
أمثل لما عرف للآدميين
فضل على غيرهم ولا فرق
بينهم وبين شئ من أنواع
الحيوان واصناف الخلق
فى أصناف جواهرها
واختلاف طبائعها
وافتراق حالاتها واجناس
أبدانها فى أعيانها وألوانها
بل لم يمكن أن يميز بينهم
وبين الاصنام المنصوبة
والاوثان المنحوتة وكان
لكل قائم وقاعد ومتحرك
وساكن ومنصوب
وثابت فى شرع سواء
ومنزلة واحدة وقسمة
مشاكلة اذ كانوا فى معنى
الصمت بالجثة واحدا وفى
معنى الكلام بالمنطق
متباينا ولذلك صارت
الاشياء مختلفة فى المعانى
موتلفة الاشكال اذ كانت
فى اشكال خلقتها متفقة
بتركيب جواهرها وتأليف
اجزائها وكمال أبدانها وفى
معنى الكلام متباينة
عند مفهوم نغماتها
ومنظوم ألفاظها وبيان
معالمها وعدل شواهدها
مع انى لم أنكر فضيلة
الصمت ولم أهجن ذكره الا
أن فضله خاص دون عام
وفضل الكلام خاص وعام

قال

قال فمكثوا أياما على غير خنادق يتحارسون ودوابهم مسرجة فلم يزالوا على ذلك حتى ضعف الفريقان فلما كانت الليلة التي قتل في صبيحتها عبد ربه جمع أصحابه وقال يا معشر المهاجرين ان قطريا وعبيدة هربا طلب البقاء ولا سبيل اليه فالقوا عدوكم فان غلبوكم على الحياة فلا يغلبنكم على الموت فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوف بوجوهكم وهبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالا شديدا أنسى به ما كان قبله فقال رجل من الأزد من أصحاب المهلب من يبايعني على الموت فبايعه أربعون رجلا من الازد وغيرهم فصرع بعضهم وقتل بعض وجرح بعض وقال عبد الله بن رزام الحارثي لأصحاب المهلب احملوا فقال المهلب أعرابي مجنون وكان من أهل نجران فحمل وحده فاخترق القوم حتى نجم من ناحية أخرى ثم رجع ثم كر ثانية ففعل فعلته الأولى وتهايج الناس فترجلت الخوارج وعقروا دوابهم فناداهم عمرو القنا ولم يترجل هو وأصحابه من العرب وكانوا زهاء أربعمائة موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها فقالوا انا اذا كنا على الدواب ذكرنا الفرار فاقتتلوا ونادى المهلب بأصحابه الارض الارض وقال لبنيه تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم ونادى الخوارج ألا ان العيال لمن غلب فصبر بنو المهلب وصبر يزيد بين يدي أبيه وقاتل قتالا شديدا أبلى فيه فقال له أبوه يا بني اني أرى موطنا لا ينجو فيه الا من صبر وما مر بي يوم مثل هذا منذ مارست الحروب وكسرت الخوارج أجفان سيوفها وتجاولوا فأجلت جولتهم عن عبد ربه مقتولا فهرب عمرو القنا وأصحابه واستأمن قوم وأجلت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج فأمر المهلب بأن يدفع كل جريح الى عشيرته وظفر بعسكرهم فحوى ما فيه ثم انصرف الى جيرفت فقال الحمد لله الذي ردنا الى الخفض والدعة فما كان عيشنا بعيش ثم نظر الى قوم في عسكره لم يعرفهم فقال ما أشد عادة السلاح ناولوني درعي فلبسها ثم قال خذوا هؤلاء فلما صير بهم اليه قال ما أنتم قالوا نحن قوم جئنا لنطلب غرتك لنفتك بك فأمر بهم فقتلوا ووجه المهلب كعب بن معدان الاشقري ومرة بن تليد الأزدي من أزد شنوءة فوفدا على الحجاج فلما طلعا عليه تقدم كعب فأنشده

يا حفص اني عداني عنكم السفر * (وقد سهرت فأردى نومي السهر)

فقال له الحجاج أشاعر أم خطيب قال كلاهما ثم أنشده القصيدة ثم أقبل عليه فقال له أخبرني

وان الاثنين اذا اشتمل عليهما فضل كان حظهما أكثر ونصيبهما أوفر من الواحد ولعله أن يكون بكلمة واحدة نجاة خلق وخلاص أمة ومن أكثر ما يذكر للساكت من الفضل ويوصف له من المنقبة أن يسكت ليتوقى به عن الأثم وذلك فضل خاص دون عام ومن أقل ما يحتكم عليه أن يقال غبي أو جاهل فيكون في ذلك لازم ذنب على المتوهم به فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما ورط فيه صاحبه من الوزر والذي ذكر من تفضيل الكلام ما ينطق به القرآن وجاءت فيه الروايات عن الثقات في الأحاديث المنقولات والأقاصيص المرويات والسمر والحكايات وما تكلمت به الخطباء ونطقت فيه البلغاء أكثر من أن يبلغ آخرها ويدرك أولها ولكن قد ذكرت من ذلك على قدر الكفاية ومن الله التوفيق والهداية ولو زال الصمت أسعدك الله أحمد في موضع لكان الكلام فيه أحمد لتسارع الناس الى تفضيل الكلام لظهور علته ووضوح جليته ومغبة نفعه وقد

عن بني المهلب قال المغيرة فارسهم وسيدهم وكفى بيزيد فارساً شجاعاً وجوادهم وسخيّهم قبيصة ولا يستحي الشجاع أن يفرّ من مُدرك وعبد الملك سمّ ناقع وحبيب موت زعاف ومحمد ليث غاب وكفاك بالمفضل نجدة قال فكيف خلفت جماعة الناس قال خلفتهم بخير قد أدركوا ما أمّلوا وأمنوا ما خافوا قال فكيف كان بنو المهلب فيكم قال كانوا حماة السرح نهاراً فإذا أليلوا ففرسان البيات قال فأيهم كان أنجد قال كانوا كالحلقة المفرغة لا يُدرى أين طرفها قال فكيف كنتم أنتم وعدوكم قال كنا إذا أخذنا عفونا وإذا أخذوا يئسنا منهم وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم فقال الحجاج ان العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطري قال كدناه ببعض ما كادنا به فصرنا منه الى الذي نحب قال فهلا اتبعتموه قال كان الحدّ عندنا آثر من الفَلّ قال فكيف كان لكم المهلب وكنتم له قال كان لنا منه شفقة الوالد وله منا برّ الولد قال فكيف اغتباط الناس قال فشا فيهم الأمن وشملهم النفل قال أكنت أعددت لي هذا الجواب قال لا يعلم الغيب الا الله قال فقال هكذا تكون والله الرجال المهلب كان أعلم بك حيث وجّهك وكان كتاب المهلب الى الحجاج بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ما سواه الذي حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علَن أمرهم حتى ارتاعت له الفتاة ونُوّم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وأدنيت السواد من السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج أما بعد فان الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيراً وأراحهم من حدّ الجهاد وكنت أعلم بما قبلك والحمد لله رب العالمين فاذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فيئهم ونفّل الناس على قدر بلائهم وفضّل من رأيت تفضيله وان كانت بقيت من القوم بقية فخلّف خيلاً تقوم بازائهم واستعمل على كرمان من رأيت وولّ الخيل شهماً من ولدك ولا ترخص لأحد في اللحاق بمنزله دون أن تقدم بهم عليّ وعجّل القدوم ان شاء الله فولّى المهلب ابنه يزيد كرمان وقال له يا بنيّ انك اليوم لست كما كنت انما لك من مال كرمان ما فضل عن الحجاج ولن تحتمل الا على ما احتمل عليه أبوك فأحسن الى من معك وان أنكرت من انسان شيئاً

ذكر الله جل وعز في قصة ابراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام وجعلها جذاذا فقال حكاية عنهم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون فكان كلامه سبباً لنجاته وعلة لخلاصه وكان كلامه عند ذلك أجدى من صمت غيره في مثل ذلك الموضع لأنه عليه السلام لو سكت عند سؤالهم اياه لم يكن سكوته الا على بصر وعلم وانما تكلم لانه رأى الكلام أفضل وان من تكلم فأحسن قدر ان يسكت فيحسن وليس من سكت فأحسن قدر ان يتكلم فيحسن واعلم حفظك الله أن الكلام سبب لايجاب الفضل وهداية الى معرفة أهل الطول ولولا الكلام لم يكن يعرف الفاضل من المفضول في معان كثيرة لقول الله عز وجل في بيان يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر لما كلمه فقال انك اليوم لدينا مكين أمين فلو لم يكن يوسف عليه السلام أظهر فضله بالكلام والافصاح بالبيان مع محاسنه المونقة وأخلاقه الطاهرة وطبائعه الشريفة لما

فوجهه

فوجهه الىّ وتفضّل على قومك وقدم المهلب على الحجاج فأجلسه الى جانبه وأظهر اكرامه وبرّه وقال يا أهل العراق أنتم عبيدُ المهلب ثم قال أنت والله كما قال لَقيطٌ الايادىّ

وقلّدوا أمركم لله دركم * رحْبَ الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يطعمُ النومَ الا ريثَ يبعثُه * همٌّ يكاد حشاهُ يقصمُ الضلعا
لا مُترفا ان رخاءُ العيش ساعدهُ * ولا اذا عضّ مكروهٌ به خشعا
مازال يحلبُ هذا الدهرَ أشطرَهُ * يكون متّبِعا طورا ومتّبَعا
حتى استمرّت على شزرٍ مريرتُه * مُستحكِمَ الرأيِ لا قحما ولا ضرَعا

فقام اليه رجل فقال أصلحَ اللهُ الامير والله لكأنى أسمع الساعةَ قطريا وهو يقول المهلبُ كما قال لقيط الايادى ثم أنشده هذا الشعر فسُرَّ الحجاجُ حتى امتلأ سرورا قوله نفل أى اقسم بينهم والنَفَلُ العطية التى تفضُلُ كذا كان الاصل وانما تفضل الله عز وجل بالغنائم على عباده قال لَبِيدٌ

ان تقوى ربنا خيرُ نفَلْ * (وباذن الله ريثى وعجَلْ)

وقال جل جلاله يسألونك عن الأنفال ويقال نفّلتُكَ كذا وكذا أى أعطيتك ثم صار النَفَلُ لازما واجبا وقول الايادى رَحْبَ الذراع فالرَحْبُ الواسع وانما هذا مَثَلٌ يريد واسع الصدر متباعدَ ما بين المنكِبَيْنِ والذراعين وليس المعنى على تَباعُدِ الخَلْقِ ولكن على سهولة الامر عليه قال الشاعر

رَحيبُ الذراعِ بالتى لا تَشينُهُ * وان قيلَتِ العوراءُ ضاق بها ذرْعا

وكذلك قوله جل وعز يجعَلْ صدرَه ضيقا حرَجا وقوله مضطلعا انما هو مُفْتَعِلٌ من الضَلِيع وهو الشديد يريد أنه قوىٌّ على أمر الحرب مستقل بها وقوله يكون متبِعا طورا ومتبَعا أى قد اتّبَعَ الناس فعلم ما يصلح به أمر الناس واتُّبِعَ فعلم ما يُصلِحُ الرئيس كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد أُنا وإِيلَ علينا أى قد أَصلحنا أمور الناس وأُصلِحَتْ أمورُنا وقوله على شزر مريرته فهذا مَثَلٌ يقال شزَرْتُ الحبل اذا كررتَ فتله بعد استحكامه راجعا عليه والمَريرةُ الحبل والضَرَعُ الصغير الضعيف والقَحْمُ آخر سن الشيخ قال العجّاجُ

رأين قَحْما شاب واقلَحَمّا * طال عليه الدهرُ فاسلَهَمّا

والمُقلَحِمُّ مثل القحم وهو الجافُ ويقال للصبى مقلحِمٌّ اذا كان سيئ الغِذاء أو ابن هَرِمَيْنِ ويقال

عرف العزيز فضله ولا بلغ تلك المنزلة لديه ولا حل ذلك المحل منه ولا صار عنده موضع الامانة ولكان فى عداد غيره ومنزلة سواء عند العزيز ولكن الله جعل كلامه سببا لرفع منزلته وعلو رتبته وعلة لمعرفة فضيلته ووسيلة لتفضيل العزيز اياه ولم أر الصمت فضيلة فى معنى ولا السكوت منقبة فى شئ الا وفضيلة الكلام فيها أكثر ونصيب المنطق عندها أوفر واللفظ بها أشهر وكفى بالكلام فضلا وبالمنطق منقبة ان جعل الله الكلام سبيل تهليله وتحميده والدال على معالم دينه وشرائع ايمانه والدليل الى رضوانه ولم يرض من أحد من خلقه ايمانا الا بالاقرار وجعل مسلكه اللسان ومجراه فيه البيان وصيره المعبر عن ما يضمره والمبين عن ما يخبره والمنبئ عن ما يستطيع بيانه وهو ترجمان القلب والقلب وعاء واع ولم يحمد الصمت من أحد الا توقيا لعجزه عن ادراك الحق والصواب فى اصابة المعنى وانما قاتل النبى صلى الله عليه وسلم المشركين عند جهلهم الله تعالى وانكارهم

رجل انقحل وامرأة انقحلة اذا أسنّ حتى ييبس والمسلهمّ الضامر قال الشاعر

* لما رأتنى خلقا انقحلا * ويقال فى معنى قحم قحمر ويقال بعير قحارية فى هذا المعنى وقوله

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه همٌّ قريب وعوض مما يضاف الى الافعال وتأويله أنه لا يطعم النوم الا يسيرا حتى يبعثه الهم فمعناه مقدار ذلك ومما يضاف الى الافعال أسماء الزمان كقوله عز ذكره هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم فأسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل نحو قولك آتيك يوم يخرج زيد وجئتك يوم قام عبد الله وما كان منها فى معنى الماضى جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر فتقول جئتك يوم زيد أمير ولا يجوز ذلك فى المستقبل وذلك لان الماضى فى معنى اذ وأنت تقول جئتك اذ زيد أمير والمستقبل فى معنى اذا فلا يجوز أن تقول أجيئك اذا زيد أمير فلذلك لا يجوز أجيئك يوم زيد أمير فأما الافعال فى اذا واذ فهى بمنزلة واحدة تقول جئتك اذ قام زيد وأجيئك اذا قام زيد فهذا واضح بين ومما يضاف الى الفعل ذو فى قولك افعل ذاك بذى تسلم وافعلاه بذى تسلمان معناه بالذى يسلمكما ومن ذلك آية فى قوله

بآية تقدمون الخيل شعثا * كأنّ على سنابكها مداما

والنحو يتصل ويكثر وانما تركنا الاستقصاء لانه موضع اختصار فقال المهلب انا والله ما كنا أشد على عدونا ولا أحد ولكن دمغ الحقُّ الباطلَ وقهرت الجماعةُ الفتنةَ والعاقبةُ للتقوى وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العجلة فقال له الحجاج صدقت اذكر لى القوم الذين أبلوا وصف لى بلاءهم فأمر الناس فكتبوا ذلك للحجاج فقال لهم المهلب ما ذخر الله لكم خير لكم من عاجل الدنيا ان شاء الله ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم فى البلاء وتفاضلهم فى الغناء وقدّم بنيه المغيرة ويزيد ومدركا وحبيبا وقبيصة والمفضّل وعبد الملك ومحمدا وقال انه والله لو تقدمهم أحد فى البلاء لقدّمته عليهم ولولا أن أظلمهم لاخرتهم قال الحجاج صدقت وما أنت بأعلم بهم منى وان حضرت وغبت انهم لسيوف من سيوف الله ثم ذكر معن بن المغيرة بن أبى صفرة والرقاد وأشباههما فقال الحجاج أين الرقاد فدخل رجل طويل أجنأ فقال المهلب هذا فارس العرب فقال الرقاد أيها الامير انى كنت أقاتل مع غير المهلب فكنت كبعض الناس فلما صرت مع من يلزمنى الصبر ويجعلنى اسوة نفسه وولده ويجازينى على البلاء صرت أنا وأصحابى فرسانا فأمر الحجاج بتفضيل

قوم

اياه ليقروا به فاذا فعلوه حقنت دماؤهم وحرمت أموالهم ورعيت ذمتهم ولو انهم سكتوا ضنا بدينهم لم يكن سبيلهم الا العطب فاعلم أن الكلام من أسباب الخير لا من الشر والكلام أبقاك الله سبيل التمييز بين الناس والبهائم وسبب المعرفة لفضل الآدميين على سائر الحيوان قال الله عز وجل ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر كرمهم باللسان وحملهم بالتدبر ولو لم يكن الكلام لما استوجب أحد النعمة ولا أقام على اداء ما وجب عليه من الشكر سببا للزيادة وعلة لامتحان قلوب العباد والشكر بالاظهار فى القول والابانة باللسان ولا يعرف الشكر الا بهما والله تعالى يقول لئن شكرتم لأزيدنكم فجعل الشكر علة لوجوب الزيادة عند اظهاره بالقول والحمد مفتاحا للنعمة وقد جاء فى بعض الآثار لو أن رجلا ذكر الله الله تعالى وآخر يسمع له كان المعدود للسمع من الأجر والمذكور له من الثواب واحدا وللمتكلم بعشرة أو أكثر فهل ترى أبقاك الله أنه وجب لصاحب العشر ذلك

قوم على قوم على قدر بلائهم وزاد ولد المهلب ألفين وفضل بالرقاد وجماعة شبهًا بذلك قال يزيد بن حَبْناء من الأزارقة

دَعِى اللَّوْمَ ان العَيْشَ ليس بدائم * ولا تعجلى باللوم يا أمَّ عاصم

فاذ عجلتْ منكِ الملامةُ فاسْمَعِى * مقالةَ مَعْنِيٍّ بحقكِ عالم

ولا تَعْذُلينَا فى الهَدِيَّة انما * تكون الهدايا من فُضول المَغانم

فليس بِمُهْدٍ من يكون نهارُهُ * جِلادًا ويُمْسِى ليلُهُ غيرَ نائم

يريد ثواب الله يوما بطَعْنَة * غَمُوسٍ كشِدْقِ العَنْبَرِيِّ بن سالم

أبيتُ وسِرْبالى دِلاصٌ حَصِينة * ومِغْفَرُها والسيفُ فوق الحَيازم

حلفتُ بربِّ الواقفين عشيَّةً * لدى عرفاتٍ حلفةً غيرَ آثم

لقد كان فى القوم الذين لقيتُهم * بسابورَ شغلٌ عن بُزُوز اللَّطائم

تَوَقَّدُ فى أيديهمُ زاعبيَّةٌ * ومُرْهَفةٌ تَفْرِى شُؤُون الجَماجم

قوله من يكون نهاره جلادا ويمسى ليله غير نائم يريد يمسى هو فى ليله ويكون هو فى نهاره ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السعة وفى القرآن بل مَكْرُ الليلِ والنهارِ والمعنى بل مكركم فى الليل والنهار وقال رجل من أهل البَحْرَين من اللصوص

أما النهارُ ففى قَيْدٍ وسِلْسِلةٍ * والليلُ فى جوف مَنْحُوتٍ من الساج

وقال آخر لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلان فى السُّرَى * ونِمْتِ وما ليلُ المطِيِّ بنائم

ولو قال من يكون نهارَهُ جلادا ويُمْسى ليلَهُ غيرَ نائم لكان جيدا وذلك أنه أراد من يكون نهاره يجالد جلادا كما تقول انما أنت سَيْرًا وانما أنت ضَرْبًا تريد تسير سيرا وتضرب ضربا فأضمر لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيرا ولو رفعه على أن يجعل الجلاد فى موضع المُجالِد على قوله أنت سير أى أنت سائر كما قالت الخنساءُ * فانما هى اقبالٌ وادبارُ * وفى القرآن قل أرأيتم ان أصبحَ ماؤكم غَوْرًا أى غائرا وقد مضى تفسير هذا بأكثر من هذا الشرح ولو قال ويُمْسِى ليلُهُ غيرُ نائم لجاز يُضْمَرُ اسمه فى يُمْسِى ويجعل ليله ابتداء وغير نائم خبره على السعة التى ذكرنا وقوله غَمُوس يريد واسعة محيطة والعنبرى بن سالم رجل منهم كان يقال له الأَشْدَقُ واللَّطائمُ واحدتها لَطِيمةٌ

وفضل به على صاحبه الا عند استعماله بالنطق به لسانه ولم يلزم الصمت أحد الا على حسب وقوع الجهل عليه فأما اذا كان الرجل نبيها مميزا عالما مفوها فالصمت مهجن لعلمه وساتر لفضله كالقداحة لم يستبن نفعها دون تزنيدها ولذلك قيل من جهل علما عاداه

(فصل منها) ولم أجد الصامت مستعانا به فى شئ من المعانى ولا مذكورا فى المحافل ولم يذكر الخطباء ولا قدمتهم الوفود عند الخلفاء الا لما عرفوه من فضل لسانهم وفضيلة بيانهم وان أصح ما يوجد فى المعقول وأوضح ما يعد فى المحصول للعرب من الفضل فصاحتها وحسن منطقها بعد فضائلها المذكورة وأيامها المشهورة ولفضل الفصاحة وحسن البيان بعث الله تعالى أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب وجعل لسانه عربيا وأنزل عليه قرآنه عربيا كما قال الله تعالى بلسان عربى مبين فلم يخص اللسان بالبيان ولم يحمد بالبرهان الا عند وجود الفضل فى الكلام وحسن العبارة عند النطق وحلاوة اللفظ

وهى الابل التى تحمل البزّ والعطر وقوله توقد فى أيديهم زاعبية يعنى الرماح والتوقد للأسنّة
والزاعبية منسوبة الى زاعب وهو رجل من الخزرج كان يعمل الرماح وتفرى تقدّ يقال فرى
اذا قطع وأفرى اذا أصلح وقال حبيب بن عوف من قوّاد المهلب

أباسعيد جزاك الله صالحة * فقد كفيت ولم تعنف على أحد
داويت بالحلم أهل الجهل فانقمعوا * وكنت كالوالد الحانى على الولد

وقال عبيدة بن هلال فى هربهم مع قطرى

مازالت الاقدار حتى قذفننى * بقومس بين الفرخان وصول

وروى أن قاضى قطرى وهو رجل من بنى عبد القيس سمع قول عبيدة بن هلال

علا فوق عرش فوق سبع ودونه * سماء ترى الارواح من دونها تجرى

فقال له العبدى كفرت الآن تأتى بمخرج قال نعم روح المؤمن تعرج الى السماء قال صدقت وقال
يذكر رجلا منهم

يهوى وترفعه الرماح كأنه * شلو تنشّب فى مخالب ضارى
فثوى صريعا والرماح تنوشه * ان الشراة قصيرة الأعمار

تنوشه تأخذه وتتناوله قال الله عز وجل وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد أى التناول ومثل بيته
هذا قول حبيب الطائى

فيم الشماتة اعلانا بأسد وغى * أفناهم الصبر اذ أبقاكم الجزع

وقال أيضا فى شبيه بهذا المعنى

ان ينتضل حدثان الموت أنفسكم * ويسلم الناس بين الحوض والعطن
فالماء ليس عجيبا أنّ أعذبه * يفنى ويمتد عمر الآجن الأسن

وقال أيضا

عليك سلام الله وقفا فاننى * رأيت الكريم الحرّ ليس له عمر

وقال القاسم بن عيسى

أحبك يا جنان فأنت منى * مكان الروح من بدن الجبان
ولو أنى أقول مكان روحى * لخفت عليك بادرة الزمان
لاقدامى اذا ما الحرب جاشت * وهاب حماتها حرّ الطعان

وقال معاوية بن أبى سفيان فى خلاف هذا المعنى

عند السمع واعلم ان الله تعالى لم يرسل رسولا ولا بعث نبيا الا من كان فضله فى كلامه وبيانه كفضله على المبعوث اليه فكان النبى صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأحسنهم بيانا وأسهلهم مخارج الكلام وأكثرهم فوائد من المعانى لانه كان من جماهير العرب مولده فى بنى هاشم وأخواله من بنى زهرة ورضاعه فى بنى سعد بن بكر ومنشؤه فى قريش ومتزوجه فى بنى أسد بن عبد العزى ومهاجرته الى بنى عمرو وهم الأوس والخزرج من الانصار وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أفصح العرب بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد بن بكر ولو لم يكن عن عددنا من هؤلاء الأحياء الا قريش وحدها لكان فيها مستغنى عن غيرها وكفاية من سواها لان قريشا أفصح العرب لسانا وأفضلها بيانا وأحضرها جوابا وأحسنها بديهة وأجمعها عند الكلام قلبا ثم للعرب أيضا خصال كثيرة ومشاهد كثيرة مما يشاكل هذا الباب ويضارع هذا المثال حذفت ذكرها خوف التطويل فيها

أكان الجبانُ يَرى أنه * يُدافِعُ عنه الفرارُ الأجَل
فقد تُدرِكُ الحادثاتُ الجبان * ويَسلَمُ منها الشجاعُ البَطَل

رجع الحديث وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب

سائِل بنا مَعمَرَ والقَنا وجُنودهُ * وأبا نَعامةَ سيدَ الكُفّار

أبو نعامة قطرى وقال المغيرة بن حبناء الحنظلى من أصحاب المهلب

انى امرؤ كفّنى ربى وأكرمنى * عن الامور التى فى رَعيها وَخَم
وانما أنا انسانٌ أعيش كما * عاشت رجالٌ وعاشت قبلها أمم
ما عاقنى عن قُفول الجُند اذ قَفلوا * عِيٌّ بما صنعوا عجزٌ ولا بَكَم
ولو أردتُ قُفولاً ما تجَهّمنى * اذنُ الامير ولا الكُتّابُ اذ رقموا
ان المهلب ان أشتَق لرؤيته * أو أمتدحه فان الناس قد علموا
أنّ الأريبَ الذى تُرجى نوافلُه * والمُستعانَ الذى تُجلَى به الظُلَم
القائلُ الفاعلُ الميمونُ طائرُه * أبو سعيد اذا ما عُدّت النِعَم
أزمانَ أزمانَ اذ عَضّ الحديدُ بهم * والأعنى رجالٌ انهم هُزِموا

قال أبو العباس وهذا الكتاب لم نبتدئه لنتصل فيه أخبار الخوارج ولكن ربما اتصل شئ بشئ والحديث ذو شجون ويقترح المُقترِحُ ما يَفسخ به عزم صاحب الكتاب ويصده عن سَننه ويزيله عن طريقه ونحن راجعون ان شاء الله الى ما ابتدأناه هذا الكتاب فان مَرّ من أخبار الخوارج شئ مَرّ كما مر غيره ولو نسقناه على ما جرى من ذكرهم لكان الذى يَلى هذا خبر نَجدةَ وأبى فُدَيك وعُمارةَ الرجلِ الطويلِ وشَبيب ولكان يكون الكتاب للخوارج مُخلَصا

(باب فى اختصار الخطب والتحميد والمواعظ)

كان الحسن يقول الحمد لله الذى كلّفنا مالو كلّفنا غيره لَصِرنا فيه الى معصيته وآجرنا على مالا بد لنا منه يقول كلفنا الصبر ولو كلفنا الجزع لم يمكنا أن نُقيم عليه وآجرنا على الصبر ولا بُدّ لنا من الرجوع اليه وكان على بن أبى طالب صلوات الله عليه يقول عند التعزية عليكم بالصبر فان به يأخذ الحازمُ واليه يعود الجازعُ وقال للأشعث بن قيس ان صبرتَ جرى عليك القدر وأنت مأجورٌ وان جزعت

(فصل منها) فهذه كلها دليل على دحض حجتك ونقض قضيتك وانما أرسل الله تعالى رسله مبشرين ومنذرين الأمم وأمرهم بالابلاغ ليلزمهم الحجة بالكلام لا بالصمت اذ لا يكون للرسالة بلاغ ولا للحجة لزوم ولا للادلة ظهور الا بالنطق (فصل منه فى صفة من يقدر على الابانة) وليس يقوى على ذلك الا امرؤ فى طبيعته فضل عن احتمال غيره وفى قريحته زيادة من القوة على صناعته ويكون حظه من الاقتدار فى المنطق فوق قسطه من التغلب فى الكلام حتى لا يضع اللفظ الحر النبيل الاعلى مثله من المعنى ولا اللفظ الشريف الفخم الاعلى مثله من المعنى نعم وحتى يعطى اللفظ حقه من البيان ويوفر على الحديث قسمه من الصواب ويحرك الكلام حظه من المعنى ويضع جميعها مواضعها ويصفها بصفتها ويوفر عليها حقوقها من الاعراب والافصاح (فصل منها) وبعد فأى شئ أشهر منقبة وأرفع درجة وأكمل فضلا وأظهر نفعا وأعظم حرمة من شئ لولا مكانه

جرى عليك القدر وأنت مأزور وقال الخريمي

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته * عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وفي هذا الشعر وان لم يكن من هذا الباب

وأعددته ذخرا لكل ملمة * وسهم المنايا بالذخائر مولع

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تزوجه خديجة بنت خويلد رحمة الله عليها فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وجعل لنا بلدا حراما وبيتا محجوجا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش الارجح عليه برا وفضلا وكرما وعقلا ومجدا ونبلا وان كان في المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك وما أحببتم من الصداق فعلي وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية ومن جيل محاورات العرب ما روى لنا عن يحيى بن محمد بن عروة عن أبيه عن جده قال أقحمت السنة علينا النابغة الجعدي فلم يشعر به ابن الزبير حين صلى الفجر حتى مثل بين يديه يقول

حكيت لنا الصديق حين وليتنا * وعثمان والفاروق فارتاح معدم

وسويت بين الناس في العدل فاستووا * فعاد صباحا حالك الليل مظلم

أتاك أبو ليلى يشق به الدجى * دجى الليل جواب الفلاة عثمثم

لترفع منه جانبا ذعذعت به * صروف الليالي والزمان المصمم

فقال له ابن الزبير هون عليك أبا ليلى فأيسر وسائلك عندنا الشعر أما صفوة أموالنا فلبني أسد واما عفوتها فلآل الصديق ولك في بيت المال حقان حق لصحبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق بحقك في المسلمين ثم أمر له بسبع قلائص وراحلة رحيل ثم أمر بأن توقر له حبا وتمرا فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيجمع به الحب فيأكله فقال له ابن الزبير لشد ما بلغ منك الجهد يا أبا ليلى فقال النابغة أما على ذلك لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما استرحمت قريش فرحمت وسئلت فأعطت وحدثت فصدقت ووعدت فأنجزت فأنا والنبيون على الحوض فراط القادمين قوله أقحمت السنة يكون على وجهين يقال اقحم اذا دخل قاصدا وأكثر ما يقال من غير أن

يدخل

لم يثبت لله ربوبية ولا لنبي حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتحلى في صورة الدليل ثم به يعرف فضل الجماعة من الفرقة والشبهة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة والكلام سبب لتعرف حقائق الأديان والقياس واثبات الربوبية وتصديق الرسالة والامتحان للتعديل والتجوير للاضطرار والاختيار

(فصل من صدر كتابه في صناعة الكلام)

ذكرت حفظك الله تفضيلك صناعة الكلام والذي خصصت به مذهب النظام وشغفك بالمبالغة في النظر وصيانتك بتهذيب الفصل مع انسك بالجماعة ووحشتك من الفرقة والذي تم عليه عزمك من ادامة البحث والتنقير ومن حمل النفس على مكروهها من التفكير ومن الانتساب اليهم والتعرف بهم والذي تهيأ لك من الاحتساب في الأجر والرغبة في صالح الذكر والذي رأيت من النصب للرافضة والمبارقة وطول مفارقة المرجئة والنابتة ولكل من اعترض عليهم وانحرف عنهم والذي يخص به الجبرية ويعم به

يدخل ويكون من القحمة وهى السنة الشديدة وهو أشبه الوجهين والآخر حسن والسنة الجدب يقال أصابتهم سنة أى جدب ومن ذا قوله جل وعز ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أى بالجدب وقوله صِفوة فهى فى معنى الصَّفو وأكثر ما يستعمل الكسر والباب فى المصادر للحال الدائمة الكسر كقولك حسن الجِلسة والرِّكبة والمِشية والنِّيمة كأنها خلقة والعفو إنما هو ما عفا أى ما فضل وخذ العفوَ قالوا الفضل وكذلك قوله جل اسمه ويسألونك ماذا ينفقون قل العفوَ وقوله عثم يريد المُوَثَّق الخَلق الشديد وذعذعت أى أذهبت ماله وفرّقت ماله وقوله راحلة رحيل أى قوية على الرحلة معوّدة لها ويقال فحل فحيل أى مستحكم فى الفحلة وفى الحديث أن ابن عمر قال لرجل اشتر لى كبشا لأضحى به أملح واجعله أقرن فحيلا وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط لقادمين الفارط الذى يتقدم القوم فيصلح لهم الدلاء والأرشية وما أشبه ذلك من أمرهم حتى يردوا ومن ذلك قول المسلمين فى الصلاة على الطفل اللهم اجعله لنا سلفا وفرطا وجاء فى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقربُ الناس من رسول الله صلى الله عليه وسلم نسبا ومن بيت الله بيتا ويقال ان دار أسد بن عبد العزى كان يقال لها رضيعُ الكعبة وذلك أنها كانت تفىء عليها الكعبة صباحا وتفىء على الكعبة عشيا وان كان الرجل من ولد أسد ليطوفُ بالبيت فينقطع شسعُ نعله فيرمى بنعله فى منزله فتصلح له فاذا عاد فى الطواف رُمى بها اليه وفى ذلك يقول القائل

لهاشم وزهير فضلُ مكرمة * بحيث حلّت نجومُ الكبش والاسد

مجاورُ البيت ذى الاركان بيتهما * ما دونهم فى جوار البيت من أحد

وقال آخر

سمين قريش مانع منك لحمه * وغثُّ قريش حيث كان سمين

وقال آخر

واذا ما أصبته من قريش * هاشميّا أصبت قصدا الطريق

وقال حرب بن أميّة لابى مطر الحضرمى يدعوه الى حلفه ونزول مكة

أبا مطر هلُمّ الى صلاح * فتكنفك الندامى من قريش

وتأمن وسطهم وتعيش فيهم * أبا مطر هديت لخير عيش

وتسكن بلدة عزّت قديما * وتأمن أن يزورك ربُّ جيش

المشبهة فيا أيها المتكلم الجاحى والمتفقه السنى والنظار المعتزلى الذى سمت همته الى صناعة الكلام مع ادبار الدنيا عنها واحتمل ما فى التعرض للعوام من الثواب عليها ولم يقنعه من الأديان الا الخالص الممتحن ولا من النحل الا الابريز المهذب ولا من التمييز الا المحض المصفى والذى رغب بنفسه عن تقليد الاغمار والحشوية كما رغب عن ادعاء الالهام والضرورة ورغب عن ظلم القياس بقدر رغبته فى ضرب اليقين ان صناعة الكلام علق نفيس وجوهر ثمين وهو الكنز الذى لا يفنى ولا يبلى والصاحب الذى لا يمل ولا يقل وهو العيار على كل صناعة والزمام على كل عبارة والقسطاس الذى به يستبان نقصان كل شئ ورجحانه والراووق الذى به يعرف صفاء كل شئ وكدره والذى أهل كل علم عليه عيال وهو لكل تحصيل آلة ومثال الآية ثغر والثغر محروس وحمى والحمى ممنوع والحرم مصون ولن تصونه الا بابتذال نفسك دونه ولن تمنعه الا بان تجود بمهجتك ومجهودك ولن تحرسه الا بالمخاطرة فيه

صلاح اسم من أسماء مكة وكانت مكة بلدا لقاحا واللقاح الذى ليس فى سلطان ملك وكانت لا تغزى تعظيما لها حتى كان أمر الفجار وانما سمى الفجار لفجورهم اذ قاتلوا فى الحرم وكانت قريش تعز الحليف وتكرم المولى وتكاد تلحقه بالصميم وكانت العرب تفعل ذلك ولقريش فيه تقدم ودخل سديف مولى أبى العباس السفاح على أبى العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام ابن عبد الملك وقد أدناه وأعطاه يده فقبلها فلما رأى ذلك سديف أقبل على أبى العباس وقال

لا يغرنك ماترى من أناس * ان تحت الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى * لا ترى فوق ظهرها أمويا

فأقبل عليه سليمان فقال قتلتنى أيها الشيخ قتلك الله وقام أبو العباس فدخل فاذا المنديل قد ألقى فى عنق سليمان ثم جر فقتل ودخل شبل بن عبد الله مولى بنى هاشم على عبد الله بن على وقد أجلس ثمانين رجلا من بنى أمية على سمط الطعام فمثل بين يديه فقال

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بنى العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وياس
لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وأواسى
ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظنى وغاظ سواقى * قربهم من نمارق وكراس
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحران أضحى * ثاويا بين غربة وتناس
نعم شبل الهراش مولاك شبل * لو نجا من حبائل الافلاس

فأمر بهم عبد الله فشدخوا بالعمد وبسطت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا وقال لشبل لولا أنك خلطت كلامك بالمسئلة لاغنمتك جميع أموالهم ولعقدت لك على جميع موالى بنى هاشم قوله الآساس واحدها أس وتقديرها فعل وأفعال وقد يقال للواحد أساس وجمعه أسس والبهلول الضحاك وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيه

والثواب على قدر المشقة والتوفيق على مقدار حسن النية وكيف لا يكون حرما وبه عرفنا حرمة الشهر الحرام والحلال المنزل والحرام المفصل وكيف لا يكون ثغرا وكل الناس لأهله عدو وكل الأمم له مطالب وأحق الشئ بالتعظيم وأولاه بان يحتمل فيه كل عظيم ما كان سلما الى معرفة الصغير والكبير والحقير والخطير واداة لاظهار الغامض وآلة لتخليص الفاشية وسببا للايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب وبه يستدل على ضرب مابين الشرين من النقصان وعلى فصل مابين الخيرين من الرجحان والذى يصنع فى المعقول من العبارة واعطاء الآلة مثل صنيع العقل فى الروح ومثل صنيع الروح فى البدن وأى شئ أعظم من شئ لولا مكانه لم يثبت الربوبية ولا النبى حجة ولم يفصل بين حجة وشبهة وبين الدليل وما يتخيل فى صورة الدليل وبه يعرف الجماعة من الفرقة والسنة من البدعة والشذوذ من الاستفاضة (فصل منه) واعلم أن

مَيْلٌ علينا وفى الحائط مَيْلٌ وكذلك كل منتصب وقوله واقطعن كل رقلة الرقلة النخلة الطويلة ويقال اذا وصف الرجل بالطول كأنه رَقْلَةٌ والاواسى ياؤه مشددة فى الاصل وتخفيفها يجوز ولو لم يجز فى الكلام لجاز فى الشعر لان القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه فى القوافى جائز كقوله

أَصَحَوْتَ اليوم أم شاقَتْكَ هِرْ * (ومن الحُبِّ جُنونٌ مُسْتَعِرْ)

وواحدها آسِيَةٌ وهى أصل البناء بمنزلة الاساس وقوله وخاط سَوائى تقول ماعندى رجل سِوَى زيد فتَقْصُرُ اذا كسرتَ أوله فاذا فتحت أوله على هذا المعنى مددتَ قال الاعشى

تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتى * وماقَصَدَتْ من أهلها لسَوائكا

والسَواءُ ممدود فى كل موضع وان اختلفت معانيه فهذا واحد منه والسواء الوسط منه قوله عز وجل فرآه فى سواء الجحيم وقال حسَّان

ياوَيْحَ أنصارِ النبي ورَهْطِهِ * بعد المُغَيَّبِ فى سَواء المُلْحَدِ

والسَواءُ العدل والاستواءُ ومنه قوله عز وجل الى كلمة سَواءٍ بيننا وبينكم ومن ذلك عمرو وزيد سَواءٌ والسَواءُ التمام يقال هذا درهم سَواءٌ وأصله من الاول وقوله عز وجل فى أربعة أيام سَواءً للسائلين معناه تماما ومن قرأ سواءٍ فانما وضعه فى موضع مُسْتَوِياتٍ والنمارق واحدتها نُمْرُقَةٌ وهى الوسائد قال الفرزدق

وانا لَتَجْرِى الكاسُ بين شَروبنا * وبين أبى قابوسَ فوق النَمارق

وقال نُصَيْبٌ اذا ما بِساطُ اللَهْوِ مُدَّ وقُرِّبَتْ * لِلَذَّاتِهِ أَنْماطُهُ ونَمارقه

وقوله مصرع الحسين وزيد يعنى زيد بن علىّ بن الحسين كان خرج على هشام بن عبد الملك وقتله يوسفُ بن عمر الثقفىُّ وصلبه بالكُناسة عريانا هو وجماعة من أصحابه ويَرْوِى الزُبَيْرِيُّونَ أنه كان بين يوسف بن عمر وبين رجل إحْنَةٌ فكان يطلب عليه عِلَّةً فلما ظَفِرَ بزيد بن على وأصحابه أحسوا بالصلب فأسلوا من أبدانهم واستَحَدُّوا فصُلبوا عُراةً وأخذ يوسف عدوه ذلك فَتَقَصَّدَهُ أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه ولم يكن استعد لانه كان عند نفسه آمنا وكان بالكوفة رجل معتوه عَقْدُهُ التَشَيُّعُ فكان يجىء فيقف على زيد وأصحابه فيقول صلى الله عليك يا ابنَ رسول الله فقد جاهدتَ فى الله حقَّ جهاده وأنكرتَ الجور ودافعتَ الظالمين ثم يُقْبِلُ عليهم رجلا رجلا فيقول

لصناعة الكلام آفات كثيرة وضروبا من المكروه عجيبة منها ماهو ظاهر للعيون والعقول ومنها مايدرك بالعقول ولا يظهر للعيون وبعضها وان لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول فانه لا يظهر الا لكل عقل سليم جيد التركيب وذهن صحيح خالص ثم لا يدركه أيضا الا بعد ادمان الفكر والا بعد دراسة الكتب والا بعد مناظرة الشكل الباهر والمعلم الصابر فان أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية فلابد من شهوة قوية ومن تفضيله كل صناعة مع اليقين بانه متى اجتهد انجح ومتى أدمن قرع الباب ولج فاذا أعطى العلم حقه من الرغبة أعطاه العلم حقه من الثواب عليه

(فصل منه) ومن آفات صناعة الكلام أن يرى من أحسن بعضها أنه قد أحسنها كلها وكل من خاصم فيها ظن أنه فوق من خاصمه حتى يرى المبتدئ أنه كالمنتهى ويخيل الى الغبي أنه فوق الزكى. أيضا أن يعرض عن أهله وينصب لأصحابه من لم ينظر فى علم قط ولم يخض فى أدب منذ كان ولم يدر ما التمثيل

وأنتَ يا فلانُ فجزاكَ اللهُ خيرا فقد جاهدتَ في الله حق جهاده وأنكرتَ الجورَ ونصرتَ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقف على عدوّ يوسف فيقول فأما أنت يا فلانُ فوفورها انتسل يدل على أنك برىء مما قرفتَ به وقال حبيبُ بن جدرة ويقال جُدرة وهى السلمة الهلالى (قال الاخفش الصحيح عندنا ابن خذرة بالخاء وكسرها وقال المبرد لم أسمعه الا جدرة ويقال جُذرة) وهو من الخوارج يعنى زيد بن على

يا أبا حسين لو شُراةُ عصابة * صَبَحوكَ كان لوردهم إصدار

يا أبا حسين والجديد إلى بلى * أولاد دَرْزَةَ أسلموك وطاروا

تقول العرب للسفلة والسقاط أولاد دَرْزَة وتقول لمن تسبه ابن فَرْتَنى وأولاد فرتنى وتقول للصوص بنو غبراء وفى هذا باب ويروى أن شاعرا لبنى أمية قال معارضا للشيع فى تسميتهم زيدا المهدىّ والشاعر هو الأعور الكلبى

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة * ولم نر مهديا على الجذع يُصلب

ونظر بعد زمن الى رأس زيد مُلقى فى دار يوسف وديك ينقره فقال قائل من الشيعة

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد * طالما كان لا تطاه الدجاج

وقوله وقتيلا بجانب المهراس يعنى حمزة بن عبد المطلب والمهراس ماء بأُحُد ويروى فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عطش يوم أحد فجاء على فى دَرَقته بماء من المهراس فعافه فغسل به الدم عن وجهه وقال ابن الزِّبَعرى فى يوم أُحُد

ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل

فاسأل المهراس من ساكنه * بعد أبدان وهام كالحجل

وانما نسب شبل قتل حمزة الى بنى أمية لأن أبا سفيان بن حرب كان قائد الناس يوم أحد والقتيل الذى بحرّان هو ابراهيم بن محمد بن على وهو الذى يقال له الامام وكان يقال ضحّى بنو حرب بالدين يوم كربلاء وضحّى بنو مروان بالمروءة يوم العقر فيوم كربلاء يوم الحسين بن على بن أبى طالب وأصحابه ويوم العقر يوم قُتل يزيد بن المهلب وأصحابه وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش فى اكرام مواليها وولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش مؤتة زيدا مولاه وقال ان قُتل فأميركم جعفر وأمّر رسول الله أسامة بن زيد فبلغه أن قوما قد طعنوا فى امارته وكان أمّره على جيش فيه جلّة المهاجرين

ولا التحصيل ولا فرق ما بين الاهمال والتفكر وهذه الآفات لا تعترى الحساب ولا الكتاب ولا أصحاب النحو والعروض ولا أصحاب الخبر وحمال السير ولا حفاظ الآثار ولا رواة الاشعار ولا أصحاب الفرائض ولا الخطباء ولا الشعراء ولا أصحاب الاحكام ومن يفتى فى الحلال والحرام ولا أصحاب التأويل ولا الاطباء ولا المنجمين ولا المهندسين ولا لذى صناعة ولا لذى تجارة ولا لذى حيلة ولا لذى مسألة فهم بهذه البلية مخصوصون وعليها مقصورون فالصابر منهم من الأجر بحسبما خص به من الصبر وهى الصناعة لا يكاد يظهر قوتها ولا يبلغ أقصاها الا مع حضور الخصم ولا يكاد الخصم يبلغ محبته منها الا برفع الصوت وحركة اليد ولا يكاد اجتماعهما يكون الا فى المحفل العظيم والاحتشاد من الخصوم ولا تجتمع قوتها ولا تجود القوة بمكنونها وتعطى أقصى ذخيرتها التى أعدتها ليوم فقرها وحاجتها الا يوم جمع وساعة حفل وهذه الحال داعية الى حب الغلبة وليس شئ

والانصار

والانصار فقال عليه السلام ان طعنتم فى امارته لقد طعنتم فى امارة أبيه قبله ولقد كان لها أهلا وان أسامة لها الأهل وقالت عائشة لو كان زيد حيا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت أسامة على وأنا وهو سيان فقال كان أبوه أحب الى رسول الله من أبيك وكان أحب الى رسول الله منك وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أزواجه لتميط عن أسامة أذى من مخاط أو لعاب فكأنها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقال له يوما ولم يكن أسامة من أجمل الناس لو كنت جارية لنحلناك وحليناك حتى يرغب الرجال فيك وفى بعض الحديث أنه قال أسامة من أحب الناس الى وكان صلى الله عليه وسلم أدى الى بنى قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال على بن أبى طالب عليه السلام سلمان منا أهل البيت ويروى أن المهدى نظر اليه ويد عمارة بن حمزة فى يده فقال له رجل من هذا يا أمير المؤمنين فقال أخى وابن عمى عمارة بن حمزة فلما ولى الرجل ذكر ذلك المهدى كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول ومولاى فأنفض والله يدك من يدى فتبسم أمير المؤمنين المهدى ولم يكن الاكرام للموالى فى جفاة العرب زعم الليثى انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدى مسمع مولى له بها ورواء وأسن فوجه جعفر الى مسمع مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان أنصفنى والله جعفر أنصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجه الى مولى مثل هذا وأومأ الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا اما شالما يكره وجهت اليه وأومأ الى مولاه فعجب أهل المجالس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهى عشله العرب وقد قيل الرجل لابيه والمولى من مواليه وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق ويروى ان سلمان أخذ من بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هداب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى أذن له فى هدم داره فأدخل الفعلة دار عمرو فلما اقتلع من سطحه سافا كف عنه ثم قال يا عمرو قد أريتك القدرة وساريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان

أدعى الى التغلب من عب الغلبة وطول رفع الصوت مع التغلب وافساد التغلب طباع المفسد بوجبان فساد النية ويمنعان من درك الحقيقة ومتى خرجا من حد الاعتدال أخطا جهة القصد وعلم الكلام بعد ملقى من الظلم متاح له الهضم فهو أبدا محمول عليه ومبخوس حظه وباب الظلم اليه مفتوح لامانع له دونه والعلم بما فيه من الضرر يخفى على أكثر العقلاء ويغمض على جمهور الأدباء واذا كان ملقى من أكثر العقلاء ومخذولا عند أكثر الأدباء فما ظنك بمن كان عقله ضعيفا ونظره قصيرا بل ما ظنك بالظلوم الغادر والغمر الجاسر فهذا سبيل العوام فيه وجهل عوام الخاص به وانحرافهم عنه وميل الملوك عنه وعداوة بعض لبعض فيه وصناعة الكلام كثيرة الدخلاء والأدعياء قليلة الخلص والاصفياء والصبابة فيها غريبة والشروط التى تستحكم بها الصناعة بعيدة سحيقة ولدى القوم من العجز ما ليس لصميمهم ولرديء الطباع فى صناعة الكلام من ادعاء المعرفة

نافع بن جبير أحد بني نوفل بن عبد مناف اذا مرّ عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قرشي قال واقوماه وان قيل عربي قال وابلداه وان قيل مولى أو عجمي قال اللهم هم عبادك تأخذ منهم من شئت وتدع من شئت وروى أن ناسكا من بني الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول في قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فأما العجم فهم عبيدك والامر اليك وزعم الاصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لآخر أترى هذه العجم تنكح نساءنا في الجنة قال أرى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك وهذا باب لم نكن ابتدأنا ذكره ولكن الحديث يجر بعضه بعضا ويحمل بعضه على لفظ بعض ● ثم نعود الى ما ابتدأناه ان شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخطب وجمل المواعظ والزهد في الدنيا المتصل بذلك وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحيم قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطبا ومواعظ فما نذكره من ذلك أمر التعازي والمراثي فانه باب جامع وقد قيل انه لم يقل في شيء قط كما قيل في هذا الباب لان الناس لا ينفكون من المصايب ومن لم يثكل أخاه ثكله أخوه ومن لم يتقدم نفيسا كان هو المعدوم دون النفيس وحق الانسان الصبر على النوائب واستشعار ما صدرناه اذ كانت الدنيا دار فراق ودار بوار لا دار استواء وعلى فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا ترد وانما يتفاضل الناس بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة وجميل الذكر فقد قال أبو خراش الهذلي وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عروة بن مرة

تقول أراه بعد عروة لاهيا * وذلك رزء لو علمت جليل
فلا تحسبي أني تناسيت عهده * ولكن صبري يا أميم جميل

وقال عمرو بن معدي كرب

كم من أخ لي حازم * بوأته بيدي لحدا
أعرضت عن تذكاره * وخلقت يوم خلقت جلدا

وكان يقال من حدث نفسه بالبقاء ولم يوطنها على المصائب فعاجز الرأي وعزى رجل رجلا عن ابنه فقال أكان يغيب عنك قال كانت غيبته أكثر من حضوره قال فأنزله غائبا عنك فانه ان لم يقدم عليك قدمت عليه وقال ابراهيم بن المهدي يذكر ابنه

واني وان قدمت قبلي لعالم * باني وان أبطأت منك قريب
وان صباحا نلتقي في مسائه * صباح الى قلبي الغداة حبيب

ما ليس المطبوع عليها منهم بل لا تكاد تجده الا مغمورا بالحسدة مقصودا بمخاتل السفلة ومن مظالم صناعة الكلام عند أصحاب الصناعات ان أصحاب الحساب والهندسة يزعمون أن سبيل الكلام سبيل اجتهاد الرأي وسبيل صواب الحدس وفي طريق التقريب والتمويه وانه ليس العلم الا ما كان طبيعيا واضطراريا لا تأويل له ولا يحتمل معناه الوجوه المشتركة ولا يتنازع ألفاظه الحدود المتشابهة ويزعمون انه ليس بين علمهم بالشيء الواحد انه شيء واحد وانه غير صاحبه فرق في معنى الاتفاق والاستبانة وثلج الصدور والحكم بغاية الثقة

(فصل منه) فلو كان هذا المهندس الذي قد أبرم قضيته وهذا الحاسب الذي قد شهر حكومته تطرق الكلام بعقل صحيح وقريحة جيدة وطبيعة مناسبة وعناية تامة واعوان صدق وقلة شواغل وشهوة للعلم ويقين بالاصابة لكان تهيب الحكم أزين به والتوقي أولى به فكيف بمن لا يكون عرف من صناعة الكلام

وكفى باليأس معزياً وبانقطاع الطمع زاجراً كما قال الشاعر

أبا عمرو لم أصبر ولي فيك حيلة * ولكن دعاني اليأس منك الى الصبر
تصبرت مغلوباً واني لموجع * كما صبر العطشان في البلد القفر

وقال بعض المحدثين (قال الاخفش هو حبيب الطائي) وليس بناقصه حظه من الصواب أنه محدث بقوله لرجل رثاه

عجبت لصبري بعده وهو ميت * وقد كنت أبكيه دماً وهو غائب
على انها الايام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

وحدثت أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطب الناس فقال الحمد لله الذي جعل الموت حتماً واجباً على عباده فسوّى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم فقال تبارك وتعالى كل نفس ذائقة الموت فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مفردون بأعمالهم واعلموا أن لله مسئلة فاحصة قال الله تبارك وتعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون

وله يقول القائل تعز أمير المؤمنين فانه * لما قد ترى يغذى الصغير ويولد
هل ابنك الا من سلالة آدم * لكل على حوض المنية مورد

وقال رجل من قريش يرثي ابنه (قال أبو الحسن هو العتبي)

بأبي وأمي من عبأت حنوطه * بيدي وودعني بماء شبابه
كيف السلو وكيف صبري بعده * واذا دعيت فانما أكنى به

وقال ابن لعمر بن عبد العزيز يرثي عاصم بن عمر

فان يك حزن أو تجرع غصة * أمارا نجيعاً من دم الجوف منقعا
تجرعته في عاصم واحتسبته * لأعظم منه ما احتسى وتجرعا

وقال أبو سعيد احمد بن خلف يرثي ابنة أخته وكان تبناها وكان حدباً عليها كلفاً بها

أمست أميمة معموراً بها الرجم * لقى صعيد عليها الترب مرتكم
يا شقة النفس ان النفس والهة * حرّى عليه ودمع العين منسجم
قد كنت أخشى عليها أن تقدمني * الى الحمام فيبدي وجهها العدم

ما يعرفه المقتصد فيه والمتوسط له على أنا ما وجدنا مهندساً سافطاً ولا رأينا حاسباً يقول ذلك الا وهو ممن لا يتوقى صرف القول ولا يشفق من لائمة المحصلين واقصاء من قد عرف الحقائق واستبان العواقب ووزن الأمور كلها وصحح المعاني بأسرها وعلم من أين وثق كل واثق ومن أين غر كل مغرور وعلى أنهم يقرون ان في الحساب ما لا يعلم وان في الهندسة ما لا يدرك ولا يفهم والمتكلمون لا يقرون بذلك العجز في صناعتهم وبذلك النقص في غرائزهم

(فصل منه) وأقول انه لو لم يكن في المتكلمين من الفضل الا أنهم قد رأوا ادبار الدنيا عن علم الكلام واقبالها الى الفتيا والاحكام واجماع الرعية والراعي على اغناء المفتي وعلم الفتوى فرع واطباقهم على حرمان المتكلم وعلم الكلام أصل فلم يتركوا مع ذلك تكلفه وشحت نفوسهم على ذلك الحظ مخافة ادخال الضيم على علم الأصل واشفاقاً من أن لا تسع طبائعهم اجتماع الأصل والفرع فكان الفقر والقلة

فالآن نمتُ فلا همٌّ يؤرقني * يهدأ الغيورُ إذا ما أودت الحرم

للموت عندي أياد لست أنكرها * أحيا سروراً وبي مما أتى ألم

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القراح والحزن المفرد ولكنه باب للراثي يجمع أفراط الجزع وحسن الاقتصاد والميل الى التشكي والركون الى التعزي وقول من كان له واعظ من نفسه أو مذكر من ربه ومن غلبت عليه الجساوة وكان طبعه الى القساوة فقد اختلط كل بكل

وقال رجل من المحدثين يرثي أخاه

تحل رزيات وتعرو مصائب * ولا مثل ما أنحت علينا يد الدهر

لقد عركتنا الزمان ملمة * أذمت بمحمود الجلادة والصبر

فهذا يحسن من قائله أن الرزء كان جليلا بإجماع فللقائل أن يتفسح في القول فيه وهذا يقوله عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس وكان عبد الرحيم من جلة أهله لسنا ونعمة وسنا وولاية ومات معزولا عن اليمن في حبس الخليفة وأم جعفر بن سليمان أم حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم فلذلك يقول عبد العزيز في هذه القصيدة

بموتك يا عبد الرحيم بن جعفر * تفاحش صدع الدين عن ألم الكسر

فيا ابن النبي المصطفى وابن بنته * ويا ابن علي والفواطم والحبر

ويا ابن اختيار الله من آل آدم * أبا فأبا طهرا يؤدى الى طهر

ويا ابن سليمان الذي كان ملجأ * لمن ضاقت الدنيا به من بني فهر

ومن ملأ الدنيا سماحا ونائلا * وروى حجيجا بالملمعة القفر

لعزّ علينا قد دنا لنا من رزية * بموتك محبوسا على صاحب القبر

فإن تقض في حبس الخليفة ثاويا * أبيا لما يعطي الذليل على القسر

لكم من عدو للخليفة قد هوى * بكفك أو أعطى المقادة عن صغر

فواحزنا لو في الوغى كان موته * بكينا عليه بالردينية السمر

وكنا وقيناه القنا بنحورنا * وفات كذا في غير هيج ولا نفر

آثر عندهم مع احكام الأصول من الغنى والكثرة مع حفظ الفروع فتركوا أن يكونوا قضاة وتركوا القضاة وتعديلهم وتركوا أن يكونوا حكاما وقنعوا بأن يحكم عليهم مع معرفتهم بأن آلتهم أتم وآدابهم أكمل وألسنتهم أحد ونظرهم أثقب وحفظهم أحضر وموضع حفظهم أحصن والمتكلم اسم يشتمل على ما بين الأزرق والغالي وعلى ما دونهما من الخارجي والرافضي بل على جميع الشيعة وأصناف المعتزلة بل على جميع المرجئة وأهل المذاهب الشاذة

(فصل من صدر رسالته في مدح التجارة وذم عمل السلطان) أدام الله لك السلامة وأسعدك بالنعمة وختم لك بالسعادة وجعلك من الفائزين فهمت كتاب صاحبك ووقفت منه على تعدي القول وحيف في الحكم وسمعت قوله وهو على كل حال جائر وطريقه طريقهم وكتبهم تشاكل كتبهم وألفاظه تطابق ألفاظهم وكذلك حالنا وحال صاحب كتابك فيما يسخطه من أمرنا اني لا أعتذر منه وأستنكف من الانتساب اليه بل

وحُدِّثتُ أن عمر بن الخطاب لما وَلَّى كعبَ بن سُورٍ الأزديَّ قضاء البصرة أقام ما ملاله عليها الى أن استُشهِدَ على أنه كان قد عزله ثم رده فلما قام عثمانُ بن عفَّانَ أقره فلما كان يومُ الجَمَلِ خرج مع اخوة له قالوا ثلاثةٌ وقالوا أربعةٌ وفي عنقه مصحف فقُتِلوا جميعا فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم فقالت

يا عين جُودي بدمعٍ سَرِبْ * على فتيةٍ من خيار العربْ
وما ضَرَّهم غيرَ حَيْنِ النفو * سِ أيُّ أميرَيْ قريشٍ غَلَبْ

هذه الرواية سَرِب وقالوا معناه جارٍ في طريقه من قولهم انسرَبَ في حاجته وبيت ذي الرُّمَّةِ يُختارُ فيه الفتح * كأنه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ * لانه اسم والاول المكسور نعت ويقع وضع النعت في موضع المنعوت غير المخفوض (قال أبو الحسن حق النعت أن يأتي بعد المنعوت ولا يقع في موقعه حتى يَدُلَّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره تقول جاءني انسانٌ طويلٌ فان قلتَ جاءني طويلٌ لم يجز لان طويلا أعمُّ من قولك انسان فلا يدل عليه فان قلت جاءني انسانٌ متكلمٌ ثم قلت بعدُ جاءني متكلمٌ جاز لانك تَدُلُّ به على الانسان فهذا شرح قوله المخصوص) وقولها غير حين النفوس نصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام وقد ذكرناه مشروحا والمراثي كثيرة كما وصفنا وانما نكتب منها المختارَ والنادرَ والمُتَمَثَّلُ به السائرَ فمن مَلِيحِ ما قيل قولُ رجل يرثي أباه (قال أبو الحسن يقال انه ابنٌ لأبي العَتاهِيَة)

قَلْبِ يا قَلْبِ أوجَعَنْ * ما تعدَّى فضعضعَنْ
يا أبي ضَمَّنَ الثَّرَى * وطَوَى الموتُ أجمعَنْ
ليتني يومَ مُتَّ صِرْ * تُ الى تُربةٍ معَنْ
رَحِمَ اللهُ مصرعَنْ * بَرَّدَ اللهُ مضجعَنْ

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه وكان مات بالبصرة

نأى آخرَ الايام عنك حبيبُ * فللعين سَحٌّ دائم وغُروبُ
دعته نوًى لا يُرتجى أوبةٌ لها * فقلبُك مسلوبٌ وأنت كئيبُ
يَؤُوبُ الى أوطانه كلُّ غائبٍ * وأحمدُ في الغُيَّابِ ليس يؤوب
تبدَّلَ دارا غيرَ داري وجيرةً * سواي وأحداثُ الزمان تنوبُ
أقام بها مستوطنا غيرَ انه * على طول أيام المُقام غريبُ
كأنْ لم يكن كالغصن في مَيْعةِ الضُّحى * سقاه النَّدى فاهتزَّ وهو رطيبُ

أستحيي من الكتابة واستنكف بان أنسب اليها من البلاغة ان أعرف بها في غير موضعها ومن السطحي أن تظهر مني ومن الضيعة أن تعرف في كتبي ومن العجب بكثير ما يكون مني وقد عاكره ذلك أهل المروءة والانفة وأهل الاختيار للصواب والصد عن الخطأ حتى أن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة أملى كتابا الى رجل فقال فيه لهو أهون على من ذرة أو كلب من كلاب الحرة ثم قال امح من كلاب الحرة واكتب من الكلاب كانه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ورأى أنه ليس في موضعه

(فصل منه) وهذا الكلام لا يزال ينجم من حشوية اتباع السلطان فأما عليتهم ومصاصهم وذوو البصائر والتمييز منهم ومن فوقته الفطنة وأرهفه التأديب وأرهفه طول التفكر وجرى فيه الحياء وأحكمته التجارب فعرف العواقب وأحكم التفصيل ونطق بغوامض التحصيل فانهم يعترفون بفضيلة الكبار ويفنون مالهم ويحكمون

كأن لم يكن كالدر يلمع نوره * بأصدافه لما تشنه ثقوب

كأن لم يكن زين الفناء ومعقل الـ * ـنساء اذا يوم يكون عصيب

وريحان صدري كان حين أشمه * ومؤنس قصري كان حين أغيب

وكانت يدي ملأى به ثم أصبحت * بحمد الهي وهي منه سليب

قليلا من الايام لم يرو ناظري * بها منه حتى أعلقته شعوب

كظل سحاب لم يقم غير ساعة * الى أن أطاحته فطاح جنوب

أو الشمس لما من غمام تحسرت * مساء وقد ولت وحان غروب

سأبكيك ما أبقت دموعي والبكى * بعيني ماء يا بني يجيب

وما غار نجم أو تغنت حمامة * أو اخضر في فرع الاراك قضيب

حياتي ما دامت حياتي فان أمت * ثويت وفي قلبي عليك ندوب

وأضمر ان أنفدت دمعي لوعة * عليك لها تحت الضلوع وجيب

دعوت أطباء العراق فلم يصب * دواءك منهم في البلاد طبيب

ولم يملك الآسون دفعا لمهجة * عليها لأشراك المنون رقيب

قصمت جناحي بعد ما هد منكبي * أخوك فرأسي قد علاه مشيب

فأصبحت في الهلاك الا حشاشة * تذاب بنار الحزن فهي تذوب

توليتما في حقبة فتركتما * صدى يتولى تارة ويثوب

فلا مت الا دون رزئك رزؤه * ولو فتتت حزنا عليه قلوب

واني وان قدمت قبلي لعالم * بأني وان أبطأت منك قريب

وان صباحا نلتقي في مسائه * صباح الى قلبي الغداة حبيب

وقال أبو عبد الرحمن العتبي وتتابع له بنون

كل لساني عن وصف ما أجد * وذقت ثكلا ما ذاقه أحد

وأوطنت حرقة حشاي فقد * ذاب عليها الفؤاد والكبد

ما لج الحزن والحرارة في الـ * أحشاء من لم يمت له ولد

لهم بسلامة الدين وطيب المطعم ويعلمون أنهم أودع الناس بدنا وأهناهم عيشا وآمنهم سربا لانهم في أفنيتهم كالملوك على أسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات ويفزع اليهم ملتمسوا البياعات لا تلحقهم الذلة في مكاسبهم ولا يستعبدهم الضرع لمعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان أولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم عن همهم خول مملوءة قد لبسها الرعب وألفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا في تكدير وتنغيص خوفا من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغيير الدول واعتراض حلول المحن فان هي حلت بهم وكثيرا ما تحل فناهيك بهم من قوم بين يرقبهم الأعداء فضلا عن الاولياء فكيف لا يميز بين من هذا ثمرة اختياره وغاية تحصيله وبين من قد نال الرفاهة والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الانس أو قضاء اللذات من غير منة لاحد ولا منة يعتدي بها ومن هو من نعم المفضلين خلي وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه

بجمت

فجعت باثنين ليس بينهما * الا ليال ليست لها عدد
فكل حزن يبلى على قدم الـ * ـدهر وحزنى يجده الأبد

وذكر بعض الرواة أن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وكان عاملا لعلى بن أبى طالب على اليمن فشخص الى على واستخلف على اليمن عمرو بن أراكة الثقفى فوجه معاوية الى اليمن ونواحيها بسر بن أرطاة أحد بنى عامر بن لؤى فقتل عمرو بن أراكة فجزع عليه عبد الله أخوه جزعا شديدا فقال أبوه

لعمرى لئن أتبعت عينيك مامضى * به الدهر أوساق الحمام الى القبر
لتستنفدن ماء الشؤون بأسره * ولو كنت تمريهن من ثبج البحر
لعمرى لقد أردى ابن أرطاة فارسا * بصنعاء كالليث الهزبر أبى أجر
وقلت لعبد الله اذ حن باكيا * تعز وماء العين منهمر يجرى
تبين فان كان البكا رد هالكا * على أهله فاشدد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتا بعد ميت أجنه * على وعباس وآل أبى بكر

قوله من ثبج البحر فثبج كل شىء وسطه وروى فى الحديث كنت اذا فاتحت الزهرى فتحت منه ثبج البحر وقوله تمريهن هو مثل يقال مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر فانما هو استخراج اللبن ويقال مريت برجلى الارض اذا مسحتها والاصل ذلك فانما أراد ولو كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر وكان بسر بن أرطاة فى تلك الحروب أرشد على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأمهما من بنى الحرث بن كعب فوارثهما فيقال انه أخذهما من تحت ذيلها فقتلهما ففى ذلك تقول الحارثية

الامن بين الاخوين * ن أمهما هى الثكلى
تسائل من رأى ابنيها * وتستبغى فما تبغى

وفى ذلك تقول أيضا

يا من أحس بنيى اللذين هما * كالدرتين تشظى عنهما الصدف
يا من أحس بنيى اللذين هما * سمعى وطرفى فطرفى اليوم مختطف
يا من أحس بنيى اللذين هما * مخ العظام فمخى اليوم مزدهف

نقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر (فصل منها) وقد علم المسلمون ان خيرة الله تعالى من خلقه وصفيه من عباده والمؤتمن على وحيه من أهل بيت التجارة وهى معولهم وعليها معتمدهم وهى صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ولقد بلغتك بسالتهم ووصفت لك جلادتهم ونعتت لك احلامهم وتقدرلك سخاؤهم وضيافتهم وبذلهم ومواساتهم وبالتجارة كانوا يعرفون ولذلك قالت كاهنة اليمن لله در الديار لقريش التجار وليس قولهم قرشى كقولهم هاشمى وزهرى وتيمى لانه لم يكن لهم أب يسمى قريشا فينتسبون اليه ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش فهو أفخم أسمائهم وأشرف أنسابهم وهو الاسم الذى نوه الله تعالى به فى كتابه وخصهم به فى محكم وحيه وتنزيله فجعله قرآنا عربيا يتلى فى المساجد ويكتب فى المصاحف ويجهر به فى الفرائض وخطوه على الخطيب والخالص ولهم سوق عكاظ وفيهم يقول أبو

نُبِّئْتُ بِشْرًا وماصَدَّقْتُ مازعموا * من قولهم ومن الافكِ الذي اقترفوا

أَنْحَى على وَدَجَيْ طِفْلِي مُرْهَفَةً * مشحوذةً وعظيمُ الافكِ يُقْتَرَفُ

مَنْ دَلَّوا الهِ تَوَى مُقْجَعَةً * على صبيين غابا اذْ مَضَى السَّلَفُ

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عُتْبَةَ تَمَثَّلَ

اذا سار مَنْ خَلْفَ امرئٍ وأمامَهُ * وأُوحِشَ من أصحابه فهو سائرُ

فلما أتاه موتُ زيادٍ تمثل وأُفْرِدْتُ سهمًا في الكنانة واحدا * سيَرْمِي به أو يَكْسِرُ السهمَ كاسرُ

وماتت امرأة الفرزدق بِجَمْعٍ ومعنى جُمْعٍ وَلَدُها في بطنها (وان شئت قلت جَمْعٌ بالفتح) فقال

وجَفْنِ سِلاحٍ قد رُزِئْتُ فلم أَنُحْ * عليه ولم أَبْعَثْ عليه البَواكيا

وفي جوفه من دارمٍ ذو حفيظةٍ * لوانَّ المَنايا أَنْسَأَتْهُ لياليا

وهذا من البَغْيِ في الحكم والتقدم وقال رجل من المُحْدَثين في ابنين لعبد الله بن طاهر أُصيبا في يوم واحد وهما طفلان شيئًا بهذا ولكنه اعتذر فحَسُنَ قولُهُ وصحَّ معناه باعتذاره وهو الطائي

لَهْفِي على تلك الشواهد فيهما * لو أُمْهِلَتْ حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رأيتَ نُمُوَّهُ * أيقنت أن سيكونُ بدرا كاملا

وقال الفرزدق يرثي حَدْراءَ الشَّيْبانيةَ

يقول ابنُ صَفْوانٍ بكيتَ ولم تكن * على امرأةٍ عَيْنِي إخالُ لتَدْمَعا

يقولون زُرْ حَدْراءَ والتُّرْبُ دونها * وكيف بشيءٍ عَهْدُهُ قد تَقَطَّعا

ولستُ وان عَزَّتْ عليَّ بزائر * ترابا على مَرْموسةٍ قد تَضَعْضَعا

وأهونُ مفقودٍ اذا الموتُ نالَهُ * على المرءِ من أصحابه مَنْ تَقَنَّعا

وما مات عند ابنِ المَراغةِ مثلُها * ولا تَبِعَتْهُ ظاعنًا يوم وَدَّعا

وقال جرير يرثي امرأته لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ * ولَزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

نِعْمَ الخليلُ وكنتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ * ولَدَى منكِ سكينةٌ ووقارُ

لن يَلْبَثَ القُرَناءُ أن يتفرقوا * ليلٌ يَكُرُّ عليهم ونهارُ

صلى الملائكةُ الذين تُخُيِّروا * والصالحونَ عليكِ والأبرارُ

ذؤيب
اذا ضربوا القباب على
عكاظ
وقام البيع واجتمع
الألوف
وقد عبر النبي صلى الله
عليه وسلم وآله برهة
من دهره تاجرا وشخص
فيه مسافرا وباع واشترى
حاضرا والله أعلم حيث
يجعل رسالته ولم يقسم الله
مذهبا رضيا ولا خلقا
زكيا ولا عملا مرضيا
الا وحظه منه أوفر
الحظوظ وقسمه فيه أجزل
الأقسام ولشهرة أمره في
البيع والشراء قال
المشركون مالهذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في
الاسواق فأوحى الله اليه
وما أرسلنا قبلك من
المرسلين الا أنهم ليأكلون
الطعام ويمشون في
الاسواق فأخبر أن
الأنبياء قبله كانت لهم
صناعات وتجارات
(فصل منه) والذي
دعا صاحبك الى ذم التجارة
توهمه بقلة تحصيله انهما
تنقص من العلم والأدب
وتقتطع دونهما وتمنع
منهما فأي صنف من العلم
لم تبلغ التجار فيه غاية أو
يأخذوا منه بنصيب
أو يكونوا رؤساء أهله
وعليتهم هل كان في التابعين
اعلم من سعيد بن المسيب

أفأم حزرة يا فرزدق عبتم * غضب المليك عليكم الجبار

وقال رجل من خزاعة ويقال كثير يرثي عمر بن عبد العزيز بن مروان (قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقطرب النحوي

أما القبور فانهن أوانس * بجوار قبرك والديار قبور)

جلت رزيته فعم مصابه * فالناس فيه كلهم مأجور

(ردت صنائعه اليه حياته * فكأنه من نشرها منشور)

والناس مأتمهم عليه واحد * في كل دار رنة وزفير

يثني عليك لسان من لم توله * خيرا لانك بالثناء جدير

ومثله قول عمارة يمدح خالد بن يزيد بن مزيد

أرى الناس طرا حامدين لخالد * وما كلهم أفضت اليه صنائعه

ولن يترك الاقوام أن يمدحوا الفتى * اذا كرمت اخلاقه وطبائعه

فتى أمعنت ضراؤه في عدوه * وخصت وعمت في الصديق منافعه

ومن قوله والناس مأتمهم عليه واحد أخذ الطائي في مرثيته

لئن أبغض الدهر الخؤون لفقده * لعهدي به حيا يحب به الدهر

لئن عظمت فيه مصيبة طيئ * لما عريت منها تميم ولا بكر

وقال القرشي قد كنت أبكي على من فات من سلفي * وأهل ودي جميع غير أشتات

فاليوم اذ فرقت بيني وبينهم * نوى بكيت على أهل المروآت

وما بقاء امرئ كانت مدامعه * مقسومة بين أحياء وأموات

ويروى أن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام

(لكل اجتماع من خليلين فرقة * وان الذي دون الفراق قليل)

وان افتقادي واحدا بعد واحد * دليل على أن لا يدوم خليل

وقال عقيل بن علفة المري من غطفان

لعمري لقد جاءت قوافل خبرت * بأمر من الدنيا علي ثقيل

أرأنبل وقد كان تاجرا يبيع ويشتري وهو الذي يقول ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضوان الله عليهم قضاء الا وقد علمته وكان أعبر الناس للرؤيا وأعلمهم بأنساب قريش وهو من كان يفتي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وهم متوافرون وله بعد علم بأخبار الجاهلية والاسلام مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته وأمره بالمعروف وجلالته في أعين الخلفاء وتقدمه على الجبارين ومحمد بن سيرين في فقهه وورعه وطهارته ومسلم بن يسار في علمه وعبادته واشتغاله بطاعة ربه وأيوب السختياني ويوسف بن عبيد في فضلهما وورعهما

(فصل منه في الشارب والمشروب) سألت أكرم الله وجهك وأدام رشدك ولطاعته توفيقك حتى تبلغ من مصالح دينك ودنياك منازل ذوي الألباب ودرجات أهل الثواب ان أكتب لك صفات الشارب والمشروب وما فيهما من المدح والعيوب وان أميزلك بين الانبذة والخمر

وقالوا ألا تبكى لمصرع هالك * أصاب سبيل الله خير سبيل

كأن المنايا تبتغى فى خيارنا * لها ترة أو تهتدى بدليل

لنا أن المنايا حيث شاءت فانها * محللة بعد الفتى بن عقيل

فتى كان مولاه يحل بنجوة * فحل الموالى بعده بمسيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبى بكر بقول متمم بن نويرة

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وعشنا بخير فى الحياة وقبلنا * أصاب المنايا رهط كسرى وتبعا

فلما تفرقنا كأنى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شراحيل فتمثل عند قبره

وهون وجدى عن شراحيل أننى * اذا شئت لاقيت امرأ مات صاحبه

وقال أعرابى ألا لهف الأرامل واليتامى * ولهف الباكيات على قصى

لعمرك ما خشيت على قصى * متالف بين حجر والسلى

ولكنى خشيت على قصى * جريرة رمحه فى كل حى

فتى الفتيان محلول ممر * وأمار بارشاد وغى

فهذا الشعر من أجفى أشعار العرب يبكى صاحبه أن تقدير فى المرثى أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حتف أنفه ويقول فى مدحه * وأمار بارشاد وغى * وشبيه بهذا قول لبيد فى أخيه أربد لما أصابته الصاعقة وأصابت عامرا الغدة بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر بن الطفيل صار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أربد فقال لاربد أنا أشغله لك واضربه أنت بالسيف من ورائه فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام على ان يجعل له أعنة الخيل فقال عامر ومن يمنعها اليوم منى ولكن ان شئت فلك المدر ولى الوبر أولى المدر ولك الوبر فأعرض عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام فقال فاجعل لى هذا الامر بعدك فأعلمه النبى أن ذلك ليس بكائن قال فأبشر بخيل أولها عندك وآخرها عندى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبى الله ذلك وابنا قيلة يعنى الأوس والخزرج ويروى أن سعد بن عبادة قال يا رسول الله

علام

وان أوقفك على حد السكر وان أعرفك السبب الذى رغب فى شرب الأنبذة ومافيها من اجتلاب المنفعة ومايكره من نبيذ الأوعية وقلت ومافرق مابين الجرار والسقاء والمزفت والحنتم والدباء وما القول فى المحتل والمكسوب ومافرق مابين النقيع والداذى وما المطبوخ والباذق وما الغربى والمروق وما الذى يحل من الطبيخ وما القول فى شرب الفضيخ وهل يكره نبيذ العكر وما القول فى عتيق السكر وأنبذة الجرار ومايعمل من السكر ولم كره النقير والمقير وسألت عن نبيذ العسل والقرطبات وعن رز بن سوق الاهواز وعن نبيذ أبى يوسف والجمهور والمعلق والمسعوم والحلو وترس شيرين ونبيذ الكشمش والتين ولم كره الجلوس على البواطى والرياحين وقلت وما نصيب الشيطان وما حاصل الانسان وسألت عمن شرب الأنبذة أو كرهها من الأوائل وما جرى بينهم فيها من الاجوبة والمسائل وما كانوا عليه فيها من الآراء وتشتتوا فيها من الأهواء ولأى سبب تضادت فيها

علام يَنْصَبُ هذا الاعرابيُّ لسانه عليك دعني أقتله ويروى أن عامرا قال النبي عليه السلام لأغزونّك على ألف أشقر وألف شقراء فلما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفنيهما وتروى قيسٌ أنه قال اللهم ان لم تهد عامرا فاكفنيه وقال عامر لاربد قد شغلته عنك مرارا فألا ضربته قال اربد أردتُ ذلك مرتين فاعترض لى فى احداهما حائط من حديد ثم رأيتك الثانية بينى وبينه أفأقتلك فلم يصل واحدٌ منهما الى منزله أما عامر فغُدّ فى ديار بنى سلول بن صعصعة فجعل يقول أغدّةً كغدّة البعير وموتا فى بيت سلولية وأما اربد فارتفعت له سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته وكان أخا لبيد لامه فقال يرثيه

أخشى على أربد الحتوف ولا * أرهب نوء السماك والاسد
ما ان تعرّى المنون من أحد * لا والد مشفق ولا ولد
فجّعنى الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد
يا عين هلّا بكيت أربد اذ * قمنا وقام العدوّ فى كبد

وقال أيضا ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الأجرب
يتحدّثون مخانة وملاذة * ويعاب قائلهم وان لم يشغب
يا أربد الخير الكريم جدودُهُ * غادرتنى أمشى بقرن أعضب
ان الرزيّة لا رزيّة مثلها * فقدان كلّ أخ كضوء الكوكب

قوله فى خَلف يقال هو خَلْف فلان لمن يخلُفه من رهطه وهؤلاء خَلْف فلان اذا قاموا مقامه من غير أهله وقلما يستعمل خَلْفٌ الا فى الشر وأصله ماذكرنا والمخانةُ مصدر من الخيانة والملاوذُ الذى لا يصدق فى مودّته يقال رجل ملاوذٌ وملذانٌ وملاذةٌ مصدره والأعضبُ المقطوعُ وفى الحديث لا يضحّى بعضباء ويروى أن رجلا قال لمعن بن زائدة فى مرضه لولا ما منّ الله به من بقائك لكنا كما قال لبيدُ ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الأجرب
فقال له معنٌ أما تذكرانى سُدتُ حين ذهب الناس هلا قلت كما قال نهار بن توسعة
قلّدته عرى الامور نزارٌ * قبل أن تهلك السراة البحور
ثم نرجع الى ذكر المراثى وقال أعرابى

الآثار واختلفت فيها الأخبار وسألت أن أقصد فى ذلك الى الايجاز والاختصار وحذف الاكثار وقلت واذ جعل الله تعالى للعباد عن الخمر المندوحة بالأشربة الهنيئة الممدوحة فما تقول فيما حسن من الأنبذة صفاؤ وبعد مداه واشتدت قواه وعتق حتى جاد وطاب بعد قدم السكون صافى اللون هل يحل اليه الاجتماع وفيه الاكتراع اذ كان يهضم الطعام ويوطئ المنام وهو فى لطائف الجسم سار وفى خفيات العروق جار لا يضر معه برغوث ولا بعوض ولا جرس غضوض وقلت وكيف يحل لك ترك شربه اذا كان لك موافقا ولجسمك ملائما ولم لا قلت ان تارك شربه كتارك العلاج من أدواء الادواء وانه كالمعين على نفسه اذا ترك شربه أخفش الداء وأنت تعلم انك اذا شربته عدلت به طبيعتك وأصلحت به صفار جسمك وأظهرت به حمرة لونك فاستبدلت به من السقم صحة ومن حلول العجز قوة ومن الكسل نشاطا والى اللذة انبساطا ومن الغم فرحا ومن الجمود تحركا

لَعَمْرِي لقد نادى بأرفع صوته * نَعِيَّ حَيٍّ أن سيدكم هَوى

أَجَلْ صادقًا والقائلُ الفاعلُ الذى * اذا قال قولًا أَنبط الماءَ فى الثَّرى

فتى قُبَّلٌ لم تُعْنِسِ السِّنُّ وجهَهُ * سوى وَضَحٍ فى الرأس كالبرق فى الدُّجى

أشارت له الحربُ العَوانُ فجاءها * يُقَعْقِعُ بالأقراب أوَّلَ مَن أتى

ولم يَجْنِها لكن جَناها وليُّه * فآسى وآداهُ فكان كمَن جَنى

و يروى أن عائشة رضى الله عنها نظرتْ الى الخَنْساء وعليها صدارٌ من شعر فقالتْ يا خنساء أتَلْبَسين الصِّدارَ وقد نَهَى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عنه فقالت لم أعلم بنهيه ولكن لهذا الصدار سبب فقالت وما هو قالت لها كان زوجى رجلًا متلافًا فأخفق فأراد أن يسافر فقلت له أقم وأنا آتى أخى صخرًا فاسأله فأتيته فشاطرنى ماله فأتلفه زوجى فعدتُ له فعادلى بمثل ذلك فأتلفه زوجى فعدتُ له فلما كان فى الثالثة أو الرابعة قالت له امرأته ان هذا المالَ مُتْلَفٌ فامنحها شِرارَها فقال صخر

والله لا أمنحُها شِرارَها * ولو هَلَكْتُ خَرَّقَتْ خِمارَها * واتخذتْ من شَعَرٍ صِدارَها

فلما هلك اتخذت هذا الصدار وكان صخر أخا الخنساء لابيها فقط و يروى عن بعض نساء بنى سُلَيم انها نظرتْ اليها فى صدار وهى تصنع طيبًا لابنتها لتنقلها الى زوجها فقالت لها فى شئ كرهته الخنساء فقالت لها اسكتى فوالله لقد كنتُ أبسطَ منكِ عرفًا وأطيبَ منكِ ورسًا وأحسنَ منكِ عُرْسًا وأرقَّ منكِ نَعْلًا وأكرمَ منكِ بَعْلًا وكان بشّارٌ يقول لم تقل امرأة شعرا قط الا تبيَّنَ الضعفُ فيه فقيل له أوكذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربعُ خُصًى وقال الفرزدق وتتابع له بنون

أسُكّانَ بطنِ الارض لو يُقْبَلُ الفدا * فُدِيتُمْ وأعطينا بكم ساكنى الظَّهر

فيا ليتَ مَن فيها عليها وليتَ مَن * عليها ثوى فيها مقيمًا الى الحشر

هُمُ قوا كان لم يعرف الموتُ غيرهم * فثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبر

لقد شَمِتَ الاعداءُ بى وتغيَّرتْ * عيونٌ أراها بعد موت أبى عمرو

تَجَرَّى على الدهرُ لما فقدتُه * ولو كان حيًّا لاجترأتُ على الدهر

وقاسمنى دهرى بَنِيَّ مُشاطرًا * فلما تَوَفَّى شطرَه مالَ فى شَطْرِى

ومن الوحشة انسا وهو فى الخلوة خير مسامر وعند الجلبة خير ناصر يترك الضعيف وهو مثل الأسد فى العرين بلا ان له ولا يلين وقلت الجيد من الأنبذة يصفى الذهن ويقوى الركن ويشد القلب والظهر ويمنع الضيم والقهر ويشهى المعدة ويهيج الطعام الشهوة ويقطع عن اكثار الماء الذى جل الادواء منه ويحدر رطوبة الرأس ويهيج العطاس ويشد البضعة ويزيد فى النطفة وينفى القرقرة والرياح ويبعث الجود والسماح ويمنع الطحال من العظم والمعدة من التخم ويحدر المرة والبلغم ويلطف دم العروق ويجريه ويرققه ويصفيه ويبسط الآمال وينعم البال ويفشى الغلظ فى الرئة ويصفى البشرة ويترك اللون كالعصفر ويحدر أذى الرأس فى المنخر ويموه الوجه ويبض الكلية ويلذ النوم ويحلل التخم ويذهب بالاعياء ويغذو لطيف الغذاء ويطيب الأنفاس ويطرد الوسواس ويطرب النفس ويؤنس من الوحشة ويسكن الروعة ويذهب الحشمة وتقذف

وحدثنى العباس بن الفَرَجِ الرياشىُّ قال قَدِمَ رجلٌ من البادية فلما صار بجبل سَنام مات له بنون فدفنهم هناك وقال

دَفَنْتُ الدافنينَ الضَيْمَ عنى * برابيـــة مجاورة سَنـاما

أقولُ اذا ذكرتُ العهدَ منهم * بنفسى تلك أصداءً وهاما

فـلم أَرَ مثلهـم ماتوا جميعًا * ولم أَرَ مثل هذا العام عاما

(قال أبو الحسن الاخفش وفيها عن غير أبى العباس

فليت حِمامَهُمْ اذ فارقونى * تَلَقَّانا فـكان لنا حِماما

قال أبو العباس ويروى أن رجلا كان له بنونَ سبعةٌ يَرْوِى ذلك أبو الحسن المَدائنىُّ قال أبو العباس فاختُلِفَ علىَّ فيهم فقال قوم كانوا تحت حائط وقال قوم آخرون بل حُلِبَ لهم فى عُلْبة فَسَمَّ فيها أفعى فبُعِثَ بها اليهم فشربوها فماتوا جميعا والرجلُ يقال له الحرث بن عبد الله الباهلى وهلكتْ لجاره شاة فجعل يُعْلِنُ بالبكاء عليها فقال قائل

يا أيها الباكى على شاتهِ * يبكى جهلًا غير اسرار

ان الرَّزيئاتِ وأمثالَهَا * مالَـقِىَ الحرثُ فى الدار

دعا بنى مَعْنٍ واخوانَهُـــمْ * فـكلهم بعدو بعِصار

قال أبو العباس والمصائب ما عَظُمَ منها وما صَغُرَ تقع على ضربين فالحَزْمُ التَسَلِّى عما لا يغنى الغَمُّ فيه والاحتيالُ لدفع ما يُدْفَعُ بالحيلة ومن أحسن القول فى هذا المعنى فى الاسلام قولُ علىِّ بن الحسين ابن على بن أبى طالب عليهم السلام حين مات ابنه فلم يُرَ منه جَزَعٌ فَسُئِلَ عن ذلك فقال أمر كنا نتوقعه فلما وقع لم ننكره وفى هـذا زيادةٌ تُنْتَظَرُ وفضلُ تسليم لقضاء الله عز وجل والعرب تقول الحَذَرُ أشد من الوقيعة وقال رجل من الحكماء انما الجَزَعُ والاِشفاقُ قبل وقوع الامر فاذا وقع فالرضا والتسليمُ ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله اذا استأثر الله بشئ فالْهَ عنه ويقال لَهِيتُ عن الامر أَلْهَى اذا أضربتَ عنه ولَهَوْتُ ألهو من اللعب ومن أَقْدَمِ ما قيل فى هذا المعنى قولُ أوس ابن حَجَرٍ الأُسَيْدِىِّ من بنى أُسَيِّدِ بن عمرو بن تميم يرثى فَضالةَ بن كَلَدَةَ أحد بنى أسد بن خُزَيْمة

أيتها النفسُ أجْمِـلى جزَعا * ان الذى تحـذرين قـد وقعا

ان الذى جَمَعَ السَّماحـةَ والـنَّجدةَ والحزمَ والقُوَى جُمَعا

فضول الصلب بالانشاط للجماع وفضول المعدة بالمراع ويشجع المرتاع ويزهى الذليل ويكثر القليل ويزيد فى جمال الجميل ويسلى الحزن ويجمع الذهن ويذهب الهم ويطرد الغم ويكشف عن قناع الحزم ويولد فى الحليم الحلم ويكفى أضغاث الحلم ويحث على الصبر ويصح من الفكر ويرجى القانط ويرضى الساخط ويغنى عن الجليس ويقوم مقام الأنيس وحتى ان عزلم يقنط منه وان حضر لم يصبر عنه يدفع النوازل العظيمة وينقى الصدر من الخصومة ويزيد فى المساغ وصفوة الدماغ وينشـــط الباه حتى لا يزيف شيأ يراه وتقبله جميع الطبائع وتمتزج به صنوف البدائع من اللذة والسرور والنضرة والحبور وحتى متى شرب صفا ومتى فقد خفـــا وان شرب منه الصرف بغير مزاج تحلل بغير علاج وينفى الاحزان والهموم ويدفع الاهواء والسموم ويفتح الذهن ويمنع الغبن ويلقن الجواب ولا يكيد منه العتاب به تمام اللذات وكمال المروآت ليس لشئ كحـــلاوته فى النفوس وكسطوته فى الجباه

(أودى فما تنفع الإساءة من * شيء لمن قد تحاول البدعا)
الألمعي الذي يظن لك الـ * ـظن كأن قد رأى وقد سمعا
المخلف المتلف المرزأ لم * يمتع بضعف ولم يمت طبعا
والحافظ الناس في تحوط إذا * لم يرسلوا خلف عائذ ربعا
وعزت الشمأل الرياح وقد * أمسى كميع الفتاة ملتفعا
وشبه الهيدب العبام من الـ * أقوام سقبا ملبسا فرعا
وكانت الكاعب الممنعة الـ * حسناء في زاد أهلها سبعا
ليبكك الشرب والمدامة والـ * فتيان طرا وطامع طمعا
وذات هدم عار نواشرها * تصمت بالماء تولبا جدعا

وفيها زيادة لكنا اختصرنا قوله الألمعي الحديد اللسان والقلب وقد أبانه بقوله الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا وقوله المخلف المتلف أراد أنه يتلف ماله كرما ويخلفه نجدة كما قال

ناقته ترقل في النقال * متلف مال ومفيد مال

وقال آخر * فأتلف ذاك متلاف كسوب * والمرزأ الذي تناله الرزيات في ماله لما يعطي ويسئل والامتاع الإقامة فيقول لم يقم وهو ضعيف والطبع أسوأ الطمع وأصله أن القلب يعتاد الخلة الدنيئة فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه وهذا مثل وأصله في السيف وما أشبهه يقال طبع السيف إذا ركبه صدأ يستر حديده وطبع الله على قلوبهم من ذا وتحوط وقحوط اسمان للسنة الجدبة كما يقال حجرة وكحل وقوله لم يرسلوا خلف عائذ ربعا العائذ الحديثة النتاج والربع الذي ينتج في الربيع ومن شأنهم في سنة الجدب أن ينحروا الفصال لئلا ترضع فتضر بالأمهات وقوله وعزت الشمأل الرياح يقول غلبتها وتلك علامة الجدب وذهاب الأمطار ومن ذلك قولهم من عز بز أي من غلب استلب وفي القرآن وعزني في الخطاب أي غلبني بالمخاطبة وقوله وقد أمسى كميع الفتاة فالكميع الضجيع وهو الكمع قال الراجز

* ومنهو ذو الغرار يبيت كمعي * يعني السيف أي يبيت مضاجعي ملتفعا يقال تلفع في مطرفه وفي كسائه إذا تلفف وتزمل فيه فيقول من شدة البرد يلتفع به دون ضجيعه والكاعب التي

والرؤس وكان نشاطه للحديث والجلوس بحمر الألوان ويرطب الأبدان ويخلع عن الطرب الأرسان وقلت ومع كل ذلك فهو يلجلج اللسان ويكثر الهذيان ويظهر الفضول والاختلاط ويناوب الكسل بعد النشاط فأما إذا تبين في الرأس الميلان واختلف عند المشي الرجلان وأكثر الاخفاق والتضع والبصاق واشتملت عليه الغفلة وجاءت الزلة بعد الزلة أوصال على الصدر لعابه وصار في حد المخرفين لا يفهم ولا يبين قبل دلالات السكر وظهور علامات السكر ينسى الذكر ويورث الفكر ويهتك الستر ويسقط من الجدار ويهور في الآبار ويعرق في الأنهار ويعوق عن المعروف ويعرض للحتوف ويحمل على الهفوة ويؤكد الغفلة ويورث الصياح والصمات ويصرع الفهم للسبات فلغير معنى يضحك ولغير سبب يمحك ويحيد عن الإنصاف وينقلب على الساكت الكافي ثم يظهر السرائر ويطلع على ما في الضمائر من مكنون الأحقاد وخفي الاعتقاد وقد يقل على السكر

كعب ثديها يقول تصير كالسبع فى زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام وقوله وذات هدم يعنى امرأة ضعيفة والهدم الكساء الخلق الرث وقوله عار نواشرها النواشر عروق الساعد والتولب الصغير والجدع السيئ الغذاء وهو الجحن والقتين وقال أعرابى

خليلى عوجا بارك الله فيكما * على قبر أهبان سقته الرواعد
فذاك الفتى كل الفتى كان بينه * وبين المزجّى نفنف متباعد
اذا نازع القوم الاحاديث لم يكن * عييا ولا عبأ على من يقاعد

وقالت ليلى الاخيلية دعا قابضا والمرهفات ينشنه * فقبحت مدعوا ولبيك داعيا
فليت عبيد الله كان مكانه * صريعا ولم أسمع لتوبة ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حمير العقيلى ثم الخفاجى غزا فغنم ثم انصرف فعرّس فى طريقه فأمن فقال فنذرت فرسه فأحاط به عدوه ومعه عبيد الله أخوه وقابض مولاه فدعاهما فذبّ عبيد الله شيأ وانهزما وقتل توبة ففى ذلك تقول ليلى الاخيلية

أعينى ألا فابكى على ابن حمير * بدمع كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة * بماء شؤون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أزحفت فذكرنه * وقد يبعث الاحزان طول التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام اذا بدا * سنا الصبح فى أعقاب أخضر مدبر
ولم يقدع الخصم الالدّ ويملا الـ * جفان سديفا يوم نكباء صرصر
الا رب مكروب أجبت ونائل * أبرت ومعروف لديك ومنكر
فياتوب للمولى وياتوب للندى * وياتوب للمستنبح المتنور

قولها لتبك عليه من خفاجة نسوة تعنى خفاجة بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والهيجا تمد وتقصر وقد مر هذا وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور فالنجد كل ما أشرف من الارض والغور كل ما انخفض ويقال ماء سدام ومياه سدم وهى القديمة المندفنة قال الشاعر

وعلى بأسدام المياه فلم تزل * قلائص تخدى فى طريق طلائح

المتاع ويطول منه الأرق والصداع ثم يورث بالغدوات الخمار ويختل سائر النهار ويمنع من اقامة الصلوات وفهم الأوقات ويعقب السل ويعقب فى القلوب الغل ويجفف النطفة ويورث الرعشة ويولد الصفار وضروب العلل فى الأبصار ويعقب الهزال ويجحف بالمال ويجفف الطبيعة ويقوى الفاسد من المروءة ويذبل النفس ويفسد مزاج الحسن ويحدث الفتور فى القلب ويبطئ عند الجماع الصب حتى يحدث من أجله الفتق الذى ليس له رتق ويحمل على المظالم وركوب المآثم وتضييع الحقوق حتى يقتل من غير علم ويكفر من غير فهم

(فصل منه) وقلت ومن الحلو فى المعدة التخم وفى الابدان الوخم ويولد الكرش رياحا كمثل رياح العدس وحموضة تولد فى الاسنان الضرس والسكر حسبك بفرط حرارته وكسوف لونه وبشاعة مذاقه ونفار الطبيعة عنه وأنواع ما يعالج من التمر والحبوب فشربها الداء العضال والمسجور والبقى وأشباهها كدورة

وسنا الصبح ضوءه وهو مقصور فاذا أردت الحسب مددت والاخضر الذى ذكرت الليل والعرب تسمى الاسود أخضر وقولها ولم يقدع الخصم الالد فالالد الشديد الخصام والسديف شقق السنام والنكباء الريح بين الريحين الشديدة الهبوب والصرصر الشديدة الصوت والمستنبح الذى يسرى فلا يعرف مقصدا فينبح لتجيبه الكلاب فيقصدها والمتنور الذى يلتمس ما يلوح له من النار فيقصده قال الاخطل يعير جريرا

قومٌ اذا استنبح الاضيافُ كلبهم * قالوا لأمهم بولى على النار

فيقال ان جريرا توجع من هذا البيت وقال جمع بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم منها البخل الفاحش ومنها عقوق الام فى ابتذالها دون غيرها ومنها اتقذار الفناء ومنها السوءة التى ذكرها من الوالدة وقال آخر

وانى لأطوى البطن من دون ملئه * لمختبطٍ فى آخر الليل ناجِ
وان امتلاء البطن فى حسب الفتى * قليلُ الغناء وهو فى الجسم صالح

وقالت ليلى الاخيلية

نظرتُ وركنٌ من بُوانة دوننا * وأركانُ حسمى أىَّ نظرةِ ناظر
الى الخيل أجلى شأوها عن عقيرةٍ * لعاقرها فيها عقيرةُ عاقر
كأن فتى الفتيان توبة لم ينخ * قلائص يفحصن الحصى بالكراكر
ولم يبن أبرادا رقاقا لفتيةٍ * كرامٍ ويرحل قبل فىء الهواجر
فتى لا تخطاه الرفاق ولا ترى * لقدرٍ عيالا دون جار مجاورِ
وكنت اذا مولاك خاف ظلامة * دعاك ولم يقنع سواك بناصرِ

قولها أى نظرة ناظر يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أىّ نظرة وأيّة نظرة وأيّما نظرة وأيّما نظرة كما تقول مررت برجل أيّما رجل وتأويله مررت برجل كامل فأيما فى موضع كامل وتقول مررت بزيد أيّما رجل على الحال ومن قال أىُّ نظرة ناظر فعلى القطع والابتداء والمخرج مخرجُ استفهام وتقديره أىُّ نظرة هى كما تقول سبحان الله أىُّ رجل زيد وهذا البيت يُنشد على وجهين

فأومأتُ ايماء خفيا لحبتر * ولله عينا حبتر أيّما فتى

ترسب فى المعدة وتولد بين الجلدتين الحكة وأشباه هذا كثيرة تركت ذكرها لانى لم أقصدك بالمسألة أبتغى منك تحليل ما يجلب المضرة ولكن ما تقول فيما يسرك ولا يسوءك واذا شربته تلقته العروق فاتحة أفواهها كافواه الفرخ محسنة للون ملذة للنفس يجثم على المعدة ويزود فى العروق ويقصد الى القلب فيولد فيه اللذة وفى المعدة الهضم وهو غسولها ونضوجها ويسرع الى طاعة الكبد ويفيض بالعجل الى الطحال وينفخ منه وتظهر حمرته بين الجلدتين ويزيد فى اللون ويولد الشجاعة والسخاء ويريح من اكتنان الضغن ويعفى على تغير النكهة وينقى الذفر ويسرع الى الجبهة ويغنى عن الصلا ويمنع القر وما تقول فى نبيذ الزبيب الحمض والعسل الماذى اذا تورد لونه وتقادم كونه ورأيت حمرته فى صفرته تلوح تراه فى الكاس كانه بالشمس ملتحف شعاعه يضحك فى الاكف وما تقول فى عصير الكرم اذا أجدت طبخه وأنعمت انضاجه وأحسن الدن نتاجه فاذا

وأيهما ان شئت على ما فسرنا وقولها الى الخيل أجلاشأوها عن عقيرة شأوها طلقها وقولها
لعاقرها فيها عقيرة عاقر أى قد أصابوا عقيرة نفيسة كقول القائل نعم غنيمة المغنم وكقولهم
عقيرة وكما تسكون وهذا نظير قوله

ولما أصابوا نفس عمرو بن عامر * أصابوا به وترا بنيهم ذوى الوتر

يقال ثأر منيم اذا أصابه المثئر هدأ واستقر لانه أصاب كفوا وهذا خلاف قول الآخر

قوم اذا جر جانى قومهم أمنوا * للؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

وخلاف قول الحرث بن عباد   لا بجير أغنى قتيلا ولا ره * ط كليب تزاجروا عن ضلال

ولكن كما قال دريد بن الصمة   قتلت بعبد الله خير لداته * ذؤاب فلم أفخر بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظبيان التيمى من بنى تيم اللات بن ثعلبة حيث قتل مصعب بن الزبير بأخيه النابى بن زياد   ان عبيد الله مادام سالما * لسار على رغم العدو وغادى

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه * حززنا برأس النابى بن زياد

كسر الياء على الاصل كما قال ابن قيس الرقيات

لا بارك الله فى الغوانى هل * يصبحن الا لهن مطلب

ومن أخذه من نبأت على القوم أى طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورة (قال الاخفش المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمزه فانما أخذه من نبا ينبو فصار مثل رام وقاض وما أشبههما) وقال أبو الاسد مولى خالد بن عبد الله القسرى لما قتلوا الوليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد بن عبد الله

فان تقتلوا منا كريما فاننا * قتلنا أمير المؤمنين بخالد

وان تشغلونا عن ندانا فاننا * شغلنا وليدا عن غناء الولائد

تركنا أمير المؤمنين بخالد * مكبا على خيشومه غير ساجد

وقال الخزاعى بعد   قتلنا بالفتى القسرى منهم * وليدهم أمير المؤمنينا

(ومروانا قتلنا عن يزيد * كذاك قضاؤنا فى المعتدينا

وبابن السبط مناقد قتلنا * محمد ابن هرون الامينا)

فمن يك قتله سوقا فانا * جعلنا مقتل الخلفاء دينا

فض فض عن غضارة قد صار فى لون الجادى فى صفاء ياقوتة تلمع فى الاكف لمع الدنانير ويضى كالشهاب المتقد وما تقول فى نبيذ عسل مصر فانه يؤدى الى شاربه الصحيح من طعم الزعفران ما لا يلبس الخلقان ولا يجود الا فى جدد الدنان ولا يستخدم الاجناس ولا يألف الارجاس وكذلك لا يزكو على علاج الجنب والحائض ولا ينقص على شئ من الاجسام لونه حتى لو غمس فيه قطن لخرج أبيض يققا وحسبك به فى رقة الهوى بكدره صافى الماء وهو مع ذلك كالهزبر ذى الاشبال المفترس للاقران من طافره عقره ومن صارعه صرعه وما تقول فى رزين الاهواز من زبيب الداذياذ اذ يقود صلبا من غير أن يسيل سلافة أو يماط عنه ثفله حتى يعود كلون العقيق فى رائحة المسك العتيق أصلب الأنبذة عريكة وأصلبها صلابة وأشدها خشونة ثم لا يستعين بعسل ولا سكر ولا دوشاب وما ظنك به وهو زبيب نقيع لا يشتد ولا يجود الا بالضرب الوجيع وما تقول فى الدوشاب

وقولها ورجل قبل في الهواجر يريد أنه متيقظ ظمآن والمولى في قولها اذا مولاك خاف ظلامة يحتمل ضروبا فالمولى ابن العم وقوله عز وجل واني خفت الموالي من ورائي يريد بني العم قال الفضل ابن العباس

مهلا بني عمنا مهلا موالينا * لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

ويكون المولى المعتق ويكون المولى من قوله جل ثناؤه وان الكافرين لا مولى لهم ويكون المولى الذي هو أحق وأولى منه فقوله مأواكم النار هي مولاكم أي أولى بكم والمولى المالك وقولها ولم يبن أبرادا تريد الخيام ۞ قال أبو العباس وكانت الخنساء وليلى بائنتين في أشعارهما متقدمتين لاكثر الفحول ورب امرأة تتقدم في صناعة وقلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المرأة خلقت من ضلع عوجاء وانك ان تردا قامتها تكسرها فدارها تعش بها فمن ندر من النساء فباب من الابواب أم أيوب الانصارية وأم الدرداء ورابعة القيسية ومعاذة العدوية فان هؤلاء النسوة تقدمن في الفضل والصلاح على تقدم بعضهن بعضا حدثني الجاحظ عن ابراهيم بن السندي قال كانت تصير الى هاشمية جارية حمدونة في حاجات صاحبتها فأجمع نفسي لها وأطرد الخواطر عن فكري وأحضر ذهني جهدي خوفا من أن تورد علي ما لا أفهمه لبعد غورها واقتدارها على ان تجري على لسانها ما في قلبها وكذلك ما يؤثر عن خالصة وعتبة جاريتي ريطة بنت أبي العباس فأما النساء الاشراف فان القول فيهن كثير متسع فمما ندر من شعر الخنساء قولها ترثي صخرا

يا صخر ورّاد ماء قد تناذره * أهل المياه وما في ورده عار
مشي السبنتى الى هيجاء معضلة * له سلاحان أنياب وأظفار
وما عجول على بوّ تحنّ له * لها حنينان اعلان واسرار
ترتع ما غفلت حتى اذا ادّكرت * فانما هي اقبال وادبار
يوما بأوجع مني يوم فارقني * صخر وللعيش احلاء وامرار
وان صخرا لوالينا وسيدنا * وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار
لم تره جارة يمشي بساحتها * لريبة حين يخلي بيته الجار

البستاني سلالة الرطب الجني بالحب الزينبي اذا أوجع ضربا وأطيل حبسا وأعطى صفوه ومنح رفده وبذل ما عنده فاذا كشف عنه قناع الطين ظهر في لون الشقر والكمت وسطع برائحة كالمسك واذا هجم على المعدة لانت له الطبائع وسلبت له الأمعاء وأيبس الحصر وانقطع طمع القوالج وانقادت له اليبوسة وأذعنت له بالطاعة وابتل به الجلد القحل وارتحل عنه الباسور وكفى شاربه الوخز فاذا سمع بما تلقى ورمى بشرره هل يحل أن يشعشع اذا سكن جاشه وأبل حلمه وما تقول في المغلق من أنبذة التمر فانك تنظر اليه وكأن النيران تلمع من جوفه قد ركد ركود الزلال حتى لكأن شاربه يكرع في شهاب ولكأنه فرند في وجه سيف وله صفحة مرآة مجلوة تحكي الوجوه في الزجاجة حتى يفهم فيه الجلاس وما تقول في نبيذ الجزر الذي منه تعقد النطفة وتشتد النقطة يجلب الأحلام ويركد في مخ العظام وما تقول في نبيذ الكشمش الذي لونه لون زمردة خضراء

قولها ياصضروراد ماء قد تناذره * أهل المياه وما فى ورده عار

تعنى الموت أى لاقدامه على الحرب والسبنتى والسبنتى واحد وهو الجرىء الصدر وأصله فى النمر والعجول التى فارقها ولدها والبو وقد مضى تفسيره وكذلك فانما هى اقبال وادبار وقد شرحنا كيف مذهبه فى النحو وقولها الى هيجاء معضلة تعنى الحرب وقولها كأنه علم فى رأسه نار فالعلم الجبل قال الله جل وعز وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام وقال جرير

* اذا قطعن علما بدا علم * ومن حسن شعرها قولها

أعينى جودا ولا تجمدا * الا تبكيان لصخر الندى

الا تبكيان الجرىء الجميل * الا تبكيان الفتى السيدا

طويل النجاد رفيع العما * دساد عشيرته أمردا

اذا القوم مدوا بأيديهم * الى المجد مد اليه يدا

فنال الذى فوق أيديهم * من المجد ثم مضى مصعدا

يكلفه القوم ما غالهم * وان كان أصغرهم مولدا

ترى المجد يهوى الى بيته * يرى أفضل الكسب أن يحمدا

قولها طويل النجاد النجاد حمائل السيف تريد بطول نجاده طول قامته وهذا مما يمدح به الشريف قال جرير

فانى لأرضى عبد شمس وما قضت * وأرضى الطوال البيض من آل هاشم

وقال مروان للمهدى قصرت حمائله عليه فقلصت * ولقد تأنق قينها فأطالها

وقال رجل من طيئ جدير أن يقل السيف حتى * ينوس اذا تمطى فى النجاد

وقال الحكمى أبو نواس سبط البنان اذا احتبى بنجاده * غمر الجماجم والسماط قيام

وقال عنترة بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم

وقولها رفيع العماد انما تريد ذلك يقال رجل معمد أى طويل ومنه قوله عز وجل ارم ذات العماد أى الطوال وقولها ما غالهم أى نابهم ونزل بهم تقول العرب ما غالك فهو غائل أى ما نابك فهو نائب ومن ذا قول كثير يا عين بكى الذى غالنى * منذ بدمع مسبل هامل

صافية محكم الصلابة مفرط الحرارة حديد السورة سريع الافاقة عظيم المؤنة قصير العمر كثير العلل جم الهبات تطمع الآفات فيه وتسرع اليه وما تقول فى نبيذ التين فانك تعلم أنه مع حرارته لين العريكة سلس الطبيعة عذب المذاق سريع الاطلاق مرهم العروق نضوج الكبد فتاح السدد غسال الامعاء هياج الباه أخاذ الثمن جلاب اللون مع كسوف لون وقبح منظر وما تقول فى نبيذ السكر الذى ليس مقدار المنفعة منه على قدر المؤنة فيه هل يوجد فى المحصول اشربه معنى معقول وما تقول فى المروق والغربى والفضيخ ألذ المشروبات فى ازمانها وأنفع المأخوذات فى ابانها أقل شئ مؤنة وأحسنه معونة وأكثر شئ قنوعا وأسرعه بلوغا ضمورات عروقات للرحل الوفى ولها أرايح على الشاة كاذكى رائحة تشم أقل المشروبات صداعا وأشدهن خداعا (فصل منه) وكرهت أيضا تقليد المختلف من الآثار فأكون كحاطب ليل دون التأمل والاعتبار لعلمى بأن

ومن جيد قولها

أبعد ابن عمرو من ال الشريـــد حلّت به الارض أثقالها
لعمر أبيـــه لنعم الفتى * اذا النفس أعجبها مالها
فان تك مرة اودت به * فقـــد كان يكثر تقتالها
نغر الشوامخ من فقـــده * وزلزلت الارض زلزالها
همـــمت بنفسى كل الهموم * فأولى لنفسى أولى لها
لأحمـــل نفسى على آلة * فاما عليها واما لها

قولها حلت به الارض أثقالها حلت من الحلى تقول زينت به الارض الموتى وقال المفسرون في قول الله عز وجل وأخرجت الارض أثقالها قالوا الموتى وقولها لنعم الفتى اذا النفس أعجبها مالها تقول يجود بما هو له فى الوقت الذى يؤثره أهله على الحمد والشوامخ الجبال والشامخ العالى ويقال للمتكبر شمخ بأنفه وقولها على آلة أى على حالة وعلى خطة هى الفيصل فاما ظفرت واما هلكت وقولها فأولى لنفسى أولى لها يقول الرجل اذا حاول شيأ فأفلته من بعد ما كاد يصيبه أولى له واذا أفلت من عظيمة قال أولى لى وروى عن ابن الحنفية أنه كان يقول اذا مات ميت فى جواره أوفى داره أولى لى كدت والله أكون السواد المخترم وقد مضى هذا مفسرا وأنشد لرجل يقتنص فاذا أفلته الصيد قال أولى لك فكثر ذلك منه فقال

فلو كان أولى يطعم القوم صدتهم * ولكن أولى يترك القوم جوعا

وقالت الخنساء ترثى أخاها معاوية بن عمرو وكان معاوية أخاها لابيها وأمها وكان صخر أخاها لابيها وكان أحبهما اليها وكان صخر يستحق ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفا بالحلم ومشهورا بالجود ومعروفا بالتقدم فى الشجاعة ومحظوظا فى العشيرة

أريقى من دموعك واستفيقى * وصبرا ان أطقت ولن تطيقى
وقولى ان خـــير بنى سليم * وفارسها بصحراء العقيق
ألا هـــل ترجعن لنا الليالى * وأيام لنا بلوى الشـــقيق
واذ نحن الفوارس كل يوم * اذا حضروا وفتيان الحقوق
واذ فينا معاوية بن عمـــرو * على أدماء كالجمل الفنيق

كلام الشـــك لا يجلوه الا مفتاح اليقين (فصل منه) قد فهمت أسعدك الله تعالى بطاعته جميع ما ذكرت من أنواع الأنبذة وبديع صفاتها والفصـــل بين جيدها ورديئها ونافعها وضارها وما سألت من الوقوف على حدود ولا زلت من عداد من يسأل ولا يبحث ولا زلنا فى عداد من يشرح ويفصح اعلم أكرمك الله انك لو بحثت عن أحوال من يؤثر شرب الجور على الأنبـــذة لم تجد الا جاهلا مخـــذولا أو حدثا مغـــرورا أو خليعا ماجنا أو رعاعا همـــجا ومن اذا غدا بهيمة واذا راح نعامة ليس عنـــده من المعرفة اذا أكثر من انتحال القول بالجماعة قد مزج له الصحيح بالمحال فهو يدين بتقليد الرجال لشعشع الداح ويحرم المباح فى عذله عاذل ووعظه واعظ قال الأشربة كلها خمـــر فلا أشرب الا أجودها وقد أحببت أيدك الله التوثق من اصغاء فهمك وسوف تلنا بالتقرير فقدمت لك من التوطئة ما يسهل لك سبيل المعرفة وذلك الى مثلك من مثلى حرم صعبا فيما خفيت معالمـــه ودرست مناهجه وكثرت

فبَكّيه فقد أودَى حميدًا * أمينَ الرأي محمودَ الصديق

فلا والله لا تَسلاكَ نفسي * لفاحشة أتيتَ ولا عقوق

ولكني رأيتُ الصبر خيرًا * من النَعلين والرأسِ الحَليق

قولها أريق من دموعك واستفيق معناه أن الدمعة تَذْهبُ اللوعةَ وروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبد العزيز ورَجاء بن حَيْوة انى لَأَجِدُ في كبدى جَمْرةً لا تطفئها الا عَبْرةٌ فقال عمر اذكر الله يا أمير المؤمنين وعليكَ الصبرَ فنظر الى رجاء بن حَيْوةَ كالمستريح الى مشورتِه فقال له رجاء أَفضها يا أمير المؤمنين فما بذالك من بأس فقد دمعتْ عينا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم وقال العين تدمعُ والقلب يُوجَعُ ولا نقول ما يُسخِطُ الربَّ وانا بك يا ابراهيم لمحزونون فأرسل سليمانُ عينه فبكى حتى قَضَى أرَبًا ثم أقبل عليهما فقال لو لم أَنزِف هذه العَبْرةَ لانصدعَتْ كبدى ثم لم يبكِ بعدها ولكنه تمثل عند قبره لما دفنه وحثا على قبره التراب وقال يا غلامُ دابِّنى ثم وقَفَ ملتفتا الى قبره فقال

وقفتُ على قبرٍ مقيمٍ بقفرةٍ * متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مُفارِقِ

رجعنا الى تفسير قولها وقولها وصبرا ان أطقت ولن تطيق كقول القائل ان قدرتَ على هذا فافعل ثم أبانَتْ عن نفسها فقالت ولن تطيق وقولها فلا والله لا تَسلاكَ نفسي تريد لا تسلو عنكَ كقوله عز وجل واذا كالوهم أو وزنوهم يُخسِرونَ أى كالوا لهم أو وزنوا لهم وقولها لفاحشة أتيت ولا عقوق معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له ثم اعتذرت من اقصارها بفضل الصبر فقالت ولكني رأيت الصبر خيرا * من النعلين والرأس الحليق

تأويل النعلين أن المرأة كانت اذا أصيبت بحميم جعلت فى يديها نعلين تُصَفِّقُ بهما وجهها وصدرها قال عبد مناف بن ربع الهُذَليّ

ماذا يَغيرُ ابنَتَى رِبْعٍ عَويلُهما * لا ترقدان ولا بُؤْسَى لمن رَقَدا

كلتاهما أبطنَتْ أحشاؤها قَصَبًا * من بطن حَلْيةَ لا رطبًا ولا نقدا

اذا تأوَّبَ نَوْحٌ قامتا معه * ضربًا أليمًا بسِبْتٍ يلعجُ الجلدا

قوله ماذا يغير ابنتى ربع عويلهما يعنى أختيه يقول ماذا يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ وقوله

شبهه واشتد غموضه ولو لم يكن ذلك وكان قد اعتاص على البرهان فى اظهاره واحتجب فى الابانة عنه الى ذكر ضده ونظيره وشكله لم أحتشم من الاستعانة بكل ذلك فكيف والقدرة بحمد الله وافرة والحجة واضحة قد يكون الشئ من جنس الحرام فيعالج بضرب من العلاج حتى يتغير بلون يحدث له ورائحة وطعم ونحو ذلك فيتغير لذلك اسمه ويصير حلالا بعد ان كان حراما

(فصل منه فى تحليل النبيذ دون الخمر) فان قال لنا قائل ما تدرون لعل الأنبذة قد دخلت فى ذكر تحريم الخمر ولكن لما كان الابتداء أجرى فى ذكر تحريم الخمر خرج التحريم عليها وحدها فى ظاهر المخاطبة ودخل سائر الأشربة فى التحريم بالقصد والارادة قلنا قد علمنا أن ذلك على خلاف ما ذكر السائل لأسباب موجودة وعلل معروفة منها أن الصحابة الذين شهدوا نزول الفرائض والتابعين من بعدهم لم يختلفوا فى قاذف المحصنين أن عليه الحد واختلفوا فى الأشربة التى تسكر ليس بجهلهم أسماء الخمور ومعانيها ولكن الأخبار

كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصبا أراد لترديد النائحة صوتا كأنه زمير وانما يعني بالقصب المزامير كما قال الراعي

زجل الحداء كأن في حيزومه * قصبا ومقنعة الحنين عجولا

(قال الأخفش الزجل اختلاط الصوت الذي اصوته تطريب والحيزوم الصدر وقصبا يعني مزمارا شبه صوت الحادي بالمزمار ومقنعة أراد وصوت مقنعة يعني ناقة ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه) وقال عنترة

بركت على ماء الرداع كأنما * بركت على قصب أجش مهضم

قال الأصمعي هو ترنمناى وقوله لا رطبا ولا نقدا يقول ليس برطب لا يبين فيه الصوت ولا بموتكل يقال نقدت السن اذا مسها التكال وكذلك القرن قال الشاعر * يألم قرنا أرومه نقد *

وقوله يسبت يعني النعل المجردة ويعلج يؤتر واحتاج الى تحريك الجلد فاتبع آخره أوله وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء ساكن وأما قول الفرزدق

خلعن حليهن فهن عطل * ويعن به المقابلة التؤاما

يعني اشترين النعال فليس هذا من هذا الباب انما سبين فاشترين نعالا للخدمة وكذلك قوله

أخذن حورات وأبدين مجلدا * وداوعليهن المنقشة الصفر

يعني القداح يقول سبين فاقتسمن بالقداح وانما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل ان يصاب صخر أخوها فلما أصيب صخر نسيت به من كان قبله وكان معاوية فارسا شجاعا فأغار في جمع من بني سليم على غطفان وكان صميم خيلهم فنذر به القوم فاحتربوا فلم يزل يطعن فيهم ويضرب فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حرملة دريد وهاشم فاستطرد له أحدهما فحمل عليه معاوية فطعنه وخرج عليه الآخر وهو لا يشعر فقتله فتنادى القوم قتل معاوية فقال خفاف ابن ندبة قتلني الله ان رمت حتى أثأر به فحمل على مالك بن حمار وهو سيد بني شمخ بن فزارة فقتله وقال

فان تك خيلي قد أصيب صميمها * فعمدا على عيني تيممت مالكا

وقفت له علوى وقد خام صحبتي * لأبني مجدا أو لأثأر هالكا

أقول له والرمح يأطر متنه * تأمل خفافا انني أنا ذلكا

فلما دخلت الأشهر الحرم ورد عليهم صخر فقال أيكم قاتل أخي فقال أحد ابني حرملة الآخر خبره فقال استطردت له فطعنني هذه الطعنة وحمل عليه أخي فقتله فأينا قتلت فهو ثأرك أما انا لم

المروية في تحريم المسكر والواردة في تحليلها ولو كانت الأشربة كلها عند أهل اللغة في القديم خمرا لما احتاجوا الى أهل الروايات في الخمر أي الاجناس من الأشربة هي كما لم يحتاجوا الى طلب معرفة العبيد من الاماء وهذا باب يطول شرحه ان استقصيت جميع ما فيه من المسألة والجواب وما ينكر من خالفنا في تحليل الأنبذة مع اقراره بان الأشربة المسكرة الكثيرة لم تزل معروفة بأسمائها وأعيانها وأجناسها وبلدانها وان الله تعالى قصد الخمر من بين جميعها فحرمها وترك سائر الأشربة طلقا مع أجناس سائر المباح والدليل على تجويز ذلك ان الله تعالى ما حرم على الناس شيأ من الأشياء في القديم والحديث الا أطلق لهم من جنسه وأباح من سنخه ونظيره وشبهه ما يعمل مثل عمله أو قريبا منه ليغنيهم الحلال عن الحرام أعني ما حرم بالسمع دون المحرم بالعقل قد حرم من الدم المسفوح وأباح غير المسفوح كجامد دم الطحال والكبد وما أشبههما وحرم الميتة

تسلب أخاك قال فما فعلت فرسه السمى قال ها هى تلك فخذها فانصرف بها فقيل لصخر ألا تهجوهم فقال ما بينى و بينهم أقذع من الهجاء ولو لم أمسك عن سبهم الا صيانة للسانى عن الخنا لفعلت ثم خاف ان يظن به عى فقال

وعاذلة هبت بليل تلومنى * ألا لا تلومينى كفى اللوم ماليا
تقول ألا تهجو فوارس هاشم * ومالى اذ أهجوهم ثم ماليا
أبى الشتم أنى قد أصابوا كريمتى * وأن ليس اهداء الخنا من شماليا
اذا ما امرؤ أهدى لميت تحية * فحياك رب العرش عنى معاويا
وهون وجدى أننى لم أقل له * كذبت ولم أبخل عليه بماليا

قال أبو عبيدة فلما أصاب دريدا زاد فيها

وذى اخوة قطعت أرحام بينهم * كما تركونى واحدا لا أخاليا

(قال أبو الحسن الأخفش وزادنى الأحول بعد قوله معاويا

لنعم الفتى أدنى ابن صرمة بزه * اذا راح فحل الشول أحدب عاريا)

قال أبو العباس فلما نقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليغير عليهم فنظرت غطفان الى خيله بموضعها فقال بعضهم لبعض هذا صخر بن الشريد على فرسه السمى فقيل كلا السمى غراء وكان قد حمم غرتها فأصاب فيهم وقتل دريد بن حرملة وأما هاشم فان قيس بن الاسوار الجشمى من جشم ابن بكر بن هوازن بن منصور والخنساء من بنى سليم بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه فرآه وقد انفرد لحاجته فقال لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فارسل عليه سهما ففلق قحقحه فقالت الخنساء

فدى للفارس الجشمى نفسى * وأفديه بمن لى من حميم
فداك الحى حى بنى سليم * بظاعنهم وبالآنس المقيم
كما من هاشم أقررت عينى * وكانت لا تنام ولا تنيم

فأما صخر فسنذكر مقتله مع انقضاء ما نذكر من مراثى الخنساء اياه قالت الخنساء

ألا يا صخر ان أبكيت عينى * لقد أضحكتنى دهرا طويلا
بكيتك فى نساء معولات * وكنت أحق من أبدى العويلا

وأباح الذكية وأباح أيضا ميتة البحر وغير البحر كالجراد وشبهه وحرم الربا وأباح البيع وحرم بيع ما ليس عندك وأباح الصلح وحرم السفاح وأباح النكاح وحرم الخنزير وأباح الجدى الرضيع والخروف والحوار والحلال فى كل ذلك أعظم موقعا من الحرام
(فصل منه) ولعل قائلا يقول أهل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وسكان حرمه ودار هجرته أبصر بالحلال والحرام والمسكر والخمر وما أباح الرسول وما حظر وكيف لا يكون كذلك والدين ومعالمه من عنده خرج الى الناس والوحى عليهم نزل والنبى صلى الله عليه وسلم فيهم دفن وهم المهاجرون السابقون والانصار المؤثرون على أنفسهم وكلهم مجمع على تحريم الانبذة المسكرة وانها كالخمر وخلفهم على منهاج سلفهم الى هذه الغاية حتى انهم جلدوا على الريح الخفى وكيف لا يفعلون ذلك ويدينون به وقد شهدوا من شهد النبى صلى الله عليه وسلم فلحرمها وذمها وأمر بجلد شاربها ثم كذلك فعل ائمة الهدى من بعده

دفعت بك الجليل وأنت حي * فمن ذا يدفع الخطب الجليلا
اذا قبح البكاء على قتيل * رأيت بكاءك الحسن الجميلا

وقالت أيضا

تعرقني الدهر نهسا وحزا * وأوجعني الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالي فبادوا معا * فأصبح قلبي بهم مستفزا
كأن لم يكونوا حمى يتقى * اذ الناس اذ ذاك من عزبزا
وكانوا سراة بني مالك * وزين العشيرة مجدا وعزا
وهم في القديم سراة الأديم * والكائنون من الخوف حرزا
وهم منعوا جارهم والنسا * يحفز أحشاءها الخوف حفزا
غداة لقوهم بملمومة * رداح تغادر للأرض ركزا
وخيل تكدس بالدارعين * تحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح * فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصي فرسانهم * وكانوا يظنون أن لا تجزا
ومن ظن ممن يلاقي الحروب * بأن لا يصاب فقد ظن عجزا
نعف ونعرف حق القرى * ونتخذ الحمد ذخرا وكنزا

وكان سبب قتل صخر بن عمرو بن الشريد أنه جمع جمعا وأغار على بني أسد بن خزيمة فنذروا به فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا فارفض أصحاب صخر عنه وطعنه أبو ثور طعنة في جنبه استقل بها فلما صار الى أهله تماثل منها فنتأ من الجرح كمثل اليد فأضناه ذلك حولا فسمع سائلا يسأل امرأته وهو يقول كيف صخر اليوم فقالت لا ميت فينعى ولا صحيح فيرجى فعلم أنها قد برمت به ورأى تحرق أمه عليه فقال

أرى أم صخر ما تجف دموعها * وملت سليمى مضجعي ومكاني
وما كنت أخشى ان أكون جنازة * عليك ومن يغتر بالحدثان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه * وقد حيل بين العير والنزوان
لعمري لقد أنبهت من كان نائما * وأسمعت من كانت له أذنان
فأي امرئ ساوى بأم حليلة * فلا عاش الا في شقى وهوان

فهم الى اليوم على رأي واحد وأمر متفق ينهون عن شربها ويجلدون عليها وأنا نقول في ذلك ان عظم حق البلدة لا يحل شيأ ولا يحرمه وانما يعرف الحلال والحرام بالكتاب الناطق والسنة المجمع عليها والعقول الصحيحة والمقاييس المعينة وبعد فمن هذا المهاجري والانصاري الذي رووا عنه تحريم الأنبذة ثم لم يرو عنه التحليل بل لو أنصف القائل لعلم أن الذين من أهل المدينة حرموا الأنبذة ليسوا بأفضل من الذين أحلوا النكاح في أدبار النساء كما استحل قوم من أهل مكة عارية الفروج وحرم بعضهم ذبائح الزنوج لانهم فيما زعموا شوهوا الخلق ثم حكموا بالشاهد واليمين خلافا لظاهر التنزيل وأهل المدينة وان كانوا جلدوا على الريح الخفي فقد جلدوا على حمل الزق الفارغ لانهم زعموا أنه آلة الخمر حتى قال بعض من ينكر عليهم فهلا جلدوا أنفسهم لانه ليس منهم الا ومعه آلة الزنا وكان يجب على هذا المثال ان يحكم بمثل ذلك على حامل السيف

ثم

ثم عزم على قطع ذلك الموضع فلما قطعه يئس من نفسه فبكاها فقال

أيا جارتا ان الخطوب قريب * من الناس كل المخطئين تصيب
أيا جارتا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
كأني وقد أدنوا الى شفارهم * من الادم مصقول السراة نكيب

قال أبو العباس ومن حلو المراثي وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالما مقدما شاعرا مفلقا وخطيبا مصقعا وفي دهر قريب فله في شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته ولا يزال قد رمى في شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل وقصيدته لها امتداد وطول وانما غلى منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي وكان به صبا واغتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ماعلة وكان من أجل الفتيان وآدبهم وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مناذر

حين تمت آدابه وتردى * برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهتز * اهتزاز الغصن الندى الأملود
وسمت نحوه العيون وما كا * ن عليه لزائد من مزيد
وكأني أدعوه وهو قريب * حين أدعوه من مكان بعيد
فلئن صار لا يجيب لقد كا * ن سميعا هشا اذا هو نودى
يا فتى كان للمقامات زينا * لا أراه في المحفل المشهود
لهف نفسي أما أراك وما عنـ * ـدك لي ان دعوت من مردود
كان عبد المجيد سم الأعادي * ملء عين الصديق رغم الحسود
عاد عبد المجيد رزأ وقد كا * ن رجاء لريب دهر كنود
خنتك الود لم أمت كمدا بعـ * ـدك اني عليك حق جليد
لو فدى الحي ميتا لفدتك نفـ * ـسك نفسي بطارفي وتليدي
ولئن كنت لم أمت من جوى الحز * ن عليه لأبلغن مجهودي
لأقيمن مأتما كنجوم الليـل * زهرا يلطمن حر الخدود

والسكين والسم القاتل في نظائر ذلك لان هذه كلها آلات القتل وبعد فأهل المدينة لم يخرجوا من طبائع الانس الى طبع الملائكة ولو كان كل ما يقولونه حقا وصوابا لجلدوا من كان دار في معبد والغريض وابن سريج ودحمان وابن محرز وعلوية وابن جامع ومخارق وأهل شريك ووكيع وحماد وابراهيم وجماعة التابعين والسلف والمتقدمين لان هؤلاء فيما زعموا كانوا يشربون الأنبذة التي هي عندهم خمر وأولئك كانوا يعالجون الأغاني التي هي حل طلق على نقر العيدان والطنابير والنايات والصنج والزيج والمعازف التي ليست محرمة ولا منهيا عن شئ منها ولو كان ما خالفونا فيه من تحليل الأنبذة وتحريمها كالاختلاف في الأواني وصفاتها وأوزانها واختلاف مخارجها ووجوه مصارفها ومجاريها وما يدرج ويوصل منها الحنجرة والحنك والنفس واللهوات وتحت اللسان من نغمها وأي الدساتين أطرب وأيها أصوب وما يحفر بالهمز

موجعات يبكين الكبد الحرى عليه وللفؤاد العميد
ولعين مطروفة أبدا قا * ل لها الدهر لا تقرى وجودى
كلما عزك البكاء فأنفذ * ت لعبد المجيد مجلا نه ودى
لفتى يحسن البكاء عليه * وفتى كان لامتداح القصيد

وأول هذا الشعر

كل حى لاقى الحمام فمودى * ما لحى مؤمل من خلود
لا تهاب المنون شيأ ولا تر * عى على والد ولا مولود
يقدح الدهر فى شماريخ رضوى * ويحط الصخور من هبود
ولقد تترك الحوادث والايام وهيا فى الصخرة الصيخود

وفى هذا الشعر مما استحسنته

أين رب الحصن الحصين بسورا * ورب القصر المنيف المشيد
شاد أركانه وبوبه با * بى حديد وحفه بجنود
كان يجبى اليه ما بين صنعا * ء فمصر الى قرى بيرود
وترى خلفه زرافات خيل * جافلات تعدو بمثل الأسود
فرمى شخصه فأقصده الدهـ * ـر بسهم من المنايا سديد
ثم لم ينجه من الموت حصن * دونه خندق وبابا حديد
وملوك من قبله عمروا الار * ض أعينوا بالنصر والتأييد
فلو ان الايام أخلدن حيا * لعلاء أخلدن عبد المجيد
ما درى نعشه ولا حاملوه * ما على النعش من عفاف وجود
ويح أيد حثت عليه وأيد * دفنته ما غيبت فى الصعيد
ان عبد المجيد يوم تولى * هد ركنا ما كان بالمهدود
(وأرانا كالزرع يحصده الدهـ * ـر فمن بين قائم وحصيد
وكأنا للموت ركب مخبو * ن سراعا لمنهل مورود)
هد ركنى عبد المجيد وقد كنـ * ـت بركن أنوء منه شديد

أو يحرك بالضم وكالقول بان الهزج بالبنصر أطيب وبالوسطى والسريع على الزير ألذ وعلى المثنى والمصعد فى لين أطرب أم الحدر فى الشدة لسهل ذلك ولسلمنا عله لمن يدعيه ولم نجاذب من يدعى دوننا معرفته

(فصل منه) ولهج أصحاب الحديث بحكم لم أسمع بمثله فى تزييف الرجال وتصحيح الأخبار وانما أكثروا فى ذلك لتعلم حيدهم عن التفتيش وميلهم عن التنقير وانحرافهم عن الانصاف

(فصل منه) والذى دعانى الى وضع جميع هذه الأشربة والوقوف على أجناسها وبلدانها مخافة أن يقع هذا الكتاب عند بعض من عساه لا يعرف جميعها ولم يسمع بذكرها فيتوهم انى فى ذكر أجناسها المستشنعة وأنواعها المبتدعة كالهاذى برقية العقرب وان كان قصدى لذكرها فى صدر الكتاب لاقف على حلالها وحرامها وكيف اختلفت الأمة فيها وما سبب اعتراض الشك واستمكان الشبهة ولأن احتج للمباح وأعطيه حقه وأكشف أيضا عن المحظور فأقسم

(فبعيد

(فبعبد المجيد تأمور نفسي * عثرت بي بعد انتعاش جدودي

وبعبد المجيد شلت يدي اليمنى وشلت به يمين الجود)

وفي هذا الشعر فبرغمي كنت المقدم قبلي * وبكرهي دليت في الملحود

كنت لي عصمة وكنت سماء * بك تحيا أرضي ويخضر عودي

قال أبو العباس وكانت العرب تقدم مراثي وتفضلها وترى قائلها بها فوق كل مؤبن وكأنهم يرون ما بعدها من المراثي منها أخذت وفي كنفها تصلح فنها قصيدة أعشى باهلة ويكنى أبا قحافة التي يرثي بها المنتشر بن وهب الباهلي وكان أحد رجلي العرب (قال الاخفش هو منسوب الى الرجل) وهم السعاة السابقون في سعيهم وكان من خبره أنه أسر صلاءة بن العنبر الحارثي فقال افد نفسك فأبى فقال لاقطعنك أنملة أنملة وعضوا عضوا ما لم تفتد نفسك فجعل يفعل ذلك به حتى قتله ثم حج من بعد ذلك المنتشر ذا الخلصة وهو بيت كانت خثعم تحجه زعم أبو عبيدة أنه بالعبلات وأنه مسجد جامعها فدلت عليه بنو نفيل بن عمرو بن كلاب الحارثيين فقبضوا عليه فقالوا لنفعلن بك كما فعلت بصلاءة ففعلوا ذلك به فلقي راكب أعشى باهلة فقال له أعشى باهلة هل من جائبة خبر قال نعم أسرت بنو الحرث المنتشر وكانت بنو الحرث تسمي المنتشر مجدعا فلما صار في أيديهم قالوا لنقطعنك كما فعلت بصلاءة فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر

اني أتتني لسان لا أسر بها * من علو لا عجب منها ولا سخر

فبت مرتفقا للنجم أرقبه * حيران ذا حذر لو ينفع الحذر

فجاشت النفس لما جاء جمعهم * وراكب جاء من تثليث معتمر

يأبى على الناس لا يلوي على أحد * حتى التقينا وكانت دوننا مضر

ينعى امرأ لا تغب الحي جفنته * اذا الكواكب أخطا نوءها المطر

من ليس في خيره شر يكدره * على الصديق ولا في صفوه كدر

طاوي المصير على العزاء منصلت * بالقوم ليلة لا ماء ولا شجر

لا تنكر البازل الكوماء ضربته * بالمشرفي اذا ما اجلوذ السفر

وتفزع الشول منه حين تبصره * حتى تقطع في أعناقها الجرر

له قسطه فأكون قد سلكت بالحرام سبيله وبالحلال منهجه اقتداء مني بقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وقد كتبت لك أكرمك الله تعالى في هذا الكتاب ما فيه الجزالة والكفاية ولو بسطت القول لوجدته متسعا ولا تألك منه الدهم وربما كان الاقلال في ايجاز أجدى من اكثار يخاف عليه الملل فخلطت لك جدا بهزل وقرنت لك حجة بملحة لتخف مؤنة الكتاب على القارئ وليزيد ذلك في نشاط المستمع فجعلت الهزل بعد الجد جماما والملحة بعد الحجة مستراحا

(فصل من صدر رسالته في استحقاق الامامة)

يحكي فيه قول من يجيز أكثر من امام واحد زعم قوم أن الامامة لا تجب لرجل واحد بعين من رهط واحد ولا لواحد من عرض الناس وان كان أكثرهم فضلا وأعظمهم عن المسلمين غناء بعد أن يكون فردا في الامامة لا ثاني له وأن الناس ان تركوا أن يقيموا اماما

لا يُصعِبُ الأمرَ الا رَيْثَ يركبه * وكلَّ أمرٍ سوى الفحشاء يأتمرُ

تكفيه فِلْذَةُ كِبْدانٍ أَلَمَّ بها * من الشِواءِ ويكفي شُرْبَهُ الغُمَرُ

لا يَتَأَرَّى لما في القِدرِ يَرْقُبُهُ * ولا تراه أمام القوم يقتفرُ

لا يَغمِزُ الساقَ من أَيْنٍ ولا وَصَبٍ * ولا يَعَضُّ على شُرْسوفِه الصَفَرُ

مُهَفْهَفٌ أَهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ * عنه القميصُ لسيرِ الليلِ مُحتقِرُ

عِشْنا بذلك دَهْرًا ثم فارَقَنا * كذلك الرُمْحُ ذو النَصْلَيْنِ ينكسرُ

(فان جَزِعْنا فقد هَدَّتْ مُصيبتُنا * وان صبرنا فانا معشرٌ صُبُرُ

اني أَتَتْنِي لِسانٌ لا أُسَرُّ بها * من عَلُ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

جاءت مُرَجَّمَةً قد كنتُ أحذرها * لو كان ينفعني الإشفاقُ والحذرُ)

انى أَشُدُّ حَزِيمى ثم يُدْرِكُنى * منكَ البلاءُ ومن آلائكَ الذِكَرُ)

لا يأمَنُ الناسُ مُمْساهُ ومُصْبَحَهُ * من كل أَوْبٍ وان لم يأتِ يُنتظَرُ

اما يُصِبْكَ عدوٌّ في مُناوأةٍ * يومًا فقد كنتَ تستعلي وتنتصرُ

لو لم تَخُنْهُ نُفَيْلٌ وهي خائنةٌ * أَلَمَّ بالقومِ ورْدٌ منه أو صَدَرُ

وَرّادُ حَرْبٍ شِهابٌ يُستضاءُ به * كما يضيءُ سوادَ الطَخْيَةِ القَمَرُ

اما سلكتَ سبيلًا كنتَ سالِكَها * فاذهب فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ مُنتشِرُ

مَنْ ليس فيه اذا قاوَلْتَهُ رَهَقٌ * وليس فيه اذا ياسَرْتَهُ عَسَرُ

قوله اني أتتني لسان يقال هو اللسان وهي اللسان فمن ذكّر فجمعه ألسنة ونظيره حمار وأحمرة وفراش وأفرشة وإزار وآزرة ومن أنّث قال لسان وألسُن كما تقول ذراع وأذرُع وكُراع وأكرُع لا تبالي أمضموم الاول كان أو مفتوحا أو مكسورا اذا كان مؤنثا ألا ترى أنك تقول شمال وأشمُل قال أبو النجم * يأتي لها من أيمُنٍ وأشمُلِ * وقال آخر أنشدنيه المازني

فظلّت تكوس على أكرُعٍ * ثلاثٍ وكان لها أربعُ

وأراد باللسان ههنا الرسالة وقوله من علُ يقول من فوق فاذا كان معرفة مفردا بنى على الضم كقبلُ وبعدُ واذا جعلته نكرة نونته وصرفته كما قال جرير

اني انصببتُ من السماء عليكم * حتى اختطفتُكَ يا فرزدقُ من علِ

والقوافي مجرورة وان شئت رددت ما ذهب منه وهي ألف منقلبة من واو لان بناءه فعل من علا

واحدا جاز لهم ذلك ولم يكونوا بتركه ضالين ولا عاصين ولا كافرين فان أقاموه كان ذلك رأيا راوه وغير مضيق عليهم تركه ولهم أن يقيموا اثنين وجائز لهم أن يقيموا أكثر من ذلك ولا بأس أن يكونوا عجما وموالى ولكن لا بد من حاكم واحدا كان أو أكثر على حال ولا يجوز أن يكون الرجل حاكما على نفسه وقائما عليها بالحد ولم يقل أحد البتة ان من الحكم والحاكم بدا ولكنهم اختلفوا في جهاتهم ومعانيهم وقالوا أي ذلك كان من اقامة الواحد والاثنين أو أكثر من ذلك فعلى الناس الكف عن محارمهم وترك الأصل والتناجي فيما بينهم والتخاذل عند الحادثة تنوبهم من عدو يدهمهم من غيرهم أو خارب يخيف سبلهم من أهل دعوتهم وعليهم فيما شجر بينهم اعطاء النصفة من أنفسهم بالغا ما بلغ في عسر الأمر ويسره وعلى كل رجل في داره وبيته وقبيلته وناحيته ومصره اذا كان مأمونا اذا صلاح اذا ثبت عنده على أخيه وصاحبه وجاره وحاشيته من

يا فتى قال الراجز   وهي تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

وقوله فبت مرتفقا وهو المتكئ على مرفقه وانما أراد السهر كما قال أبو ذؤيب

انى أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

وقوله جاشت النفس يقول خبثت يكون ذلك من تذكرها التهوع ومن جزعها منه ويروى عن معاوية أنه قال اجعلوا الشعر أكثر همكم وأكثر آدابكم فان فيه مآثر أسلافكم ومواضع ارشادكم فلقد رأيتني يوم الهرير وقد عزمت على الفرار فما يردني الا قول ابن الاطنابة الانصاري

أبت لي عفتي وأبى بلائي * وأخذي الحمد بالثمن الربيح

واجشامي على المكروه نفسي * وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت * مكانك تحمدي أو تستريحي

يقال جشأت مهموز وجاشت غير مهموز وتثليث موضع بعينه وقوله لا يلوي على أحد يقال استقام فلان فما لوى على أحد ويقال ألوى بالشيء اذا ذهب به وقوله اذا الكواكب أخطأ نوءها المطر فالنوء عندهم طلوع نجم وسقوط آخر وليس كل الكواكب لها نوء وانما كانوا يتقولون هذا في أشياء بعينها ويروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال اذا ذكرت النجوم فأمسكوا يعني أمر الانواء لم يختلف في ذلك المفسرون وعنه عليه السلام في غب سماء أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال أصبح عبادي مؤمنا بي وكافرا بالكواكب وكافرا بي ومؤمنا بالكواكب فأما المؤمن بي الكافر بالكواكب فهو الذي يقول مطرنا بنوء الرحمة والمؤمن بالكواكب الكافر بي الذي يقول مطرنا بنوء كذا والنوء مهموز وهو من قولك ناء بحمله أي استقل به في ثقل فالنوء مهموز وهو في الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر وكان الاصمعي لا يفسر من الشعر ما فيه ذكر الانواء بل كان لا يسمع ما كان فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ولا يفسر ما وافق تفسيره بعض ما في القرآن الا ساهيا فيما ذكر أصحابه عنه ويروى أنه سئل عن غير شيء من ذلك فأباه وزجر السائل وقوله طاوي المصير يقال لواحد المصران مصير وتقديره قضيب وقضبان وكثيب وكثبان والعزاء الامر الشديد يقال فلان صابر على العزاء وكذلك اللاواء وكذلك البلي مقصور فأما العزاء واللاواء فممدودان وقوله منصلت يقال سيف منصلت وصلت اذا جرد من

خدمه حد أو حكم جناه جان عليهم على نفسه أو ظلم ركبه من غيره اقامة ذلك الحكم والحد عليه اذا أمكنه مستحقه الا أن يكون فوقه كاف قد أجزى عليه وعلى المجترح الذنب الموجب على نفسه الحد والمستحق له امضاء الحكم في بدنه وماله والامكان من نفسه وان لا يعاز بقوة ولا يروغ بحيلة ولا يسخط حكم التنزيل فيما نزل به وفيما هو لسبيله من مال أو غيره وانما يجب ذلك اذا كان على الفريقين من القيم والجاني بمكنه ما كلفه الله من ذلك فان أبى القيم اقامة الحق والحد على الجاني بعد استيجابه والامكان من نفسه لاقامة الحد عليه فقد عصى الله تعالى ولم يؤت في ذلك الأمر نفسه لان الله تعالى قد بينه له وأوجب عليه وقرره حين أوضح له الحجة وقرب الدلالة وطرقه المعرفة ومكنه من الفعل وقد بسطنا العذر لذوي العجز في صدر الكلام وان أبى الجاني المستحق للحكم والحد الامكان من نفسه وماله وما هو بسبيله فقد عصى الله تعالى في ذلك كما عصاه في ركوبه

عمده وقوله ليلة لاماء ولا شجر يريد القفر ووقت الصعوبة وقوله لا تنكر البازل الكوما ضربته بالمشرفي يقول قد عوّد الابل ان ينحرها ومن شأنهم ان يعرقبوها قبل النحر والمشرفي السيف وهو منسوب الى المشارف وقوله اجلوّذا مندوأنشدني الزيادي لرجل من أهل الحجاز أحسبه ابن أبي ربيعة

ألا حبّذا حبذا حبذا * حبيبٌ تحملتُ منه الأذى

ويا حبذا برد أنيابه * اذا أظلم الليل واجلوّذا

وقوله حتى تقطّع في أعناقها الجرر يقول حتى اعتادت أن ينحرها فهي تفزع منه حتى تقطّع جرّتها ومثل هذا قول الخنوت

سأبكي خليلي عنترا بعد هجعة * وسيفي فرداً سأقتيل قنان

قتيلان لا تبكي اللقاح عليهما * اذا شبعت من قرمل وأفان

يقول كانا ينحران الابل فهي لا تجزع لفقدهما وقرمل وأفان ضربان من النبت وشبيه بهذا قوله حيث يقول فلو كان سيفي باليمين تباشرت * ضباب الملا من جمعهم بقتيل

يقول هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضباب فكلما قتل منهم واحد سرّت بذلك الضباب واستبشرت وقوله لا يتأرّى لما في القدر يرقبه يقول لا يحتبس له ومن ذا سمي الآري لأنه يحبس الدابة وقوله ولا تراه أمام القوم يقتفر يقول لا يسبقهم الى شئ من الزاد وقوله ولا يعض على شرسوفه الصفر الشراسيف أطراف الضلوع والصفر هنا حية البطن وله مواضع وقوله مهفهف يعني ضامرا وأهضم الكشحين توكيد له وقوله اما يصبك عدو في مناوأة يقول في وتر يقال باء فلان بكذا كما قال مهلهل بؤ بشسع كليب أي هو ثأر بالشسع والطخية والطخية والطخية ثلاث لغات شدة الظلمة وكان الذي أصابه هند بن أسماء الحارثي ففي ذلك يقول

أصبت في حرم منا أخا ثقة * هند بن أسماء لا يهنئ لك الظفر

يقال هنأه ذلك وهنأ له كما تقول هنيأ لك قال الاخطل

الى امام تغادينا فواضله * أظفره الله فليهنئ له الظفر

وقوله وليس فيه اذا ما سرته عسر مدح شريف مثل قولهم اذا عزّ أخوك فهن واغا هذا فيمن لا يخاف استذلاله بأن يخرج صاحبه عند مساهلته الى باب الذل فأما من كان كذلك فعاسرته

ما أوجب عليه الحدولم يؤت من ربه لماذ كرنا من ايضاح الحجة واثبات القدرة

(فصل منه) وقد علمنا أن من شأن الناس الهرب اذا خافوا نزول المكروه والامتناع من امضاء الحدود بعد وجوبها عليهم ما وجدوا السبيل الى ذلك وهذا سبب اسقاط الاحكام والتفاسد وقد أمرنا ان نترك أسباب الفساد ما استطعنا وبالنظر للرعية ما أمكننا فوجب علينا عند الذى قلنا انا لو لم نقم اماما واحدا كان الناس على ما وصفنا من التسرع الى الشئ اذا طمعوا والهرب اذا خافوا وهذا أمر قد جرت به عامة المعرفة وقد صحت عندنا فيه التجربة قلنا عند ذلك ان الامامة لا تجب على الناس من طريق الظنون واشفاق النفوس وقد رأينا أعظم منها خطرا وقدرا ونفعا في كل جهة على خلاف ذلك وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى أمة وقد علم أنهم يزدادون من كفرهم من قبل ذلك الرسول كفرا بجحدهم له واخراجهم اياه وقصدهم قتله ثم لا يكون

أحدٌ ومدافعته أمدح كما قال جرير

بشرٌ أبو مروانَ إن عاسرتَه * عَسِرٌ وعند يساره ميسورُ

قال أبو العباس ومن أشعار العرب المشهورة المُتخيَّرة في المراثي قصيدة مُتمِّم بن نُوَيرة في أخيه مالك وسنذكر منها أبياتا نختارها من ذلك قوله

أقول وقد طارَ السَّنا في ربابه * وغيثٌ يسحُّ الماءَ حتى تَريَّعا

سقى اللهُ أرضاً حلَّها قبرُ مالكٍ * ذهابَ الغوادي المُدجِناتِ فأمرعا

وآثرَ سيلَ الواديَين بديمةٍ * تُرشِّحُ وسميّاً من النبت خروعا

تحيّتَهُ مني وإن كان نائياً * وأضحى تراباً فوقَهُ الأرضُ بلقعا

فما وجدُ أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ * رأينَ مجرّاً من حُوارٍ ومصرعا

يُذكِّرنَ ذا البثِّ الحزينِ ببثّه * إذا حنَّتِ الأولى سجعنَ لها معا

بأوجعَ مني يومَ فارقتُ مالكاً * ونادى به الناعي الرفيعُ فأسمعا

وفيها

وكنا كندمانَي جذيمةَ حقبةً * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعا

فلما تفرّقنا كأني ومالكاً * لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

وعشنا بخيرٍ في الحياة وقبلنا * أصابَ المنايا رهطَ كسرى وتُبَّعا

فإن تكنِ الأيامُ فرّقنَ بيننا * فقد بانَ محموداً أخي يومَ ودّعا

تقولُ ابنةُ العَمْريِّ مالكَ بعدما * أراكَ حديثاً ناعمَ البالِ أفرعا

فقلتُ لها طولُ الأسى إذ سألتني * ولوعةُ حزنٍ تتركُ الوجهَ أسفعا

وفقدُ بني أمٍّ تداعَوا فلم أكن * خلافَهمُ أن أستكينَ وأضرعا

ولستُ إذا ما الدهرُ أحدثَ نكبةً * ورزءاً بزوّارِ القرائبِ أخضعا

ولا فرِحٍ إن كنتُ يوماً بغبطةٍ * ولا جزِعٍ إن نابَ دهرٌ فأوجعا

ولكنني أمضي على ذاك مُقدِماً * إذا بعضُ من لاقى الخُطوبَ تكعكعا

فعمرَكَ إلّا تُسمعيني ملامةً * ولا تنكئي قرحَ الفؤادِ فييجعا

وقصرَكِ إني قد شهدتُ فلم أجد * بكفّي عنه للمنيّة مدفعا

ذلك مانعاله من الارسال
اليهم والاحتجاج به عليهم
لكان علمه انهم يزدادون
فسادا وبغيا اذ كان
قدم لهم ما به ينالون
مصالح دينهم ودنياهم
وانما على الحكيم أن يأتي
الأمر الحكيم عرف ذلك
عارف أم جهله جاهل
وعلى الجواد ذي الرحمة
في جوده ورحمته أن يفعل
ما هو أفضل في الجود
وأبلغ في الاحسان والطف
في الانعام من ايضاح
الحجة وتسهيل الطرق
والابلاغ في الموعظة
مع ضمان الوعد بالغاية
من الثواب والدوام واللذة
والتوعد بغاية العقاب
في الدوام والمكروه الى
عباده الذين كلفهم طاعته
وأهل الفاقة الى عائدته
ونظره واحسانه فان قبل
ذلك قابل فقد أصاب
حظه وان أبى ذلك فلنفسه
ظلم وقد صنع الله به ما هو
أصلح وان لم يستصلح
العبد نفسه قالوا فاذا
كان الله تبارك وتعالى
عالما بان القوم يزدادون
فسادا عند ارسال الرسل
وكان غير صارف لهم عن
الارسال اليهم اذ كان
قد عدل خلقهم ومكنهم
من مصلحتهم فما بال الظن
والحسبان بان الناس
يتفاسدون ويتنازعون
اذا لم يجمعوا اماما واحدا

فلو أن ما ألقى أصاب متالعا * أو الركن من سلمى اذا لتضعضعا

وفى هذه القصيدة

لقد كفن المنهال تحت ردائه * فتى غير مبطان العشيات أروعا

ولا برم تهدى النساء لعرسه * اذا القشع من برد الشتاء تقعقعا

لبيبا أعان اللب منه سماحة * خصيبا اذا ما راند الجدب أوضعا

تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرئ السوء مطمعا

اذا ابتدر القوم القداح وأوقدت * لهم نار أيسار كفى من تضجعا

بنى الآبادى ثم لم تلف مالكا * على الفرث يحمى اللحم أن يتمزعا

قوله وقد طار السنا فى ربابه السنا الضوء وهو مقصور قال الله جل وعز يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار والسناء من الحسب ممدود والرباب سحاب دون السحاب كالمتعلق بما فوقه قال المازنى

كأن الرباب دوين السحاب * نعام تعلق بالأرجل

وقوله يسح معناه يصب فاذا قلت يسحو أو يسحى فمعناه يقشر ومن ذا سميت سحاءة القرطاس وسحايته ومنه قيل للحديدة التى يقشر بها وجه الارض مسحاة قال عنترة

سحا وساحية فكل قرارة * يجرى عليها الماء لم يتصرم

وقوله تريع أى كثر حتى جاء وذهب يقال راع يريع اذا رجع ومنه سمى ريع الطعام لانه يرجع بفضل قال مزرد

خلطت بصاعى عجوة صاع حنطة * الى صاع سمن فوقه يتريع

والذهاب الامطار اللينة والمدجنات من السحاب السود وهو مأخوذ من الدجن والدجنة ومعناه الباس الغيم وظلمته قال طرفة

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الطراف الممدد

ويقال أمرع الوادى اذا أخصب من ذلك قول مولاة ابن الاجيد عن أوفى بن دلهم قال أبو العباس حدثنى به ابن المهدى أحمد بن محمد النحوى يحدث به عن الأصمعى عن أبيه عن مولاة ابن الاجيد عن أوفى قال فى النساء أربع فمنهن الصدع تفرق ولا تجمع ومنهن من لها شيئها أجمع ومنهن غيث وقع فى بلد فأمرع ومنهن التبع ترى ولا تسمع قال فذكرت ذلك لرجل فقال ومنهن القرنع قلت وما هى قال التى تكحل عينا وتدع الاخرى وتلبس ثوبها مقلوبا (قال الاخفش حدثنى بذلك

أبو

وجب فرضا لم ينطق به كتاب ولم يؤكده خبر وقد رأينا العلم بان الناس يتفاسدون ولا يرد به فرض (فصل منه) وقالوا قد رأينا أهل الصلاح والقدر عند انتشار أمر السلطان وغلبة السفلة والدعار ويصبح العوام يقوم منهم العدد اليسير فى الناحية والقبيلة والدرب والمحلة فيقيم لهم حد المستطيل ويقمع شذوذ الدعار حتى يسرح الضعيف ويأمن الخائف وينتشر التاجر ويكبر جانبهم الداعر وانما صلاح الناس بقدر تعاونهم وتخاذلهم مع أن الناس لو تركهم المتسلطون عليهم وألجئوا الى أنفسهم حتى يتحقق عندهم أن لا كافى الا بطشهم وحيلهم وحتى تكون الحاجة الى الذب والحراسة والعلم بالمكيدة هى التى تحملهم على منع أنفسهم لذهبت عادة الكفاية وضعف الاتكال ولتعودوا اليقظة ولدربوا بالحراسة واستثاروا دفين الرأى لان الحاجة تفتق الحيلة وتبعث على الروية وكان بالحرى أن يصلح أمر الجميع لان طمع الراعى اذا عاد بأسا صرفه فى البغى

أبو العيناء عن الاصمعي وذكر نحو ذلك) وقوله وآنَّ سيل الواديين بديمة زعم الأصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياماً بِرِفق وقوله ترشح وسميا أي تم شبه لذلك يقال فلان يُرَشَّحُ للخلافة والوسْميُّ أول مطر يَسِمُ الارض والوَليُّ كل مطرة بعد مطرة فالثانية وَليٌّ للاخرى لانها تليها والخِروَع كل عود ضعيف وقوله فما وجدا أظآر ثلاث روائم أظآر جمع ظئر وهي النوق تعطف على الحُوار فتألفه وروائم واحدتها رؤُوم ومعنى ترأمه تشمه والحوار ولد الناقة ويقال له حيث يسقط من أمه سَليلٌ قبل أن تقع عليه الأسماء فان كان ذكرا فهو سَقْبٌ وان كانت أنثى فهي حائلٌ وهو في ذلك كله حوار سنةً وقوله ندماني جذيمة يعني جَذيمةَ الأَبْرَشَ الازديَّ وكان ملكا وهو الذي قتلته الزَّبَّاءُ وهو أول من أوقد بالشمع ونصب المجانيق للحرب وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاختيار ونديماه يقال لهما مالك وعَقيلٌ ففي ذلك يقول أبو خراش الهذليّ

أَلَم تَعلَمي أَن قد تفرّق قبلنا * خليلا صفاءٍ مالكٌ وعقيلُ

والمَثَلُ يضرب بهما الطول ما نادماه كما يُضرَبُ باجتماع الفرقدين قال عمرو بن معدي كرب

وكل أخٍ مُفارِقُه أخوه * لعَمرُ أبيك الا الفَرقدان

قال هذا من قبل أن يُسلِم وقال اسمعيل بن القاسم

ولم أَرَ ما يدوم له اجتماعٌ * سيفترقُ اجتماع الفَرقَدَينِ

وقوله أراك حديثا ناعم البال أفرعا الأَفرَعُ التامُّ شعرِ الرأس وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه الفُرعانُ خيرٌ أم الصُلعانُ فقال بل الفرعان وكان أبو بكر أفرَعَ وكان عمر أَصلَعَ فوقع في نفسه أنه يسئل عنه وعن أبي بكر والأسفع الاسود يقال سَفَعَتهُ النار أي غيّرَت وجهه الى السواد وقوله فعمرك يقسم عليها ويقال عَمرَكَ الله أي أُذَكِّرُكَ الله قال

عَمَّرتُكِ اللهَ الا ماذكرتِ لنا * هل كنتِ جارتنا أيامَ ذي سَلَمِ

وقوله غير مبطان العشيات يقول كان لا يأكل في آخر نهاره انتظار الضيف ويروى ان عمر بن الخطاب سأله فقال أكذبتَ في شيء مما قلته في أخيك فقال نعم في قولي غير مبطان وكان ذا بطنٍ ويقال في غير هذا الحديث ان من سيما الرئيس السيد أن يكون عظيم البطن ضخم الرأس فيه طَرَشٌ وقال رجل لفتى والله ما أنت بعظيم الرأس فتكون سيدا ولا بأَرسَحَ فتكون فارسا وقال

وكان ذلك منها النائم ومنهضا لليقظان وضراوة للواكل ومرجوة للبغاة حتى تنبت عليه الصغيرة وينفحل معه الكبير

(فصل منه) وزعم قوم أن الامامة لاتجب الا بأحد وجوه ثلاثة اما عقل يدل على سببها أو خبر لا يكذب مثله أو انه لا يحتمل شيأ من التأويل الا وجها واحدا قالوا فوجدنا الأخبار مختلفة والمختلف متدافع وليس في المتدافع والمتكافئ بيان ولا فضل فمن ذلك قول الانصار وهم شطر الناس أو أكثرهم مع امانتهم على دين الله تعالى وعلمهم بالكتاب والسنة حيث قالوا عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم منا أمير ومنكم أمير فلو كان قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أمر ما كان أحد أعلم به منهم ولا أخلق للاقرار والعمل بما يلزم الصبر عليه منهم بعد الذي ظهر من احتمالهم في جنب الله تعالى والجهاد في سبيله والنصرة لنبيه صلى الله عليه وسلم مع الايواء والايثار بعد المواساة ومحاربة القريب والبعيد والعرب قاطبة وقريش خاصة ثم الذي

رجل لرجل والله ما فتقت فتق السادة ولا مطلت مطل الفرسان والارع ذو الورع والهيئة والبرم الذى لا ينزل مع الناس ولا يأخذ فى الميسر ولا ينزع الا نكدا قال النابغة

هلا سألت بنى ذبيان ما حسبى * اذا الدخان تغشى الاشمط البرما

وقوله اذا القشع وهو الجلد اليابس ويقال لكماسة الحمام القشع قال أبو هريرة وكذبت حتى رميت بالقشع ❁ وحدثنى العباس بن الفرج الرياشى عن محمد بن عبد الله الانصارى القاضى فى اسناد ذكره قال صلى متمم مع أبى بكر الصديق الفجر فى عقب قتل أخيه وكان أخوه خرج مع خالد مرجعه من اليمامة يظهر الاسلام فظن به خالد غير ذلك فأمر ضرار بن الازور الاسدى فقتله وكان مالك من أرداف الملوك ومن متقدمى فرسان بنى يربوع قال فلما صلى أبو بكر قام متمم بحذائه واتكأ على سية قوسه ثم قال

نعم القتيل اذا الرياح تناوحت * خلف البيوت قتلت يا ابن الازور

ولنعم حشو الدرع كنت وحاسرا * ولنعم مأوى الطارق المتنور

أدعوته بالله ثم غررته * لو هو دعاك بذمة لم يغدر

وأومأ الى أبى بكر فقال والله ما دعوته ولا غررته ثم أتم شعره فقال

لا يمسك الفحشاء تحت ثيابه * حلو شمائله عفيف المئزر

ثم بكى وانحط على سية قوسه وكان أعور دميما فما زال يبكى حتى دمعت عينه العوراء فقام اليه عمر بن الخطاب فقال لوددت أنى رثيت أخى زيدا بمثل ما رثيت به مالكا أخاك فقال له يا أبا حفص والله لو علمت أن أخى صار بحيث صار أخوك ما رثيته فقال عمر ما عزانى أحد بمثل تعزيتك وكان زيد بن الخطاب قتل شهيدا يوم اليمامة وكان عمر يقول انى لاهش للصبا لانها تأتينا من ناحية زيد ويروى عن عمر أنه قال لو كنت أقول الشعر كما تقول لرثيت أخى كما رثيت أخاك ويروى أن متمما رثى زيدا فلم يجد فقال له عمر لم ترث زيدا كما رثيت أخاك مالكا فقال لانه والله يحركنى لمالك ما لا يحركنى لزيد ومن طريف شعره

لعمرى وما دهرى بتأبين هالك * ولا جزع والموت يذهب بالفتى

لئن مالك خلى على مكانه * لفى أسوة ان كنت باغية الاسا

كهول

نطق القرآن به من تزكيتهم وتفضيلهم بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولقيه بهم وثنائه عليهم وهو يقول أما والله ما علمتكم الا لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع فى أمور كثيرة ثم لم يكن قولهم منا أمير ومنكم أمير من سفيه من سفهائهم ضرى اليه أمثاله منهم فان لكل قوم حسدة وجهالا وأحداثا ومرهاقا من حدث تبعثه الغرارة ولا شذ رجل يحب الجاه والفتنة أو مغفل مجدوع أو غر ذو حية يؤثر حسبه ونسبه على دين الله تعالى وطاعة نبيه صلى الله عليه وسلم ولا كان ذلك القول اذ كان من عليهم فى الواحد الشاذ القليل بل كان فى ذوى أحلامهم والقدم منهم ثم كان المرشح والمأمول عندهم سعد بن عبادة سيدا مطاعا ذا سابقة وفضل وحلم ونجدة وجاه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واستعانته به فى الحوادث والمهم من أمره ثم كان فى الدهم من الانصار والوجوه والجمهور من الاوس والخزرج فكيف يكون سبق من النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا أمر يقطع عذرا ويوجب

كُهولٌ ومُرْدٌ من بنى عمِّ مالكٍ * وأَيفاعُ صِدقٍ قد تَمليتُهم رضا

سَقَوا بالعُقارِ الصِّرفِ حتى تتابعوا * كدأبِ ثمودٍ اذ رَغا سَقْبُهم ضُحى

اذا القومُ قالوا مَن فتًى لِمُلِمَّةٍ * فما كُلُّهم يُدْعَى ولكنّه الفتى

ومثل هذا الشعر قول النَّهْشَلِيّ

لو كان فى الالف منا واحدٌ فدَعَوا * مَنْ فارسٌ خالَهم اياه يَعنونا

وأول هذا المعنى لِطَرَفة   اذا القومُ قالوا مَن فتًى خِلتُ أنّنى * عُنِيتُ فلم أكسَلْ ولم أتبلّدِ

وقال مُتَمِّم أيضا فى كلمة له يرثى بها مالكا

جَميلُ المُحَيّا ضاحكٌ عند ضيفه * أغرُّ جَميعُ الرأىِ مُشتَرَكُ الرَّحلِ

وَقورٌ اذا القومُ الكِرامُ تَقاوَلوا * فَحَلَّتْ حُباهُم واستَطاروا من الجَهلِ

وكنتَ الى نفسى أشدَّ حلاوةً * من الماء بالماذِىِّ من عسل النحل

وكُلُّ فتًى فى الناس بعد ابن أُمِّه * كساقطةٍ احدى يَدَيه من الخَبلِ

وبَعضُ الرجال نَخلةٌ لا جَنَى لها * ولا ظِلَّ الا أن تُعَدَّ من النخلِ

وقال له عمر بن الخطاب انك لَجَزْلٌ فأين كان أخوك منك فقال كان والله أخى فى الليلة المظلمة ذات الأزيز والصُّرّادِ يركبُ الجملَ الثَّفالَ ويَجنُبُ الفرسَ الجَرورَ وفى يده الرمح الثقيل وعليه الشَّمْلةُ الفَلوتُ وهو بين المزادتين حتى يُصبِحَ فيُصبِحَ أهلَه متبسِّما الجمل الثفال البطىء الذى لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذى لا يكاد ينقاد مع من يجنُبه انما يجرّ الحبلَ والشملة الفلوت التى لا تكاد تثبت على لابسها وذَكَرنا أن مالكا كان من أرداف الملوك وفى تصداق ذلك يقول جريرٌ يفتخر ببنى يربوع   منهم عُتَيبةُ والمُحِلُّ وقَعنَبٌ * والحَنتَفانِ ومنهم الرِّدْفانِ

فأحد الردفين مالك بن نُوَيرةَ اليربوعى والردف الآخر من بنى رياح بن يَربوع والردافة موضعان أحدهما ان يردفه المَلِكُ على دابته فى صيد أو تَرَيُّفٍ أو ما أشبه ذلك من مواضع الانس والوجه الآخر أنبلُ وهو أن يَخلُفَ المَلِكَ اذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده

(باب)

قال أبو العباس لما احتُضِرَ ابراهيمُ النخعى رحمه الله جَزِعَ جَزَعا شديدا فقيل له فى ذلك فقال وأىُّ خَطَرٍ

رضا وهؤلاء الأمناء على الدين والقوام قد قاموا هذا المقام وقالوا هذا المقال قالوا فان قال قائل فان القوم كانوا على طبقات من ذاكر متعمد وناس قد كان سقط عن ذكره وحفظه ومن رجل كان غائبا عن ذلك القول والتأكيد الذى كان من النبى صلى الله عليه وسلم وآله فى اقامة امام يقدم فى أيام وفاته ومن رجل قدم فى الاسلام لم يكن من جمال العلم فاذكرهم أبو بكر وعمر وذكروا ووعظاهم فاتعظوا فقد كان فيهم الناسى الفاضل الذى يزجره الذكر وينزع اذا بصر والمعتمد الذى لم يبلغ من لجاجه وتتابعه وركوب ردعه ما يؤثر معه التصميم على حسن الرجوع عند الموعظة الحسنة والتخويف بفساد العاجل فى كثير ممن لم يكن له فى الاسلام القدر النبيه اما للغفلة واما للابطاء عنه واما للخمول فى قومه مع اسلامه وصحة عقده فداواهم أبو بكر وعمر يوم السقيفة حين قالوا نحن الائمة وأنتم الوزراء وحيث رووا لهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الائمة من قريش فلما استرجعوا رجعوا

أعظم من هذا انما أتوقع رسولا يرد على من ربى اما بالجنة واما بالنار ولما احتضر ابن سيرين جعل يقول نفسى والله أعز الانفس على ولما احتضر حجر بن عدى ليقتل سأل أن يمهل حتى يصلى ركعتين وظهر منه جزع شديد فقال له قائل أتجزع فقال وكيف لا أجزع سيف مشهور وكفن منشور وقبر محفور ولست أدرى أيؤدينى الى جنة أم الى نار (قال أبو الحسن مايقوم بقتل حجر ابن عدى شئ وانى لأعجب من قوله هذا ولست أدرى أيدنينى الى جنة أو الى نار وهو شهيد الشهداء رحمه الله) وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصى وكلامه عند الموت ۞ وممن ظهرت منه عند الموت قسوة حلحلة الفزارى وسعيد بن أبان بن عيينة بن حصن الفزارى فان عبد الملك لما أحضرهما البقيد منهما قال لحلحلة صبرا حلحل فقال اى والله

أصبر من ذى ضاغط عركرك * ألقى بوانى زوره للمبرك

ثم قال لابن الاسود الكلبى أجد الضربة فانى والله ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم فى سلحته ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان صبرا سعيدا فقال اى والله

أصبر من عود بجنبيه الجلب * قد أثر البطان فيه والحقب

ومنهم وكيع بن أبى سود أحد بنى غدانة بن يربوع فانه لما يئس منه خرج الطبيب من عنده فقال له محمد ابنه ماتقول قال لا يصلى الظهر وكان محمد ناسكا فدخل الى أبيه فقال له أبوه وكيع ماقال لك المعلوج قال وعد أنك تبرأ قال أسألك بحقى عليك قال ذكر أنك لا تصلى الظهر قال ويلى على ابن الخبيثة والله لو كانت فى شدقى للكتها الى العصر ويروى أن ابراهيم النخعى قال فى الحديث الذى ذكرناه والله لوددت أنه الجلجاج فى حلقى الى يوم القيامة وفى وكيع بن أبى سود يقول الفرزدق

لقد رزئت بأسا وحزما وسوددا * تميم بن مر يوم مات وكيع
وماكان وقافا وكيع اذا دنت * سحائب موت وبلهن نجيع
اذا التقت الابطال أبصرت لونه * مضيأ وأعناق الكماة خضوع
فصبرا تميم انما الموت منهل * يصير اليه صابر وجزوع

وقال أيضا

لتبك وكيعا خيل ليل مغيرة * تساقى المنايا بالردينية السمر
لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوة * دعوها وكيعا والجياد بهم تجرى

قلنا الدليل على أن القوم لم يروا فى كلام أبى بكر وعمر حجة عليهم وان انتصرا فهم عما اجمعوا له لم يكن لانهم رأوا أن ذلك القول من أبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح حجة غضب رئيسهم وخروجه من بين أظهرهم مراغما فى رجال من رهطه مع تركه بيعة أبى بكر رضوان الله عليه وتشيعه عليهم بالشام وقد قال قيس بن سعد بن عبادة وهو يذكر خذلان الانصار لسعد بن عبادة واستبداد الرهط من قريش عليهم بالأمر

وخبرتمونا انما الأمر فيكم
خلاف رسول الله يوم التشاجر
وان وزارات الخلافة دونكم
كما جاءكم ذوم العرش دون العشائر
فهلا وزيرا واحدا تجتبونه
بغير وداد منكم واواصر
سقى الله سعدا يوم ذاك
ولا سقى
عواجله هابت صدور النوابر

وقال رجل من الانصار ودعاه على رضوان الله عليه الى عونه ونصرته اما يوم الجمل أو يوم صفين

مالى أقاتل عن قوم اذا قدروا

ومن الجفاة عند الموت هدبة بن خشرم العذري وكان قتل زيادة بن زيد العذري فلما حمل الى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادة بن زيد فادعى عليه فقال له معاوية ما تقول قال أتحب أن يكون الجواب شعرا أم نثرا قال بل شعرا فانه أمتع فقال هدبة

فلما رأيت أنما هي ضربة * من السيف أو اغضاء عين على وتر
عمدت لأمر لا يعير والدي * خزايته ولا يسب به قبري
رمينا فرامينا فصادف سهمنا * منية نفس في كتاب وفي قدر
وأنت أمير المؤمنين فما لنا * وراءك من معدى ولا عنك من قصر
فان تك في أموالنا لا نضق بها * ذراعا وان صبر فنصبر للصبر

فقال له معاوية أراك قد أقررت يا هدبة قال هو ذاك فقال عبد الرحمن أقدني فكره ذاك معاوية وضن بهدبة عن القتل وكان ابن زيادة صغيرا فقال له معاوية أوما عليك ان تشفي صدرك وتحرم غيرك ثم وجه به الى المدينة فقال يحبس الى أن يبلغ ابن زيادة فبلغ وكان والي المدينة سعيد ابن العاصي فما وقف عليه من قسوته قوله

ولما دخلت السجن يا أم مالك * ذكرتك والاطراف في حلق سمر
وعند سعيد غير أن لم أبح به * ذكرتك ان الامر يذكر بالامر

فسئل عن هذا القول فقال لما رأيت ثغر سعيد وكان سعيد حسن الثغر جدا ذكرت به ثغرها ويقال انه عرض على ابن زيادة عشر ديات فأبى الا القود وكان ممن عرض الديات عليه ممن ذكرنا الحسين بن علي وعبد الله بن جعفر عليهما السلام وسعيد بن العاصي ومروان بن الحكم وسائر القوم من قريش والانصار فلما خرج به ليقاد بالحرة جعل ينشد الأشعار فقالت له حبى المدينية ما رأيت أقسى قلبا منك أتنشد الأشعار وأنت يمضى بك لتقتل وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول تعني امرأته فوقف ووقف الناس معه فأقبل على حبى فقال

ما وجدت وجدي بها أم واحد * ولا وجد حبى بابن أم كلاب
رأته طويل الساعدين شمردلا * كما انعتت من قوة وشباب

فأغلقت حبى الباب في وجهه وسبته وعرض له عبد الرحمن بن حسان فقال أنشدني فقال له أعلى

عدنا عدوا وكنا قبل أنصارا
ويل لها أمة لو أن قائدها يتلو الكتاب ويخشى النار والعارا
أما قريش فلم نسمع بمثلهم غدرا وأعجب في الاسلام آثارا
الا تكن عصبة مانوا ام بينهم بالعرف عرفا وبالانكار انكارا
أبا عمارة والثاوي ببلقعة في يوم مؤتة لا ينفك طيارا
أبا عمارة حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه وقد كان يكنى أبا يعلى والثاوي في يوم مؤتة جعفر ابن أبي طالب وقال رجل من الانصار من ولد أبي زيد القاري وذكر أمر الانصار وأمر قريش دعاها الى استبدادها وحقودها
تذكر قتلى في القليب تكبوا
هنالك قتلى لا تؤدى دياتهم وليس لنا كيها سوى الصبر مذهب
فان تغضب الابناء من قبل من مضى فوالله ما جئنا قبيحا فتعتبوا
(فصل منه) قد حكينا قول من خالف النفاق وجوب الأمامة وتعظيم الخلافة وفسرنا وجوه اختلافهم واستقصينا جميع حججهم

هذه الحال قال نعم فأنشده

ولستُ بمفراحٍ اذا الدهرُ سرّني * ولا جازعٍ من صرفه المتقلّبِ
ولا أبتغي الشرَّ والشرُّ تاركي * ولكن متى أُحمل على الشر أركبِ
وحرّبني مولاي حتى غشيتُه * متى ما يُحرّبك ابنُ عمّك تحربِ

فلما قُدِّم نظر الى امرأته قد خلته غيرة وقد كان جُدع في جرمهم فقال

فان يكُ أنفي بانَ منه جمالُه * فما حسبي في الصالحين بأجدعا
فلا تنكحي ان فرّق الدهرُ بيننا * أغمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا

فقالت قفوا عنه ساعة ثم مضت ورجعت وقد اصطلمت أنفها فقالت أهذا فعلُ مَن له في الرجال حاجة فقال الآن طاب الموتُ ثم أقبل على أبويه فقال

أبليانِ اليومَ صبرا منكما * ان حزنا منكما اليومَ لشر
ما أظنّ الموتَ الا هيّنا * انّ بعد الموت دارَ المستقرّ

ثم قال

أذا العرش اني عائذ بك مؤمنٌ * مقرٌّ بزلّاتي اليك فقيرُ
واني وان قالوا أميرٌ مسلّطٌ * وحُجّابُ أبوابٍ لهنّ صريرُ
لأعلم أنّ الأمرَ أمرُك ان تدن * فربٌّ وان تغفر فأنت غفورُ

ثم قال لابن زيادة أثبت قدميك وأجِد الضربة فاني أيتمتك صغيرا وأرملت أمّك شابّة وزعم بعض أصحاب الأخبار انه قال ما أجزع من الموت وآية ذلك اني أضرب برجلي اليسرى بعد القتل ثلاثا وهو باطل موضوع ولكن سأل فكّ قيوده ففُكّت فذلك حيث يقول

فان تقتلوني في الحديد فانني * قتلتُ أخاكم مطلقا لم يقيَّد

قال أبو العباس ووقف جبّار بن سلمى على قبر عامر بن الطُّفيل ولم يكن حضره فقال أنعم صباحا أبا علي فوالله لقد كنت سريعا الى المولى بوعدك بطيئا عنه بايعادك ولقد كنت أهدى من النجم وأجرى من السيل ثم التفت اليهم فقال كان ينبغي ان تجعلوا قبر أبي علي ميلا في ميل وذكر الحرمازيّ ان الأحنف بن قيس لما مات وكان موته بالكوفة مشى المُصعب بن الزبير في جنازته بغير رداء وقال اليوم مات سيدُ العرب فلما دُفن قامت امرأة على قبره أحسبها من بني منقر فقالت لله درّك من

اذ كان على عذر لمن غاب عنه خصمه وقد تكفل بالاخبار عنه في ترك الحيطة له والقيام بحجته كأنه لا عذر له في التقصير عن افساد ما يخالفه وكشف خطأ من يضاده عند من قرأ كتابه وتفهم حجته لان أقل ما يزيل عذره ويزيح علته أن يكون قول خصمه قد استهدف لعقله وأضجر لسانه وقد مكنه من نفسه وسلطه على اظهار عورته فاذا استراح من شغب المنازع ومداراة المستمع لم يبق الا أن يقوى على خلافه او يعجز عنه ومن شكر المعرفة بمعايب الناس ومراشدهم ومضارهم ومنافعهم أن يحتمل ثقل مؤنتهم وتعريفهم وان يتوخى ارشادهم وان جهلوا فضل من يسدي اليهم ولن يصان العلم بمثل بذله ولن تستبقى النعمة فيه بمثل نشره واعلم أن قراءة الكتب أبلغ في ارشادهم من تلاقيهم اذا كان مع التلاقي يقوى التصنع ويكثر التظالم وتفرط العصبية وتنبعث الحمية وعند المواجهة تشتد الغلبة وشهوة المباهاة والاستحياء من الرجوع والأنفة من الخضوع وعن جميع

نحن في جنن ومدرج في كفن فنسأل الذي فجعنا بموتك وابتلانا بفقدك ان يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وأن يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنت في المحافل شريفا وعلى الارامل عطوفا ولقد كنت في الحي مسودا والى الخليفة موفدا ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرأيك متبعين قال فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها ووقف رجل على قبر النجاشي فترحم وقال لولا أن القول لا يحيط بما فيك والوصف يقصر دونك لأطنبت بل لأسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر النجاشي ناقتي * بأبيض عضب أخلصته صياقله
على قبر من لو أنني مت قبله * لهانت عليه عند قبري رواحله

وروى ابن دأب أن حسان بن ثابت الانصاري اجتاز بقبر ربيعة بن مكدم فأنشد

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادي قبره بذنوب
نفرت قلوصي من حجارة حرة * نصبت على طلق اليدين وهوب
لا تنفري يا ناق منه فانه * شريب خمر مسعر لحروب
لولا السفار وطول قفر مهمه * لتركتها تحبو على العرقوب
نعم الفتى أدى نبيشة رحله * يوم الكديد نبيشة بن حبيب

وربيعة بن مكدم رجل من بني كنانة وكان قتله أهبان بن غادية الخزاعي وقوم تقول قتله نبيشة ابن حبيب السلمي وكان أهبان أخا نبيشة لامه وكان أتاه زائرا وأغار ربيعة بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله وحمل أخو ربيعة على أهبان ففاته فلانه في بني سليم قال حسان * نفرت قلوصي من حجارة حرة * لان الحرة هنالك لبني سليم وفي تصداق ما تدعيه خزاعة يقول أهبان

ولقد طعنت ربيعة بن مكدم * يوم الكديد نحره غير موسد
فعارض شرق بنات فؤاده * منه بأحمر كالنقيع المجسد
ولقد وهبت سلاحه وجواده * لأخي نبيشة قبل لوم الحسد

وقال أخو ربيعة يجيبه   فات ابن غادية المنية بعدما * رفعت أسفل ذيله بالمطرد

ويظهر التباين واذا كانت القلوب على هذه الصفة وبهذه الحالة امتنعت من المعرفة وعميت عن الدلالة وليست في الكتب علة تمنع من درك البغية واصابة الحجة لان المتوحد بقراءتها والمتفرد بفهم معانيها لا يباهي نفسه ولا يغالب عقله ولا يعاز خصمه والكتاب قد يفضل ويرجح على واضعه بأمور منها أن الكتاب يقرأ بكل مكان وفي كل زمان على تفاوت الاعصار وبعد ما بين الأمصار وذلك أمر يستحيل في الواضع ولا يطمع فيه من التنازع وقد يذهب العالم وتبقى كتبه ويفنى ويبقى أثره ولولا ما رسمت لنا الأوائل في كتبها وخلدت من عجيب حكمها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها المستغلق علينا فجمعنا الى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن ندركه الا بهم لقد خس حظنا في الحكمة وانقطع سبيلنا الى المعرفة ولو ألجئنا الى قدر قوتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا بما أدركته حواسنا وشاهدته نفوسنا لقلت المعرفة وقصرت الهمة وضعفت المنة فاعتقم الرأي ومات الخاطر وتبلد العاقل واستبد بنا سوء العادة

قُل لابن خادية المُتاحِ لقتلنا * ما كان يقتُلُنا الوحيدُ المُفرَد

يريد أن أهبان مفرد من قومه في أخواله وقال أيضا

فان تذهب سُليم بوترقومي * فأسلَمُ من منازلنا قريبُ

وقالت ليلى الاخيلية

آليتُ أبكي بعد توبة هالكا * وأحفلُ من دارت عليه الدوائرُ

لعمرُكَ ما بالموت عارٌ على الفتى * اذا لم تُصبه في الحياة المعايرُ

فلا يُبعدنكَ الله يا توبَ انما * لقاءُ المنايا دارعًا مثلُ حاسِر

وروى

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا * أخا الحرب ان دارت عليه الدوائر

فكلُّ جديد أو شباب الى بلًى * وكل امرئ يومًا الى الله صائرُ

وذكر المدائني أن رجلا عزّى رجلا أفرطَ عليه الجزعُ على ابنه فقال يا هذا سُرِرتَ به وهو حزنٌ وفتنة وجزعتَ عليه وهو صلاةٌ ورحمةٌ فسُرِّيَ عنه وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعزَّوا عن مصائبكم بي وقال رجل لابن عمر أعظمَ اللهُ أجرَكَ فقال نسأل الله العافية معناه أنه لما قال له أعظم الله أجرك انما دعا بان يكثر ما يؤجر عليه ودلّ على انه من باب المصائب تعزيتُه اياه

﴿ وهذا باب طريفٌ من أشعار المُحدَثين ﴾

قال مُطيعُ بن اياس اللَّيثي يرثي يحيى بن زياد الحارثيّ وكان صديقَه وكانا مُتَّهَمَين جميعا بالخروج عن الملة

يا أهلُ بكّوا لقلبيَ القرِحِ * وللدموع الهواملِ السفُحِ

راحوا بيحيى الى مُغيَّبةٍ * في القبر بين التراب والصفُحِ

راحوا بيحيى ولو تُطاوعني الـ * اقدارُ لم يبتكر ولم يرُحِ

يا خيرَ من يَحسُنُ البكاءُ له * اليومَ ومَن كان أمسِ للمدَحِ

وفي يحيى يقول مطيع لنبوة كانت بينهما

كنتُ ويحيى كيدَي واحدٍ * نرمي جميعا ونُرامي معا

ان سَرَّهُ الدهرُ فقد سرَّني * أو حادثٌ ناب فقد أفظَعا

أو نام نامت أعينٌ أربعٌ * منا وان هبَّ فلن أهجعا

حتى اذا ما الشيبُ في عارضي * لاحَ وفي مفرقه أسرَعا

وأكثر من كتبهم نفعا وأحسن مما تكلفوا موقعا كتاب الله تعالى الذي فيه الهدى والرحمة والاخبار عن كل عبرة وتعريف كل سيئة وحسنة فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا سبيل من قبلنا فينا مع انا قد وجدنا في العبرة أكثر مما وجدوا كما أن من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما وجدنا فما ينتظر الفقيه بفقهه والمحتج لدينه والذاب عن مذهبه ومواسي الناس في معرفته وقد أمكن القول وأطرق السامع ونجا من التقية وهبت ريح العلماء.

(فصل منه) واعلم أن قصد العبد بنعم الله تعالى الى مخالفته غير مخرج انعام الله عليه ولا يحول احسانه اليه الى الى غير معناه وحقيقته ولم يكن احسان الله في اعطائه الاداة وتبيين الحجة لينقلبا افسادا واساءة لان المعان على الطاعة عصى بالمعونة وأفسد بالانعام وأساء بالاحسان وفرق بين المنعم والمنعم عليه لان المنعم عليه يجب أن يكون شكورا ولحق النعمة راعيا والمنعم منفرد بحسن الانعام وشريك في جميل الشكر ولان المنعم أيضا هو الذي حبب الشكر الى فاعله بالذي قدم اليه من

سعى وشاةٌ ظنٍّ بيننا * فكاد حبلُ الوصل أن يُقطعا

فلم ألم بحيّ على حادثٍ * ولم أقل خانَ ولا ضيّعا

وقال أبو عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل بن الصباح وكان له صديقا

يا خيرَ اخوانه وأعطفهم * عليهم راضيا وغضبانا

أمسيتَ حزنا وصار قربك لي * بعدا وصار اللقاءُ هجرانا

انا الى الله راجعون لقد * أصبح حزني عليك ألوانا

حزنُ اشتياقٍ وحزنُ مرزئةٍ * اذا انقضى عاد كالذي كانا

قوله يا خير اخوانه محال و باطل وذلك أنه لا يضاف أفعل الى شيء الا وهو بعض منه وقال أيضا

دعوتك يا أُخي فلم تجبني * فردّت دعوتي حزنا عليا

بموتك ماتت اللذاتُ مني * وكانت حيةً اذ كنت حيا

فيا أسفي عليك وطول شوقي * اليك لو ان ذلك ردّ شيا

وحدثني رجل من أصحابنا قال شهدتُ رجلا في طريق مكة معتكفا على قبر وهو يردد شيئا ودموعه تكف من لحيته فدنوتُ اليه لاسمع ما يقول فجعلت العبرةُ تحول بينه وبين الابانة فقلتُ له يا هذا فرفع رأسه الي وكأنما هبّ من رقدة فقال ما تشاء فقلت أعلى ابنك تبكي قال لا قلت فعلى أبيك قال لا ولا على نسيب ولا صديق ولكن على من هو أخص منهم مما قلت أو يكون أحد أخص ممن ذكرت قال نعم من أخبرك عنه ان هذا المدفون كان عدوا لي من كل باب يسعى علي في نفسي وفي مالي وفي ولدي فخرج الى الصيد أيأس ما كنتُ من عطبه وآكل ما كان من صحته فرمى ظبيا فأقصده فذهب ليأخذه فاذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبي فعثر فتلقى بفؤاده ظبة السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم وهو والظبي ميتان فنمى الي خبره فأسرعتُ الى قبره مغتبطا بفقده فاني لضاحكٌ السنّ اذ وقعت عيني على صخرة فرأيتُ عليها كتابا فهل لك فاقرأه وأومأ الى الصخرة فاذا عليها

احسانه وتولى من شنأه ولذلك جعلوا النعمة لقاحا والشكر ولادا وانما مثل اعطاء الآلة والتكليف لفعل الخير مثل رجل تصدق على فقير ليستر عورته ويقيم من أود صلبه ولينصرف في منافعه ولا يكون انفاق الفقير ذلك الشئ في الفساد والخلاف والفواحش لينقلب احسان المتصدق اساءة وانما هذا بصواب الرأى الذى لا ينقلب صوابا وان أنجح صاحبه وقد يؤتى الرجل من حزمه ولا يكون مذموما ويحظى بالاضاعة ولا يكون محمودا

(فصل منه) ولم يكن الله تعالى ليضع العدل ميزانا بين خلقه وعيارا على عباده في تظارعقولهم في ظاهر ما فرض عليهم وييسر خلافه ويستحق بضده ويعلم أن قضاءه فيهم غير الذى فطرهم على استحسانه وتحبب اليهم به في ظاهر دينه والذى استوجب به على الشكر على جميع خلقه

(فصل منه) وان لم يكن العبد على ما وصفنا من الاستطاعة والقدرة والحال التي هي ادعاء الى المصلحة ما كان متروكا على طباعه ودواعي شهواته دون تعديل طبعه وتسوية تركيبه

وما نحن الا مثلهم غير أننا * أقمنا قليلا بعدهم وتقدموا

قلت أشهد انك تبكي على من بكاؤك عليه أحق من النسيب ومما استطرفنا من شعر المحدثين قول يعقوب بن الربيع في جارية طالبها سبع سنين يبذل فيها جاهه وماله واخوانه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت قال فيها أشعارا كثيرة اخترنا منها بعضها من ذلك قوله

لله آنسة فجعت بها * ما كان أبعدها من الدنس
أتت البشارة والنعي معا * يا قرب مأتمها من العرس
يا ملك نال الدهر فرصته * فرمى فؤادا غير محترس
كم من دموع لا تجف ومن * نفس عليك طويلة النفس
أبكيك ما ناحت مطوقة * تحت الظلام تنوح في الغلس
يا ملك في وفيك معتبر * ومواعظ يوحشن ذا الانس
ما بعد فرقة بيننا أبدا * في لذة درك لملتمس

وأخذ ما في صدر هذا الكلام من قول القائل

رب مغروس يعاش به * فقدته كف مغترسه
وكذاك الدهر مأتمه * أقرب الاشياء من عرسه

وقريب من هذا قول امرأة شريفة ترثي زوجها ولم يكن دخل بها

أبكيك لا للنعيم والانس * بل للمعالي والرمح والفرس
أبكي على فارس فجعت به * أرملني قبل ليلة العرس
يا فارسا بالعراء مطرحا * خانته قواده مع الحرس
من لليتامى اذا هم سغبوا * وكل عان وكل محتبس
أم من لبرآم من لفائدة * أم من لذكر الاله في الغلس

ومما استطرفه من شعر يعقوب قوله

ولذلك أسباب نحن ذاكروها وجاعلوها حجة في اقامة الامامة وان عليها مدار المصلحة وان طبع البشر يمتنع من الأخبار الا على ما نحن ذاكروه فنقول انا لما رأينا طبائع الناس وشهواتهم من شأنها التقلب الى هلكتهم وفساد دينهم وذهاب دنياهم وان كانت العامة أسرع الى ذلك من الخاصة فكل لا تنفك طبائعهم من حملهم على ما يرديهم ما لم يردوا بالقمع الشديد في العاجل ومن القصاص من العادل ثم التنكيل في العقوبة على شر الخيانة واسقاط القدر وازالة العدالة مع الأسماء القبيحة والالقاب المجينة ثم بالاخافة الشديدة والحبس الطويل والتغريب عن الوطن ثم الوعيد بنار الأبد مع فوت الجنة وانما وضع الله تعالى هذه الخصال لتكون لقوة العقل مادة ولتعديل الطبائع معونة لان العبد اذا فضلت قوى طبائعه وشهواته على عقله ورأيه الغي بصيرا بالرشد غير قادر عليه فاذا احتوشته المخارف كانت مواد لزواجر عقله وأوامر رأيه فاذا لم يكن في حوادث الطبائع ودواعي الشهوات وحب العاجل فضل على زواجر العقل وأوامر النهى

ليت شعري بأي ذنب لملك * كان هجري لقبرها واجتنابي

ألذنب حقدته كان منها * أم لعلمي بشغلها عن عتابي

أم لأمني لسخطها ورضاها * حين واريت وجهها في التراب

ما وفى في العباد حي لميت * بعد يأس منه له في الاياب

وفي هذا الشعر

انما حسرتي اذا ما تذكر * ت عناقيها وطول طلابي

لم أزل في الطلاب سبع سنين * أتأتى لذاك من كل باب

فاجتمعنا على اتفاق وقدر * وغنينا عن فرقة باصطحاب

أشهرا ستة صحبتك فيها * كن كالحلم أو كلمع السراب

وأتاني النعي منك مع البشرى فيا قرب أوبة من ذهاب

ومن مليح شعره قوله يرثيها

حتى اذا فتر اللسان وأصبحت * للموت قد ذبلت ذبول النرجس

وتسهلت منها محاسن وجهها * وعلا الأنين تحثه بتنفس

رجع اليقين مطامعي يأسا كما * رجع اليقين مطامع المتلمس

ومن مليح شعره أيضا قوله

فجعت بك وقد أينعت * وتمت فأعظم بها من مصيبه

فأصبحت مغتربا بعدها * وأمست بحلوان ملك غريبه

أراني غريبا وان أصبحت * منازل أهلي مني قريبه

خلفت على أختها بعدها * فصادفتها ذات عقل أديبه

فأقبلت أبكي وتبكي معي * بكاء كئيب بحزن كئيبه

وقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه الحبيبة أخت الحبيبه

كان الغضب ممتنعا من الذي قادرا عليه لان الغضب والحسد والبخل والجبن والغيرة وحب الشهوات والنساء والمكاثرة والعجب والخيلاء وأنواع هذه اذا قويت دواعيها لأهلها واشتدت جواذبها لصاحبها ثم لم يعلم أن فوقه ناقما عليه وان له منتقما لنفسه من نفسه أو مقتضيا منه لغيره كان ميله وذهابه مع جواذب الطبيعة ودواعي الشهوة طبعا لا يمتنع معه وواجبا لا يستطيع غيره أو ما رأيته كيف يخرق في ماله ويسرع فيما أثلت له رجاله وشدت له أوائله من غير أن يرى العوض وجها وللخلف سببا في عاجل دينه ولا آجل دنياه حتى يكون والي المسلمين هو الذي يحجر عليه ليكون مضض الحجر وذل الحظر وغلظة الجفوة واللقب القبيح وتسليط الاشكال مادة للذي معه من معرفته وبقية عقله (فصل منه) وقد يكون الرجل معروفا بالنزق مذكورا بالطيش مستهاما باظهار الصولة حتى يتحامى كلامه الصديق ويداريه الجليس ويترك مجازاته الكريم الذي يعرفون من شدته وبوادر حدته وشدة تسرعه والتهابه

سأصفيك ودى حفاظا لها * فذاك الوفاء بظهر المغيبه
أراك كذلك وان لم تكن * ملك من الناس عندى ضريبه

وبما اخترنا من مرثية يزيد المهلبى للمتوكل على الله قوله

لا حزن الا اراه دون ما أجد * وهل كمن فقدت عيناى مفتقد
لا يبعدن هالك كانت منيته * كما هوى عن غطاء الزبية الاسد
لا يدفع الناس ضيما بعد ليلتهم * اذ لا تمد الى الجانى عليه يد
لو أن سيفى وعقلى حاضران له * أبليته الجهد اذ لم يبله أحد
جاءت منيته والعين هاجعة * هلا أتته المنايا والقنا قصد
هلا أتته أعاديه مجاهرة * والحرب تسعر والابطال تجتلد
خر فوق سرير الملك منجدلا * لم يحمه ملكه لما انقضى الامد
قد كان أنصاره يحمون حوزته * وللردى دون أرصاد الفتى رصد
وأصبح الناس فوضى يعجبون له * ليثا صريعا تنزى حوله النقد
علتك أسياف من لا دونه أحد * وليس فوقك الا الواحد الصمد
جاؤا عظيما لدنيا يسعدون بها * فقد شقوا بالذى جاؤا وما سعدوا
ضجت نساؤك بعد العز حين رأت * خدا كريما عليه قارت جسد
أضحى شهيد بنى العباس موعظة * لكل ذى عزة فى رأسه صيد
خليفة لم ينل ما ناله أحد * ولم يضع مثله روح ولا جسد
كم فى أديمك من فوهاء هادرة * من الجوائف يغلى فوقها الزبد
اذا بكيت فان الدمع منهمل * وان رثيت فان القول مطرد
قد كنت أسرف فى مالى وتخلف لى * فعلمتنى الليالى كيف أقتصد
لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم * ضعتم وضيعتم من كان يعتقد

وكثرة فلتاته ثم لا يلبث أن يحضر الوالى الصليب والرجل المنيع فيلقى ذليلا خاضعا أو حليما وقورا أو أديبا رفيقا أو صبورا محتسبا وقد نجده يجهل على خصمه ويستطيل على منازعه ويهم بتناوله والغدر به فاذا عرف له جاها تكفيه وجها لا تحميه وجاها يمنعه ومالا يصول به طامن له من شخصه وألان له من جانبه وسكن من حركته واطفأ نار غضبه أوما علمت أن الخوف يطرد السكر ويميت الشهوة ويطفئ الغضب ويحط الكبر ويذكر بالعاقبة ويساعد العقل ويعاون الرأى وينبت الحيلة ويبعث على الروية حتى يعتدل به تركيب من كان مغلوبا على عقله ممنوعا من رأيه بسكر الشباب وسكر الغنا واهمال الأمر وثقة العز وبأو القدرة

(فصل منه) وانما أطنبت لك فى تفسير هذه الأحوال التى عليها الوجود والعبرة لتعلم أن الناس لو تركوا شهواتهم وخلوا أهواءهم وليس معهم من عقولهم الا حصة الغريزة ونصيب التركيب ثم اخلوا من المرشدين والمؤدبين والمعترضين بين النفوس واهوائها وبين الطبائع

ولو

ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم * حبتكم السادة المذكورة الحشد

قوم هم الجذم والانساب تجمعهم * والمجد والدين والأرحام والبلد

اذا قريش أرادوا شد ملكهم * بغير قحطان لم يبرح به أود

قد وتر الناس طرا ثم قد صمتوا * حتى كأن الذى نيلوا به رشد

من الاولى وهبوا المجد أنفسهم * فما يبالون ما نالوا اذا حمدوا

(قال أبو الحسن قوله قارت يقال قرت الدم بقرت قروتا ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم ومسك قارت وهو أخفه وأجوده قال * يعل بقرات من المسك قاتن * وقرات فعال وقاتن مسك قاتن قد قتن قتونا أى يابس لاندوة فيه)

(باب ذكر الأذواء من اليمن فى الاسلام)

فأما فى الجاهلية فيكثرون نحو ذى يزن وذى كلاع وذى نواس وذى رعين وذى أصبح وذى المنار وذى القرنين فأما فى الاسلام فمنهم خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أنصارى ومنهم قتادة بن النعمان الانصارى ذو العين كانت عينه أصيبت فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت أحسن عينيه وكانت تعتل عينه الصحيحة فلا تعتل المردودة معها ومنهم أبو الهيثم بن التيهان الانصارى ذو السيفين كان يتقلد سيفين فى الحرب ومنهم حباب بن المنذر بن الجموح ذو الرأى وهو صاحب المشورة يوم بدر أخذ برأيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت له آراء فى الجاهلية مشهورة ومنهم سعد بن صفيح ذو السبال ومنهم ذو المشهرة وهو أبو دجانة سماك بن خرشة وكانت له مشهرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفين لم يبق ولم يذر وكل هؤلاء من الانصار ومن اليمن من غيرهم عبد الله بن الطفيل الأزدى ثم الدوسى ذو النور أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا فى جبينه ليدعو به قومه فقال يا رسول الله هذه مثلة فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سوطه فلما ورد على قومه بالسراة جعلوا يقولون ان الجبل

وقلبها من الأنبياء وخلفائها لم يكن فى قوى عقولهم ما يداوون به أدواءهم ويخبرون به من أهوائهم ويقوون به لمحاربة طبائعهم ويعرفون به من جميع مصالحهم وأى داء هو أردى من طبيعة تردى وشهوة تطغى ومن كان لا يعد الداء الا ما كان مؤلما فى وقته ضاربا على صاحبه فى سواد ليله وبياض نهاره فقد جهل معنى الداء وجاهل الداء جاهل بالدواء

(فصل منه) ولكنا نقول لا يجوز أن يلى أمر المسلمين على ظاهر الرأى والحزم والحيطة أكثر من واحد لان الحكام والسادة اذا تقاربت أقدارهم وتساوت عناياتهم قويت دواعيهم الى طلب الاستعلاء واشتدت منافستهم فى الغلبة وهكذا جرب الناس من أنفسهم فى جيرانهم الادنين فى الأصهار وبين الأعمام والمتقاربين فى الصناعات كالكلام والنجوم والطب والفتيا والشعر والنحو والعروض والتجارة والصياغة والفلاحة أنهم اذا تدانوا فى الأقدار وتقاربوا فى الطبقات قويت دواعيهم الى طلب الغلبة واشتدت حوافزهم فى حب المباينة والاستيلاء

ليلتهب وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة ومنهم ثم من خزاعة ذواليدين سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم ذا اليدين وكان قبل يدعى ذا الشمالين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الظهر فسلم في الركعة الثانية فقال ذواليدين يارسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال ما كان ذلك فقال بلى يارسول الله فالتفت الى أصحابه فقال مايقول ذواليدين فقالوا صدق يارسول الله فنهض فأتم ثم قال انى لا أنسى أو أنسى لاستن

﴿وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية﴾

منهم سعد بن معاذ الانصارى وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا الى الارض قبلها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من رجليه فى المشى لئلا يطأ على جناح ملك واهتز لموته عرش الله جل وعز وفى ذلك يقول حسان

وما اهتز عرش الله من موت هالك * سمعنا به الا لسعد أبى عمرو

وكبر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعا كما كبر على حمزة بن عبد المطلب وشم من تراب قبره رائحة المسك ومنهم حسان بن ثابت الانصارى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اهجهم وروح القدس معك وقال فى حديث آخر ان الله مؤيد حسانا بروح القدس مانافح عن نبيه وقالت عائشة كان يوضع لحسان منبر فى مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم حنظلة بن أبى عامر الانصارى غسلته الملائكة وذلك أنه خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبكم هذا قد غسلته الملائكة فسئل عن ذلك فقالت امرأته كان معى على ما يكون الرجل مع امرأته فأعجلته حطمة بلغته فى المسلمين فخرج فأصيب ففى ذلك يقول الأحوص بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح حمى الدبر وكان خال أبيه

غسلت خالى الملائكة الابـ * ـرار ميتا أكرم به من صريع

وأنا ابن الذى حمت ظهره الدبـ * ـر قتيل اللحيان يوم الرجيع

على الرياسة ومتى كانت الدواعى أقوى كانت النفس الى الفساد أميل والعزم أضعف وموضع الروية أشغل والشيطان فيهم أطمع وكان الخوف عليهم أشد وكانوا بموافقة المفسد أحرى واليه أقرب واذا كان ذلك كذلك فاصلح الأمور للحكام والقادة اذا كانت النفوس ودواعيها ومجرى أفعالها على ما وصفنا أن ترفع عنهم أسباب التحاسد والتغالب والمباهاة والمنافسة وان ذلك أدعى الى صلاح ذات البين وأمن البيضة وحفظ الاطراف واذا كان الله تبارك وتعالى قد كلف الناس النظر لأنفسهم واستبقاء النعمة عليهم وترك الخطر بالهلكة والتغرير بالأمة وليس عليهم مما يمكنهم أكثر من الحيطة والتباعد من التغرير ولا حال أدعى الى ذلك أكثر مما وصفنا لانه أشبه الوجوه بتمام المصلحة والتمتع بالامن والنعمة

﴿فصل منه﴾ فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه اذا كان القائم بأمور المسلمين بائن الأمر متفردا بالغاية من الفضل كانت دواعى الناس الى مسابقته ومجاراته أقل ولم يكن الله ليطبع الدنيا وأهلها

ومنهم حارثة بن النعمان رأى جبريل صلى الله عليه وسلم مرتين وأقرأه جبريل السلام ومنهم ثم من خزاعة عمران بن حصين كانت تصافحه الملائكة وتعوده ثم افتقدها فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان رجالا كانوا يأتوننى لم أر أحسن منهم وجوها ولا أطيب أرواحا ثم قد انقطعوا عنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصابك جرح فكنت تكتمه فقال أجل قال ثم أظهرته قال قد كان ذلك قال أما لو أقمت على كتمانه لزارتك الملائكة الى أن تموت ومنهم جرير بن عبد الله البجلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم من هذا الفج خير ذى يمن عليه مسحة ملك ومنهم دحية بن خليفة الكلبى كان جبريل صلى الله عليه يهبط فى صورته فمن ذلك يوم بنى قريظة لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق وهبط عليه جبريل عليه السلام فقال يامحمد أقد وضعتم سلاحكم ما وضعت الملائكة أسلحتها بعد ان الله يأمرك أن تسير الى بنى قريظة وها أنا ذا سائر اليهم فمزلزل بهم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ألا يصلوا العصر الا فى بنى قريظة فجعل يمر بالناس فيقول أمر بكم أحد فيقولون مر بنا دحية بن خليفة على بغلة عليها قطيفة خز نحو بنى قريظة فيقول ذاك جبريل ثم مر دحية بعد ذلك وكان لا يزال عليه السلام فى غير هذا اليوم ينزل فى صورته كما ظهر ابليس فى صورة الشيخ النجدى ·

(وهذا باب قد تقدم ذكرناه ووعدنا استقصاءه)

اعلم أن كل شئ من الحيوان كان مما يخبر الناس عنه كما يخبرون عن أنفسهم ومما يقتنونه ويتخذونه فبهم حاجة الى الفصل بين معرفته ونكرته ومذكره ومؤنثه تقول جاءنى رجل اذا لم تقدر من هو بعينه أو درببت فلم ترد أن تبين ثم تعرفه لصاحبك اذا أردت ذلك اما بألف ولام واما باسم معروف أو اضافة أو غير ذلك وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نعوت يعرفون بها بعضها من بعض وكذلك الشاء والكلاب والابل ولو لا تمييز بعضها من بعض لم يستقم الاخبار عنها والاختصاص بما أريد منها فاذا كان الشئ ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا الى التمييز بين بعضه

على هذه الطبيعة وركبها أهلها هذا التركيب حتى تكون اقامة الواحد من الناس أصلح لهم الا وذلك الواحد موجود عند ارادتهم له وقصدهم اليه لان الله لا يلزم الناس فى ظاهر الرأى والحيطة اقامة المعدوم وتشييد المجهول لان على الناس التسليم وعلى الله تعالى قصد السبيل وهل رأيتم ملكين أو سيدين فى جاهلية أو اسلام من العرب جميعا أو من العجم لا يتضيف أحدهما من سلطان صاحبه ولا ينهك أطرافه ولا يساجله الحروب اذ كل واحد منهم ما يطمع فى حد صاحبه وطرفه لتقارب الحال واستواء القوى كما جاءت الأخبار عن ملوك الطوائف كيف كانت الحروب راكدة وأمرهم مريج والناس نهب ليس لهم ثغر الا معطل ولا طرف الا منكشف والناس فيما بينهم مشغولون بأنفسهم ملوكهم من عز يزمع اتفاق المال وشغل البال وشدة الخطر بالجميع والتغرير بالكل

(فصل منه) فان قالوا فاصفة فضلهم قلنا أن يكون أقوى طبائعه عقله ثم يصل قوة عقله بشدة الفحص وكثرة السماع ثم يصل شدة فحصه وكثرة سماعه بحسن العادة فاذا اجمع الى عقله علما والى علمه حزما والى حزمه عزما فذلك الذى لا بعده وقد يكون

وبعض يقول الرجل رأيت الاسدَ فليس يعني أسدًا بعينه ولكن يريد الواحدَ من الجنس الذى قد عرفتَ وكذلك الذئبُ والعقربُ والحيةُ وما أشبه ذلك ألاترَى ان ابن عِرْسٍ وسامَّ أبرصَ وأمَّ حُبَيْنٍ وأبا الحرث وأبا الحُصَيْنِ معارفُ لا على أن تُمَيِّزَ بعضَها من بعض ولكن تعريف الجنس وقولك ابن مَخاض وابن لَبون وابن ماء نكرات لان هذا انما يتخذه الناس وابن ماء انما هو مضاف الى الماء الذى يعرف فاذا أردت التعريف من هذا لهذه النكرات أدخلتَ فيها أضيفتْ اليه الالفَ واللامَ أو لقَبْتَها ألقابا تعرف بها كزيد وعمرو واعلم أن كل جمع مؤنثٌ لانك تريد معنى جماعة ولا تذكّرُ من ذلك الا ما كان فعله يجرى بالواو والنون فى الجمع وذلك كلُّ ما يعقِلُ تقول مسلم ومسلمون كما تقول قوم يُسْلِمونَ وتقول للجمال هى تسير وهُنَّ يسِرْنَ كما تقول للمؤنث لان أفعالها على ذلك وكذلك المَواتُ قال الله عز وجل فى الاصنام ربِّ انهنَّ أضْلَلْنَ كثيرا من الناس والواحد مذكر وقال المفسرون فى قوله ان يدْعونَ من دونه الا اناثًا قالوا المَواتُ فكل ما خرج مما يعقل فجمعه بالتأنيث وقِلَّتُهُ عليه لا يكون الا ذلك الا ما كان من باب المنقوص نحو سِنينَ وعِزِينَ وليس هذا موضعه وجملتُه أنه لا يكون الا مؤنثا فلهذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنثُ فيجمعُ الذكَرَ والانثى فمن ذلك قولهم عقرب فهو اسم مؤنث الا أنك ان عرَفْتَ الذكَرَ قلت هذا عقرب وكذلك الحية تقول للانثى هذه حية وللذكر هذا حية قال جرير

ان الحَفافيثَ منكم يابنى لجَأٍ * يُطْرِقْنَ حيثُ يصولُ الحيةُ الذكر

(قال الاخفش الحفافيثُ ضرب من الحيات يكون صغيرا الجرم ينتفخ ويعظم وينْفُخُ نفخا شديدا لا غائلة له) وتقول هذا بطّةٌ للذكر وهذه بطّةٌ للانثى وهذا دجاجةٌ وهذه دَجاجةٌ قال جرير

لما تذكَّرْتُ بالدَّيرَيْنِ أرّقَنى * صوتُ الدَّجاجِ وقرعٌ بالنَّواقيس

يريد زُقاءَ الديوك فالاسم الذى يجمعها دُجاجةٌ للذكر والانثى ثم يخُصُّ الذكر بأن يقال ديك وكذلك تقول هذا بقرة لهما جميعا وهذا حُبارى ثم يخُصُّ الذكر فتقول ثور وتقول للذكر من الحبارى خَرَبٌ فعلى هذا يَجْرى هذا الباب وكل ما لم نذكره فهذا سبيله ۞ وقد كنا أرجأنا أشياء ذكرنا انا سنذكرها

الرجل دونه فى أمور وهو يستحق مرتبة الامامة ومنزلة الخلافة غير أنه على حال لابد من أن يكون أفضل أهل دهره لان من التعظيم لمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يقام فيه الا أشبه الناس به فى كل عصر ومن الاستهانة به أن يقام فيه من لا يشبهه وليس فى طريقته وانما يشبه الامام الرسول بان يكون آخذا بسيرته منه فأما أن يقاربه أو يدانيه فهذا ما لا يجوز ولا يسع تمنيه والدعاء به

(فصل منه) واذا كان قول المهاجرين والانصار والذين جرى بينهم التنافس والمشاحة على ما وصفنا فى يوم السقيفة ثم صنيع أبى بكر وقوله لطلحة فى عمر وصنيع عمر فى وضع الشورى وتوعدهم له بالقتل ان هم لم يقيموا رجلا قبل انقضاء المدة ونجوم الفتنة ثم صنيع عثمان وقوله وصبره حتى قتل دونها ولم يخلعها وأقوال طلحة والزبير وعائشة وعلى رضى الله تعالى عنهم ورحمة الله عليهم وعليها ليست بحجة على ما قلنا فليست فى الأرض دلالة ولا حجة قاطعة وفى هذا الباب الذى وصفنا وبينا من حالاتهم وبدنا دليل على أنهم كانوا يرون أن اقامة الامام فريضة واجبة وان الشركة عنها منفية وان الامامة تجمع صلاح الدين وايثار خير الآخرة والأولى

(فصل منه) وأى مذهب هو أشنع وأى فى

فى آخره هذا الكتاب منها خُطَبٌ ومواعظ ورسائل ونحن ذاكرون ماتهيأ من ذلك ان شاء الله

قال الأصمعى فيما بلغنى خطبنا أعرابى بالبادية فحمد الله واستغفره ووحده وصلى على نبيه فبلغ فى ايجاز ثم قال أيها الناس ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم فى الدنيا كنتم ولغيرها خُلقتم أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم والمُصَلَّى عليه رسول الله والمدعو له الخليفة والامير جعفر بن سليمن وحُدِّثت فى بعض الاسانيد أن عمر بن عبد العزيز قال فى خطبة له أيها الناس انما الدنيا أمل مخترم وأجل منتقص وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج فرحم الله امرأ فكر فى أمره ونصح لنفسه وراقب ربه واستقال ذنبه ونوّر قلبه أيها الناس قد علمتم أن أباكم قد أُخرج من الجنة بذنب واحد وأن ربكم وعد على التوبة فليكن أحدكم من ذنبه على وجل ومن ربه على أمل ويروى أن رجلا من مرو ذهب اسمه عنى قال أتيت ابن عمر فقلت أتجب الجنة لعامل بكل الخيرات وهو مشرك فقال لا فقلت له أتجب النار لعامل بالشر كله وهو موحد قال عش ولا تغتر قال وأتيت ابن عباس فسألته فأجابنى بمثل جوابه سواء وقال عش ولا تغتر قال وحدثنى بهذا الحديث القاضى (يعنى اسمعيل بن اسحق) وذكر العتبى أحسبه عن أبيه عن هشام بن صالح عن سعد القصير قال خَطَبَ الناس بالموسم عُتْبَةُ فى سنة احدى وأربعين وعهد الناس حديثٌ بالفتنة فاستفتح ثم قال أيها الناس انا قد ولينا هذا الموضع الذى يضاعف الله فيه للمحسن الاجر وعلى المسىء الوزر فلا تمدوا الأعناق الى غيرنا فانها تنقطع دوننا ورب متمنٍّ حتفه فى أمنيته اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم واياكم ولو فقد أتعبت من كان قبلكم ولن تريح من بعدكم فاسألوا الله أن يعين كلا على كلٍ فنعق به اعرابى من مؤخر المسجد فقال أيها الخليفة فقال لستُ به ولم تُبعد قال فيا أخاه قال قد أسمعت فقل فقال والله لأن تحسنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيئوا وقد أحسنا فان كان الاحسان لكم فما أحقكم باستتمامه وان كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا رجل من بنى عامر يمتُّ اليكم بالعمومة ويختص اليكم بالخؤلة وقد وطئه زمانٌ وكثرةُ عيالٍ وفيه أجرٌ وعنده شكرٌ فقال عتبة

قول هو أخش من قول من قال لابد للشاهد من أن يكون طاهرا عدلا مأمونا ولا يأمن أن يكون القاضى جائرا ظالما فاجرا وهذا لا يشبه حكم الحكيم وصفة الحليم ونظر المرشد وترتيب العالم

(فصل من صدر كتابه فى مقالة الزيدية والرافضة)

اعلم رحمنا الله واياك ان شيعة على رضى الله تعالى عنه زيدى ورافضى وبقيتهم بدد لا نظام لهم وفى الاخبار عنهما اغناء عن سواهما قالت علماء الزيدية وجدنا الفضل فى الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله فى أربعة أقسام أولها القدم فى الاسلام حين لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد فى الدنيا فان أزهد الناس فى الناس أرغبهم فى الآخرة وآمنهم على نفائس الأموال وعقائل النساء واراقة الدماء ثم الفقه الذى به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشى بالسيف كفاحا فى الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس فوق بذل المهجة واستغراق القوة غاية يطلبها طالب أو يرتجيها راغب ولم نجد قولا خامسا فنذكره فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة فى رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك انا سألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الأخبار ورجال الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم على وقال قوم زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد

استعيذ بالله منك واستعينه عليك فقد أمرت لك بعنالك فليت اسراعنا اليك بقوم يا بطائنا عنك

وذكر العتبي ان عتبة خطب الناس بمصر عن موجدة فقال يا حاملي الأم آنف ركبت بين أعين انى انما قلمت أظفارى عنكم ليلين مسى لكم وسألتكم صلاحكم اذ كان فسادكم باقيا عليكم فأما اذ أبيتم الا الطعن على السلطان والتنقص للسلف فوالله لاقطعن بطون السياط على ظهوركم فان حسمت أدواءكم والا فان السيف من ورائكم فكم من حكمة منا لم تعها قلوبكم ومن موعظة منا صمت عنها آذانكم ولست أبخل عليكم بالعقوبة اذ جدتم بالمعصية ولا أويسكم من مراجعة الحسنى ان صرتم الى التى هى أبر وأتقى ثم نزل وذكر العتبي أو غيره ان داود بن على بن عبد الله ابن العباس خطب الناس فى أول موسم ملكه بنو العباس بمكة فقال شكرا شكرا انا والله ما خرجنا لنحفر فيكم نهرا ولا لنبنى فيكم قصرا أظن عدو الله ان لن نقدر عليه ان روخى له من خطامه حتى عثر فى فضل زمامه فالآن حيث أخذ القوس باريها وعادت النبل الى النزعة ورجع الملك فى نصابه فى أهل بيت النبوة والرحمة والله لقد كنا نتوجع لكم ونحن فى فرشنا أمن الاسود والاحمر لكم ذمة الله لكم ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكم ذمة العباس لا ورب هذه البنية وأومأ بيده الى الكعبة لا نهيج منكم أحدا قال وخطب الناس معاوية بن أبى سفيان فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال ايها الناس انى من زرع قد استحصد وان يأتيكم بعدى الا من أنا خير منه كما لم يكن قبلى الا من هو خير منى وفى غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته قلبننى فقعلن فقال انكن لتقلبنه حولا قلبا ان وقى كبة النار ثم قال متمثلا

لا يبعدن ربيعة بن مكدم * وسقى الغوادى قبره بذنوب

وقال لابنة قرظة ابكينى فقالت

ألا ابكيه ألا ابكيه * الا كل الفتى فيه

فلما مات دخل الناس على يزيد يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجل من ثقيف فقال السلام عليك أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته انك قد فجعت بخير الآباء

قول كل واحد منهم من هذه الفرق قاطعا العذر صاحبه ولا ناقلا عن مذهبه وان كانت الرواية فى تقديم على أشهر واللفظ به أكثر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجهم والماشين الى الاقران بسيوفهم وجدناهم مختلفين فمن قائل يقول على رضى الله تعالى عنه ومن قائل يقول الزبير ومن قائل يقول ابن عفراء ومن قائل يقول محمد ابن مسلمة ومن قائل يقول طلحة ومن قائل يقول البراء ابن مالك على ان لعلى من قتل الاقران والفرسان ما ليس لهم فلا أقل من أن يكون على فى طبقتهم وان سألناهم عن الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون عليا أفقههم وعمر وعبد الله بن مسعود وزيد ابن ثابت وأبى بن كعب على ان عليا كان أفقههم لانه كان يسئل ولا يسأل ويفتى ولا يستفتى ويحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن لا أقل من أن نجعله فى طبقتهم وكأحدهم وان سألناهم عن أهل الزهادة وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على وأبو الدرداء ومعاذ ابن جبل وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على ان عليا أزهدهم لانه شاركهم فى خشونة الملبس وخشونة المأكل والرضا باليسير والتبلغ بالحقير وصلف النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان ينضح

واعطيت

وأعطيت جميع الأشياء فاصبر على الرزية واحمد الله على حسن العطية فلا أعطي أحد كما أعطيت ولا رزي كما رزئت فقام ابن همام السلولي فأنشده شعرا كأنما قاوضه الثقفي فقال

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر بلاء الذي بالملك أصفاكا

أصبحت تملك هذا الخلق كلهم * فأنت ترعاهم والله يرعاكا

ما ان رزي أحد في الناس نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وفي معاوية الباقي لنا خلف * اذا نعيت ولا نسمع بمنعاكا

الحول معناه ذو الحيلة والقلب الذي يقلب الأمور ظهرا البطن وقوله ان وقى كبة النار فكبة النار معظمها وكذلك كبة الحرب ويقال لقيته في كبة القوم وروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلا في حرب فقال طعنته في الكبة فوضعت رمحي في اللبة وأخرجته من السبة والسبة الدبر وروى ان خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال ادن فكل يا أبا صفوان فقال أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها قال وما أكلت قال أتيت ضيعتي لإبان الغراس وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى اذا صخدت الشمس وأزمعت بالركود ملت الى غرفة لي هفافة في حديقة قد فتحت أبوابها ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافح وسمسق فائح وأقحوان زاهر وورد ناضر ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق وسمك بناني بيض البطون زرق العيون سود المتون عراض السرر غلاظ القصر ودقة وخلول ومري وبقول ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الايدي ولم تهشمه كيل المكاييل فأكلت هذا ثم هذا فقال يزيد يا ابن صفوان لألف جريب من كلامك مزروع خير من ألف جريب مذروع ❁ ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصور وبين محمد بن عبد الله بن حسن العلوي كما وعدنا في أول الكتاب ونختصر ما يجوز ذكره منه ونمسك عن الباقي فقد قيل الراوية أحد الشاتمين قال لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فإنما جزاء الذين يحاربون

بيت المال في كل جمعة ويصلي فيه ركعتين ورفع سراويله وقطع ما فضل من ردائه عن أطراف أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع ان زهده أفضل من زهدهم لأنه أعلم منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما ان زلته ليست كزلة غيره فلا أقل من أن نعده في طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لأبي الدرداء وأبي ذر وبلال مثل الذي ذكروا له في باب الغناء والذب وبذل النفس ولم نجدهم ذكروا للزبير وابن عفراء وأبي دجانة والبراء ابن مالك مثل الذي ذكروا له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر وزيد وخباب مثل الذي ذكروا له من بذل النفس والغناء والذب بالسيف ولا ذكروهم في طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأينا هذه الأمور مجتمعة فيه متفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات علمنا انه أفضلهم وان كان كل رجل منهم قد أخذ من كل خير بنصيب فانه لن يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه (فصل منه) وضرب آخر من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم أعراب أجلاف وأشباه الأعراب يفترقون لا تدفع صولتهم اذا هاجوا ولا يؤمن هيجانهم اذا سكنوا ان أخصبوا طغوا في البلاد وان أجدبوا آثروا العناد ثم هم موكلون ببغض القادة وأهل الثرى والنعمة

يغذون النكبة ويشمتون بالعثرة (٢٩٤) ويسرون بالجولة ويتربصون الدائرة وهم كما وصفوا الطغام والسفلة

الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم ولك عهد الله وذمته وميثاقه وحق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان تبت من قبل أن أقدر عليك أن أؤمنك على نفسك وولدك واخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك وان أعطيك ألف ألف درهم وأنزلك من البلاد حيث شئت وأقضي لك ماشئت من الحاجات وأن أطلق من في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتبع أحدا منكم بمكروه فان شئت ان تتوثق لنفسك فوجه الى من يأخذ لك من الميثاق والعهد والامان ما أحببت والسلام فكتب اليه محمد بن عبد الله بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله محمد المهدي أمير المؤمنين الى عبد الله بن محمد أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ان فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون وأنا أعرض عليك من الامان مثل الذي أعطيتني وقد تعلم أن الحق حقنا وانكم انما طلبتموه بنا ونهضتم فيه بشيعتنا وخطبتموه بفضلنا وان أبانا عليا عليه السلام كان الوصي والامام فكيف ورثتموه دوننا ونحن أحياء وقد علمت أنه ليس أحد من بني هاشم يمت بمثل فضلنا ولا يفخر بمثل قديمنا وحديثنا ونسبنا وسببنا وأنا بنو أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمة في الاسلام من بينكم فأنا أوسط بني هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا لم تلدني العجم ولم تعرق في أمهات الاولاد وأن الله تبارك وتعالى لم يزل يختار لنا فولدني من النبيين أفضلهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمهم اسلاما وأوسعهم علما وأكثرهم جهادا علي بن أبي طالب ومن نسائه أفضلهن خديجة بنت خويلد أول من آمن بالله وصلى القبلة ومن بناته أفضلهن وسيدة نساء أهل الجنة

وقال علي رضي الله تعالى عنه في دعائه نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا لم يملكوا واذا افترقوا لم يعرفوا فهؤلاء هؤلاء. وضرب آخر قد فقهوا في الدين وعرفوا سبب الامامة وافنهم الحق وانقادوا له بطاعة الربوبية وطاعة المحبة وعرفوا المحبة وعرفوا المعدن ولكنهم قليل في كثير وان كثروا فهم أقل عددا وان كانوا أكثر فقها فلما كان الناس عند علي وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وأهل السابقة المهاجرين والانصار على الطبقات التي نزلنا والمنازل التي رتبنا وبالمدينة منافقون يعضون عليهم الأنامل من الغيظ وفيها بطانة لا يألونهم خبالا لا يخفى عليهم موضع الشدة وانتهاز الفرصة وهم في ذلك على تقية ووافق ذلك ارتداد من حول المدينة من العرب وتوعدهم بذلك في شكاة النبي صلى الله عليه وسلم وصح به الخبر الذي كان من اجتماع الانصار حيث انحازوا من المهاجرين وصاروا أحزابا وقالوا منا أمير ومنكم أمير فاشفق على أن يظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن يتكلم متكلم أو يشغب شاغب ممن وصفنا حاله وبينا طريقته فيحدث بينهم فرقة والقلوب على

ومن

ومن المولودين فى الاسلام الحسنُ والحسينُ سيدا شباب أهل الجنة ثم قد علمتَ ان هاشما ولَدَ
عليا مرتين وان عبد المطلب ولَدَ الحسنَ مرتين وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدنى مرتين من
قبل جدّىَّ الحسن والحسين فما زال الله يختار لى حتى اختار لى فى النار فولدنى أرفعُ الناس درجةً
فى الجنة وأهونُ أهل النار عذابا فأنا ابنُ خير الاخيار وابن خير الاشرار وابن خير أهل الجنة وابن
خير أهل النار ولك عهدُ الله ان دخلتَ فى بيعتى أن أؤَمّنَكَ على نفسك وولدك وكلِّ ما أصبتَهُ الاحدًّا
من حدود الله أو حقا لمسلم أو معاهَد فقد علمتَ ما يلزمك فى ذلك فأنا أوفى بالعهد منك وأحرَى
لقبول الامان فأما أمانُكَ الذى عرضتَ علىَّ فأىُّ الأمانات هو أأمانُ ابن هُبَيْرَةَ أم أمانُ عمك عبد
الله بن على أم أمانُ أبى مُسْلِمٍ والسلام فكتب اليه المنصور بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله
عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله أما بعد فقد أتانى كتابك وبلغنى كلامك فاذا جلُّ فخرك
بالنساء لتُضلَّ به الجُفاةَ والغوغاءَ ولم يجعل الله النساء كالعُمومة ولا الآباء كالعَصَبة والاولياء
ولقد جَعَلَ الله العم أبا وبدأ به على الوالد الادْنَى فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام واتبعتُ ملَّةَ
آبائى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ولقد علمتَ أن الله تبارك وتعالى بعث محمدا صلى
الله عليه وسلم وعُمومتُهُ أربعة فأجابه اثنان أحدهما أبى وكفر اثنان أحدهما أبوك فأما
ما ذكرتَ من النساء وقَراباتهِنَّ فلو أُعْطِينَ على قُرْبِ الأنساب وحقِّ الأحساب لكان الخيرُ كلُّه
لآمنة بنت وَهْبٍ ولكنّ الله يختار لدينه مَنْ يشاء من خلقه فأما ما ذكرتَ من فاطمة أم أبى طالب
فان الله لم يَهْدِ أحدا من ولدها للاسلام ولو فعل لكان عبدُ الله بن عبد المطلب أَوْلاهم بكل خير
فى الآخرة والأُولى وأسعدَهم بدخول الجنة غدًا ولكنَّ الله أَبَى ذلك فقال انك لا تَهْدى مَنْ
أحببتَ ولكنَّ الله يَهْدى من يشاء فأما ما ذكرتَ من فاطمة بنت أَسَد أم على بن أبى طالب وفاطمة
أم الحسن وأن هاشما وَلَدَ عليا مرتين وأن عبد المطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين فخيرُ الاولين والآخرين
محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَلِدْهُ هاشم الامرة واحدة ولم يلده عبد المطلب الامرة واحدة
وأما ما ذكرتَ من أنك ابن رسول الله فان الله عز وجل أَبَى ذلك فقال ما كان محمدٌ أبا أحد من

الى الكف عن الاظهار والتجافى عن الأمور وعلم أن فصل ما بينه وبين أبى بكر فى صلاحهم لو كانوا أقاموه لا يعادل التغرير بالدين ولا يفى بالخطر بالانفس لان فى التهييج البائقة وفى فساد الدين فسادا لعاجلة والآجلة فاغتفر الخمول ضنا بالدين وآثر الآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وقلة حرصه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحته واصالة رأيه ومتى سخت نفس امرئ عن هذا الخطب الجليل والامر الجزيل نزل من الله تعالى بغاية منازل الدين وانما كانت غايتهم فى أمرهم أربح الحالين لهم واعون على المقصود اذ علم ان هلكتهم لا تقوم بازاء صرف ما بين حاله وحال أبى بكر فى مصلحتهم (فصل منه) وانما ذكرت لك مذهب من لا يجعل القرابة والحسب سببا الى الامامة دون من يجعل القرابة سببا من أسبابها وعللها لانى قد حكيته فى كتاب الرافضة وكان ثم أوقع وبهم أليق وكرهت المعاد من الكلام والتكرار لان ذلك يغنى عن ذكره فى هذا الكتاب وهو مسلك واحد وسبيل واحد وانما قصدت الى هذا المذهب دون مذهب سائر الزيدية فى ولائهم وحججهم لانه أحسن شئ رأيته لهم وانما أحكى لك

رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ولكنكم بنو ابنته وانها القرابة قريبة غير انها امرأة لا تحوز الميراث ولا يجوز أن تؤم فكيف تورث الامامة من قبلها (٣) ولقد طلب بها أبوك بكل وجه فأخرجها تخاصم ومرّضها سرا ودفنها ليلا فأبى الناس الا تقديم الشيخين ولقد حضر أبوك وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصلاة غيره ثم أخذ الناس رجلا رجلا فلم يأخذوا أباك فيهم ثم كان فى أصحاب الشورى فكل دفعه عنها بايع عبد الرحمن عثمان وقبلها عثمان وحارب أباك طلحة والزبير ودعا سعدا الى بيعته فأغلق بابه دونه ثم بايع معاوية بعده وأفضى أمر جدك الى أبيك الحسن فسلمه الى معاوية بخرق ودراهم وأسلم فى يديه شيعته وخرج الى المدينة فدفع الامر الى غير أهله وأخذ مالا من غير حله فان كان لكم فيها شئ فقد بعتموه فأما قولك ان الله اختار لك فى الكفر فجعل أباك أهون أهل النار عذابا فليس فى الشر خيار ولا من عذاب الله هين ولا ينبغى لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار وسترد فتعلم وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وأما قولك انك لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد وأنك أوسط بنى هاشم نسبا وخيرهم أما وأبا فقد رأيتك فخرت على بنى هاشم طرا وقدمت نفسك على من هو خير منك أولا وآخرا وأصلا وفصلا فخرت على ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده فانظر ويحك أين تكون من الله غدا وما ولد فيكم مولود بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من على ابن الحسين وهو لأم ولد ولقد كان خيرا من جدك حسن بن حسن ثم ابنه محمد بن على خير من أبيك وجدته أم ولد ثم ابنه جعفر وهو خير منك ولقد علمت أن جدك عليا حكم حكمين وأعطاهما عهده وميثاقه على الرضا بما حكما به فاجتمعا على خلعه ثم خرج عمك الحسين بن على على ابن مرجانة فكان الناس الذين معه عليه حتى قتلوه ثم أتوا بكم على الأقتاب بغير أوطية كالسبى المجلوب الى الشام ثم خرج منكم غير واحد فقتلتكم بنو أمية وحرقوكم بالنار وصلبوكم على جذوع النخل حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم اذ لم تدركوه ورفعنا أقداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم بعد أن كانوا يلعنون أباك فى أدبار الصلاة المكتوبة كما تلعن الكفرة فعنفناهم وكفرناهم وبينا فضله

من كل نحلة قول حذاقهم وذوى احلامهم لان فيه دلالة على غيره وغنى عما سواه وقالوا وقد يكون الرجل أفضل الناس ويلى عليه من هو دونه فى الفضل حتى يكلفه الله تعالى طاعته وتقديمه اما للمصلحة واما للاشفاق من الفتنة كما ذكرنا وفسرنا واما للتغليظ فى المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال تعالى للملائكة اسجدوا لآدم والملائكة أفضل من آدم فقد كلفهم الله تعالى أغلظ المحن وأشد البلوى الا ليس فى الخضوع أشد من السجود على الساجد له والملائكة أفضل من آدم لان جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعة وكما ملك الله طالوت على بنى اسرائيل وفيهم يومئذ داود النبى صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذى أخبر عنه فى القرآن وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا ثم صنيع النبى صلى الله عليه وسلم حين ولى زيد بن حارثة على جعفر الطيار يوم مؤتة وولى أسامة على كبراء المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن عمرو بن نفيل وسعد بن أبى وقاص وذوو أخطار واقدار من البدريين

(٣) قوله ولقد طلب الى قوله تخاصم هذه عبارة مكذوبة كما فى كتب السير الصحيحة وهى من وضع الرافضة اه مصححه

واشدنا

وأنشدنا بذكره فاتخذت ذلك علينا حجة وظننت أنا لما ذكرنا من فضل علي أنا قدمناه على حمزة والعباس وجعفر كل أولئك مضوا سالمين مسلما منهم وابتلي أبوك بالدماء ولقد علمت أن مآثرنا في الجاهلية سقاية الحجيج الأعظم وولاية زمزم وكانت للعباس دون اخوته فنازعنا فيها أبوك الى عمر فقضى لنا عمر عليه وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حيا الا العباس فكان وارثه دون بني عبد المطلب وطلب الخلافة غير واحد من بني هاشم فلم ينلها الا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء وبنوه القادة الخلفاء فقد ذهب بفضل القديم والحديث ولولا أن العباس أخرج الى بدر كرها لمات عماك طالب وعقيل جوعا أو يلحسا جفان عتبة وشيبة فأذهب عنهما العار والشنار ولقد جاء الاسلام والعباس يمون أبا طالب للأزمة التي أصابتهم ثم فدى عقيلا يوم بدر فقد مناكم في الكفر وفديناكم من الأسر وورثنا دونكم خاتم الانبياء وحزنا شرف الآباء وأدركنا من ثاركم ما عجزتم عنه ووضعناكم بحيث لم تضعوا أنفسكم والسلام ۞ قال أبو العباس وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وانا سنذكرها بتمامها في غير هذا الموضع الذي ابتدأنا ذكرها أولا فيه وكان سبب هذه الرسالة افراط خالد في الدالة على هشام وانه أخذ ابن حسان النبطي فضرب بالسياط وكان يقال له سهيل قال فبعث بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد أوغر صدر هشام عليه من افراط الدالة واحتجان الاموال وكفر ما أسداه اليه من توليته اياه العراق فكتب هشام الى خالد بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك الا لما أحب من رب الصنيعة قبلك واستتمام معروفه عندك وكان أمير المؤمنين أحق من استصلح ما فسد عليه منك فان تعد لمثل مقالتك وما بلغ أمير المؤمنين عنك رأى في معاجلتك بالعقوبة رأيه ان النعمة اذا طالت بالعبد ممتدة أبطرته فأساء حمل الكرامة واستقل العافية ونسب ما في يديه الى حيلته وحسبه وبيته ورهطه وعشيرته فاذا نزلت به الغير وانكشطت عنه عماية الغي والسلطان ذل منقادا وندم حسيرا وتمكن منه عدوه قادرا عليه قاهرا له ولو أراد

والمهاجرين والسابقين الأولين
((وصل منه)) ولو ترك الناس وقوى عقولهم وجماع طبائعهم وغلبة شهواتهم وكثرة جهلهم وشدة نزاعهم الى ما يرديهم ويطغيهم حتى يكونوا هم الذين يختبرون من كل ما أفسدهم بقدر قواهم وحتى يقفوا على حد الضار والنافع ويعرفوا فصل ما بين الداء والدواء والأغذية والسموم كان قد كلفهم شططا وأسلمهم الى عدوهم وشغلهم عن طاعته التي هي اجدى الأمور عليهم وأنفعها لهم ومن أجلها عدل التركيب وسوى البنية وأخرجهم من حد الطفولة والجهل الى البلوغ والاعتدال والصحة وتمام الاداة والآلة ولذلك قال عز ذكره وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولو أن الناس تركهم الله تعالى والتجربة وخلاهم وسبر الأمور وامتحان السموم واختبار الأغذية وهم على ما ذكرنا من ضعف الحيلة وقلة المعرفة وغلبة الشهوة وتسليط الطبيعة مع كثرة الحاجة والجهل بالعاقبة لأتت عليهم السموم ولأفناهم الخطر ولأجهز عليهم الخبط ولتولدت الأدواء وترادفت

أمير المؤمنين افسادك لجمع بينك وبين من شهد فلتات خطلك وعظيم زللك حيث تقول لجلسائك والله ما زادتني ولاية العراق شرفا ولا ولاني أمير المؤمنين شيئا لم يكن من قبلي ممن هو دوني يلي مثله ولعمري لو ابتليت ببعض مقاوم الحجاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمت أنك رجل من بجيلة فقد خرج عليك أربعون رجلا فغلبوك على بيت مالك وخزائنك حتى قلت أطعموني ماء دهشا وبعلا وجبنا فما استطعتهم الا بأمان ثم أخفرت ذمتك منهم دزين وأصحابه ولعمري أن لو حاول أمير المؤمنين مكافأتك بخطلك في مجلسك وجحودك فضله اليك وتصغير ما أنعم به عليك لحل العقدة ونقض الصنيعة وردك الى منزلة أنت أهلها كنت لذلك مستحقا فهذا جدك يزيد بن أسد قد حشد مع معاوية في يوم صفين وعرض له دينه ودمه فما اصطنع الا عنده ولا ولاه ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك وقبله من أهل اليمن وبيوتاتهم من قبيلة أكرم من قبيلتك من كندة وغسان وآل ذي يزن وذي كلاع وذي رعين في نظرائهم من بيوتات قومهم كلهم أكرم أولية وأشرف اسلافا من آل عبد الله ابن يزيد ثم آثرك أمير المؤمنين بولاية العراق بلا بيت رفيع ولا شرف قديم وهذه البيوتات تعلوك وتغمرك وتسكنك وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بدأة الامور وأبواب الخلفاء ولولا ما أحب أمير المؤمنين من ردغر بك لعاجلك بالتي كنت أهلها وانها منك لقريب مأخذها سريع مكروهها فيها ان أبقى الله أمير المؤمنين زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم نزع بك الى ذلك عرق سوء فيهم من التي قامت عنك فبئس الجنين أنت يا عدي نفسه وان الله عز وجل لما رأى احسان أمير المؤمنين اليك وسوء قيامك بشكره قلب قلبه فأسخطه عليك حتى قبحت أمورك عنده وآيسه من شكرك ما ظهر من كفرك النعمة عندك فأصبحت تنتظر سقوط النعمة وزوال الكرامة وحلول الخزي فتأهب لنوازل عقوبة الله بك فان الله عليك أوجد ولما عملت أكره فقد أصبحت وذنوبك

الاسقام حتى تصير منايا قاتلة وحتوفا متلفة اذ لم يكن عندهم الا أخذها والجهل بحدودها ومنتهى ما يجوز منها والزيادة فيها وقلة الاحتراس من تواليدها فلما كان ذلك كذلك علمنا ان الله تعالى حيث خلق العالم وسكانه لم يخلقهم الا لصلاحهم ولا يجوز صلاحهم الا بتبقيتهم ولولا الأمر والنهي ما كان للتبقية وتعديل الفطرة معنى ولما ان كان لابد للعباد من أن يكونوا مأمورين منهيين بين عدو عاص ومطيع ولي علمنا أن الناس لا يستطيعون مدافعة طبائعهم ومخالفة اهوائهم الا بالزجر الشديد والتوعد بالعقاب الأليم في الآجل بعد التنكيل في العاجل اذ كان لابد من أن يكون منهيين بالتنكيل معجلا والجزاء الأكبر مؤجلا وكان شأنهم ايثار الأدنى وتسويف الأقصى واذا كانت عقول الناس لا تبلغ جميع مصالحهم في دنياهم فهم عن مصالح دينهم أعجز اذ كان علم الدين مستنبطا من علم الدنيا واذا كان العلم مباشرة أو سببا للمباشرة وعلم الدين غامض فلا يتخلص الى معرفته الا بالطبيعة الفائقة والعناية الشديدة مع تلقين الأئمة ولان

عند

عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبكتك الا راتبا بين يديه وعنده من يقررك بها ذنبا ذنبا
ويبكتك بما أتيت أمرا أمرا فقد نسيته وأحصاه الله عليك ولقد كان لامير المؤمنين زاجر
عنك فيما عرفك به من القسرع الى حماقتك فى غير واحدة منها القرشى الذى تناولته بالحجاز
ظالما فصر بك الله بالصوت الذى ضربته به مفتضحا على رؤس رعيتك ولعل أمير المؤمنين
يعود لك بمثل ذلك فان يفعل فأهله أنت وان يصفح فأهله هو ومن ذلك ذكرك زمزم وهى
سقيا الله وكرامته لعبد المطلب وهذا الحى من قريش تسميها أم جعار فلا سقاك الله من
حوض رسوله وجعل شركا الخير كالفداء والله أن لو لم يستدل أمير المؤمنين على ضعف
تحاربك وسوء تدبيرك الا بفسالة دخائلك وبطانتك وعمالك والغالبة عليك جاريتك الرائفة
بائعة الفهود ومستعملة الرجال مع ما أتلفت من مال الله فى المبارك فانك ادعيت أنك
أنفقت عليه اثنى عشر ألف ألف درهم والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل
لك أمير المؤمنين ما أفسدت من مال الله وضيعت من أمور المسلمين وسلطت من ولاة السوء
على جميع أهل كور عملك تجمع اليك الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان حابسا لاكثره رافعا
لاقله مع خيانة مساويك التى قد أخر أمير المؤمنين تقريرك بها ومناصبتك أمير المؤمنين
فى مولاه حسان ووكيله فى ضياعه وأحوازه فى العراق واقدامك على ابنه بما أقدمت به
وسيكون لامير المؤمنين فى ذلك نبأ أن لم يعف عنك ولكنه يظن أن الله طالبك بأمور أتيتها
غير تاركك لتكشيفك عنها وجلك الأموال ناقصة عن وظائفها التى جباها عمر بن هبيرة
وتوجيهك أخاك أسدا الى خراسان مظهر العصبية بها متحاملا على هذا الحى من مضر قد
أنت أمير المؤمنين بتصغيره بهم واحتقاره لهم وركوبه اياهم الثقات ناسيا لحديث زرنب
وقصص الهجر بين كيف كانت فى أسد بن كرز فاذا خلوت أو توسطت ملأ فاعرف نفسك
وخف رواجع البغى عليك وعاجلات النقم فيك واعلم أن ما بعد كتاب أمير المؤمنين هذا
أشد عليك وأفسد لك وقبل أمير المؤمنين خلف منك كثير فى أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم وفيهم

الناس لو كانوا يبلغون
بأنفسهم غاية مصالحهم
فى دينهم ودنياهم كان
ارسال الرسل قليل النفع
يسير الفضل واذا كان
الناس مع منفعتهم
بالعاجل وحبهم للبقاء
ورغبتهم فى النماء وحاجتهم
الى الكفاية ومعرفتهم
بما فيها من السلامة
لا يبلغون لأنفسهم
معرفة ذلك واصلاحه
وعلم ذلك جليل ظاهر
سببه بعضه ببعض كدرك
الحواس وما لاقته فهم
عن التعديل والتحرير
وتفصيل التأويل والكلام
فى مجىء الأخبار وأصول
الأديان أعجز وأجدر أن
لا يبلغوا منه الغاية ولا
كنه الحاجة لان علم الدنيا
أمران اماشئ يلى الحواس
واماشئ يلى علم الحواس
وليس كذلك الدين فلما
كان ذلك كذلك علمنا
أنه لا بد للناس من امام
يعرفهم جميع مصالحهم
ووجدنا الائمة ثلاثة رسول
ونبى وامام فالرسول نبى
امام والنبى نبى امام
والامام امام وليس برسول
ولا نبى وانما اختلفت
أسماؤهم ومراتبهم
لاختلاف النواميس
والطبائع وعلى قدر ارتفاع
بعضهم عن درجة بعض
فى العزم والتركيب
وتغير الزمان بتغير الغرض
وتبدل الشريعة فأفضل

عوض منك والله من وراء ذلك وكتب عبد الله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة

﴿هذا الكتاب قد وفيناه جميع حقوقه ووفينا بجميع شروطه الا ما أذهل عنه النسيان فانه قلما يخلى من ذلك ونحن خاتموه بأشعار طريفة وآخر ذلك الذي نختم به آيات من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها ان شاء الله﴾

قال الشاعر

اذكر مجالس من بنى أسد * بعدوا وحن اليهم القلب

الشرق منزلنا ومنزلهم * غرب وأنى الشرق والغرب

من كل أبيض جل زينته * مسك أحم وصارم غضب

وقال آخر

حياة أبى العوام زين لقومه * لكل امرئ قاس الامور وجربا

ونعتب أحيانا عليه ولو مضى * لكنا على الباقى من الناس أعتبا

وقال مسلم

حياتك يا ابن سعدان بن يحيى * حياة للمكارم والمعالى

جلبت لك الثناء فجاء عفوا * ونفس الشكر مطلقة العقال

وترجعنى اليك وان نأت بى * ديارى عنك تجربة الرجال

وقيل فى المثل المبالغة فى النصيحة تهجم بك على عظيم الظنة وأنشدنى العباس بن الفرج الرياشى

وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * وقد يستفيد الظنة المتنصح

وأنشدنى الرياشى

اذا الأمر أغنى عنك حنو به فاجتنب * معرة أمر أنت عنه بمعزل

وقال

الناس الرسول ثم النبى ثم الامام فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتدئ الملة ويقيم الناس على حد مراشدهم اذ كانت طبائعهم لا تحتمل فى ابتداء الأمر أكثر من الحمل ولولا أن فى طاقة الناس قبول التلقين وفهم الارشاد لكانوا اهملا ولتركوا تشرا حشرا ولسقط عنهم الأمر والنهى ولكنهم قد يتفاضلون بين الأمور اذا أوردت عليهم وكفوا مؤنة التجربة وعلاج الاستنباط وان يبلغوا بذلك القدر قدر المستغنى بنفسه المستبد برأيه المكتفى بفطنته عن ارشاد الرسل وتلقين الأئمة وانما جاز أن يكون الرسول مرة عربيا ومرة عجميا وليس له بيت يحظره ولا شرف يشهر موضعه لانه حين كان مبتدئ الملة ومخرج الشريعة كان ذلك أشهر من شرف الحسب المذكور وأنبه من البيت المقدم ولانه يحتاج من الأعلام والآيات والأعاجيب الى القاهر المعقول والواضح الذى لا يحيل أن يشتهر مثله فى الآفاق ويستفيض فى الاطراف حتى يصدع عقل الغبى ويضئ طبع العاقل وينقض عزم المعاند الأصل وينتبه من طول الرقدة وتخضع الرقاب وتضرع

وقال العتّابى

لا ترج رجعة مذنب * خلط احتجاجا باعتذار

وقال أيضا

وفيت كل خليل ودّنى ثمنا * الا المؤمل دولاتى وأيامى

وقيل للعتابى ما البلاغة قال الا يؤتى السامع من سوء افهام القائل ولا يؤتى القائل من سوء فهم السامع وقال ابن دبير

اقدر لرجلك قبل الخطو موقعها * فمن علا زلقا عن غرة زلقا

وكان يقال اصمت لتفهم واذكر لتعلم وقل لتذاق ۞ ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون قال الله عز وجل انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه مجاز الآية ان المفعول الأول محذوف ومعناه يخوفكم من أوليائه وفى القرآن فمن شهد منكم الشهر فليصمه والشهر لا يغيب عنه أحد ومجاز الآية فمن كان منكم شاهدا بلده فى الشهر فليصمه والتقدير فمن شهد منكم أى فمن كان شاهدا فى شهر رمضان فليصمه نصب الظروف لا نصب المفعول به وفى القرآن فى مخاطبة فرعون فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فليس معنى ننجيك نخلصك ولكن نلقيك على نجوة من الأرض ببدنك بدرعك يدل على ذلك لتكون لمن خلفك آية وفى القرآن يخرجون الرسول واياكم أن تؤمنوا بالله ربكم فالوقف يخرجون الرسول واياكم أى ويخرجونكم لان تؤمنوا بالله ربكم

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله

مما قلناه من عمد وقصد وزلل وخلل

الحلود حتى يتواضع له كل شرف ويرغم له كل انف فلا يحتاج حاله معه الى حال ولا مع قدره الى حسب وعلى قدر جهل الأمة وغباوة عقولها وخبث عادتها وغلظ محنتها وشدة حيرتها تكون الآيات كفلق البحر والمشى على الماء واحياء الموتى وقصر الشمس عن مجراها الا ان النبي الذى ليس برسول ولا مبتدى ملة ولا منشئ شريعة انما هو للتأكيد والبشارة كبشارة النبى بالرسول الكائن على غابر الأيام وطول الدهر وتوكيد المبشر يحتاج من الاعلام الى دون ما يحتاج اليه المبتدى لأصل الملة والمظهر لفرض الشريعة الناقل للناس عن الضلال القديم والعادة السيئة والجهل الراسخ فلذلك اكتفى بشهرة اعلامه وشرف آبائه وذكر شرائعه من عن شهرة بيته وشرف حسبه لانه لا ذكر الا وهو خامل عند ذكره ولا شرف الا وهو وضيع عند شرفه (انتهت الفصول) التى اختارها عبيد الله بن حسان من كتب أبى عثمان عمرو ابن بحر الجاحظ رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وآله وصحبه أجمعين

﴿ يقول راجي عفو البارى على بن أحمد الشهير بالهوارى ﴾

الحمد لله الذى خلق الانسان علمه البيان وأنزل لهدايته كتابا بأفصح لسان والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى اختص بجوامع الكلم وروائع الحكم وبز شأو بلغاء العرب والعجم وعلى آله وأصحابه خير أمة أخرجت للناس الذين عنوا بنشر الدين وأقاموا اللغة على أمتن أساس

﴿ وبعد ﴾ فان علم الأدب بين علوم اللسان قلادة الجيد وبيت القصيد وبه تدرك أسرار القرآن ويقبض على أزمة البيان وقد كتب فيه أئمة البلاغة الكتب ودونوا الدواوين وأملوا الامالى بيد أن أحسنها وضعا وأدقها صنعا هو كتاب الكامل لشيخ الادب واللغة أبى العباس محمد بن يزيد المبرد فقد أودعه من مختار الشعر ونوابغ الخطب وعيون الرسائل ما فيه الغناء بحيث لو ألم به المتأدب كان من مبرزى البلغاء وقد التزم رحمه الله ان يشرح كل ما به حاجة الى الشرح بأمتن عبارة وأبلغ لفظ وأبدع اختصار وهذا ما حدا بحضرة الماجد الهمام (عبد الواحد بك الطوبى وأخيه) الى طبع ذلك الكتاب محلى هامشه بمنتخبات رسائل امام البلاغة ومالك أعنة البيان أبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ وهو لعمر الحق كتاب لو قرأه متأدب ولم يخرج منه جاحظيا فلا أشب الله قرنه وكان هذا الطبع

الرائق بهذا الشكل الفائق بمطبعة التقدم العلمية التى مركزها درب الدليل بمصر
المحمية ادارة حضرة ملتزم الطبع وأخيه ولاح بدر تمامه وفاح مسك
ختامه فى النصف الثانى من شهر شعبان المكرم
سنة ١٣٢٤ هجريه على صاحبها
أفضل الصلاة وأزكى
التحية آمين
آمين